

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

قسم: العقيدة ومقارنة الأديان

تخصص: عقيدة



كلية: أصول الدين

الرقم التسلسلي:

رقم التسجيل:

سُنن الوحدة في القرآن الكريم - النظرية والتطبيق -

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه ل م د

تخصص: عقيدة

إشراف الأستاذة:

أ.د/ براهيم أحسن

إعداد الطالبة:

❖ بن شيحة سميرة

أعضاء المناقشة

الاسم واللقب	الصفة	الجامعة الأصلية
أد/ عيسى بوعافية	رئيسا	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
أد/ أحسن برامة	مشرفا ومقررا	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
د/ نجوى منصوري	عضوا	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
أد/ حسين شرفة	عضوا	جامعة الحاج لخضر، باتنة 01
أد/ جمال الأشراف	عضوا	جامعة الوادي
أد/ أحمد عامر باي	عضوا	جامعة الوادي

السنة الجامعية: 1446/1447هـ - 2025/2026م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

قسم: العقيدة ومقارنة الأديان

تخصص: عقيدة



كلية: أصول الدين

الرقم التسلسلي:

رقم التسجيل:

سُنن الوحدة في القرآن الكريم - النظرية والتطبيق -

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه ل م د

تخصص: عقيدة

إشراف الأستاذة:

أ.د/ براهيم أحسن

إعداد الطالبة:

❖ بن شيحة سميرة

أعضاء المناقشة

الاسم واللقب	الصفة	الجامعة الأصلية
أد/ عيسى بوعافية	رئيسا	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
أد/ أحسن برامة	مشرفا ومقررا	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
د/ نجوى منصوري	عضوا	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
أد/ حسين شرفة	عضوا	جامعة الحاج لخضر، باتنة 01
أد/ جمال الأشراف	عضوا	جامعة الوادي
أد/ أحمد عامر باي	عضوا	جامعة الوادي

السنة الجامعية: 1447/1446 هـ - 2026/2025 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الآية 32 سورة البقرة

إهداء

أهدي عملي هذا لقرّة عيني الذي أفديه بمالي وأهلي ونفسي إلى حبيبي محمد صلى
الله عليه وسلم.

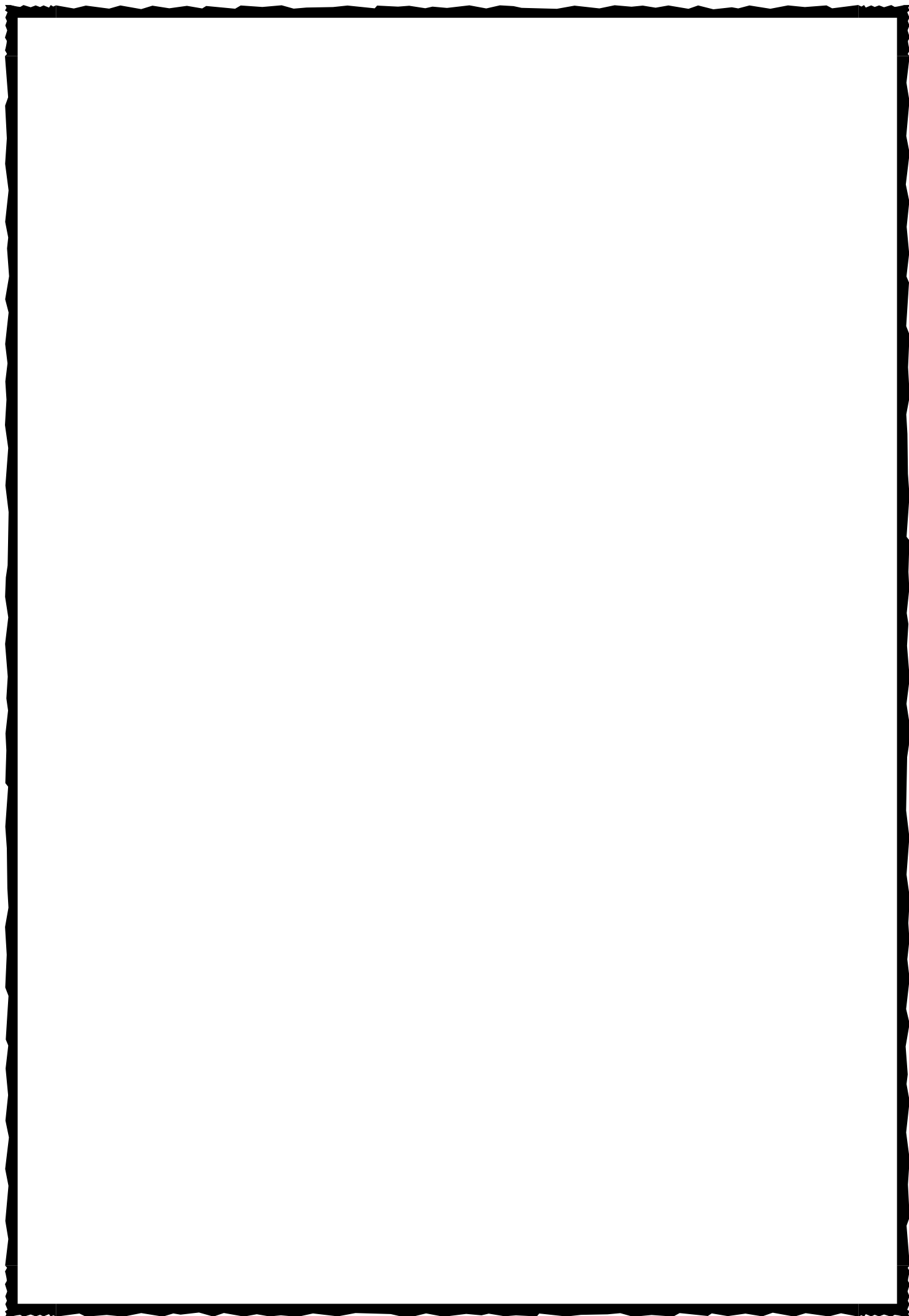
إلى التي انتظرت هذا اليوم كثيرا وجعلتني أصل إليه بصدق دُعائها وقلبها الذي لا
يعرف إلا العطاء إلى أمي الغالية الحبيبة.

إلى روح أبي العزيز رحمه الله الذي طالما تمنى لي النجاح والتفوق ولكن القدر حال أن
يحضر هذا اليوم.

إلى الذي دفعني في مراحل هذا البحث بإصرار حتى أتمّه وتقاسم أعباءه معي
وساندني في لحظات اليأس إلى زوجي الغالي رفيق دربي.

إلى إخوتي وسندي في الحياة وإلى أحابي الذين حملوا معي همّ إتمام هذه الرسالة
صديقات العمر فطيمة، وسام، سمراء، أحلام.

لكم منّي كلّ الحب والامتنان والعرفان.



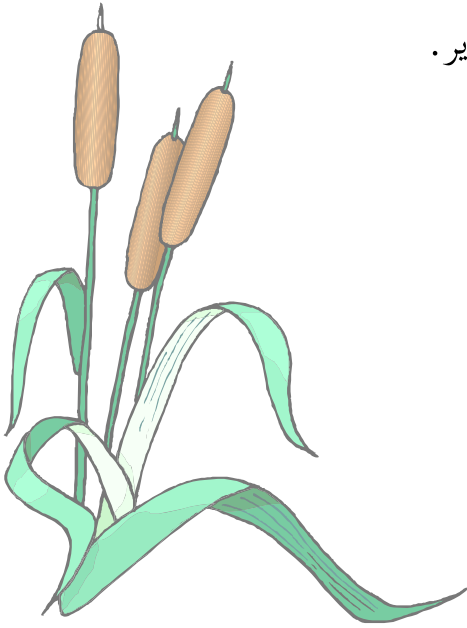
شُكْر وعرفان

أقف اليوم مُمتنة لكل من كان له أثرٌ في رحلتي العلمية شُكراً لمُشرفي الفاضل «أحسن
براما» بقدرِ ما بذله من جهد ووقت في توجيهي ودعمي، وبِقَدْرِ ما علمني أن أبحث
ليس مجرد دراسة بل شغفٌ وسعيٌّ لا ينتهيان نحو المعرفة.

كما أود أن أعبر عن امتناني العميق إلى جامعة الأمير عبد القادر التي أتاحت لي فرصة
البحث والدراسة ووفرت لي كلّ ما أحتاجه من مصادر ومعرفة وصبرت علينا حتى هذا
اليوم لنقدم هذا الإنجاز.

ولا أنسى أن أشكر زُملائي الباحثين وكل من أسهم ولو بكلمة في إنجاز هذا العمل.

فلهم مِنِّي كُلُّ الامتنان والتقدير.



مقدمة

تمهيد:

الحمد لله الذي أنزل القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان وجعل في آياته البينات سنناً وقوانين إلهية تضبط سير الكون والإنسان، وترشد الأمم إلى طرق الوحدة والتآلف، وجعل الفرقة والاختلاف منبذان في أواصر الإخوان، والصلوات والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله الذي أرسله الله بالحق والهدى، ليكون نوراً للعالمين ومثالاً للوحدة في الطاعة والعبادة.

يتفق العلماء على أن التآلف والتلاحم ضرورة لا غنى عنها لأي أمة تسعى إلى النجاح والازدهار، وقد جاء الدين الإسلامي بتعزيز هذا المبدأ والحث على رعايته، إلا أن التقلبات والأحداث المتتالية تجعل من الضروري التذكير بهذه القيم والحرص على التمسك بها، ولقد كان الاختلاف في الآراء والمواقف جزءاً من الطبيعة البشرية، وهو أمر لا يمكن تفاديه، إلا أن هذا الاختلاف قد اتسع وأصبح يتجاوز مجرد تفاوت في وجهات النظر، مما جعل الحاجة إلى التأكيد على أهمية الوحدة والتلاحم أكثر إلحاحاً، فبات من الضروري الدعوة إلى نبذ العنف والتطرف بأشكاله كافة.

إن سنن الوحدة تُعد من القيم المركزية التي يركز عليها القرآن الكريم، سواءً في النظام الكوني الذي يحكمه خالق واحد، أو في تكوين الإنسان الذي يشترك في أصل واحد، أو في الأمة الإسلامية التي يجمعها توحيد الله والعمل بشريعته، ومن هنا جاءت هذه الدراسة لتسلط الضوء على مفهوم الوحدة كما ورد في القرآن الكريم مع استجلاء السنن الإلهية التي تشرف على هذه الوحدة وتضبطها.

ففي القرآن الكريم تتجلى أسس الوحدة والتكامل الإنساني على نحو شامل، حيث يُقدّم لنا رؤية متكاملة تقوم على القانون الإلهي لبناء إنسانٍ ومجتمعٍ صالحين ترشدهما وتحكمهما العدالة الإلهية والحق المبين، ولقد جاء القرآن الكريم ليضع الأسس الراسخة التي تهدف إلى تنظيم الكون والإنسان، وفق نظام إلهي دقيق يعتمد على السنن والقوانين التي تحكم جميع المخلوقات، وتنبئ نظرية الوحدة كقيمة مركزية تجمع بين عناصر الكون المختلفة، وبين أفراد الإنسانية على أساس من التكامل والتآزر، وتهدف إلى تحقيق الانسجام الشامل في كافة مجالات الحياة.

ومن فضل الله تعالى على الأمة الإسلامية أنها أمة موحدة تجمعها العديد من الركائز الأساسية التي تعبر عن تلاحمها، فهم يشتركون في الإيمان بالله الواحد الأحد، وبرسوله محمد ﷺ، وفي اتباع القرآن

الكريم، ولتعزير "الوحدة الإسلامية" بين المسلمين، يجب التركيز على ما يوحدهم والابتعاد عن القضايا الخلافية الفرعية.

لا توجد في أي ديانة من الديانات ما يوجد في الإسلام من عوامل متعددة تعزز وحدة أتباعه وتضامنهم وتلاحمهم، فالعبادات كلها تمثل تجسيدًا عمليًا للوحدة، وقبلها تأتي العقيدة كأرضية ثابتة تدعم هذه الوحدة، وقد جاءت النصوص القرآنية والأحاديث النبوية بالدعوة إلى الوحدة بأسلوب قوي ومتواصل، محذرة بشدة من التفرقة والانقسام.

أولاً. أهمية البحث:

تنبع أهمية هذا البحث من كونه يتناول أحد المواضيع الأساسية التي حظيت باهتمام كبير في القرآن الكريم وهي سنن الوحدة بجميع أشكالها وأبعادها، ويبرز هذا الموضوع في سياق حاجتنا الماسة في العصر الحالي إلى تعزيز مفاهيم الوحدة والتلاحم، سواءً على مستوى الأمة الإسلامية أو الإنسانية جمعاء، في ظل التحديات التي تواجه المجتمعات من نزاعات، وتطرف، وتفرقة على أسس دينية أو عرقية أو ثقافية.

يعتمد البحث على استنباط السنن الإلهية من القرآن، التي تنظم الكون والعلاقات الإنسانية، مما يعزز الفهم العميق لهذه القوانين، ويركز على البعد الشرعي للوحدة في الإسلام، موضحاً أن الوحدة ليست مجرد مفهوم ديني، بل قاعدة أساسية للعقيدة والعلاقات الاجتماعية، ويعالج البحث أيضاً التحديات المعاصرة المرتبطة بالتفرقة والانقسام في الأمة الإسلامية، ويقدم حلولاً قرآنية لتحقيق التلاحم الاجتماعي، ونسعى إلى توضيح التكامل بين العلوم الشرعية والكونية، وإظهار كيف يعكس القرآن وحدة الكون والإنسان، وأيضاً إلى تعزيز الوحدة الإسلامية من خلال الدعوة إلى نبذ التفرقة وتوحيد الأمة بالاعتماد على المبادئ القرآنية.

يكتسب البحث أهمية كبيرة نظراً للدور الحيوي الذي تلعبه الوحدة في النصوص القرآنية وفهمها بشكل صحيح، ويعكس هذا البحث قيمة الوحدة كركيزة أساسية في القرآن الكريم، حيث يُعزز من إدراك كيفية تحقيق التماسك والتآلف بين الأفراد والمجتمعات عبر تطبيق مبادئ القرآن، ويساهم البحث في تسليط الضوء على كيفية تنظيم الكون والإنسان وفقاً للسنن الإلهية التي تدعو إلى الوحدة والتكامل، مما يعزز الفهم العلمي والفقهية لكيفية تفاعل هذه السنن مع مختلف جوانب الحياة.

مقدمة

أما بالنسبة لقولنا عن سنن الوحدة بين النظرية والتطبيق، نهدف بها إلى تبيان ما مدى تجسد وتحقيق الوحدة الإنسانية على واقعنا، وما مدى موافقة ذلك لما جاء في القرآن من سبل لهذه الوحدة ومحاولة الوصول إلى أسبابها، وذلك من خلال الإسقاطات على مستجدات الواقع وعلى التاريخ الإسلامي.

ثانياً. أسباب اختيار الموضوع:

1. الأسباب الذاتية:

يعود اختيار هذا الموضوع إلى اهتمامي العميق بسنن الوحدة في القرآن الكريم، إذ تعد الوحدة من القيم الأساسية التي يقوم عليها الدين الإسلامي، ومنذ فترة طويلة أحمل شغفاً بدراسة القيم التي يدعو إليها القرآن الكريم، ومنها الوحدة التي تُعد ركيزة أساسية في بناء المجتمع الإسلامي وتعزيز قوته وتماسكه، ومن هنا جاء اختياري للموضوع رغبةً في التعمق في فهم الأبعاد المختلفة للوحدة في القرآن الكريم.

كما أن هناك رغبة شخصية في تقديم مساهمة علمية يمكن أن تساهم في إثراء المعرفة المتعلقة بسنن الوحدة في القرآن، فهدفي من هذه الدراسة هو تسليط الضوء على السنن الإلهية التي تضبط هذه الوحدة وكيفية انعكاسها على حياة المسلمين، وأشعر أن هذا البحث يمكن أن يُقدم إضافة علمية قد تُساهم في تعزيز الوعي الديني والاجتماعي، خصوصاً في ظل التحديات التي تواجه المجتمعات الإسلامية اليوم.

بالإضافة إلى ذلك فإن اختياري للموضوع نابع من تأثري بالتحديات المعاصرة التي يواجهها العالم الإسلامي، حيث باتت الفرقة والانقسام تهددان وحدة الأمة الإسلامية، ومن هذا المنطلق أعتقد أن العودة إلى القرآن الكريم والتمسك بمبادئه المتعلقة بالوحدة يمكن أن يكون طريقاً عملياً لاستعادة التماسك بين المسلمين.

2. الأسباب الموضوعية:

تكمن الأسباب الموضوعية لاختيار هذا الموضوع في أهمية سنن الوحدة في القرآن الكريم، حيث يشكل موضوع الوحدة تحدياً كبيراً للمجتمعات الإسلامية والعالمية على حد سواء، ففي ظل تزايد

مقدمة

الانقسامات والصراعات الداخلية والخارجية أصبح من الضروري البحث في السنن الإلهية التي تدعو إلى الوحدة، واستخلاص الدروس التي يمكن أن تُسهم في تقوية التماسك الاجتماعي وتعزيز السلم. من ناحية أخرى تُعد الوحدة مفهومًا مركزيًا في القرآن الكريم، حيث تكررت الدعوة إلى الوحدة في العديد من الآيات، سواءً على مستوى الكون الذي يحكمه نظام إلهي واحد، أو على مستوى الإنسانية التي تشترك في أصل واحد، أو على مستوى الأمة الإسلامية التي يجمعها توحيد الله، ودراسة هذا المفهوم توفر فهمًا أعمق للنظام الإلهي الذي يحكم الكون والعلاقات الإنسانية، وهو ما يجعل البحث فيه ضروريًا.

وأخيرًا تتجلى أهمية هذا الموضوع في الحاجة الملحة لتعزيز الوحدة الإسلامية في ظل التحديات التي تواجه الأمة اليوم، لذا فإن دراسة الأسس القرآنية التي تدعو إلى الوحدة والتلاحم يمكن أن تُقدم حلولًا عملية لمواجهة التفرقة والانقسام، وتسهم في بناء مجتمع إسلامي قوي ومتماسك.

ثالثًا. أهداف البحث:

إن الهدف العام من هذا البحث هو السعي إلى تقديم صورة شاملة وعميقة لمفهوم الوحدة في القرآن الكريم، واستكشاف السنن الإلهية التي تحكمها، ومن هاته الأهداف:

1. الوصول إلى مفهوم قرآني شامل لمفهوم الوحدة، بما يحمله من معانٍ لغوية وشرعية وروحية، يكشف عن أبعاده العميقة في بناء الإنسان والكون.
2. استخراج السنن الإلهية التي تحكم مسار الوحدة، وقراءة دلالاتها في انتظام الكون وحياة الإنسان، بما يجعلها قوانين حيّة قابلة للتفعيل في الواقع.
3. التعمق في أسس التكوين الإنساني بما فيه من وحدة الروح والجسد والفطرة، واستجلاء أثرها في تحقيق الانسجام بين البشر.
4. الوصول إلى القانون القرآني في بناء وحدة الأمة الإسلامية، بما يدعو إليه من تآزر وتكامل وتجاوز لحدود الانقسام.
5. بيان التحديات التي تعصف بالواقع المعاصر، في مواجهة وحدة الإنسانية ووحدة الأمة الإسلامية.
6. المساهمة في بيان ورفع الوعي بالوحدة كقيمة محورية في النظام الإلهي، تُنظم علاقة الإنسان بربه وتعيد رسم صلته بالكون والآخرين على أساس الانسجام والتكامل.

رابعاً. إشكالية البحث:

تتمثل إشكالية البحث في فهم كيف يطرح القرآن الكريم قوانين الوحدة في سياقاته المختلفة، وكيف يمكن تطبيق السنن الإلهية المتعلقة بالوحدة لتحقيق التلاحم والتوازن في المجتمع الإسلامي، وتعلق الإشكالية بكيفية استكشاف كيفية استنباط وتحليل السنن الإلهية التي تؤثر على وحدة الكون والإنسان. كيف يعالج القرآن الكريم مفهوم الوحدة بمختلف أشكالها من خلال السنن الإلهية، وما هي الأبعاد العقدية والتشريعية التي تضمن تحقيق هذه الوحدة في إطار التوازن بين الكون والإنسان والمجتمع؟

- وتندرج تحت هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات التي تسعى الدراسة للإجابة عنها:
- ◀ ما هو مفهوم الوحدة كما ورد في القرآن الكريم، وما هي الأبعاد اللغوية والاصطلاحية والشرعية لهذا المفهوم؟
 - ◀ ما هي السنن الإلهية المتعلقة بالوحدة التي يحددها القرآن الكريم، وكيف يمكن تحليلها وتطبيقها لتحقيق التوازن والانسجام في الحياة اليومية؟
 - ◀ ما هي الطرق والآليات التي يمكن من خلالها تعزيز الوحدة في الأمة الإسلامية وفقاً للمفاهيم القرآنية، وكيف يمكن تحقيقها عملياً؟
 - ◀ كيف يمكن المساهمة في بيان ورفع الوعي لمفهوم الوحدة كركيزة لتنظيم الكون وحياة الإنسان، وما تأثير ذلك على العلاقات الإنسانية والكونية؟

خامساً. منهج البحث:

لتحقيق أهداف هذا البحث وفهم سنن الوحدة في القرآن الكريم بشكل شامل ودقيق، وجب علينا اعتماد مجموعة من المناهج البحثية التي تساهم في تقديم رؤية متكاملة وموثقة، وستتيح هذه المناهج تحليل مختلف جوانب الموضوع بطرق متعددة، مما يساهم في تقديم نتائج دقيقة وشاملة، وتتمثل الخطوات الأساسية في التالي:

1. المنهج الاستقرائي:

ويساعدنا هذا المنهج في جمع المعلومات من النصوص القرآنية ذات الصلة، ويتيح لنا استنباط المبادئ العامة لمفهوم الوحدة من خلال دراسة مجموعة متنوعة من الآيات والتفسيرات، وهذا المنهج يُمكننا من فهم كيف يتم تناول مفهوم الوحدة في سياقات مختلفة عبر النصوص القرآنية.

2. المنهج التحليلي:

وسيعزز قدرتنا على فحص وتحليل السنن الإلهية المتعلقة بالوحدة بعمق، مما يسهم في تفسير الآيات واستنباط المفاهيم المرتبطة بالوحدة بشكل دقيق.

3. المنهج الوصفي:

يتيح لنا جمع الآيات وحصرها والتصنيف والتبويب والتحليل والوصف من خلال دراسة العلاقات بين المتغيرات واستنتاج السنة التي تحقق الوحدة.

سادسا. الدراسات السابقة:

على الرغم من أهمية موضوع "سنن الوحدة في القرآن الكريم"، إلا أنني لم أتمكن من العثور على أي أطروحة أو بحث أكاديمي تناول هذا الموضوع بشكل مباشر، ومع ذلك وجدت بعض المقالات التي تطرقت إلى جوانب من هذا الموضوع، وسأقوم بتقديمها ومناقشتها فيما يلي:

دراسة (محمد عايش، 2023)، بعنوان: (ظاهرة الوحدة القرآنية والوحدة الكونية وصلتها بالإعجاز العلمي).

تركز هذه الدراسة على العلاقة بين مظاهر الوحدة في الكون والوحدة القرآنية، حيث تشير إلى أن الوحدة في القرآن تمثل تجليًا للإعجاز الإلهي، كما أن الكون يعكس نظامًا متناغمًا ومتناسقًا يعبر عن عظمة الخالق، وتبحث الدراسة في مظاهر الوحدة القرآنية من حيث التناسق بين الآيات والسور، مما يجعل القرآن نصًا واحدًا لا يتجزأ، وتربط هذه الوحدة بالإعجاز البنائي واللغوي في القرآن، كما تستعرض وحدة الكون والإنسان كدلائل على عظمة الخالق، وتبين كيف يتناسب القرآن والكون بشكل متكامل، وكلاهما يعبران عن حكمة الله وعلمه.

الجوانب التي تختلف فيها عن دراساتي:

- ✓ تركز دراستنا على الوحدة في القرآن الكريم من منظور السنن الإلهية في مجالات مختلفة مثل الوحدة الكونية والإنسانية والإسلامية، وهاته الدراسة تركز بشكل أكبر على الوحدة النبوية والإعجازية في النص القرآني وربطها بالوحدة الكونية.
- ✓ هذه الدراسة تعتمد بشكل كبير على تحليل الإعجاز البنائي للقرآن، وكيفية ترابطه وتناسقه اللغوي، بينما دراستنا تناولنا فيها الوحدة من خلال إطار السنن الإلهية وعلاقتها بالمفاهيم الدينية والاجتماعية والسياسية.
- ✓ هاته الدراسة تربط بشكل واضح بين وحدة القرآن ووحدة الكون، مما يشير إلى أن كلاهما يعكس الإعجاز الإلهي، بينما دراستنا تركز أكثر على السنن الكونية كمظهر من مظاهر الوحدة في القرآن دون التركيز المكثف على الجانب البنائي اللغوي.

الفوائد المستخلصة من الدراسة:

هذه الدراسة تعزز مفهوم الوحدة في القرآن فهي تثري دراستنا من خلال تقديم فهم أعمق لمفهوم الوحدة في القرآن، وكذلك الربط الذي تقدمه الدراسة بين وحدة الكون والقرآن يساعدنا أيضا في تطوير نظرة شاملة للوحدة القرآنية والسنن الإلهية على مستوى أوسع يشمل الكون والإنسان، وأيضا يمكننا الاستفادة من التحليل اللغوي والدقيق لوحدة النص القرآني لتقوية جوانب دراستنا المتعلقة بالوحدة من منظور ديني وفكري، حيث تقدم الدراسة نموذجاً لفهم الوحدة من خلال الإعجاز اللغوي.

✚ دراسة (مسعودي عبد القادر، 2022)، مقال في مجلة المعيار، بعنوان: (مقصد الوحدة بين

نداءات الشرع وتداعيات الواقع).

يستعرض هذا البحث مفهوم الوحدة من منظور شرعي، اجتماعي، وإنساني، ويؤكد على أن الوحدة ليست فقط ضرورة اجتماعية، بل مطلب إنساني وشرعي يدعو إليه الإسلام، ويوضح البحث أن الوحدة كانت أساساً لاستقرار المجتمعات الإسلامية، بدءاً من بناء المسجد الجامع وتأسيس مبدأ الأخوة في المدينة المنورة، كما يناقش البحث الوحدة كقيمة شرعية ويستعرض النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي تدعم هذا المبدأ.

مقدمة

يشدد الباحث على أن الوحدة لا تُعتبر مجرد مطلب حضاري، بل هي مقصد شرعي لا يقل أهمية عن المقاصد الضرورية الخمسة (الدين، النفس، العقل، المال، النسل)، ويضيف أن تحقيق هذه المقاصد لا يتم إلا في ظل الوحدة، كما يناقش البحث الفرق بين الوحدة الإنسانية والوحدة الإسلامية، موضِّحاً أن الوحدة الإسلامية أعمق وأشمل لأنها تركز على العقيدة والأحكام الشرعية. أحد الجوانب المهمة التي تناولها البحث هو العلاقة بين الوحدة وحفظ المصالح الفردية والجماعية، حيث يرى أن الوحدة تدعم استقرار الأمة وتضمن استمرار الدين وحفظ النفس والمال.

الجوانب التي تختلف فيها عن دراستي:

1. الدراسة المقدمة تركز بشكل رئيسي على الوحدة من منظور المقاصد الشرعية وأهميتها في الحفاظ على استقرار المجتمعات، بينما دراستنا تركز على الوحدة في القرآن من خلال منهج شامل يشمل الوحدة الكونية، الإنسانية، والإسلامية.
2. هذه الدراسة تعتمد بشكل أساسي على البعد الاجتماعي والشرعي للوحدة، بينما دراستنا تغطي أيضاً الجوانب الكونية والتنظيمات الإلهية التي تحكم الوحدة.
3. هناك تركيز كبير على المقاصد الشرعية في هذه الدراسة، في حين أن دراستنا تتناول السنن الإلهية في القرآن وتأثيرها على الوحدة.

الفوائد المستخلصة من الدراسة:

- ✓ فهم أعمق لعلاقة الوحدة بالمقاصد الشرعية وكيف يمكن إدراج الوحدة كقيمة أساسية ضمن المقاصد الضرورية الخمس.
- ✓ توضيح أهمية الوحدة في الإسلام وكيف كانت أساساً لبناء المجتمعات الإسلامية منذ زمن النبي محمد ﷺ.
- ✓ تعزيز الحجة بأن الوحدة ليست مجرد مطلب حضاري أو اجتماعي، بل هي مطلب شرعي يستمد قوته من النصوص الدينية.

دراسة (كمال قدة، 2016)، مقال في مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية بعنوان: (السنن

الكونية والاجتماعية من خلال القرآن الكريم دراسة موضوعية).

تتناول هذه الدراسة السنن الكونية والاجتماعية كمفاهيم راسخة في القرآن الكريم والسنة النبوية، وتؤكد على أهمية فهم هذه السنن لتجنب التخلف الحضاري والاجتماعي الذي يعاني منه المسلمون اليوم، وتسלט الدراسة الضوء على أن السنن الكونية والاجتماعية هي قوانين إلهية لا تتغير ولا تحابي أحداً، وتحكم كل البشر على قدم المساواة، كما تشير إلى أن فهم هذه السنن يسهم في نجاح المجتمعات والحضارات، وأن الجهل بها كان سبباً في تأخر المسلمين.

وتناقش الدراسة أيضاً أن السنن الكونية والاجتماعية لها جذور في القرآن الكريم وتاريخ الأنبياء، وتوضح أن الفهم العميق لها هو مفتاح النجاح في استئناف النهضة الحضارية للأمة الإسلامية، وتبرز أهمية استيعاب هذه السنن من خلال استنباطها من النصوص القرآنية والسنة النبوية وتطبيقها على الواقع الاجتماعي والحضاري.

الجوانب التي تختلف فيها عن دراساتي:

1. ركزت دراستنا على "سنن الوحدة في القرآن الكريم"، بينما ركزت هاته الدراسة بشكل أوسع على السنن الكونية والاجتماعية، بدون التركيز على مفهوم الوحدة بشكل خاص.
2. الدراسة الحالية تناولت السنن من منظور حضاري واجتماعي شامل، في حين أن دراستنا تتجه نحو تحليل "الوحدة" كجزء من تلك السنن وتركيز على الآيات القرآنية التي تتناول موضوع الوحدة بشكل خاص.

الفوائد المستخلصة من الدراسة:

- ✓ هذه الدراسة عززت إدراكنا لأهمية السنن الإلهية في تحقيق النجاح والتقدم في المجتمعات، وهو ما يدعم دراستنا حول الوحدة في القرآن كجزء من هذه السنن.
- ✓ استفدت من طريقة عرض المفاهيم وكيفية استنباط السنن من القرآن والسنة في البحث، وهو ما يمكن تطبيقه في دراستنا للوحدة.

مقدمة

✓ هذه الدراسة قد تساعدنا في فهم التكامل بين السنن الكونية والاجتماعية والوحدة، وكيفية الاستفادة منها في إظهار أهمية الوحدة في النسيج الاجتماعي والديني للأمة.

سابعاً. صعوبات البحث:

تواجه الأبحاث العلمية دائماً مجموعة من الصعوبات التي قد تعرقل سيرها، وفي هذا البحث واجهنا بعض التحديات التي يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

أولاًها: شح المصادر بنقص في الدراسات التي تتناول موضوع الوحدة في القرآن الكريم بشكل شامل، فالمصادر المتوفرة متخصصة في مجالات معينة من الموضوع دون تغطية جميع جوانب الوحدة كما هو محدد في البحث، وتطلب الأمر البحث في مجالات متعددة للحصول على المعلومات المطلوبة.

ثانيها: دراسة سنن الوحدة في القرآن الكريم تتطلب تحليل عدد كبير من الآيات المتنوعة، وهذا التنوع في النصوص القرآنية جعل من الصعب استنباط مفهوم موحد وشامل، كما أن تباين تفسير الآيات المتعلقة بالوحدة والسنن الإلهية أدى إلى صعوبة في تحديد موقف واضح ومتفق عليه.

ثالثها: الحفاظ على توازن بين الأبعاد المختلفة لدراسة الوحدة، مثل الأبعاد الكونية، الإنسانية، والإسلامية، يتطلب نهجاً متعدد الجوانب وشاملاً، وهذا كان تحدياً في تنظيم وتحليل المعلومات بطرق تتماشى مع الأهداف البحثية.

هذه بعض الصعوبات التي لا يخلو منها بحث، ولا يسعني إلا أن أعبر عن عميق امتناني وتقديري للأستاذ المشرف "برامه أحسن" الذي كان له دور بارز في إرشادي ودعمي طوال فترة إعداد هذه الأطروحة. لقد كانت توجيهاته الثابتة ونصائحه القيمة مصدر إلهام وتشجيع لي في مواجهة التحديات والصعوبات التي واجهتني.

ثامناً. خطة البحث:

✓ مقدمة:

✓ فصل تمهيدي: تحديد المفاهيم والمصطلحات:

يهدف هذا الفصل إلى تحديد وتعريف المفاهيم الأساسية التي سيكون لها دور محوري في البحث، ونبدأ بتوضيح مفهوم القرآن الكريم من حيث اللغة والاصطلاح، ثم ننتقل إلى تعريف السنن

مقدمة

الإلهية من خلال فهم معانيها اللغوية والاصطلاحية، وكيفية ارتباطها بمعجزات الأنبياء والرسول، كما سنتناول مفهوم الوحدة من جوانب لغوية، اصطلاحية، وشرعية، ويساهم هذا الفصل في بناء الأسس المفاهيمية اللازمة لفهم الموضوع بشكل شامل ودقيق.

وقد جاء في ترتيب المباحث على أساس الشمولية والعمق فكان مظهر الوحدة شاملاً للكون وممثلاً للإنسانية في حين أن الوحدة هنا الإسلامية تشكل عمق التعاليم الإسلامية في تجسيد هذه الوحدة، ولهذا الترتيب أهمية تبرز في أبعاد مفهوم الوحدة وأبعاد السنن فيها.

✓ الفصل الأول: سنن وحدة الكون في القرآن الكريم:

يستعرض هذا الفصل كيف يتناول القرآن الكريم وحدة الكون موضعاً تكامل النظام الكوني وتفصيله وسنركز على سُنّة النظام والاتساق الكوني وسُنن الإبداع في اتحاد الكون وتكامل تفاصيله من خلال التكامل الوظيفي وسُنّة الزوجية في الكون وسُنّة التكامل النفعي بالإضافة إلى سُنّة التسخير في الكون وسُنّة الانقياد الكوني لله عز وجل، وسنتناول فيه أيضاً الأبعاد العقديّة لنظام الوحدة الكونية مثل دليل الخلق الذي يتضمن قهر النظرية الداروينية وإثبات وحدانية الله ودليل الغاية ودليل الإبداع وكيف أن هذه السنن تؤكد على وحدة الخالق وقدرته ونهدف إلى تقديم فهم شامل لكيفية تنظيم الكون الذي يفضي إلى توحيد الله عز وجل من خلال نظامه الواحد.

✓ الفصل الثاني: سُنن الوحدة الإنسانية:

يستعرض هذا الفصل كيفية تحقيق الوحدة الإنسانية من خلال دراسة سُنن الوحدة في التكوين الإنساني، بما في ذلك سُنّة وحدة المادة الإنسانية، وسُنّة وحدة الروح، وسُنّة الفطرة الإنسانية، وسُنّة التنوع من الائتلاف الزوجي القائم على وحدة الأصل، وسنناقش فيه وحدة الكرامة الإنسانية من خلال سُنّة التكريم القائم على النفخة الإلهي (العلم والروح)، وسُنّة التقويم البشري الأمثل القائم على أساس التكليف، وسُنّة التلازم بين الكرامة الإنسانية والفاعلية الكونية القابلة للتسخير، كما سنتناول فيه أيضاً وحدة وسائل المعرفة والأخلاق الإنسانية من خلال الوحدة في سنة الابتلاء بالتمكين المعرفي (تفعيل وسائل المعرفة وسُنّة الانحدار السلوكي والشقاء القائم على الجمود المعرفي)، ووحدة الأخلاق الإنسانية من خلال سنة الابتلاء بالقصور الجبلي وسنة الإلزام الأخلاقي القائم على الملكة الفطرية، ثم نتطرق إلى

مقدمة

الجانب التطبيقي للواقع المعاش للوحدة الإنسانية، ويهدف الفصل إلى تقديم رؤية متكاملة حول كيفية تحقيق الوحدة الإنسانية من خلال فهم الأسس التي يقوم عليها التكوين الإنساني والكرامة الإنسانية.

✓ الفصل الثالث: سُبُل وحدة الأمة الإسلامية:

يستعرض هذا الفصل سُبُل تحقيق الوحدة في الأمة الإسلامية من خلال سنن الوحدة القائمة على مركزية التوجه والتسليم (التوحيد العلمي والعملية)، وسنة الوحدة القائمة على الإلتزام للنموذج البشري الواحد في شخصية النبي محمد ﷺ في صلته بالله عز وجل، وطاعته وتطبيقه لشرعه، وعلاقته مع الإنسان والكون، وسنناقش السلام النفسي والوحدة المعرفية من خلال دراسة الحالة النفسية للموحد والمشارك، ووحدة الغاية في العبادة والاستخلاف على الأرض.

ثم ننتقل إلى الوحدة الاجتماعية من خلال الوحدة الوظيفية التي تشمل سنة التعارف القائمة على تنوع الخلق، وسنة الابتلاء لحمل الأمانة، وسنة الإصلاح الآلي القائم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم وحدة العدو من خلال سنة الابتلاء القائم على عداوة إبليس ومداخل ووسائل الشيطان، ثم سنة الوحدة القائمة على تقبل الاختلاف في الجنس والعرق والفكر، ثم الوحدة الاجتماعية في الجانب التشريعي من خلال سنة الوحدة القائمة على العبادات وسنة الوحدة القائمة على العدل والمساواة.

كما سيتضمن الفصل سنن الفرقة في القرآن الكريم وكيفية مواجهتها لتعزيز الوحدة بين المسلمين، من خلال دراسة سنة الوهم الداعي إلى التفرقة القائمة على التنازع، وآلية تحقيق مقاصد الشريعة من خلال استئصال التنازع، وسنة هلاك الأمم القائم على التفرق والاختلاف، والتمسك بالقرآن باب لصد التفرق، ثم نتطرق إلى الجانب التطبيقي للواقع المعاش للوحدة الإسلامية، ونسعى فيه إلى تقديم استراتيجيات عملية لتعزيز وحدة الأمة الإسلامية في ضوء النصوص القرآنية.

✓ الخاتمة العامة: واشتملت على أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها الباحث من خلال

البحث.

الفصل التمهيدي:

تحديد المفاهيم والمصطلحات

تمهيد:

إن ما يجب التطرق إليه قبل أي بحث علمي هو تحديد وتحليل مجموعة من المصطلحات الرئيسية المهمة والتي تعد أساسية لفهم طبيعة البحث، فتوضيح هذه المصطلحات وتبسيطها يساهم في تجلي الحدود المعرفية المحصلة، وسنحاول في هذا الفصل التمهيدي التطرق إلى جملة من المفاهيم النظرية وفهم هذه المصطلحات بشكل أفضل قمنا بتقسيم هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث أساسية، جاء المبحث الأول بعنوان "مفهوم القرآن الكريم"، أما المبحث الثاني فتناولنا فيه "تعريف السنة لغة واصطلاحاً"، أما آخر مبحث فسننتظر فيه إلى "مفهوم الوحدة"، وختمنا الفصل بخلاصة لما سبق.

المبحث الأول: مفهوم القرآن الكريم:

يعد القرآن الكريم كلام الله الذي أنزله علي نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، ويعتبر آخر الكتب السماوية التي أنزلت لكافة البشر هدى، حيث يؤمنون به على أنه كلام الله المنزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، كما أن القرآن الكريم أنزل بالتواتر، حيث كان هذا الوحي إرشاداً للنبي في مسار الرسالة النبوية وسراجاً منيراً لوضع حياة الجاهل والكفر.

المطلب الأول: مفهوم القرآن لغة:

وفي هذا السياق ذهب جماعة من العلماء إلى أن القرآن هو اسم جامد غير مهموز، حيث نجد الإمام الشافعي يقول: «وقرأت على إسماعيل بن قسطنطين وكان يقول: القرآن اسم وليس بمهموز، ولم يؤخذ من قرأت، ولو أخذ من قرأت لكان كل ما قرئ قرأناً، ولكنه اسم للقرآن مثل التوراة والإنجيل، يَهْمِزُ قرأت ولا يَهْمِزُ القرآن ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾ يَهْمِزُ، قرأت، ولا يَهْمِزُ القرآن»¹ وبه قرأ ابن كثير. ونجد أن إسماعيل بن قسطنطين يشير إلى أن لفظ "القرآن" هو اسم الذي يشير للنص الديني في الإسلام، وليس كلمة مهموزة تشير إلى مجموعة من النصوص التي تم قراءتها، ويُقال أنه لو كان "القرآن" مشتقاً من لفظ "قرأت"، لكان كل ما قُرئ قرأناً.

وقد رأى مجموعة من العلماء إلى أن هذا الاسم مشتق، ثم انقسموا إلى فرقتين:

فقال فرقة منهم: إن النون أصلية وعلى هذا يكون الاسم مشتقاً من مادة (ق ر ن) ثم اختلفوا:

1- يرى فريق من العلماء وفي مقدمتهم الأشعري أنّ لفظ "القرآن" منسوب إلى فعل قرن، أي ضمّ الشيء إلى غيره، كما يُقال: "قرن بين البعيرين" أي جمعهما، ومن هذا المعنى جاء إطلاق لفظ القرآن على الجمع بين الحج والعمرة في نسك واحد².

2- بينما ذهب الفراء ومن وافقه إلى أنّ الكلمة مأخوذة من "القرائن"، أي العلامات المترابطة، لأن آيات القرآن تتشابه في المعاني وتترابط فيما بينها، فصار كل بعضها قرينةً على بعض³.

¹ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، د ت، ج 2، ص 62.

² الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: أبي الفضل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة، 2006، ج 1، ص 278.

³ - جلال الدين السيوطي، الإتقان، تح: محمد أبو الفضل، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ج 1، ص 87.

والاختلاف في التفسيرات حول أصل كلمة "القرآن" كثيرة، فهناك من يرى أنها مشتقة من لفظ "قَرَنَ" أي يعني ربط شيء بشيء آخر، وهناك من يرى أنها تُشير إلى الجمع والتجميع بواسطة قرائن أو علامات، مستدلين بتشابه وبربط الآيات في القرآن ببعضها البعض، هذه الاختلافات في مجملها تُظهر الفهم المختلف لمعاني وأصول اللغة العربية والتفسير الديني، وقالت فرقة منهم: إن الهمزة أصلية ثم افترقوا أيضاً إلى فرقتين:

1- يذهب اللحياني إلى أن لفظ القرآن مصدرٌ مهموز على وزن غفران، مأخوذ من الفعل قرأ بمعنى تلا. وسمي المقروء بهذا الاسم على سبيل المجاز، حيث يُطلق المصدر على المفعول. ومن هذا الاستعمال قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾¹ أي: قراءته².

2- أما الزجاج فقد ذهب إلى أن أنه وصف على وزن فعلان مشتق من القرء بمعنى الجمع، ومنه: قرأ الماء في الحوض إذا جمعه³.

أي أنه يوجد اختلاف وجهات النظر حول أصل كلمة "القرآن" فهناك آراء تشير إلى أن الهمزة هي الأصلية في الكلمة وأن لفظ "القرآن" مشتقة من الفعل "قرأ" بمعنى "تلا"، وهناك آراء أخرى ترى أن لفظ "القرآن" هو وصف يشير إلى التجمع أو الجمع، وهو مشتقة من الفعل "قرء" بمعنى "جمع"، وهذه الآراء تظهر الاختلافات في فهم اللغة العربية وكيفية تشكيل الكلمات في العقائد والثقافات المختلفة، قال ابن الأثير: «وسمي القرآن قرآنًا؛ لأنه جمع القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد والآيات والصور بعضها إلى بعض، وهو مصدر كالغفران والكفران»⁴.

¹ - سورة القيامة: الآيتان 17-18.

² - المرجع نفسه.

³ - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، مرجع سابق، ص 278.

⁴ - ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، تح: محمود محمد الطناحي، مؤسسة اسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، إيران، 2000، ج 4، ص 30.

وقد ذهب اللحياني والزجاج أن الهمزة أصلية وأن لفظ القرآن مهموز وصف أو مصدر، وأما ترك الهمز فيه في بعض القراءات فهو من باب التخفيف ونقل حركتها إلى ما قبلها وهو كثير شائع، ثم نقل من المصدرية أو الوصفية وجعل علماء كما ذهب إليه محققو الأصوليين¹.

ونجد أن ابن الأثير يشير إلى أن لفظ "القرآن" سُمي بهذا الاسم لأنه يجمع بين القصص والأمور والأوامر والنواهي والوعود والتحذيرات والآيات والصور، حيث ترتبط وتقتزن هذه الأمور ببعضها البعض، وأيضا يُعتبر "القرآن" مصدراً مشابهاً للفظي "الغفران" و "الكفران".

أما بخصوص الهمزة فقد رأى العلماء بأنها أصلية في "القرآن"، وقد تُترك الهمزة في بعض القراءات ويُنقل الحركة إلى الحرف السابق، ويُعد هذا الأمر شائعاً ومنتشراً، وهذه الآراء تُظهر التفاوت والاختلاف في الفهم اللغوي لمصدرية الكلمة واشتقاقها في اللغة العربية، وهذه هي مجمل نتائج آراء العلماء التي تطرقنا فيها بخصوص تعريف القرآن لغة، وفيما يلي سنحاول رسم مخطط يوضح أكثر ويساهم في شرح هاته الآراء.

المطلب الثاني: المفهوم الاصطلاحي للقرآن الكريم:

لما كان تعريف الشيء اصطلاحاً مرتهناً بالغرض الذي يُطلب من أجله والمنزلة التي يُنظر منها إليه فقد تنوّعت تعريفات القرآن الكريم بتنوّع مشارب العلماء واختلاف مناحي نظرهم؛ فلكل طائفة من طوائف الباحثين نظرتها التي تُلائم مقصدها وتُحقق غرضها في التقعيد والتنظير، وإذا كان الفقهاء قد اهتموا بما يتعلّق بالأحكام العملية والمتكلمون بما يُثبت لله من صفات وينفيه عن ذاته فإن الأصوليين — وهم المعنويون بالدليل ومصادر التشريع — قد استقصوا التعريف وجعلوه محرراً مضبوطاً بقيود تخرج ما ليس منه وتُدخل ما هو من صميم ماهيته، وسنحاول في هذا المطلب تتبّع جهود هؤلاء العلماء في تحرير المفهوم الاصطلاحي للقرآن الكريم مع الوقوف على أبرز القضايا المرتبطة بهذا التعريف من حيث موضوعه وفائدته وعلاقته بالسنة النبوية في البيان، ومسألة الإجمال والتفصيل في خطابه.

¹ - محمد علي سلامة، منهج الفرقان في علوم القرآن، الجامعة الأزهرية، 1937، ص 16.

أولاً: تعريف القرآن عند الأصوليين:

لعلّ أشهر التعريفات الاصطلاحية للقرآن الكريم وأكثرها تداولاً عند الأصوليين والمحدثين هو ما قرّره الزركشي في "البرهان" بأنّه: "الكلام المعجز المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبّد بتلاوته"¹، وقد قيّده بهذه القيود الأربعة؛ ليخرج بذلك كلام غير الله، وكلام الله المنزل على غيره من الأنبياء كالنوراة والإنجيل، وكلامه غير المتعبّد بتلاوته كالحديث القدسي، والقراءات الشاذّة التي لم تتواتر.

ونقل السيوطي في "الإتقان" عن جمهور العلماء أنّهم عرّفوه بأنّه: "كلام الله المنزل على نبيّه محمد ﷺ، المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبّد بتلاوته"²، وذكر أنّ هذا التعريف هو المعتمد عند الأصوليين وأنّهم اشترطوا فيه التواتر "لئلا يدخل فيه ما ليس بقرآن وإن زعم قومه أنّه قرآن"³.

وقد أشار الشاطبي في "الموافقات" إلى أنّ القرآن قد تقرّر "أنّه كلية الشريعة وعمدة الملة وينبوع الحكمة وآية الرسالة ونور الأبصار والبصائر، وأنّه لا طريق إلى الله سواه ولا نجاة بغيره ولا تمسك بشيء يخالفه"⁴، وهذا الكلام وإن لم يكن تعريفاً حديداً بالمعنى المنطقي إلا أنّه يبيّن المنزلة الاصطلاحية للقرآن في المنظومة التشريعية ويؤكد أنّه الأصل الأوّل الذي لا يُستغنى عنه في استنباط الأحكام الشرعية.

ويلاحظ أنّ التعريفات السابقة جميعها قد اتّفقت على أربعة قيود أساسية: النزول على محمد ﷺ والكتابة في المصاحف، والتواتر في النقل والتعبّد بالتلاوة، وقد كان هذا التعريف هو الغالب عند الأصوليين والمحدثين لأنّه يحقّق الغرض من تمييز القرآن عمّا سواه من كلام الله عز وجل ويمنع دخول ما ليس منه، بيد أنّ هذا التعريف لم يخلّ من إشكالات أبرزها: هل التعبّد بالتلاوة قيد في تعريف القرآن

¹ - بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1957، ج 1، ص 31-32.

² - جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1974، ج 1، ص 43.

³ - المصدر نفسه، ج 1، ص 44.

⁴ - إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الدمام، 1997، ج 3، ص 675.

الكريم أم هو من أحكامه المترتبة على كونه قرآنًا؟ إذ لو كان من أحكام، لم يكن داخلًا في حدّه وهو ما نبّه إليه بعض المحققين من العلماء، كما أن اشتراط الكتابة في المصاحف آثار إشكالاً آخر؛ إذ إنّ القرآن الكريم كان موجودًا محفوظًا في الصدور قبل أن يُكتب في المصاحف فلو كان الكتابة قيدًا في التعريف لما صحّ إطلاق اسم القرآن على ما كان محفوظًا في الصدور قبل الجمع والتدوين، ولعلّ هذا ما جعل بعض العلماء يُحقّقون من حدة هذه القيود ويرون أنّ الأصل في تعريف القرآن الكريم هو كونه كلام الله المنزل على نبيه وأنّ القيود الأخرى إنّما هي من باب الأحكام واللوائح لا من باب الماهية والحدّ.

ثانيًا: علوم القرآن وموضوعه وفائدته:

لما كان تعريف القرآن اصطلاحًا مرتبطًا بالغرض الذي يُطلب من أجله فقد جرى العلماء على التفريق بين تعريفين لعلوم القرآن؛ كما نبّه إلى ذلك الزركشي في "البرهان" حيث قال: "علوم القرآن تعريفان: (أحدهما) يفيد - بمعناه الإضافي - العلوم الدينية المستنبطة من القرآن الكريم، (والثاني) يفيد المباحث المتعلقة بالقرآن الكريم من ناحية نزوله وترتيبه وجمعه وكتابته وقراءته وتفسيره وإعجازه وناسخه ومنسوخه، ونحو ذلك والتعريف الثاني هو مقصودنا في هذه الدراسة"¹، وأشار إلى أنّ التعريف الأوّل - بمعناه الإضافي - كان شائعًا عند السابقين ثم نُقل بعد ذلك من المعنى الإضافي وجُعِلَ علمًا على الفن المدوّن وأصبح مدلوله بعد النقل غير مدلوله قبل النقل.

وموضوع علوم القرآن - بالمعنى الثاني - هو القرآن الكريم من أيّة ناحية من النواحي المذكورة في التعريف، وبخلاف علوم القرآن بالمعنى الإضافي فإن موضوعه هو مجموع موضوعات تلك العلوم المنضوية تحت لوائه، فالقرآن الكريم موضوع لعلم القراءات من ناحية لفظه وأدائه ولعلم التفسير من ناحية شرحه ومعناه وهلمّ جرًّا²، وفائدة هذا العلم ترجع - كما يوضّح الزركشي - إلى "الثقافة العالية العامة في القرآن الكريم وإلى التسلّح بالمعارف القيمة فيه استعداداً لحسن الدفاع عن حمى الكتاب العزيز ثم إلى سهولة خوض غمار تفسير القرآن الكريم به كمفتاح للمفسّرين"³.

¹ - الزركشي، البرهان، ج 1، ص 31.

² - المصدر نفسه، ج 1، ص 39.

³ - المصدر نفسه، ج 1، ص 39.

وقد صرّح السيوطي في خطبة "الإتقان" بهذه الفائدة بقوله: "ولقد كنت في زمان الطلب أتعجب من المتقدمين إذ لم يدوّنوا كتاباً في أنواع علوم القرآن، كما وضعوا ذلك بالنسبة إلى علم الحديث"¹، وذكر أنّه جعله مقدّمة لتفسيره الكبير الذي سَمّاه "مجمع البحرين ومطلع البدرين" وأشار أبو بكر الجزائري إلى هذا المعنى إذ وضع على طرة كتابه "التبيان في علوم القرآن" هذه الكلمة: "وهذا هو المقدّمة الصغرى من مقدّمات التفسير"².

وهذا التفريق بين التعريفين يُبرز تطوّر المفهوم الاصطلاحي للقرآن الكريم عبر العصور؛ إذ انتقل من المعنى الإضافي الذي كان شائعاً عند السابقين – وهو ما يُعبّر عن العلوم الدينية المستنبطة منه – إلى المعنى الفني المدوّن الذي يُعبّر عن المباحث المتعلّقة به من حيث نزوله وجمعه وقراءاته وتفسيره وإعجازه إلى غير ذلك، وقد بدأ هذا التعريف الثاني بالظهور مع بروز المحاولات الأولى لجمع علوم القرآن؛ حيث جمع ابن الجوزي في "فنون الأفنان" تسعة أنواع منها وجمع أبو شامة المقدسي في "المرشد الوجيز" أربعة أنواع وجمع الزركشي في "البرهان" سبعة وأربعين نوعاً وجمع القاضي جلال الدين البلقيني في "مواقع العلوم من مواقع النجوم" خمسين نوعاً وجمع الحافظ جلال الدين السيوطي في "التحبير في علوم التفسير" مائة ونوعين وفي "الإتقان" ثمانين نوعاً³، وما هذا التنوّع في التصنيف إلا دليل على اتساع مفهوم "علوم القرآن" وتشعّب مباحثه ممّا جعله علماً قائماً بذاته له موضوعه الخاصّ وفائدته المتميّزة.

ثالثاً: القرآن كـليّة الشريعة وحاجته إلى البيان:

من القضايا المحوريّة التي تناولها الأصوليون في تعريفهم للقرآن وبيان منزلته الاصطلاحية مسألة كونه كـليّة الشريعة وما يستلزم ذلك من حاجة إلى البيان النبوي، وقد أفاض الشاطبي في "الموافقات" في تقرير هذه المسألة فقال: "إن الكتاب قد تقرّر أنّه كـليّة الشريعة وعمدة الملة وينبوع الحكمة، وآية الرسالة، ونور الأبصار والبصائر"⁴، وهذا التقرير وإن كان يبدو بديهياً، إلا أنّه يحمل في طيّاته إشارة إلى

¹ – السيوطي، الإتقان، ج 1، ص 43.

² – المصدر نفسه، ج 1، ص 43-44.

³ – الزركشي، البرهان، ج 1، ص 32-33.

⁴ – الشاطبي، الموافقات، ج 3، ص 675.

طبيعة الخطاب القرآني؛ فهو خطاب كُليّ في الغالب يأتي بالأصول العامة والقواعد الكبرى ويُفصل بعض الأحكام ويُجمل بعضها الآخر.

والشاطبي يُؤكّد في موضع آخر من "الموافقات" على طبيعة القرآن الإجمالية بقوله: "تعريف القرآن بالأحكام الشرعية أكثره كُليّ لا جزئي؛ وحيث جاء جزئياً فمأخذه على الكلية، إما بالاعتبار أو بمعنى الأصل، إلا ما خصّه الدليل مثل خصائص النبي ﷺ"¹، واستدلّ على ذلك بأنّ السنة - على كثرتها وكثرة مسائلها - إنّما هي بيان للكتاب لقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾²، ثم أخذ يستشهد بما هو معلوم من الشريعة؛ فالصلاة والزكاة والجهاد وأشباه ذلك لم يتبيّن جميع أحكامها في القرآن، إنّما بيّنتها السنة³.

وإذا كان القرآن كلية الشريعة فذلك يستلزم أن يكون جامعاً للأصول الكلية التي تندرج تحتها الجزئيات، والشاطبي يُشير إلى أن الشريعة قد تضمّنت القرآن على الكمال: الضروريات والحاجيات والتحسينات ومكمل كل واحد منها⁴، والخارج من الأدلة عن الكتاب هو السنة والإجماع والقياس وجميع ذلك إنّما نشأ عن القرآن؛ فقد عدّ العلماء قوله تعالى: ﴿لَتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾⁵ متضمناً للقياس، وقوله: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾⁶ متضمناً للسنة، وقوله: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾⁷ متضمناً للإجماع⁸.

رابعاً: الإجمال والبيان في القرآن الكريم:

من المسائل الأصولية التي ارتبطت بفهم المفهوم الاصطلاحي للقرآن الكريم مسألة الإجمال والبيان؛ إذ إنّ القرآن قد جاء بخطاب مشتمل على المحكم والمتشابه والظاهر والمؤول والمجمل والمفسر،

¹ - الشاطبي، الموافقات، ج 3، ص 688.

² - سورة النحل: الآية 44.

³ - الشاطبي، الموافقات، ج 3، ص 688-689.

⁴ - المصدر نفسه، ج 3، ص 689.

⁵ - سورة النساء: الآية 105.

⁶ - سورة الحشر: الآية 07.

⁷ - سورة النساء: الآية 115.

⁸ - الشاطبي، الموافقات، ج 3، ص 689.

وقد أفاض الشوكاني في "إرشاد الفحول" في بيان حقيقة الإجمال الواقع في الكتاب والسنة واختلاف العلماء في جواز التكليف بالمجمل قبل البيان وفي كيفية بيانه.

فقد نقل الشوكاني عن أبي بكر الصيرفي أنه قال: "لا أعلم أحداً أبى هذا غير داود الظاهري"¹، أي أن الإجمال واقع في الكتاب والسنة أمر متفق عليه عند الجمهور، وقيل: إنه لم يبق مجمل في كتاب الله تعالى بعد موت النبي ﷺ، وهو قول يُشير إلى أن البيان قد تم في حياة النبي ﷺ بحيث لم يبق شيء من النصوص مجملاً لا يُعرف معناه. ولكن المحققين من الأصوليين يفرقون بين ما يتعلق به التكليف وما لا يتعلق به؛ فقد قال إمام الحرمين: "المختار أن ما يثبت التكليف به لا إجمال فيه، لأنّ التكليف بالمجمل تكليف بالمحال، وما لا يتعلق به تكليف فلا يبعد استمرار الإجمال فيه بعد وفاته ﷺ"².

وقد اختلف الأصوليون في جواز التعبد بالخطاب المجمل قبل البيان؛ فذهب الماوردي والرويانى إلى جوازه مستدلّين ببعث النبي ﷺ معاذاً إلى اليمن وقال له: "ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله..." الحديث وتعبدهم بالتزام الزكاة قبل بيانها. وعلا ذلك بأمرين: الأول: أن يكون إجماله توطئة للنفس على قبول ما يتعقّبه من البيان؛ فإنّ النفس قد تنفر من تكليف الصلاة لو بُدئَ ببيانها ولا تنفر من إجمالها، والثاني: أن الله تعالى جعل من الأحكام جلياً وجعل منها خفياً ليتفاضل الناس في العلم به، ويثابوا على الاستنباط لها³.

وأما حكم المجمل إذا ورد، فقال الشيرازي: "وحكم المجمل التوقّف فيه إلى أن يُفسّر، ولا يصحّ الاحتجاج بظاهره في شيء يقع فيه النزاع"⁴، والمراد بالتوقّف هنا: عدم العمل بالظاهر حتى يرد البيان سواء كان البيان من النص نفسه أو من السنة.

وقد أحصى الشوكاني - نقلاً عن الشافعي في "الرسالة" - مراتب البيان، وهي خمسة: الأول: بيان التأكيد، وهو النص الجلي الذي لا يتطرّق إليه تأويل، كقوله في صوم التمتع: ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ

¹ - محمد بن علي بن محمد الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تحقيق: أحمد عزو عناية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999، ج 2، ص 725.

² - المصدر نفسه، ج 2، ص 725-726.

³ - المصدر نفسه، ج 2، ص 726.

⁴ - المصدر نفسه، ج 2، ص 726.

في الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ¹، الثاني: النص الذي ينفرد بإدراكه العلماء كالواو وإلى في آية الوضوء؛ فإن هذين الحرفين مقتضيان لمعانٍ معلومة عند أهل اللسان، الثالث: نصوص السنة الواردة بياناً لمشكل في القرآن، كالنص على ما يُخرج عند الحصاد مع قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾²، ولم يذكر في القرآن مقدار هذا الحق، الرابع: نصوص السنة المبتدأة مما ليس في القرآن الكريم نصّ عليها بالإجمال ولا بالتبيين؛ ودليل كون هذا القسم من بيان الكتاب قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾³، الخامس: بيان الإشارة، وهو القياس المستنبط من الكتاب والسنة⁴.

وهذه المراتب الخمس - كما يلاحظ - تُبيّن العلاقة الوثيقة بين القرآن والسنة في بيان الأحكام الشرعية وتؤكد أن القرآن وإن كان الأصل الأوّل في التشريع إلا أنه لا يُستغنى عن السنة في تفصيل مجمله وتقييد مطلقه وتخصيص عامه.

ومما يُستفاد من هذا العرض أن الأصوليين لم يكتفوا بتعريف القرآن تعريفاً حدياً جامعاً مانعاً بل تجاوزوا ذلك إلى دراسة خصائص خطابه وطبيعة أحكامه وعلاقته بمصادر التشريع الأخرى، وهذا يُبرز الأهمية الكبرى التي يحظى بها القرآن في المنظومة الأصولية باعتباره المصدر الأوّل الذي تُشتق منه الأحكام والمرجع الأعلى الذي تُردّ إليه النصوص الأخرى.

ولعلّ من أبرز ما يُلحظ في التعريف الاصطلاحي عند الأصوليين أنه لم يكن مجرد تعريف لفظي بل كان تعريفاً وظيفياً؛ فهو يُحدّد القرآن من حيث هو مصدر تشريع ومن حيث هو خطاب متعبّد بتلاوته ومن حيث هو معجز بيّن الحجة، وهذه الجوانب الثلاثة تمثّل الأبعاد الأساسية التي يقوم عليها المفهوم الأصولي للقرآن: بُعد المصدريّة وبُعد التعبد وبُعد الإعجاز.

وقد أشار الشاطبي إلى هذا المعنى حين قال: "من حيث كان القرآن معجزاً أفحم الفصحاء، وأعجز البلغاء أن يأتوا بمثله، فذلك لا يخرج عن كونه عربياً جارياً على أساليب كلام العرب ميسراً

¹ - سورة البقرة: الآية 196.

² - سورة الأنعام: الآية 141.

³ - سورة الحشر: الآية 07.

⁴ - الشوكاني، إرشاد الفحول، ج 2، ص 739-743.

للفهم فيه عن الله ما أمر به ونهى، لكن بشرط الدربة في اللسان العربي"¹، وهذا الكلام يُبين أنّ الإعجاز لا يعني انقطاع الصلة بين القرآن وفهم البشر؛ بل هو معجز في نظمه مع كونه مفهوماً في معناه، وهذا من وجوه الإعجاز؛ إذ هو كلام من جنس كلام البشر في اللسان والمعاني والأساليب، مفهوم معقول، ثم لا يقدر البشر على الإتيان بسورة من مثله².

المبحث الثاني: تعريف السنن لغةً واصطلاحاً:

سنحاول في هذا المبحث تسليط الضوء على مفهوم السنة من منظورين مختلفين: الأول من الجانب اللغوي وتشير إلى الطريقة والأسلوب والتقاليد، والثاني اصطلاحياً حيث تحمل السنة الإلهية طابع الثبات والاستقرار في الأحكام الشرعية، وكيفية تطابقها مع العبادات والمعتقدات الإسلامية، وسنوضح الآن المفاهيم المشتركة والمختلفة للفظ "السنة" مسلطين الضوء على أهميتها في فهم الإسلام وممارسته.

المطلب الأول: تعريف السنة الإلهية لغة:

وسنن بكسر السين دون تشديدها، تعني السكة التي يجرثها في الأرض، كما تعني سنن بكسر السين دون تشديدها الغفلة والنعاس، كما في قوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾³، والسنن بضم السين وتشديدها، لها معان منها: السنة بمعنى الفهدة والدبة* ودائرة الوجه⁴.

وللكلمة أصل صحيح هذه المعاني كلها وغيرها في كلام العرب والقرآن الكريم، ومن ذلك الدوام والثبات على الأمر، كما في قولهم: سن الماء؛ إذا دوام على صبه، وسن الإبل: بمعنى دوام على رعيها والإحسان إليها، وسن النصل: إذا صقلها وحدها⁵.

¹ - الشاطبي، الموافقات، ج 3، ص 675.

² - المصدر نفسه، ج 3، ص 675.

³ - سورة البقرة: الآية 255.

* - الفهدة: بكسر الفاء وسكون الهاء، هي مؤنث "الفهد"، والفهد حيوان مفترس معروف يُضرب به المثل في كثرة النوم فيقال: "أنوم من فهد"، وقيل: هي "لحمة ناتئة في صدر الفرس عن يمينه وشماله" و"عظمة ناتئة خلف أذن البعير"، أما الدبة: بضم الدال وتشديد الباء قال مجمع اللغة العربية: "الموضع الكثير الرِّقْل، ومنه يقال: وقع فلانٌ في دَبَّةٍ: في شِدَّة. - و- قارورة الزيت ونحوه".

⁴ - انظر ابن السيد البطليموسي، المثلث، تح: صلاح مهدي الفرطوسي، دار الرشيد للنشر، 1981، مادة (سنن).

⁵ - عبد الرؤوف شلي، السنة الإسلامية بين إثبات الفاهمين ورفض الجاهلين، دار القلم، الكويت، ص 25.

والسنة في الأصل:

1. الطريقة والسيرة¹، سواء كانت مرضية أو غير مرضية².

ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم (من سن سنة حسنة)³؛ أي طرق طريقة حسنة⁴.

سنة النبي صلى الله عليه وسلم طريقته التي كان يتحررها، وسنة الله تعالى قد تقال لطريقة حكمته وطريقة طاعته نحو ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾⁵، و﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾⁶، فنه على أن وجوه الشرائع وإن اختلفت صورها فالغرض المقصود لا يختلف ولا يتبدل وهو تطهير النفس وترشيحها للوصول إلى ثواب الله تعالى وجواره⁷.

2. حكم الله وأمره ونهيهِ⁸ وسنها الله للناس: بينها، وسن الله سنة أي بين طريقاً قويمًا.

ويعرف ابن تيمية رحمه الله السنة فيقول: السنة هي العادة في الأشياء المتماثلة، ولفظ السنة يدل على التماثل فإنه سبحانه إذا حكم في الأمور المتماثلة بحكم فإن ذلك لا ينقض ولا يتبدل ولا يتحول، بل هو سبحانه لا يفرق بين المتماثلين، وإذا وقع تغيير فذلك لعدم التماثل، وأنه سبحانه يسوي بين المتماثلين ويفرق بين المختلفين كما دل القرآن على هذا في مواضع كقوله تعالى: ﴿أَفَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْجَاهِلِينَ﴾¹⁰، ومن هذا الباب صارت قصص المتقدمين عبرة لنا، ولولا القياس واطراد فعله وسنته لم

¹ ابن منظور، لسان العرب، مج 13، نشر أدب الحوزة، إيران، 1989، ص 225.

² الجرجاني، التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1413، ج 1، ص 161.

³ أخرجه مسلم (4 / 2059) كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة، رقم الحديث (1017).

⁴ الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1996، ج 3، ص 267.

⁵ سورة الفتح: الآية 23.

⁶ سورة فاطر: الآية 43.

⁷ الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، ط 1، 1412هـ، ص 245.

⁸ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 1، 2005، ص 1558.

⁹ جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1414هـ، ج 13، ص 225.

¹⁰ سورة القلم: الآية 35.

يصح الاعتبار، والاعتبار إنما يكون إذا كان حكم الشيء حكم نظيره كالأمثال المضروبة في القرآن وهي كثيرة¹.

3. السنة هي العادة التي تتضمن أن يفعل في الثاني مثل ما فعل بنظيره الأول ولهذا أمر سبحانه وتعالى بالاعتبار وقال: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾²، والاعتبار أن يقرن الشيء بمثله فيعلم أن حكمه مثل حكمه³.

4. القوانين الثابتة ولقد جاءت كلمة (سنة) في القرآن الكريم عادة بمعنى ما بين الله للإنسانية من طرق واتجاهات الأمم السابقة التي جعلها الله قوانين ثابتة في البشر والوجود كله، دون أن تتغير هذه القوانين أو تتبدل، كما قال تعالى: ﴿فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾⁴، أي: لم يتغير⁵.

في النهاية نستخلص إلى أن كلمة "سنة" لغة لها معانٍ عديدة وذلك وفقاً للسياق التي توضع فيه، ففي موضع تدل "السنن" على الطريقة أو النهج في الحياة، وفي موضع ثان تدل على السلوك المتوقع في مجموعة معينة من الأمور، في القرآن الكريم، تُستخدم "السنة" للإشارة إلى القوانين الثابتة والأنماط في الكون التي وضعها الله والتي لا تتغير، حيث تُظهر الثبات والدوام في الأمور وتشدد على التماثل والثبات في السلوك والحكم.

المطلب الثاني: تعريف السنة الإلهية اصطلاحاً:

1. السنة عند العلم الحديث: تختلف مفاهيم "السنة" اصطلاحياً وذلك بحسب العلم الذي تناوله، ففي علم الحديث لفظ "السنة" يدل على الأحاديث والتقاليد التي نقلها النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) حيث تعد هذه المصادر أساس الشريعة الإسلامية.

¹ - ابن تيمية، جامع الرسائل، رسالة في لفظ السنة في القرآن، تح: محمد رشاد سالم، دار المدني، القاهرة، 1984، ج 1، ص 55.

² - سورة يوسف: الآية 111.

³ - ابن تيمية، مجموع الفتاوى، مج 13، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، 2004، ص 20.

⁴ - سورة البقرة: الآية 259.

⁵ - انظر: عبد الله بن عباس، تفسير القرآن الكريم، دار الكتب العلمية، بيروت، 2009، ص 37.

2. السنة في علم الفقه: ويُشير مصطلح "السنة" إلى السلوكيات والأفعال التي اعتاد النبي صلى الله عليه وسلم القيام بها، أما من جانب أصول الفقه فيستعمل مصطلح "السنة" للإشارة إلى الأدلة والمبادئ التي يستند إليها المجتهدون لاستنباط أحكامهم الشرعية.

3. السنة في علم العقيدة: ويُستخدم مصطلح "السنة" كمرادف للمعتقدات الدينية لأهل السنة والجماعة، وتُمثل العقيدة الرسمية للإسلام وتقابل بالبدعة العقدية، هذه المفاهيم المتعددة تظهر التعددية في مفهوم "السنة" وكيفية تكييفها مع السياق العلمي الذي تُستخدم فيه¹.

مع بداية تدوين العلوم انفرد أهل كل فن واختصاص في الإسلام بتعريف خاص، فباتت السنة عند المحدثين مرادفة لما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية. وهي عند الفقهاء النذب، أي ما طلب الشارع من المكلف فعله طلباً غير جازم يستحق فاعله الجزاء ولا يذم تاركه وعرف الأصوليون السنة بأنها المصدر الثاني للتشريع ممثلة في الأحاديث المنطوية على أحكام شرعية².

كما اشتهر القول كذلك بأن السنة معناها ما يقابل البدعة، وإذا كانت السنة هي هدي النبي وبيانه لهدي الله وشرعته، فإن البدعة هي الاختلاق الزائد على الدين أو هي "الطريقة المخترعة في الدين يراد بها مضاهاة الشريعة"³.

الشريعة الإسلامية تحتوي على وسائلها ومقاصدها التعبدية، وباب العبادة لا يمكن تغييره أو تحويله، وإذا كان المقصد من العبادات مثل الصلاة على سبيل المثال، هو الاقتراب من الله والحفاظ على العلاقة الروحية معه، وكانت الوسيلة المحددة لذلك هي الحركات والأقوال التي تبدأ وتنتهي بتحية السلام، فإنه لا يجوز استبدال هذه الوسيلة بطرق أخرى مبتكرة أو محاولة تغييرها، فالابتكارات في هذا السياق

¹ - ينظر: مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، دار الوراق - المكتب الإسلامي، دمشق، ط 2، 2000، ص 67-68، فقد ذكر أن "أهل السنة والجماعة هم الذين تمسكوا بسنة النبي ﷺ وساروا على منهاجه، وهم الذين اجتنبوا البدع والضلالات"، وأن السنة تطلق "في مقابلة البدعة".

² - انظر: مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، دار الوراق المكتب الإسلامي، دمشق، ط 2، 2000، ص 67-68.

³ - أبو اسحاق الشاطبي، الاعتصام، دار الشريعة، ج 1، ص 28.

غير مقبولة، وقد يؤدي استخدامها إلى فقدان هذه العبادات لمقاصدها الأصلية، لذلك قيل: من أحيأ بدعة فقد قتل سنة، لما بينهما من التضاد.

لكن هذا المعنى مقتصر على الجانب التعبدى المحض أو غير معقول المعنى باصطلاح الفقهاء، أما ما كان داخلاً في مجال السياسة الشرعية مما يُراد به جلب المصالح أو درء المفاسد، أو ما كان منشؤه التطور الطبيعي للحياة النفسية والاجتماعية للأفراد والشعوب، فالاجتهاد فيه - من أهل الاجتهاد - واجب، والخطأ فيه مأمون العواقب، وقد بين ذلك حديث النبي صلى الله عليه وسلم (من اجتهد فأصاب فله أجران، ومن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد)¹.

من هنا وجب التفريق بين البدعة والاجتهاد المستند إلى المصالح المرسله والاستحسان... كما بين ذلك الإمام الشاطبي في كتابه المتميز "الاعتصام"²، وبعبارة أخرى ينبغي التفريق بين ما فيه محل للاجتهاد فليس ببدعة، وما ليس فيه محل لمجتهد وهو عين الابتداع المحذور في الدين، ولذلك صاغ العلماء ما هو شبيه بالقاعدة مفاده: روح الدين الاقتداء والاتباع وروح الدنيا الابتكار والابتداع³.

في الحديث، إنها: مطلق أحكام الله وأوامره وعاداته في معاملة خلقه، ومجمل بيانه للطريق المستقيم وحال من سار عليه من السعادة أو من خالفه من الشقاء يستوي في ذلك أحكام الله وعاداته التي أجراها على الكون الأصم وتلك التي أجراها على البشر أفراداً وجماعات وأما.

وبهذا فسنة الله موافقة لسعة معنى اللفظ في القرآن الكريم من مثل قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾⁴، ومثله قوله سبحانه وتعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾⁵، وقوله جل وعلا: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ

¹ - رواه البخاري في صحيحه كتاب الاعتصام، باب: أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ ج 3، ص 1483، ومسلم كتاب الأفضية باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ ج 2 ص 747.

² - انظر: أبو اسحاق الشاطبي، الاعتصام، مرجع سابق، ص 315 وما بعدها.

³ - انظر: يوسف القرضاوي، أين الخلل، مكتبة رحاب، ط 2، ص 12.

⁴ - سورة فصلت: الآية 52.

⁵ - سورة الأحزاب: الآية 62.

وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ¹، وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾².

إن دراسة السنن الإلهية في الكون والحياة وفهمها بالمعنى الشامل الذي ذُكر في القرآن لم تكن موضوعاً بارزاً للبحث بين المفكرين والعلماء القدماء، ولم يكن هناك تعريف اصطلاحى شامل لمفهوم السنن الإلهية كما هو مذكور في القرآن، وذلك بسبب تأخر الاهتمام العلمي بدراساتها بشكل منهجي وعميق في تاريخ الإسلام والبشرية عمومًا، ولا يزال هذا الموضوع يعتبر تحديًا حتى اليوم، ويلاحظ أن البحث في هذا المجال يمكن أن يُوجد في كتب الكلام والفلسفة، وكذلك في كتب العلل والمقاصد وفصائل الشريعة، بالإضافة إلى أن بعض المفسرين قد اهتموا بهذا الجانب وقدموا آراءهم حوله.

ومما ذكر في معنى السنة ما ذكره الإمام الرازي في تفسيره حيث قال: "السنة: الطريقة المستقيمة والمثال المتبع"³.

وما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: "السنة هي العادة التي تتضمن أن يفعل في الثاني ما فعله في الأول ولهذا أمر الله بالاعتبار"⁴.

الإمام الرازي يرى بأن "السنة" تشير إلى السلوك الصحيح والأخلاق القائمة على الأمثلة التي وردت في التقاليد النبوية والتي يُفترض على المسلمين اتباعها، أما شيخ الإسلام ابن تيمية فيرى بأن "السنة" تدل على استمرارية الممارسات والأحكام عبر الزمن، مما يبرز أهمية الاعتبار بالتقاليد والممارسات السابقة في فهم وتطبيق الشريعة الإسلامية.

هذه المفاهيم تُظهر الأهمية التاريخية والشرعية لمفهوم "السنة" في الإسلام، حيث تمثل الأمثلة والتقاليد النبوية المصدر المهم لفهم وتطبيق الشريعة والتقاليد الدينية في الحياة اليومية.

¹ - سورة الأنعام: الآية 154.

² - سورة طه: الآية 121-122.

³ - فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، دار الفكر، سوريا، 1981، ج 9، ص 10.

⁴ - ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج 3، ص 140.

المطلب الثالث: السنن الإلهية ومعجزات الأنبياء والرسول:

يكاد يتفق القدماء والمحدثون على أن من صفات السنن الإلهية: الثبات، والاستقرار، والاطراد، والعموم، وهذه الصفات مقتضى المعنى اللغوي لكلمة (السنة)، وتفسير الآيات المبينة للسنن في كتاب الله تعالى، كقوله سبحانه: ﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾¹.

وقوله تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾²، وقوله تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾³.

وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾⁴.

فعن مقاتل (ت: 150هـ) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾: "السنة واحدة فيما مضى وفيما بقى"⁵، ويقول الطبري (ت: 310هـ) في تفسيره للآية نفسها: "ولا تجد لسننتنا تحويلاً عما جرت به"⁶، وهذا ما يؤكده أيضاً ابن تيمية، حيث يقول: "وذكر الله تعالى في غير موضع أن سنته في ذلك سنة مطردة وعادة مستمرة"⁷، ويقول الدكتور مصطفى الشكعة: "ومجمل القول عندنا: إن السنن الإلهية إجبارية تجري على المخلوقات جميعاً من أفراد وكائنات"⁸.

¹ - سورة الإسراء: الآية 77.

² - سورة الأحزاب: الآية 62.

³ - سورة الفتح: الآية 23.

⁴ - سورة الأحزاب: الآية 38.

⁵ - تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت - لبنان، ط 1، 1423هـ، ج 2، ص 545.

⁶ - ابن جرير الطبري، تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ط 1، 1422هـ - 2001م، ج 15، ص 21.

⁷ - مجموع الفتاوى، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، 1416هـ - 1995م، ج 28، ص 425.

⁸ - م. س، ص 824، وانظر للمعاصرين أيضاً: الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ط 1، 1984، ج 15، ص ص 179 - 180، ومحمد رشيد رضا: مجلة المنار، م. س، ج 5، ص 441، وعبد الكريم زيدان، م. س، ص ص 8 - 9، ومجدي محمد عاشور، م. س، ص ص 99 - 111.

بينما يتفق علماء الكلام والعقيدة على أن المعجزة: أمر خارق للعادة الكونية¹، أي إن ظاهر المعجزة مخالفة مبدأ السببية الذي ترتبط به السنن في جانب كبير من مفهوماها، حيث لا يوجد قانون يفسر حدوث المعجزة- طبيعياً- أو يُتَوَقَّع به حدوثها، كما أن هذا الظاهر يخالف ما تتصف به السنن من ثبات واستقرار وإطراد وعموم.

وقد اختلف من اهتم من الباحثين بمعالجة هذه الإشكالية إلى فريقين:

الأول: نظر إلى السنن الإلهية فعمد إلى تقسيمها إلى: سنن جارية، وسنن خارقة، وجعل جميع السنن- فيما عدا ما يخص المعجزات- من السنن الجارية فيما خص المعجزات (والخوارق الأخرى كالكرامات) بكونها تندرج تحت قسم السنن الخارقة².

أقسام السنن الإلهية:

أولاً: السنن الكونية: وهي السنن التي تسير عليها الطبيعة والكون، كتعاقب الليل والنهار ودوران الأفلاك ونزول المطر ونمو النبات وهذه السنن لا دخل لإرادة الإنسان فيها وهي ثابتة مطردة لا تتغير، وقد أشار الدكتور عبد الكريم زيدان إلى أن "الإنسان - وهو جزء من هذا الكون، ولكنه جزء ممتاز - يخضع لهذا القانون في جميع حركاته وسكناته وتقلبات أحواله... كما تخضع له أيضاً الأمم في علوها وانخفاضها وسعادتها وشقاؤها وعزها وذلها وبقائها وهلاكها"³.

ثانياً: السنن الاجتماعية والأمية: وهي السنن التي تحكم حياة الجماعات والأمم، كسنة الابتلاء وسنة الاستخلاف وسنة التدافع وسنة الإمهال والاستدراج وسنة التداول بين الناس وسنة نصر المؤمنين وهذه

¹ - انظر: أبو حامد الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط/ 1، 1424هـ- 2004م، ص 104- 106، وأبو الحسن الأمدي، غاية المرام في علم الكلام، ت: د. حسن الشافعي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ص 322، وابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، ت: شعيب الأرنؤوط وعبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط 10، 1417هـ- 1997م، ج 2، ص 746.

² - انظر: رمضان خميس زكي، مفهوم السنن الربانية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط 1، 1427هـ- 2006م، ص 59. ود. مجدي محمد عاشور، د ت، ص 38.

³ - عبد الكريم زيدان، السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 2، 1993، ص 24-25.

السنن ترتبط بسلوك الإنسان واختياره وتجري على الأمم والشعوب بحسب استجابتها للهدى أو إعراضها عنه¹.

ثالثاً: **السنن الفردية والنفسية**: وهي السنن المتعلقة بحياة الفرد الواحد كسنة الجزاء الفردي وسنة الهداية والضلال وسنة التوبة والقبول وسنة الإعراض عن الذكر وما يترتب عليها من عيش ضنك وهذه السنن تجري على كل فرد بحسب عمله وسعيه، وقد بيّن القرآن الكريم سنة الإعراض عن الذكر في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾²، حيث قال الدكتور عبد الكريم زيدان: "وهذا المعرض عن هدى الله له المعيشة الضنك أي الضيقة في الدنيا، لأن الضنك أصله الضيق والشدة. ووجه ضيق معيشته أنه شديد الحرص على الدنيا متهالك عليها وعلى الزيادة منها خائف من انتقاصها لا طمأنينة له ولا انشراح ل صدره"³، أما في الآخرة "فقد مضت سنة الله في الجزاء أنه سيصبيه عقاب المعرضين عن هداية ومن هذا العقاب حشره يوم القيامة أعمى لعماء عن آيات الله وهداية"⁴.

رابعاً: **سنة الابتلاء**: وهي من السنن الإلهية الشاملة التي تشمل الأفراد والجماعات على السواء، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾⁵، وقد بيّن الدكتور عبد الكريم زيدان أن "الله تعالى يبتلي عباده أي يختبرهم فتارة بالسراء وتارة بالضراء كالمذكور في هذه الآيات وهو الخوف والجوع ونقص من الأموال أي ذهاب بعضها ونقص في الأنفس كموت الأصحاب والأقارب والأحباب ونقص في الثمرات فلا تثمر الحقائق والمزارع والأشجار كعادتها"⁶، والذين يصبرون في هذه البلايا ويقولون: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، لهم البشري بالصلوات والرحمة والهداية.

¹ - ينظر: عبد الكريم زيدان، السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد، المرجع السابق، ص 55، حيث بيّن أن سنة نصر المؤمنين مشروطة بتحقيق معاني الإيمان الحقيقي، وأن عدم النصر يعني وجود خلل في تحقيق هذه المعاني.

² - سورة طه: الآية 124.

³ - عبد الكريم زيدان، السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد، المرجع السابق، ص 42.

⁴ - المصدر نفسه، ص 43.

⁵ - سورة البقرة: الآية 155.

⁶ - عبد الكريم زيدان، السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد، المرجع السابق، ص 82-83.

الثاني: أما أصحاب هذا الاتجاه فقد سلك مسلكاً مغايراً فأنكر ابتداءً أن تكون المعجزات جارية على ظواهرها الحسية الخارقة للسنن الكونية ورأى فيها معاني رمزية أو دلالات مجازية أو حاول حصرها في نطاق التفسير المادي القائم على ما يبلغه علمه من خصائص المادة ونواميسها، وبهذا التصور استقامت له صورة السنن الإلهية ثابتة مطردة لا تعرف الاستثناء ولا الانقطاع¹.

وفي اجتهد الفريقين نظر ومراجعة:

فالفريق الأول: خالف في نخته مصطلح (السنن الخارقة) ما هو مؤكد ومستقر لصفات (السنن) لغوياً واصطلاحياً، إذ إن هذه الصفات لا تجتمع مع معنى (خارقة) الذي يدل أصل معناها اللغوي على الشق والتمزيق²، فمصطلح (السنن الخارقة) جَمْعٌ بين مختلفين لا يستقيم ولا يحل الإشكالية التي قُصد إلى حلها به.

أما الفريق الثاني: فاجتهاده - فوق تعسفه وتكلفه في التخريج - تأباه اللغة، ويأباه السياق القرآني، وتأباه (المعجزات) نفسها؛ أما اللغة فقد وردت كثير من هذه الخوارق بصيغ لا تحمل صرفها إلى غير الحقيقة على النحو ذهب إليه هذا الفريق، كقوله تعالى: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾³، وقوله تعالى: ﴿فَالْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾⁴، وقوله تعالى: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاطِرِينَ﴾⁵، وقوله تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾⁶، وأما السياق: فالقص القرآني الواردة به هذه الآيات لا يحتمل مثل هذا التأويل؛ فالعصا التي أُولت بأنها (آلة ميكانيكية) تستمد حركتها من طاقة كامنة فيها، وأنها تظهر كوني قائم على العلم والمعرفة، ثم تُسببت لها الحياة - كما تنسب للجماادات - لتأخذ وصف (حية) .. يأباه المشهد

¹ - انظر: خميس بن راشد العدوي، وخالد بن مبارك الوهبي: الإيمان بين الغيب والخرافة، مكتبة الغبراء، بهلا - سلطنة عمان، ط 1، 1428هـ - 2007م، ص 85 وما بعدها. وخالد بن مبارك الوهبي: سلسلة مقالات بعنوانين متعددة على موقع مجلة الفلق الإلكترونية.

² - أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ت: عبد السلام هارون، مصورة دار الفكر، بيروت - لبنان، 1399هـ - 1979م، ج 3، ص 172.

³ - سورة الأعراف: الآية 107.

⁴ - سورة طه: الآية 20.

⁵ - سورة الأعراف: الآية 108.

⁶ - سورة الشعراء: الآية 63.

القصصي المتعدد وما يهدف إليه، بما يتضمنه من شهود الناس وخضوع السحرة وإقرارهم وصغار فرعون وملئه وانحزامهم.

وأخيراً فإن من هذه الآيات ما لا سبيل لإنكار خرقه لما جرت عليه عادات البشر، فإنه إذا كان هناك وجه -مردود- لتأويل الآيات الخارقة التي أجراها الله لنبيه عيسى - مثلاً- فإنه لا يمكن إنكار أو تأويل ولادة عيسى عليه السلام نفسه بغير أب، على غير سنن التكاثر في البشر.. وهذا كله ما يسقط هذا التوجيه لهذا الفريق في محاولة التوفيق بين هذه الآيات (المعجزات) والسنن الإلهية¹.

مما سبق نستنتج أن السنن الإلهية تتضمن الثبات والاستقرار والاطراد والعموم، وهذه الصفات تعكس المعنى اللغوي لكلمة "السنة"، وقد تم الاستشهاد بعدد من الآيات القرآنية لدعم هذه الفكرة، حيث تُشير إلى أن السنن الإلهية تعكس إرادة الله وتجري على المخلوقات جميعاً.

وقد تباينت وجهات نظر العلماء والفلاسفة حول المعجزات وكيفية تفسيرها، وقد قسمها العلماء إلى قسمين في التعامل مع المعجزات: الفريق الأول يرى المعجزات كظواهر حقيقية تخالف السنن العادية، بينما الفريق الثاني يُفسر المعجزات بشكل مجازي أو معنوي، دون الخروج عن إطار الطبيعة أو العلم.

¹ - انظر: سليمان بن صالح الخراشي، إفحام النصارى مختصر من (الأجوبة الفاخرة للقراني)، دار القاسم للنشر، الرياض، 1960، ص 68-15.

المبحث الثالث: مفهوم الوحدة:

للوحدة مفاهيم متعددة وأبعاد نتطرق فيها إلى ما يلي:

المطلب الأول: المفهوم اللغوي للوحدة:

جاء المفهوم اللغوي للوحدة على عدة معاني متمثلة في:

1. **الانفراد:** قال ابن فارس¹: "وحد الواو والحاء والدا ل أصل واحد يدل على الانفراد، ومن ذلك

الوحدة، وهو واحد قبيلته إذا لم يكن فيهم مثله"².

وجاء في الصحاح: (الْوَحْدَةُ: الانفراد. تقول: رأيته وحده. وهو منصوب عند أهل الكوفة على الظرف، وعند أهل البصرة على المصدر في كل حال. ولا يضاف إلا في قولهم: فلان نسيج وحده، وهو مدح. وَجُحَيْشٌ وحده وَغَيْرُ وحده، وهما ذم. والواحد: أَوَّلُ العدد، والجمع وَحْدَانٌ وَأُحْدَانٌ. قال الفراء: يقال أنتم حي واحد وحي واحدون، كما يقال: شِرْذَمَةٌ قليلون.

2. **منقطع النظير والمثال:** وفي لسان العرب لابن منظور، "والواحد بني على انقطاع النظير وعوز

المثل، والوحيد بني على الوحدة والانفراد عن الأصحاب من طريق بينوته عنه، والعرب تقول أنتم حي واحد وحي واحدون.

3. **المتقدم:** وقيل الواحد المتقدم في علم أو بأس أو غير ذلك، كأنه لا مثل له، فهو وحده ووحده

توحيداً، جعله واحداً.

4. **الذي لا يتجزأ:** وقيل الواحد هو الذي لا يتجزأ ولا يثنى ولا يقبل الانقسام ولا نظير له ولا مثل

ولا يجمع هذين الوصفين إلا الله عز وجل"³.

¹ - أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي من أئمة اللغة والأدب من أئمة اللغة والأدب، قرأ عليه البديع الهمداني والصاحب ابن عباد، توفي عام 395م، انظر: الأعلام، الزركلي، ج 1، ص 193.

² - معجم مقاييس اللغة، ابن فارس تحقيق عبد السلام هارون دار الفكر ت ط: 1399هـ، ج 6، ص 90.

³ - ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط 1، 1300هـ، ج 3، ص 446، وانظر أيضاً الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج 1، ص 414.

وقال الراغب: "والواحد في الحقيقة هو الشيء الذي لا جزء له البتة ثم يطلق على كل موجود حتى إنه ما من عدد إلا أن يصح يوصف به ويقال عشرة واحدة ومائة واحدة وألف واحد"¹.

وأُنشد للكميت: فَضَمَّ قَوَاصِي الأحياء منهم فقد رَجَعُوا كَحَيِّ وَاحِدِينَا

وعن أمير المؤمنين عمر -رضي الله عنه- قال: "الطمع فقر، واليأس غنى، والعزلة راحة من جليس السوء، وفريق الصدق خير من الوحدة"²، وحكى سيبويه: (الْوَحْدَةُ، في معنى التوحد)³.

قال صاحب العين: "الْوَحْدَةُ الانفراد ورجل وَحِيدٌ" و(في النظام السياسي) "اتحاد أمتين أو أكثر في الرئاسة والسياسة والجيش والاقتصاد بموجبها يكن أمة واحدة"⁴.

ويقال: وَحْدُهُ وَأَحَدُهُ، كما يقال ثَنَاهُ وَثَلَّثَهُ وَرَجُلٌ وَحْدٌ وَوَحْدٌ أي منفرد وَتَوَحَّدَ بِرَأْيِهِ تَفَرَّدَ بِهِ"⁵. وقال أبو البقاء في كليته: "والوحدة كون الشيء، بحيث لا ينقسم وتنوع أنواعاً خص الاصطلاح كل نوع منها باسم تسهيلاً للتعبير، وهي في النوع ماثلة، وفي الجنس مشاكلة، وفي الكيف مشابهة، وفي الكم مساواة، وفي الوضع موازاة ومحاذاة وفي الأطراف مطابقة، وفي النسبة مناسبة، وتطلق ويراد بها عدم التجزئة والانقسام ويكثر إطلاق الواحد بهذا المعنى. وقد تطلق بإزاء التعدد والكثرة. ويكثر إطلاق الأحد والفرد بهذا المعنى. ووحدة الباري وحدة ذاتية ووحدة النقطة لا تعتبر من العدد إذ لا يمكن التعدد فيها"⁶.

من خلال التطرق إلى مفهوم الوحدة لغةً يتجلى لنا أن مفهومها يتنوع ويتعدد في معانيه، حيث يمكن أن يُفهم لفظ الوحدة من خلال عدة جوانب مترابطة، فمن ناحية يشير المفهوم إلى الانفراد والفرادية، حيث يمثل الوحدة الكيان الذي لا يشابه أو يندرج تحت شيء آخر، ومن جهة ثانية يُعبر

¹ - الراغب الأصفهاني، القرآن الكريم، دار القلم، دمشق، ج 2، ص 494.

² - بهجة المجالس وأنس المجالس، ابن عبد البر، ص 140.

³ - ابن سيده المرسى، المحكم والمحيط، ت: 458هـ، تحقيق: عبد الحميد هندواي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط 1، 2000 م، ج 3، ص 450.

⁴ - إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، المعجم الوسيط، دار الدعوة، تحقيق / مجمع اللغة العربية.

⁵ - أبو نصر الجوهري الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط 4، 1987 م، ج 2، ص 548.

⁶ - الكليات، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، مؤسسة الرسالة - بيروت، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، 1998م، ص 1500.

المفهوم عن عدم المماثلة، حيث تكمن فرادة الشيء في عدم تشابهه مع غيره، ويُشير مصطلح الوحدة إلى عدم التجزؤ، حيث يظل الشيء ككيان واحد دون تفكك، وتُظهر هذه الجوانب المختلفة لمفهوم الوحدة تعقيد اللغة العربية وعمقها الثقافي والاجتماعي.

المطلب الثاني: المفهوم الاصطلاحي للوحدة:

قبل التطرق إلى مفهوم الوحدة اصطلاحاً، وجب التنبيه إلى أن الوحدة يمكن أن تكون مبنية على أساسات مختلفة مثل العرق، الجنس، اللون، أو الفكر، ومن بين هذه الأساسات الأكثر قوة وعمقاً هي المعتقد، فالوحدة التي تستند إلى العقيدة لديها القوة والاستقرار، حيث يمكن أن تنهار الوحدة المبنية على غيرها بسهولة بأدنى الأسباب، وفي الوقت الحاضر يمكننا أن نرى أمثلة على ذلك في توحيد الشعوب مثل اليهود والاتحاد الأوروبي ووحدة الهند وغيرها...، جميعها تثبت ما توصلنا إليه: أن الوحدة المرتكزة على مبادئ العقيدة تكون أكثر قوة وثباتاً من غيرها.

قيل في تعريف الوحدة أن: "الوحدة هي اتحاد الدول أو البلاد، والأفراد والجماعات لسائر أمور حياتهم ومعاشهم وسيرتهم وغايتهم، وبموجب هذه الوحدة يصبح الجميع شيئاً واحداً أو أمة واحدة يقال اتحاد البلدان، اتحاد البلدان أي صاروا بلداً واحداً"¹.

أما التعريف بالوحدة (بفتح الواو من وَحَدَ) من حيث الاصطلاح هو انضمام الأجزاء بعضها إلى بعض مع الائتلاف ومنه وحدة المسلمين²، والتعريف بالوحدة في النظام السياسي: اتحاد أمتين أو أكثر في الرياسة والسياسة والجيش والاقتصاد بموجبها تكون أمة واحدة³.

لذلك يُمكن القول أنَّ الوحدة اصطلاحاً، تُمثل اجتماع مجموعة من الأفراد حول فكرة مُحدَّدة يُؤْمِنُونَ بصحتها ويتحدُّونَ تحت رايتهما، ويعملون على ترسيخها ونشرها والدفاع عنها، دون النظر إلى جنسهم أو عرقهم أو لونهم أو مكان ولادتهم أو مكانهم، ومن خلال هذه الوحدة يشكِّلون أُمَّةً، تشمل

¹ - أحمد عمر هاشم، وحدة الأمة الإسلامية في السنة النبوية، بحث مقدم للملتقى الأول للعلماء المسلمين تحت عنوان وحدة الأمة الإسلامية، مكة المكرمة، 2006، ص 7.

² - محمد رواس قلعجي وحامد صادق قنبي، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، ط 02، 1988، ص 471 (مادة وحد).

³ - نخبه من اللغويين المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مصر ط 02، 1972، ج 2، ص 107 (مادة وحد).

الأُمَم التي تَتَّخِذُ مذهباً فكرياً أو دينياً سماوياً أو أرضياً، سواء كان ذلك المذهب ضالاً أو صحيحاً، مثل أمة محمد صلى الله عليه وسلم وأمة بني إسرائيل والأمة الشيعية، وغيرها من الأُمَم.

المطلب الثالث: الوحدة من منظور شرعي:

أصبحت كلمة "الوحدة" من الكلمات المألوفة التي يستخدمها السياسيون والعسكريون والناس عموماً في مختلف البلدان، بل وأيضاً في كتابات الباحثين والمثقفين، وهذا يدل على أن لهذه الكلمة قيمة واقعية وتأثيراً مستقبلياً على من يسعى لتحقيق الوحدة سواء في القول والفعل، ويُظهر التطبيق الفعلي لمفهوم الوحدة في عصر الحضارة الإسلامية القديمة مدى قيمتها الحقيقية، حيث نجحت الخلافة الإسلامية في الحفاظ على وحدة الأمة الإسلامية حتى قبل سقوط الخلافة العثمانية.

فالسيد قطب يلخص لنا مفهوم الوحدة عندما يقول: "إن الإسلام هو أكمل تصور لحقيقة الوحدة- وهي أضخم الحقائق على الإطلاق - وحدة الخالق الذي ليس كمثله شيء. ووحدة الإرادة التي يصدر عنها الوجود كله بكلمة: «كن»، ووحدة الوجود الصادر عن تلك الإرادة ووحدة الناموس الذي يحكم هذا الوجود. ووحدة الحياة من الخلية الساذجة إلى الإنسان الناطق. ووحدة البشرية من آدم عليه السلام إلى آخر أبنائه في الأرض، ووحدة الدين الصادر من الله الواحد إلى البشرية الواحدة.

ووحدة جماعة الرسل المبلغة لهذه الدعوة ووحدة الأمة المؤمنة التي لبّت هذه الدعوة ووحدة النشاط البشري المتجه إلى الله وإعطائه كله اسم «العبادة». ووحدة الدنيا والآخرة داري العمل والجزاء ووحدة المنهج الذي شرعه الله للناس فلا يقبل منهم سواه. ووحدة المصدر الذي يتلقون عنه تصوراتهم كلها ومنهجهم في الحياة... ومحمد - صلى الله عليه وسلم - هو الذي أطاق روحه التجاوب المطلق مع حقيقة الوحدة الكبرى كما أطاق عقله تصور هذه الوحدة وتمثلها كما أطاق كيانه تمثيل هذه الوحدة في حياته الواقعة المعروضة للناس¹.

نظراً لتكاتف جهود الأمم الغربية، بما في ذلك الدول الأوروبية والأمريكية، بالإضافة إلى الهند والصين، من أجل تحقيق وحدتها وتعزيز التعاون في جميع المجالات، يجب علينا بالضرورة التفكير في

¹ - سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، في ظلال القرآن، ت: 1385هـ، دار الشروق، بيروت - لبنان، ط 17، 1412 هـ، ج 1، ص 283.

وحدثنا كأمة إسلامية وعربية، فهذه الضرورة تأتي من الحاجة الماسة لتحقيق وحدة الأمة الصغرى (العربية) أولاً، لأنها هي الأساس والأمل لوحدة الأمة الكبرى (الإسلامية)، ولكي نستوعب هذا وجب علينا أن ندرك أن الأمم الغربية لن تقبل بوحدتنا إما كعرب أو كمسلمين، حيث إنهم يعملون بجد وفق استراتيجية محكمة منذ وقت طويل لتعطيل هذه الوحدة، وهذا يتضح من خلال بعض أقوالهم التي تكشف عن نياتهم وأفعالهم في هذا السياق.

قال توينبي¹ في كتابه المترجم: "إن الوحدة الإسلامية في سبات، غير أن علينا أن نتذكر أن السابح في النوم قد يفيق في أية لحظة"²، وهذا القول ينسجم مع واقع المسلمين فمهما بدت أمتهم غافلة أو متفرقة في بعض مراحل التاريخ، فإن في أعماقها طاقة كامنة وبذور يقظة قادرة على استعادة وحدتها متى استجابت لسنن الله في النهوض والبعث من جديد.

ويقول سالازار³ دكتاتور البرتغال السابق: "إن الخطر الحقيقي على حضارتنا هو الذي يمكن أن يحدثه المسلمون حين يغيرون نظام العالم!" ولما سأله أحد الصحفيين ولكن المسلمين مشغولون بخلافاتهم عنا أجابه: "أخشى أن يخرج من بينهم من يوجه خلافهم إلينا"⁴.

ونتاجا لما سبق عندما نتحدث عن الوحدة فإننا نعني الوحدة الشاملة في جميع جوانب الحياة، فالوحدة تشمل الجوانب الروحية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية في حياة الفرد، وهي مقصد شرعي وقيمة قرآنية وسلوك واقعي يجب أن نسعى جاهدين لتحقيقها.

¹ - أرنولد جوزف توينبي (1889-1975): مؤرخ وفيلسوف بريطاني، عُدد من أبرز مفكري القرن العشرين، وأشهر مؤلفاته "دراسة التاريخ" في 12 مجلداً، وصاحب نظرية "التحدي والاستجابة" في فلسفة التاريخ.

² - أرنولد توينبي، الاسلام والغرب والمستقبل، دار العربية، بيروت، 1983، ص 73.

³ - سالازار أنطونيو دو أوليفيرا (1889 - 1970م). كان حاكماً مستبدًا للبرتغال، من عام 1933م إلى عام 1968م. أصبح رئيساً للوزراء عام 1932م. ثم أعلن في العام التالي دستوراً جعله حاكماً استبدادياً. منذ عام 1968م بدأ يعاني من شلل في الدماغ عجز معه عن القيام بواجباته أقام سالازار دولة عسكرية، فوضع النقابات تحت إدارة الحكومة ومنع حرية الصحافة والحرية السياسية، وأقام الاقتصاد على قواعد محكمة، ولكنها كانت على حساب الأجور، ورفاهية كثير من المواطنين في سنة 1968م أبعد سالازار عن الحكم بطريقة لم يكن يتوقعها، وتولى السلطة مكانه مارسيلو كايانو، وتوفي سالازار بعد ذلك بستين. انظر الإصدار الإلكتروني للموسوعة العربية العالمية حرف السين.

⁴ - محمد الحارثي، العولة والهوية، جامعة فيلادلفيا، ط 1، 1999، ص 169

خاتمة الفصل:

في هذا الفصل استعرضنا المفاهيم المختلفة للقرآن الكريم، بدءًا من الفهم اللغوي لكلمة "القرآن" وصولاً إلى المفهوم الاصطلاحي والتاريخي لنزوله، وتناولنا أيضًا المفاهيم المتعددة لكلمة "السنة"، سواء كانت في سياق الحديث أو الفقه أو العقيدة، وكيف يمكن أن تشمل مفهوم السنة الإلهية ومعجزات الأنبياء والرسل، ثم تناولنا مفهوم الوحدة، سواء من الناحية اللغوية أو الاصطلاحية أو الشرعية، موضحين كيف أن الوحدة تتجلى في كل جوانب الحياة والدين، وفي الختام ندرك أن هذه المفاهيم تمثل الأساس الذي يركز عليه الإيمان والفهم الصحيح للإسلام، فهي ليست مجرد مفاهيم نظرية، بل هي حقائق دينية وثوابت توجه حياة المسلمين في كل جوانب حياتهم، وتعكس هذه المفاهيم العمق الروحي والفهم الشامل للدين الإسلامي، الذي يشدد على الوحدة والتوحيد في جميع جوانب الحياة والإيمان.

الفصل الأول:

سنن وحدة الكون في القرآن الكريم

تمهيد:

إن مفهوم الكون في اللغة هو الحدث وكونه، أحدثه¹ وفي الاصطلاح هو عبارة عن وجود العالم من حيث هو عالم، وهو مرادف للوجود المطلق العام عند أهل النظر² فالكون يشمل الوجود كله من الإنسان والعالم العلوى والعالم السفلى، والذرات، ونلاحظ أن في القرآن الكريم ذكرت وحدة الكون فيه بشكل واضح ومتكرر، وواحدة من هاته الآيات التي تبرز هذه الفكرة هي قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾³، مما يشير إلى الخلق الأول الذي أحدث الله السماوات والأرض، كما يشير القرآن إلى توازن وتناغم الكون وكيفية تكامل الأجرام السماوية والأرض والماء والنباتات والحيوانات في كثير من المواضع، وتُظهر هذه الآيات الحكمة الإلهية والتنظيم في الكون مما يشير إلى وحدة وتناغم الخلق، وللخوض أكثر في هذا الطرح قسمنا هذا الفصل إلى مبحثين، تناولنا في المبحث الأول "الوحدة في المنظومة الكونية"، أما المبحث الثاني فتطرقنا فيه إلى "الأبعاد العقدية لنظام الوحدة الكونية"، وختمنا الفصل بخلاصة لما سبق.

¹ - الفيروزابادي، القاموس المحيط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1977، ج 04، ص 259، مادة (كون).

² - الجرجاني، التعريفات، تح: إبراهيم الإيباري، دار الريان للتراث، بيروت، مادة (كون)، 1983، ص 241.

³ - سورة الأنبياء: الآية 30.

المبحث الأول: الوحدة في المنظومة الكونية:

الوحدة في المنظومة الكونية هي فكرة أساسية في العديد من العلوم وتشير هذه الفكرة إلى أن الكون وكل مكوناته مترابطة ومتفاعلة في نظام واحد مما يعني أن كل شيء في الكون يؤثر على كل شيء آخر وأن الأحداث والظواهر في مكان ما يمكن أن تؤثر على أحداث وظواهر في أماكن بعيدة، والقرآن الكريم يُشدد بشكل كبير على الوحدة في المنظومة الكونية وعلى وحدة الخالق ويحتوي على العديد من الآيات التي تُظهر الوحدة والتناغم في الكون وتؤكد على وجود الله الواحد الذي هو الخالق والمدير لكل شيء.

المطلب الأول: سُنّة النظام والاتساق الكوني:

ومن أبرز الآيات التي تُجسّد هذا النظام الكوني الدقيق والمتناغم قوله تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾¹، فقد اشتملت هذه الآية على دلالات عميقة حول إحكام النظام الكوني وعدم عبثية حركة الأجرام السماوية مما يستدعي وقفة تأملية عند أقوال المفسرين.

ففي "في ظلال القرآن"، يرى سيد قطب أن هذه الآية تقرر حقيقة دقة النظام الكوني الذي يحكم هذه الأجرام وأن لكل نجم أو كوكب فلكاً أو مداراً لا يتجاوزه في جريانه أو دورانه، وهي تُقرر أن حركة الشمس والقمر ليست عشوائية بل هي حركة مضبوطة بتقدير العزيز العليم فلا يمكن للشمس أن تلحق بالقمر فتجتمع به ولا يمكن للليل أن يسبق النهار فيختل النظام، ويرى قطب أن في هذا إشارة إلى إتقان صنع الله ودقة تدبيره حيث يسير كل كوكب في فلكه الخاص به دون أن يعتدي على مدار الآخر مما يُظهر وحدة النظام الكوني وخضوعه لإرادة خالق واحد².

أما التحرير والتنوير لابن عاشور، فيُقدّم تحليلاً لغوياً دقيقاً؛ حيث يبيّن أن معنى {لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ} هو نفي إمكانية أن تصطدم الشمس بالقمر، ويوضح أن "انبغي" مطاوع

¹ - سورة يس: الآية 40.

² - ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة - بيروت، ط 17، 1412هـ/1992م، ج 5، ص 3050-3051. حيث فسّر قوله تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ بأنها تقرير لحقيقة دقة النظام الكوني، وأن لكل نجم أو كوكب فلكاً أو مداراً لا يتجاوزه، وأن الشمس والقمر يسيران بحساب دقيق لا يختل.

"بغى" الذي هو بمعنى طلب. "فانبغى" يفيد أن الشيء طُلب فحصل ونفيه يفيد نفي الإمكان لا نفي الوجوب، ويشير ابن عاشور إلى أن الناس كانوا يعرفون تقارب الشمس والقمر في المرأى وكانوا يقدرون سيرهما بالبروج والمنازل لكن الله بيّن أن هذا التقارب ظاهري فقط وأن أبعاد فلك الشمس تفوق أبعاد فلك القمر بمئات الملايين من الأميال مما يستحيل معه اتصال الكرتين ببعضهما، فالآية تنفي تصادمهما وتقرر أن لكلٍ منهما سيراً لا يلاقي سير الآخر وهذا كله دليل على أن النظام الكوني مبني على أساس متين من الحكمة الإلهية¹.

أما الطنطاوي في كتابه "الجواهر في تفسير القرآن" فيؤلي اهتماماً كبيراً للإشارات العلمية في القرآن الكريم وقد فسّر هذه الآية في سياق الحديث عن الإعجاز العلمي للقرآن الكريم مُبيّناً أن حركة الشمس والقمر في أفلاك محددة وعدم إدراك أحدهما للآخر وعدم سبق الليل للنهار كلها حقائق كونية ثابتة لم تُكتشف إلا في العصور الحديثة مما يدل على أن القرآن الكريم قد سبق العلم في تقرير هذه الحقائق، وهو يرى في هذه الآية دليلاً على أن الكون يسير وفق قوانين ثابتة وسنن إلهية لا تتغير وأن هذه السنن هي مظهر من مظاهر قدرة الله وحكمته في خلقه، وقد جعل طنطاوي جوهرية من هذه الآيات الكونية مدخلاً للحديث عن عظمة الخالق ووحدانيته حيث إن انتظام هذا الكون بهذه الدقة المتناهية لا يمكن أن يكون وليد صدفة بل هو دليل قاطع على وجود خالق واحد مدبر لهذا الكون².

فكلمت "لا ينبغي" تبين أن الله عز وجل اعتبرها قانوناً لا يُخرق أي أن خَلْقُ الله من نظام كوني متناسق ومتحد هو سنة لا تبدل فيها

¹ - ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984، ج 22، ص 320-321. حيث بيّن أن معنى {لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر} هو نفي إمكانية التصادم، وأن "انبغى" يفيد نفي الإمكان لا نفي الوجوب، وأن أبعاد فلك الشمس تفوق أبعاد فلك القمر مما يستحيل معه الاتصال.

² - ينظر: طنطاوي جوهرية، الجواهر في تفسير القرآن الكريم، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج 16، ص 120-121. حيث فسّر الآية في سياق الإعجاز العلمي، وبيّن أن حركة الشمس والقمر في أفلاك محددة، وعدم إدراك أحدهما للآخر، كلها حقائق كونية ثابتة تدل على قدرة الله وحكمته في خلقه.

جاءت مادة "خلق" بمشتقاتها في القرآن الكريم مائتين وإحدى وستين مرة، للتأكيد على أنّ عملية الخلق هي عملية خاصة بالله تعالى وحده دون غيره، فهي عملية لم يشاركه فيها أحد ولا يقدر عليها غيره¹.

كذلك وردت لفظة "السماء" في القرآن الكريم بالإفراد والجمع في ثلاثمائة وعشرة موضع، منها مائة وعشرون مرة بصيغة الإفراد (السماء)، ومائة وتسعون مرة بصيغة الجمع (السموات أو سماوات)². فالقرآن الكريم يستخدم اللغة بشكل دقيق ومحكم وذلك للتأكيد على تلك العقائد والمعتقدات الدينية التي جاء بها، وهذه الاستخدامات المتكررة للكلمات تعكس أهمية هذه القضايا في الإسلام وتعزز من الإيمان بالله وقدرته على الخلق والإبداع.

لكننا نجد القرآن الكريم قد أجاب على هذا السؤال بكل وضوح، وأشار إلى أن المادة الكونية الأولى للكون إنما هي من "الدخان" كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾³، ويؤكد سيد قطب في تفسير الآية: "كان هناك اعتقاد قبل خلق النجوم ما يسمى (بالسديم) وهذا السديم غاز ودخان.. والسدم من نيرة ومعتمة... ومعنى قوله: أن الله توجهت إرادته إلى خلق السماوات من (الدخان)"⁴.

ومن المثير أنه استرشد بما قاله أحمد زكي "إن نظرية الخلق تقول: "إن المجرة كانت من غاز وغبار ومن هذين تكونت بالتكثف النجوم وبقيت لها بقية ومن هذه البقية كانت السدم، ولا يزال من هذه البقية، منتشراً في هذه المجرة الواسعة مقدار من غاز وغبار"⁵.

يُفسر بعض العلماء هذه الآيات بأن البناء السماوي تشكل من دخان الذي صعد من الماء قبل أن يخلقه الله عز وجل، وهذا التفسير يُظهر القدرة الإلهية على خلق الحياة والكون من العناصر الأساسية.

¹ - انظر: زغلول راغب محمد النجار، من آيات الإعجاز العلمي: السماء في القرآن الكريم، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 2004، ص 78.

² - زغلول راغب محمد النجار، المرجع السابق، ص 78.

³ - سورة هود: الآية 7.

⁴ - سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة - بيروت، ط 17، 1412هـ/ 1992م، ج 5، ص 3114.

⁵ - أحمد زكي، مع الله في السماء، دار الهلال، مصر، د ت، ص 191 - 192.

يقول الشيخ نديم الجسر¹ في قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن: "سبحان الله العظيم! كيف تستقر هذه الأجرام الهائلة في الفضاء في توازن مدهش؟" فيجيبنا القرآن الكريم بقوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾²، ويقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾³، أما العلم فيفسر ذلك بقوة الجاذبية التي أدرك العلماء آثارها ورصدوا قوانينها المحكمة الدقيقة دون أن يبلغوا أسرارها الخفية، وهنا يلتقي العلم والإيمان؛ فالقانون المنظم حق والجاذبية حق غير أن السؤال الجوهرى يظل قائماً: هل يمكن أن يكون هذا النظام البديع وليد المصادفة العمياء؟ إنَّ العقل السليم والوجدان الحي لا يريان في هذا الإحكام إلا تجلياً لعظمة الخالق⁴.

ويقول طنطاوي جوهرى في تفسير الآية: ﴿وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا﴾⁵ أي ومن بناها؛ إنه لا يضاهيه بناء، فيما يعلم الناس، فأى بناء يستطيع أن يبنى فيه زرقاء مرصعة بالمصابيح، وتلك المصابيح تجري لا تتصادم، إلا في أوقات نادرة، وإذا تصادمت أصلحت، وهي في نفس السقف، وعادت جديدة، وكيف يتسنى له جمع أجسام عظيمة في بنائه، ما بين نارية، وأخرى صلبة، وأخرى لطيفة لطفاً أرق من الهواء ومن الضياء، وهو الأثير ... وكيف يراها الإنسان سقفاً هادئاً لا حركة فيه. فالشمس ساكنة والقمر والنجوم لا حركة فيها، ويرى هذه العوالم كأنها تتغنى والكون كله سكون، والحقيقة كلها في حركات، إن العجب ليأخذنا كل مأخذ ويدهشنا أن نكون في عالم بديع الإتقان عجيب البنيان⁶.

هذا الوصف والتفسيرات يظهر كيف يُمكن للناس الإحساس بالإعجاب والدهشة تجاه وحدة الكون، وكيف يمكن استخدام الدين والعلم لفهم واستكشاف هذه الظواهر، فهي وجهة نظر تعبيرية تُظهر إعجاب الإنسان بجمالية الطبيعة والكون وترتيبهما الدقيق، وتعكس إيمانه بالله كخالق ومدبر لهذا الكون.

¹ - نديم حسين الجسر (1897-1980م): فقيه ومفكر لبناني، شغل منصب مفتي طرابلس ونائباً في البرلمان، ترك مؤلفات بارزة منها قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن، عُرف بانفتاحه الفكري وجمعه بين البعد الديني والسياسي.

² - سورة الرعد: الآية 2.

³ - سورة فاطر: الآية 41.

⁴ - سامي عامري، براهين وجود الله في النفس والعقل والعلم، مركز تكوين للدراسات والأبحاث، السعودية، ط 1، 2018، ص 31.

⁵ - سورة الشمس: الآية 5.

⁶ - طنطاوي جوهرى المصرى، الجواهر في تفسير القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، 1933، ج 25، ص 174.

والله عز وجل لم يخلق هذا الكون سدى أو بدون هدف بل خلقهم جميعاً بغاية وحكمة ورتب الله تعالى تفاصيل الخلق بحكم عظيم يمكن للإنسان أن يدركه في وجوده وفي محيطه من المخلوقات الموجودة في هذا الكون من: حيوانات، وحشرات، ونباتات، وبحار، وأنهار، وجبال، وسهول، ورياح، وأمطار، تلك حكم متعددة ومتشابهة تؤكد تكاملها وتقديرها ببعضها البعض، تقديم صور من الجلال والإبداع والكمال، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا عَيْنَ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾¹، يخبر تعالى عن كمال قدرته وتمام حكمته وأنه ما خلق السماوات والأرض لعبا ولا لهوا أو سدى من غير فائدة².

والله عز وجل الذي خلق الأرض والبشر، هو الذي منح هذا الجنس البشري القدرة على العيش في هذه البيئة، وجعل في الأرض خصائص وتوازنات تمكن هذا الجنس من الحياة وتعزز قوته، وتوفر له وسائل الرزق والعيش، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾، أي: هيأناها لكم، بحيث تتمكنون من البناء عليها وحرثها، ووجوه الانتفاع بها³.

وخلق الله عز وجل الإنسان على الأرض وسهّل له وسائل العيش والحياة في هذه البيئة، وجعل الأرض وكل ما تحتويه وعليها متاحاً لخدمته وأحاطت بنظام كوني متناسب مع شروط الحياة، فوضع علاقة هندسية مثالية بين الشمس والقمر والجاذبية والغلاف الجوي وغيرها تناسب الحياة في الأرض، ففي هذا الإبداع والدقة يتجلى دليل على تكوين دقيق وإتقان نظام الخلق، حيث لا يظهر أي خلل أو اضطراب في نظام الحياة أو في تفاعل الإنسان مع الطبيعة، فالإنسان يجد في هذا الوجود كل ما يحتاجه من طعام وشراب وهواء ونور، حرارة ورطوبة... الخ، فقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾⁴، يعدد تعالى نعمه على خلقه،

¹ - سورة الدخان، الآية 39.

² - عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 2002، ص 497.

³ - السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المرجع السابق، ص 151.

⁴ - سورة إبراهيم، الآية 34.

بأن خلق لهم السماوات سقفا محفوظا والأرض فراشا، وأنزل من السماء ماء فأخرج به أزواجا من نبات شتى، ما بين ثمار وزروع ، مختلفة الألوان والأشكال، والطعوم والروائح والمنافع، وسخر الفلك بأن جعلها طافية على تيار ماء البحر، تجري عليه بأمر الله تعالى، وسخر البحر يحملها ليقطع المسافرون بها من إقليم إلى إقليم آخر، لجلب ما هنا إلى هناك، وما هناك إلى هاهنا، وسخر الأنهار تشق الأرض من قطر إلى قطر، رزقا للعباد من شرب وسقي وغير ذلك من أنواع المنافع¹.

من خلال ما سبق يمكن استنتاج أن القرآن الكريم يشير إلى وحدة النظام الكون السماوي وتناغم أجزائه، وكيفية تكوينها وترابط الكواكب والنجوم في الفضاء، ويظهر التفسير القرآني والتفسيرات المختلفة للمفسرين كيفية تلازم العلم والدين في فهم هذه الظواهر الكونية.

ويُعزى التفسير القرآني للظواهر الفلكية إلى الخالق الذي بنى وخلق الكون بنظام وتناغم، مما يشير إلى وحدة المصدر والتصميم وراء الكون، ويظهر القرآن الكريم أن هناك توازناً وتكاملاً في الكون، مما يشير إلى وجود خالق واحد ومنهج واحد وراء هذه الظواهر، وبشكل عام يمكن القول بأن القرآن الكريم يحتوي على آيات تشير إلى وحدة الكون والتناغم الذي يميز جميع أجزائه، ويُشجع على التأمل في هذه الظواهر لفهم عظمة الخالق وعمق الكون.

المطلب الثاني: الإبداع في اتحاد وتكامل تفاصيل الكون:

إن القرآن الكريم يشير إلى الإبداع في اتحاد وتكامل تفاصيل الكون في عدة مواضع، مما يبرز النظام والتناغم الذي يحكم الكون بأسره، ويتحدث القرآن عن تكوين السماوات والأرض والكواكب والنجوم والكائنات الحية، وكيفية تفاعل هذه العناصر المختلفة مع بعضها البعض بطريقة تظهر الحكمة والتدبير الإلهي لها، مما يُشجع على التأمل في هذه الآيات والتفكير في التوازن والتكامل والإبداع والحكمة الإلهية في كل تفصيلة من تفاصيل الكون.

¹ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، 1419هـ، ج 6، ص 259.

الفرع الأول: سُنّة التكامل الوظيفي:

تُمثل الآيات الكونية ثبوت الظواهر الناموسية في الكون عبر الزمان والمكان، وُوصفت هذه الظواهر بـ "آيات" نتيجة لثبوتها وعدم تغيرها، وذلك استنادًا إلى ما ذُكر في القرآن الكريم، فهذه الآيات ترتبط بالكون المادي من جهة وبالعلة الغيبية الإلهية من جهة أخرى.

ونقصد بسُنّة التكامل الوظيفي أنه ما من موجود إلا وله وظيفة تتكامل مع وظيفة ما حوله من الموجودات لقوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾¹، حيث تشير كلمة موزون التي تعتبر توازن البيئي المحكم في توزيع الأرزاق باختلاف الوظائف، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقْلَتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾²، حيث تبين تكامل وظائف الفيزيائية بين الرياح وتكون السحاب والمساهمة في إنبات النبات وإخراج الثمار، وقوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۚ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ ۚ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾³، هذه الآية يُربط فيها استقرار الأرض بوجود الجبال وثبات طبقة السماء وانزال الماء وانبات النبات، فنجد أن الكون متكامل بوظائفه ضمن سنن وضعها الله عز وجل.

والثوابت القرآنية مستلة من مضمونات أي الذكر الحكيم وقد رفدت القضايا العلمية بمعطيات مستمرة ومتواصلة في البحث "في أكثر من (1000) آية بهدف الاستشهاد بقدرة الخالق عز وجل غير المحدودة وعلمه وحكمته تعالى الذي خلق هذا الكون والقادر أن يخسف به ثم يعيده تارة أخرى"⁴.

وهذه الثوابت التي تجلت في القرآن على نحو الظواهر الفلكية كالكسوف والكسوف أو التغيرات الفيزيائية الأرضية كالبراكين والزلازل أو النظام التعاقبي ليل والنهار والشمس والقمر أو الإيساع الكوني

¹ - سورة الحجر: الآية 19-20.

² - سورة الأعراف: الآية 57.

³ - سورة لقمان: الآية 10.

⁴ - محمد عبد الغني حسن، تلخيص البيان في مجازات القرآن: تصنيف الشريف الرضي، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط 2، 1986، ص 103.

أو الحركة الكونية العامة للأفلاك والكواكب والعدادات الفلكية، والجذب الكوني العام بالترابط المحكم بين النجوم والشموس والمجرات والكواكب الذي لولاه لإنفرط عقد الكون وخلق السماوات والارض (التكوين والايجاد من العدم والوحدة الخالقية فوحدة الخالق تمثل قيوميته (لا اله إلا الله هو الحي القيوم)، ووحدة المخلوق تشير إلى أن كل هذه المخلوقات تعود إليه شاءت أم أبى.... وقانون النظام الكوني في الدقة والصنع إذ لا عبث في الكون مطلقا... والسباحة الفلكية وهي قانون عام يسري على كل جرم صغير أم كبير في هذا الكون الفسيح، فلا محل لشيء ساكن فيه بل الكل يسبح ويتحرك بالقوة الى غاية لا يدركها إلا الله سبحانه، مصداقها الآية: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾¹ فكل شيء غاية بمصداق هذه الآية حتى تستقر الشمس إلى غايتها²، لقوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾³ وغيرها من آيات الخلق... والمهم منها توضيحه أحداث الكون وهو ما أثبتته العلم الحديث أن الكون محدث وغير قديم إذ شاء الله أن يحدثه بالأمر الكي (كن فيكون) وما يترتب على خلقه من إيساع تمددي متواصل إلى وقتنا هذا، فالكون في توسع مستمر وتطور وتجدد بين الكينونة والفساد⁴، وإشارته القرآنية ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾⁵ إلى حدوثهما وهذا الإحداث يمثل الآية الكبرى التي يعتز بها القرآن لأنها مصدر الخلق والوجود...⁶، أما الإنهاء الكوني لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ...﴾⁷ فهو بقدرة فاعله لا نفاذ لها وهذا قد يدخل ضمن التهديد

¹ - سورة الأنبياء: الآية 33.

² - أبو الفداء إسماعيل الدمشقي ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ، ج 3، ص 520، حيث فسر قوله: ﴿يَسْبَحُونَ﴾ بأنهم "يدورون في فلك السماء".

³ - سورة يس: الآية 38.

⁴ - محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، القاهرة، 2000، ج 18، ص 220، حيث فسر قوله: ﴿لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ بأنه "إلى موضع قرارها".

⁵ - سورة فاطر: الآية 1.

⁶ - أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993، ج 14، ص 210، حيث فسر "فاطر" بأنه "الابتداء والاختراع"، ونقل عن ابن عباس قوله: "ما كنت أدري ما فاطر السماوات والأرض حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتهما، أي أنا ابتدأتهما".

⁷ - سورة الأنبياء: الآية 104.

والوعيد ومشاهد القيامة وفناء كل شيء بالإذن الإلهي وهذا الفناء شكلي الهدف منه عودة الجميع إليه¹ لذا جاء تمام الآية بقوله: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾. وسنقف بإيجاز عند إشارات من هذه الحقائق القرآنية في صفحات البحث.

فالقُدرة والسلطة الكاملة لله سبحانه وتعالى على خلق وتدمير الكون، بما في ذلك السماء والأرض، فالله عز وجل يمسك السماء ويمكنه فصل الأرض عن السماء وجعلهما متحدين ومتلاصقين بإرادته، ويمكنه أن يدمرها ويرتقهما عندما يشاء.

وفحوى قوله تعالى: ﴿وَيَمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ﴾² بالمنظور العلمي: إن الآية الكريمة - كما يقول أحد الباحثين المحدثين "لا تزال تحتوي على عمق وإعجاز... فلو هبط الأوزون إلى السماء الأولى أو إلى سطح الأرض لما بقيت حياة على سطح هذا الكوكب. طبعاً هناك موازنة طبيعية في حفظ الأوزون في أعالي السماء الثانية وعدم هبوطه إلى الأرض وهذا لطف من الله تعالى"³.

فهنا ينظف الأوزون الأشعة الشمسية من الإشعاعات الكونية الضارة فهو بمثابة مرشح ((فلتري)) يعطي الضياء فقط للبشر ويدمر الإشعاعات المسرطنة والفتاكة، والمسك يعني استمرار الانفتاح بعد الارتفاق وذلك بإذن الله أي أنّ الأرض مفصولة عن السماء وهو الانفتاح وهذا قائم إلا إذا شاء الله عودتهما مرتتقين رتقا واحدا كما في بدء الخليقة وذلك هو الانطواء الكوني العام. أو من قبيل قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾⁴.

ففي السماء حبال غير مرئية تشد المجرات والكواكب والنجوم فتجعلها تلتزم بمسارات محددة بكل منها وعيننا بذلك قوى الطبيعة الأربع الجاذبية والكهرطيسية والنووية القوية والنووية الضعيفة⁵.

¹ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 3، ص 190، حيث قال في قوله: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾: "يقول تعالى: هذا كائن يوم القيامة... كما قال تعالى: {وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ}."

² - سورة الحج: الآية 65.

³ - ضياء جواد العاملي، الكاشف العلمي في التفسير، دار الحوراء للطباعة والنشر، بغداد، ط 1، 2006، ص 155.

⁴ - سورة الفرقان: الآية 61.

⁵ - عدنان الشريف، من علم الفلك القرآني "الثوابت العلمية في القرآن الكريم"، دار العلم للملايين، بيروت، ط 1، 1991، ص 63.

ومنها ما يتصل بالشمس والقمر من المنظار القرآني والعلمي حيث الحركة والطاقة والوجود من قبيل قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا﴾¹ وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا...﴾² وهذه هي الحقيقة العلمية، فالشمس جرم مستقل يستمد ضيائه من ذاته والقمر جرم بارد يستمد نوره من الشمس.

وعلى ما تقدم فإن الآيات الكونية تشير بإصبع الدلالة إلى أنظمتها العلية أو عللها في المنطقة النظامية ذلك أن كل شيء كما يقول السيد الشهيد الصدر الأول "في هذا الكون الواسع يحمل معه قانونه الرباني الصارم الذي يوجهه ويرتفع به مدى ما يتاح له من ارتفاع وتطور..."³ ولذا تصلح أن تكون هذه - وبحكم التسبيب العلمي - الثابت تأصيلاً لجميع الظواهر العلمية في الكون لكونها "تحمل عدة حقائق علمية غير قابلة للجدل عن الكون بما أنها كلمة مستوحاة من الخالق عز وجل وبالتالي الحقيقة المطلقة"⁴، وإن هذه الحقائق المبثوثة في الكون على وفق نظام ثابت يسميها القرآن الكريم سنة لا تحويل عنها ولا تبديل لها لا اضطراد تحقق القانون فيها وتمثلها (الاحتمية السببية)، فكل شيء بمقدار موزون وبمعدلات نظامية مضبوطة (مكممة) وفق النظام الإلهي العام.

مما سبق نجد أن القرآن الكريم يحتوي على معلومات دقيقة حول الكون وظواهره الفلكية والفيزيائية وتكامله حيث يصف الكون بدقة، مثل الحركة الكونية والسباحة الفلكية، ويشير إلى الظواهر الفلكية مثل الخسوف والكسوف، وأنظمة التعاقب بين الليل والنهار، والشمس والقمر. وبشكل عام فالقرآن الكريم يحمل معلومات دقيقة وثابت تعكس الظواهر العلمية المعروفة اليوم، وكيفية أن هذه الآيات تشير إلى النظام والتوازن والتكامل الوظيفي في الكون وتؤكد على قدرة الله العظيمة في خلق وإدارة الكون.

¹ - سورة الشمس: الآية 1.

² - سورة يونس: الآية 5.

³ - محمد باقر الصدر، المرسل الرسول الرسالة، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، 1981، ص 65.

⁴ - يوسف الحاج أحمد، موسوعة الاعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، مكتبة ابن حجر، د ت، ص 312.

الفرع الثاني: سنة الزوجية في الكون:

القرآن الكريم يُشير الى العديد من الثنائيات والتناظرات التي تظهر في الكون وتُظهر الحكمة الإلهية والتنظيم الذي يرتبط بالزواج والثنائية، وهذه الثنائيات لها دلالة على النظام والتوازن الذي خلقه الله في الكون، وقد أقره الله عز وجل سنة يقوم عليه الخلق.

القرآن الكريم يقر صراحةً بحقيقة الزوجية في عدد من الآيات، قال الله عز وجل: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾¹، وقال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾²، وذهب أغلب المفسرين إلى أن هاتين الآيتين أثبتتا المتضادات والمتقابلات.

وأزواجاً أخرى متكاملة في الأنفس وفي الآفاق، فالقرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» يفسر ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، بأي صنفين ونوعين مختلفين، ويضيف: قال ابن زيد أي ذكراً وأنثى، وحلوا حامضاً، ونحو ذلك وقال مجاهد: يعني الذكر والأنثى، والسماء والأرض والشمس والقمر، والليل والنهار، والنور والظلام والسهل والجبل والجن والإنس، والخير والشر، والبكرة، والعشي وكالأمور المختلفة الألوان من الطعوم والأرياح والأصوات»³، بل يضيف بعضهم لطيفة من اللطائف القرآنية، وهي أن هذه الثنائية دليل على وحدانية الله المنزه عن كل المتقابلات، فقوله تعالى في نهاية الآية: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾؛ أي «تتعظون فيما خلق الله فتوحده»⁴، والقرطبي: «لتعلموا أن خالق الأزواج فرد، فلا يُقدَّر في صفته حركة ولا سكون، ولا ضياء ولا ظلام، ولا قعود ولا قيام، ولا ابتداء ولا انتهاء؛ إذ رجل وتر ليس كمثله شيء»⁵.

ويأتي الجذر اللغوي (ز. و. ج) في القرآن الكريم في استعمالات متعددة (فعل، اسم، مفرد، مثنى، جمع) وفي سياقات مختلفة نختار من بينها المعاني التالية:

¹ - سورة الذاريات: الآية 49.

² - سورة يس: الآية 36.

³ - أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المجلد 8، ص 15 - 16.

⁴ - تفسير السمرقندي (ت: 375هـ) المسمى (بحر العلوم ج 3، ص 280).

⁵ - أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المجلد 8، ص 15 - 16.

- أي صنفين أو نوعين مختلفين، كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، وقوله سبحانه: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾.

- رجل المرأة ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾¹، أو امرأة الرجل ﴿أَمْسِكَ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾²، وفي تسميتهما معاً بالزوج دليل على التلازم والترابط المستمر بينهما، فغياب أحدهما هو غياب للنوع البشري برمته.

- الشبيه والقرين، قال الله عز وجل: ﴿أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾³.

- الصنف والنوع، قال تعالى: ﴿وَأَنْبَتْنَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾⁴، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾⁵.

من الآيات الكريمة نستنتج أن الكون قائم على السنة الزوجية العامة من ثنائيات من ذكر وأنثى وموجب وسالب وليل ونهار، وتشمل هذه السنة النباتات والإنسان وعوالم أخرى.

الفرع الثالث: سنة التكامل النفعي:

ويُقصد به أنه ما من موجود إلا وله مصلحة ونفع في وجوده علمناه أم لم نعلم، وبالتالي فإن الكون مركب في وجوده من أجزاء متعددة على نحو تنظيمي معين يستنتج غايات هامة للإنسان، وكل جزء من أجزائه يندفع إلى تحقيق غايات معينة بالتآلف مع الأجزاء الأخرى، وكذلك مجموع الأجزاء تندفع إلى تحقيق غايات نوعية ضمن شروط دقيقة لو تخلق بعض منها بما تحقق تلك الغايات ولدب الفساد فيها⁶، فعندما ندقق النظرة في أجزاء الكون في وضعه الحالي، والأنظمة العديدة المتداخلة مع بعضها البعض والموجودة في كل كائن من المخلوقات سنجد مدى روعة الدقة والتنظيم والتخطيط فيها،

¹ - سورة البقرة: الآية 230.

² - سورة الأحزاب: الآية 37.

³ - سورة الصافات: الآية 22.

⁴ - سورة الحج: الآية 5.

⁵ - سورة الشعراء: الآية 7.

⁶ - محمد سعيد رمضان السيوط، كبرى التعيينات الكونية، دار الفكر، بيروت، ط 5، 1347، ص 92.

وكذلك في أجزاء أجسادنا، وفي الماء الذي نشربه وفي الطعام الذي نتناوله ... وفي الهواء الذي نستنشقه، وهذه الأمور تبرهن لنا بأن هذا الكون لم يخلق عبثاً، وإن وراءه خالقاً ومدبراً أوجد فيه هذا النظام البديع¹، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ وَمَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾².

ومن النسق الكوني والتوازن في خلق الله تعالى نجد أن الله تعالى جمع بين عالم الغيب والشهادة وبين السماء والأرض في نظام الكون، وبين الدنيا والآخرة في نظام الدين، والروح والجسد في نظام الإنسان والعبادة والعمل في نظام الحياة وسلوكها جميعاً في نظام موحد ليكون هذا سبيلاً إلى الله تعالى³. ففي المشهد الكوني العظيم الذي ينطبق بآيات القدرة المبدعة التي تكشف عن دقة التنظيم والتقدير، والتي تكشف عن قدرة الخالق العليم وعمق هذا الجمال في تكوينه تبرز غاية التكوين وواجباته الموكولة إليه في أجزاء كل آية متعلقة بهذا الوجود من سمائه وأرضه وما فيهما.

ففي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ...﴾⁴، ندرك أن الغاية الأولى من خلق البروج زينة السماء كما يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾⁵، ويقول الله تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾⁶، فالزينة مقصودة للناظرين المفكرين والباحثين المعتبرين، ومع الزينة الحفظ والنقاء، يقول تعالى: ﴿وَحَفِظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ﴾⁷، ويقول: ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ﴾⁸، حتى لا ينهاها ولا يندسها الشياطين، ولا ينفث فيها من شرهم ورجسهم وغوايتهم، فالمساء رمز السمو والارتفاع فالشيطان مطرود عنها مطارد لا ينهاها ولا يندسها⁹،

¹ - عبد الودود رشيد محمد، شهادة الكون: رحلات في الفضاء من واقع الحياة، دائرة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دبي، 2000، ص 133-134.

² - سورة الدخان: الآية 38-39.

³ - أنور الجندي، دراسات إسلامية معاصرة، من منشورات المكتبة العصرية صيدا، بيروت، ط 1، 1982م، ص 40.

⁴ - سورة الحجر: الآية 16.

⁵ - سورة الملك: الآية 5.

⁶ - سورة الصافات: الآية 6.

⁷ - سورة الصافات: الآية 7.

⁸ - سورة الملك: الآية 5.

⁹ - سيد قطب المتوفى، في ظلال القرآن، دار الشرق، بيروت، ط 7، 1978، ص 133.

لتبقى السماء بأهلها آمنة من شرهم، وقد أعد الله فيها حراسة مشددة، فمن حاول الصعود إلى السماء واسترق السمع يجد مع الزينة والحفظ الشهاب الراصد، فهذه غاية من غايات خلق البروج والكواكب العظام، ولأن يهتدي الإنسان بالنجوم في ظلمات البر والبحر وهو يمشى في مشارق الأرض للتجارة وكسب المال، ويقول تعالى: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾¹، قال قتادة: (إنما خلق الله النجوم لثلاثة أشياء: لتكون زينة للسماء، ومعالم للطريق، ورجوما للشياطين فمن قال غير ذلك فقد تكلف ما لا علم له به²).

أما الغاية من خلق الليل والنهار وتكوير أحدهما على الآخر فلمعرفة المواسم وأوقات العبادة والتجارة، ويقول تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾³، فالليل والنهار آيتان دالتان على أحكام نظام الله وقدرته فالليل سكون وهدوء والنهار حركة وحياة وأبصار بانتظام.

ولو بحثنا عن الغاية في خلق البحار في القرآن الكريم لوجدنا أن القرآن يرشدنا إلى أن الحياة على هذه الأرض مربوطة بوجود الماء وتصفية الهواء ونقاؤه يقول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا﴾⁴، وسخر البحر ليركبه الإنسان ويتغني من رزقه، يقول الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾⁵.

إذا فالكون مركب ومنظم بشكل دقيق وهو نتاج تنظيم نفعي، ومما سبق نجد أن هناك اتساق وترابط في الأجزاء المختلفة للكون وكيف أنها تعمل بتناغم لتحقيق أهداف محددة، وكذلك أيضا الدقة والتنظيم في الكون وفي الكائنات الحية، مُظهرًا أن هذا الكون ليس نتيجة للصدفة بل هو نتاج تخطيط وإرادة إلهية.

¹ - سورة النحل: الآية 16.

² - محمد صديق خان، فتح البيان في مقاصد القرآن، المكتبة العصرية، بيروت، 1992، ج 5، ص 227.

³ - سورة الإسراء: الآية 12.

⁴ - سورة الأنبياء: الآية 29.

⁵ - سورة الجاثية: الآية 12.

وأيضا نستنتج أن هناك أهمية للغيبيات وكيف أن الإنسان خُلق لهدف وله واجبات ومسؤوليات في هذا الكون المنظم، وتظهر الآيات القرآنية كدليل على هذا التنظيم الإلهي والغاية العظيمة لخلق الكون والإشارة إلى الله كخالق والمدير لهذا النظام الجميل.

المطلب الثالث: سُنّة التسخير في الكون:

والقصد هنا هو تسخير ما في الكون للإنسان، فوحدة التسخير في القرآن الكريم تشير إلى الفكرة التي تُظهر أن كل شيء في الكون خُلق ومُنظم بشكل دقيق بواسطة الله عز وجل، ويشير القرآن الكريم إلى أن الله الواحد والمتفرد هو الخالق والمدير لجميع الكواكب والأجرام السماوية والأرض وكل ما فيها، حيث تتناولها العديد من الآيات في القرآن الكريم مُظهرة بذلك أن الكون لا يعمل بصورة عشوائية أو من دون هدف، بل هو جزء من منظومة متكاملة خُلقت وفقاً للإرادة الإلهية.

فالتسخير لغة: من سخر وقيل: السين والخاء والراء أصل مطرد مستقيم يدل على احتقار واستذلال، من ذلك قولنا سخر الله عز وجل الشيء، وذلك إذا ذل لأمره وإرادته¹، والتسخير: تذليل الشيء وجعله منقاداً للآخر وسوقه إلى الغرض المختص به قهراً²، ومنه قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾³، أي: ذللّهما، وكل ما ذل وانقاد أو تهيأ لك على ما تريد فقد سخر لك⁴.

والتسخير في الاستعمال القرآني ورد بكلمة (سخر) في القرآن (42) مرة، والذي يخص التسخير منها (27) مرة⁵.

وفي الاصطلاح عُرّف بأنه "قيام الله عز وجل بتمكين الإنسان من استخدام مظاهر الكون في تطبيقات كلية ونافعة له في المجالات الحياتية المختلفة بغير مقابل يقدمه الإنسان، إذ إنّ الله تعالى سخر

¹ - انظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، تح: محمد عبد السلام هارون، دار الفكر للنشر والتوزيع، د ت، ج 3، ص 144.

² - انظر: الراغب الأصفهاني، مفردات الفاظ القرآن، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، 2004، ص 402.

³ - سورة ابراهيم: الآية 33.

⁴ - ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1414هـ، ج 4، ص 353.

⁵ - انظر: عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، مطبعة دار الكتب المصرية، 1364هـ، ص 347 - 348.

له ذلك تفضلاً وامتناً¹، وإن مبدأ التسخير يحتم على الإنسان أن ينظر إلى الطبيعة بعين الواقع لتتجلى له حكمة الله جل وعلا التي اقتضت ذلك التطويع والتسخير للأرض والسماء وجعلها في خدمة الإنسان كونه مستخلفاً من الله تعالى؛ لأنه "المستأمن من قبل الله تعالى على مصادر الثروة في الكون ليدبر أمرها ويدير شأنها وفقاً للروح العامة لملكية الله تعالى"².

والتسخير يعد من أهم العناصر في نظرية الخلافة، ويعتبر جزءاً أساسياً من أسسها، ففي تصوّر الخلافة يمكن اعتبار الكون الذي خلقه الله تعالى مستقراً ومستعداً لخدمة الإنسان، وبناءً على ذلك يُعد التسخير وسيلة للإنسان تمكنه من التقدم نحو الحلقة النهائية في سلم التوازن التمكيني وهي الاستخلاف، فالتسخير هنا يُمثل القوة والسلطة التي يمكن للإنسان من خلالها تحقيق توازن وتمكين في حياته، "قهر الفاعل في فعله بحيث يفعله على ما يستدعيه القاهر ويريده، كتسخير الكاتب القلم للكتابة، وكما يسخر المولى عبده والمخدوم في أن يفعل باختياره وإرادته ما يختاره ويريده المولى والمخدوم والأسباب الكونية كائنة ما كانت تفعل بسببيتها الخاصة ما يريد الله سبحانه من نظام يدبر به العالم الإنساني"³.

وتشمل آيات تسخير المخلوقات والبشر مجموعة متنوعة في القرآن الكريم، وتتعامل هذه الآيات مع عدة جوانب من الكون والبيئة... الخ، بما في ذلك العناصر المكونة للبيئة التي تحيط بالإنسان، ولفهم التسخير أكثر سنقوم بعرض آيات خاصة به:

1. تسخير السماوات والأرض:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾⁴.

¹ - السميسم سلام عبد الكريم، التوازن الاقتصادي، دار مجدلاوي للنشر، الأردن، ط 1، 1432هـ، ص 69.

² - محمد باقر، الاسلام يقود الحياة، مركز الابحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر، قم - إيران، ط 1، د ت، ص 69.

³ - محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، اسماعيليان، إيران، 1997، ج 16، ص 228.

⁴ - سورة لقمان: الآية 20.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾¹.

2. تسخير السحاب:

قال تعالى: ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾².

3. تسخير الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار:

قال تعالى: ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾³.

قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾⁴.

4. تسخير البحر والفلك والأهوار:

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾⁵.

قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾⁶.

5. تسخير الطير:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾⁷.

¹ - سورة الحج: الآية 65.

² - سورة البقرة: الآية 164.

³ - سورة الأعراف: الآية 54.

⁴ - سورة النحل: الآية 12.

⁵ - سورة النحل: الآية 14.

⁶ - سورة إبراهيم: الآية 32.

⁷ - سورة النحل: الآية 79.

6. تسخير الجبال:

قال تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾¹.

قال تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾².

7. تسخير البدن:

قال تعالى: ﴿وَالْبَدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾³.

قال تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ خُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾⁴.

إن المتأمل لآيات التسخير يؤكد قوة العلاقة والتوازن والانسجام بين الإنسان والكون والبيئة، وهذا التنوع في أشكال التسخير يعود إلى الواقع التنظيمي للحياة الإنسانية الذي يستدعي التوازن في توزيع الأرزاق، وتنويع الطاقات، واختلاف الحاجات، وتعدد المواهب، ولم يجعل الله لأية حالة طبقية أو فئوية ميزة بحسب ميزان القيمة عنده أو في حركة التشريع، بالمعنى التسلسلي المفروض على الناس⁵.

ومن آثار التوازن في التسخير من مجموع هذه الآيات يمكن أن نستفيد منها الآتي:

أولاً: إنَّ الإنسان أكمل جميع الموجودات في هذا العالم، فهو خليفة الله، وقلبه مستودع نوره، ونرى أن الشريعة الإسلامية تعطي للإنسان القيمة الكبيرة بحيث تُسخر له كل ما في الكون.

¹ - سورة ص: الآية 18.

² - سورة ص: الآية 36.

³ - سورة الحج: الآية 36.

⁴ - سورة الحج: الآية 37.

⁵ - انظر: محمد حسين فضل الله، من وحي القرآن، دار الملاك للطباعة والنشر والتوزيع، ط 20، 1998، ص 235.

ثانياً: يتضح أنّ التسخير ليس المقصود منه إنّ جميع هذه الكائنات هي تحت إمرة الإنسان، بل هي بقدر معين تدخل ضمن منافعه وخدمته، وعلى سبيل المثال، فإنّ تسخير الكواكب السماوية من أجل أن يستفيد الإنسان من نورها أو لفوائد أخرى¹.

ثالثاً: إنّ التوازن المتنوّع في هذا التسخير والنظام دليل واضح على عظمة الخالق وقدرته وحكمته في تطويع مخلوقاته كافة، ومن مظاهر رحمته بالناس تسخير الكون وموجوداته لهم، وجعلها خاضعة لإرادتهم، وأنّ يستثمروا عملياً كل القوى الموجودة فيها، بما يحقق لهم الراحة والطمأنينة والقوة والاستمرار.

وقد أثبتت التجربة الإنسانية أن تساوي الجميع على صعيد واحد، ليس أمراً واقعاً؛ لأن طبيعة الحياة تفرض التنوع في كل شيء، ومنها عالم الحيوان والنبات والجماد، كما تفرض تبادل الخدمات واستخدام بعض الناس لبعضهم الآخر، ما يجعل القيمة المشتركة في عمق الأمور شاملة للناس جميعاً، ولذلك فقد لا يكون من الطبيعي الحديث في مجال التقنين والتنظيم عن مساواة مطلقة بين الناس، بل المفروض هو الحديث عن المساواة في الحقوق وتوفير الفرص للجميع على أن لا يفضل شخص على آخر إلا من خلال كفاءته ودوره المميز في ما يقدمه للحياة والمجتمع، ليتحرك التوازن في دائرة التنوع، لا في دائرة إلغاء الخصوصيات².

ومما سبق نجد أن القرآن الكريم يُظهر الكون وكل مكوناته أنه خُلق ونُظم بدقة وتنظيم بواسطة الله، وأن الإنسان له السلطة لاستخدام موارد الكون والتسخير منها في خدمته، فمفهوم التسخير كما ورد في القرآن الكريم، يُظهر أن الله قام بتمكين الإنسان لاستخدام موارد الكون بطريقة تفيده وتفيد المجتمع، مما يُظهر العلاقة الوثيقة والتوازن بين الإنسان والبيئة التي يعيش فيها.

بالإضافة إلى ذلك فإنّ التسخير لا يعني فقط التحكم الكامل في المخلوقات، ويتعين على الإنسان أن يكون حكيماً ومسؤولاً في استخدام موارد الكون والتسخير منها، وأن يُظهر الاحترام والرعاية لجميع المخلوقات.

¹ - انظر: ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، دار الكتب الإسلامية، بيروت، 1992، ج 7، ص 337.

² - انظر: فضل الله، من وحي القرآن، المركز الإسلامي الثقافي، 1979، ج 20، ص 236.

المطلب الرابع: سنة الانقياد الكوني لله عز وجل:

مفهوم الانقياد لغة: هو الطاعة والخضوع¹، ومنه قول الإمام السجاد: «وانقاد كل عظيم لعظمته»². ويقابله التمرد والعصيان³.

أما مفهوم الانقياد اصطلاحاً فقد يستعمل الفقهاء لفظ الانقياد ويريدون به نفس المعنى اللغوي، أعني الامتثال والطاعة والخضوع كما في قولهم: يجب على الرعايا في الجهاد طاعة الإمام والانقياد لقوله واجتهاده فيما يراه⁴.

وقولهم: يجب على أهل الذمة الانقياد لحكم المسلمين⁵.

وقولهم: الفقيه الجامع لشرائط الفتوى نائب من قبل الأئمة عليهم السلام في حال الغيبة يجب التحاكم إليه والانقياد لحكمه⁶.

إلا أن لهم استعمالاً خاصاً له حتى صار مصطلحاً في علم الأصول وهو: امتثال المكلف لما يعتقد كونه تكليفاً مع عدم مطابقته للواقع⁷.

كما لو اجتنب عن المائع باعتقاد كونه خمراً فبان مائاً، ويسمى الانقياد بهذا المعنى بالطاعة الحكيمة⁸، كما يسمى العمل المطابق للواقع بالطاعة الحقيقية⁹.

(الانقياد) لما دلت عليه المنافي لترك ذلك، قال الله عز وجل: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾.

¹ ابن الأثير، النهاية، مؤسسة اسماعيليان، 1985، ج 2، ص 43.

² ابن منظور، لسان العرب، ج 4، مرجع سابق، ص 127.

³ محمد باقر المجلسي، البحار، تح: السيد إبراهيم الميانجي، محمد الباقر البهبودي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، بيروت، 1983، ج 90، ص 177.

⁴ ابن منظور، لسان العرب، ج 9، ص 251.

⁵ العلامة الحلي، التذكرة، تح: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، 1419هـ، ج 9، ص 59.

⁶ العلامة الحلي، التذكرة، مرجع سابق، ص 348.

⁷ المحقق الكركي، رسالة صلاة الجمعة (رسائل المحقق الكركي)، تح: الشيخ محمد الحسون، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، 1409هـ، ج 1، ص 142.

⁸ المولى علي الروزدي، تقريرات (الشيرازي)، 1414هـ، ج 3، ص 276.

⁹ مرتضى الأنصاري، فرائد الاصول تراث الشيخ الاعظم، كل وردي، 1281هـ، ج 2، ص 180.

أي: بلا إله إلا الله ﴿وَالِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾¹، ومعنى {يُسَلِّمُ وَجْهَهُ} أي: ينقاد، وهو محسن موحد، ومن لم يسلم وجهه إلى الله ولم يك محسناً فإنه لم يستمسك بالعروة الوثقى، وهو المعني بقوله عز وجل بعد ذلك: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾².

وقد جاء الانقياد في عدة آيات من القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾³، وقد أشار سيد قطب في تفسيره "في ظلال القرآن" إلى أن هذه الآية تصور مشهداً كونياً مهيباً يبرز حقيقة الانقياد الشامل لله عز وجل حيث يسجد له كل من في السموات والأرض من كائنات حية وجمادات، مما يعكس خضوع الكون بأكمله لإرادة الله ونظامه، وأن هذا السجود لا يقتصر على العاقلين من البشر والملائكة بل يشمل حتى الجمادات والنباتات والحيوانات كل بحسبه فهي مسخرة منقاداً لأمر الله عز وجل وهذا الانقياد الكوني دليل على وحدانية الله وكمال قدرته وأن من يستكبر عن هذا الانقياد ويأبى الخضوع لله فقد استحق العذاب⁴.

في تفسير سيد قطب نجد أنه يعبر في هذه الآية عن موكب الكون الموحد يصور لنا على أنها تحشد خلائف هائلة من الأفلاك والأجرام والجبال والشجر والدواب والملائكة في موكب واحد متناسق يتجه كله بالسجود والانقياد والخضوع لله وحده دون سواه سبحانه عز وجل.

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾⁵، وقد بين عبد الكريم الخطيب في "التفسير القرآني للقرآن" أن هذه الآية تُقرر حقيقة الانقياد الشامل لله عز وجل وأن السجود لله تعالى في هذه الآية يشمل السجود الاختياري للمؤمنين والسجود الاضطراري للكافرين الذين يسجدون لله عند الشدائد أو يسجدون اضطراراً بخضوعهم لقوانين

¹ - سورة لقمان: الآية 22.

² - سورة لقمان: الآية 23.

³ - سورة الحج: الآية 18.

⁴ - ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة - بيروت، ط 17، 1412هـ/1992م، ج 4، ص 2260-2261، حيث فسر قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ...﴾ بأنها تصور مشهداً كونياً مهيباً يبرز حقيقة الانقياد الشامل لله، وأن السجود لا يقتصر على العاقلين بل يشمل الجمادات والنباتات والحيوانات، كل بحسبه، وهي مسخرة منقاداً لأمر الله.

⁵ - سورة الرعد: الآية 15.

الله الكونية التي لا يستطيعون الخروج عنها كما يشمل سجود الظلال التي تتبع الأجسام في حركتها وهذا كله دليل على أن الكون بأسره منقاد لله عز وجل وأن الانقياد لله هو سنة كونية لا تختص بالمؤمنين وحدهم بل تشمل جميع المخلوقات¹.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾²، وقد فسّر الشيخ محمد سيد طنطاوي في "التفسير الوسيط" هذه الآية بأنها تُظهر أعلى درجات الانقياد وأكملها حيث خاطب الله عز وجل السماوات والأرض أمراً بالانقياد لخلقهما وإيجادهما على النظام الذي أراده فأجابتا بالطاعة والانقياد التام وهذا يدل على أن الانقياد لله عز وجل هو سنة متأصلة في الكون كله وأن السماوات والأرض بجميع ما فيهما مخلوقات منقادة لأمر الله تعالى لا تملك من أمرها شيئاً وهذا الانقياد الكوني يجب أن يكون قدوة للإنسان في انقياده لله وطاعته لأوامره واجتناب نواهيه³.

الانقياد لله يتجلى في جميع عناصر الكون، بدءاً من السماء والأجرام السماوية وصولاً إلى الأرض والحيوانات والإنسان، تنسجم الكواكب والنجوم في مدارات دقيقة وحركات متناغمة، يعكس ذلك انقيادها للقوانين السماوية التي وضعها الله تعالى، أما الأرض فتتبع حياة من باطنها والطبيعة تتلاحم في تناغم يعكس إرادة الخالق، وبشكل عام يُظهر كل جزء في هذا الكون العظيم الانقياد لله بالالتزام بالقوانين والنظام الذي وضعه الله، مما يُبرهن على السيادة الكاملة لله وقوته في خلق وإدارة الكون بأكمله.

¹ - ينظر: عبد الكريم يونس الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت، ج 6، ص 230-232، حيث بين أن السجود لله يشمل السجود الاختياري للمؤمنين، والسجود الاضطراري للكافرين الذين يسجدون لله عند الشدائد أو يسجدون اضطراراً بخضوعهم لقوانين الله الكونية، كما يشمل سجود الظلال التي تتبع الأجسام في حركتها.

² - سورة فصلت: الآية 11.

³ - ينظر: محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نضرة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، 1997، ج 12، ص 215-216، حيث فسّر قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ...﴾ بأنها تُظهر أعلى درجات الانقياد وأكملها، حيث خاطب الله السماوات والأرض أمراً بالانقياد لخلقهما وإيجادهما على النظام الذي أراده، فأجابتا بالطاعة والانقياد التام.

المبحث الثاني: الأبعاد العقدية لنظام الوحدة الكونية:

يتناول القرآن الكريم في آياته الكثير من القضايا والمفاهيم العميقة التي تتعلق بالأبعاد العقدية لنظام الوحدة الكونية، حيث يشدد القرآن الكريم على وحدانية الله وعظمته، ويدعو إلى الله الخالق الوحيد والمسيطر على كل شيء في هذا الكون، وفي سياق الوحدة الكونية يُظهر القرآن الكريم الروابط العميقة بين البشر والكون، حيث يشير إلى أن كل شيء في الكون خُلق بالحكمة الإلهية وأن لكل جزء من الكون دوره الخاص وهدفه المحدد في الخلق والتطور.

المطلب الأول: دليل الخلق:

في القرآن الكريم تجد الإشارات والأدلة التي تشير إلى أن الله عز وجل خلق الكون، يؤكد القرآن على الحكمة والإرادة الإلهية في خلق كل شيء ويشدد على وحدانيته عز وجل وعظمته، هذه الدلائل تظهر كدليل قاطع على الخلق الإلهي، وتدعونا إلى التأمل في عظمة الخالق والوحدة الكونية والتفكير في الحكمة والغاية وراء وجودنا في هذا الكون.

الفرع الأول: قهر النظرية الداروينية:

انتشرت نظرية التطور المقدمة من قبل العالم البريطاني تشارلز داروين¹ بشكل واسع في القرن العشرين، حيث تأثر بها الناس في جميع أنحاء العالم بما في ذلك المسلمون الذين لم يدركوا حقيقة خطر هذه النظرية على عقيدتهم، ومع تقدم العلم تبين بطلان هذه النظرية من الناحية العلمية، ومع ذلك ما زالت هناك بعض الأفراد والهيئات العلمية والتعليمية في الوسط المسلم الذين يتجاهلون هذه الحقيقة ويؤمنون بهذه النظرية، سواء بسبب الجهل أو التجاهل. وهذا التمسك بما يعرض دينهم للتناقض مع معتقدات القرآن الكريم، إن عدم التفكير العميق في هذه القضية يشكل خطرًا على الإيمان. وداروين يزعم أن الطبيعة تمتلك السلطة العليا في تحديد بقاء الأنواع أو انقراضها عن طريق الاحتفاظ بالأنواع الملائمة والتخلص من غيرها، وأن تطور الكائنات وتحويلها في هذا العالم ينبع فقط من عمليات التطور، مع نشوء أشكال حياة جديدة وذلك بفعل الانتخاب الطبيعي.

¹ - تشارلز داروين: (1809 - 1882م) عالم أحياء بريطاني الجنسية، يهودي، خَرَجَ بنظرية التطور الحيواني، وزعم أنَّ الطبيعة تختار الأصلح من مخلوقاتهما للبقاء، له كتاب: "أصل الأنواع".

ورداً على هذه الشبهة نؤمن بأن الله تعالى هو الذي خلق الحياة وأتقن كل خلقها، لذا لا حاجة هناك للانتخاب الطبيعي لتطور الكائنات وتغيير صورها أو أشكالها لتصبح أكثر تكيفاً وصلاحية، فالإيمان بالخالق يفسر التنوع الحيوي والتكيف الذي نراه في العالم الطبيعي، وهو يبرهن على الحكمة والقدرة الإلهية في خلق الحياة بأشكالها المتعددة وتنوعها، حيث يقول الله عز وجل: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، ثُمَّ هَدَى﴾¹.

وقال تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾²، وقال عز وجل: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾³، هذه الآيات تشير إلى الكمال في قدرة الله تعالى وحكمته في خلق المخلوقات، فليس هناك حاجة إلى عمليات انتقاء طبيعي لتحويل الكائنات الحية لتصبح كاملة، فجميع الكائنات الحية مكتملة ومتكاملة منذ بداية خلقها، فالحياة نفسها وكل ما في هذا الكون والعالم هو من صنع الله وحده، والإنسان لا يستطيع خلق شيء بمفرده ففوة الطبيعة غير قادرة على خلق التحولات وتشكيل التراكيب العضوية الجديدة في الكائنات الحية كما يزعم داروين.

فإن الله يقول: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾⁴، والله عز وجل يتحدى من يدعي خلق كل شيء أن تدبر أمره أن يخلق ذبابة، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبَ مَثَلٍ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾⁵، فكل شيء في هذا الكون يسري بإرادة الله عز وجل، وليس بقدرة الطبيعة.

ويقول الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي: "أما حديث "داروين"، فهو ليس أكثر من نظرية باعترافه هو، وباتفاق سائر العلماء الآخرين؛ سواء منهم مَنْ أيدته أم مَنْ خالفه، وليست نظريته عن

¹ - سورة طه، الآية 50.

² - سورة المؤمنون، الآية 14.

³ - سورة السجدة، الآية 7.

⁴ - سورة النحل، الآية 17.

⁵ - سورة الحج: الآية 73.

أصل الأنواع إلا حلقة في سلسلة نظريات متلاحقة مختلفة، كلّها تفرض أنّ الحياة تطوّرت على وجه هذه الأرض تطوُّراً آلياً، ثم تفتقر عن بعضها في طرائق مختلفة لتفسير هذا التطوُّر وتحليله¹.

والقرآن الكريم يُظهر لنا في الواقع الإيمان بقدرة الله الخالق ويشير إلى أن الله قادر على خلق الكون من خلال قوله "كن فيكون"، حيث يُظهر الله قدرته المطلقة على خلق الأشياء من عدم، ويقول الله عز وجل: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يَهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾²، ويقول الطبري في تفسير هذه الآية أي "يقول تعالى ذكره مخبراً عن هؤلاء المشركين أنهم قالوا: وما يهلكنا فيفنيها إلا مرّ الليالي والأيام وطول العمر، إنكاراً منهم أن يكون لهم ربّ يفيئهم ويهلكهم"³.

لم يتمكن داروين ولا أحد من أتباعه من العثور على أحافير تثبت وجود الحلقات المفقودة بين كل مخلوق وسلفه، سواء بين السمك والتمساح، أو بين التمساح والثدييات، وكذلك بين الثدييات والقرود، وبين القرود والبشر، وينبغي أن تكون هذه الحلقات المفقودة ضخمة العدد، نظراً للفروق الكبيرة بين المخلوقات وأسلافها الذين ارتقوا عنهم وفقاً للنظرية الداروينية، ويقول في هذا الصدد مايكل دينتون: "إنّه على مقتضى كلام "داروين" يلزم أن يكون هناك البلايين من المخلوقات"⁴.

وكذلك قد رد القرآن الكريم هذا الادعاء - إذ ينفي داروين قدرة الخالق - فله سبحانه وتعالى الحكمة البالغة والقدرة المطلقة، وهو الذي خلق جميع المخلوقات في أكمل صورها، حيث بيّن اله تعالى كيفية إيجاد النبات والحيوان في قوله ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾⁵، والله هو الذي لم يخلقها من عدم وإنما أصل مصدرهما هو الماء ذلك لتبين وحدانية الله وقدرته.

¹ - محمد سعيد رمضان البوطي؛ كبرى اليقينيات الكونية، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1997، ص 254.

² - سورة الجاثية، الآية 24.

³ - الطبري محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: مكتب التحقيق والإعداد العلمي في درا الإعلام، دار ابن حزم بيروت - لبنان، ودار الإعلام، عمان - الأردن، ط 1، 2002، ج 25، ص 184.

⁴ - م. دينتون، التطوُّر والنشوء والارتقاء نظريّة في محنة، ص 310.

⁵ - سورة نوح، الآية 17.

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنَ النَّخْلِ قِنَوانٌ دَانِيَةٌ وَجَعَلْنَا مِنَ الْأَعْنَابِ وَالزَّيْتُونِ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ¹﴾.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَيِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكَُمْ اللَّهُ فَالِقُ تُوْفُكُونَ²﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكَُمْ اللَّهُ فَالِقُ تُوْفُكُونَ³﴾ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَْ تَفْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ* وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ* وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِّنْ نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ* وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنَ النَّخْلِ قِنَوانٌ دَانِيَةٌ وَجَعَلْنَا مِنَ الْأَعْنَابِ وَالزَّيْتُونِ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ⁴﴾.

وفي خلق هذه النباتات والثمار لها حكمة فهي تسخيرها للإنسان والحيوان حيث قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعُمُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ⁵﴾.

فالقرآن الكريم قد أثبت بأن كل الأحياء من الماء، فلا يمكن أن توجد الكائنات الحية بدون هذا المصدر، حيث قال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ⁶﴾.

يقول الطبري في تفسير هذه الآية: "يقول تعالى ذكره: وأحيينا بالماء الذي نزل من السماء كل شيء، أي كل شيء حي خلق من الماء. فإن قال قائل: وكيف خص كل شيء حي بأنه جعل من الماء دون سائر الأشياء غيره، فقد علمت أنه يحيا بالماء الزروع والنبات والأشجار وغير ذلك مما لا حياة له،

¹ - سورة الأنعام، الآية 99.

² - سورة الأنعام، الآية 96-99.

³ - سورة السجدة، الآية 27.

⁴ - سورة الأنبياء، الآية 30.

ولا يقال له حي ولا ميت؟ قيل: لأنه لا شيء من ذلك إلا وله حياة وموت، وإن خالف معناه في ذلك معنى ذوات الأرواح في أنه لا أرواح فيهن وأن في ذوات الأرواح أرواحاً¹.

وزعم داروين أن الإنسان هو نتيجة لعملية التطور، حيث يشترك مع الحيوانات العليا والقرد الشبيهة بالإنسان في تاريخه التطوري، وفقاً له فإن الكائنات الحية تتفرع بشكل عام من أصل بدائي واحد، وكانت هناك أحياء بدائية ذات خلية واحدة أو عدة خلايا تطورت في المستنقعات الدافئة، وفي هذه العملية التطورية يتطور الإنسان ويتقدم من حالاته الأدنى إلى الحالات الأعلى والأكثر تطوراً، ومن وجهة نظر داروين لا يوجد فرق أساسي بين الإنسان وبين الحيوانات الأخرى، إلا في درجة التطور وليس في النوع، وبالتالي يُعْتَبَرُ الإنسان في نظر داروين مجرد فرع تطوري لنوع واحد من القرد.

ورداً على هاته الشبهة تناول القرآن الكريم مواضيع تتعلق بنشأة الإنسان بشكل واضح ومحدد، متناقضاً بذلك مع النظريات التي طرحها داروين، بينما استند داروين إلى فكرة التطور والتكاثر كمصدر لنشوء الكائنات الحية، وأوضح القرآن الكريم أن الله هو المخلص لخلق الإنسان، بدأت عبادة الله الإنسان مع خلق آدم عليه السلام وهو أبو البشر، حيث نفخ الله تعالى فيه من روحه ومر به بمراحل فريدة.

إن القرآن الكريم قد بيّن لنا أن الحياة في هذا العالم لها حكمة خاصة، وأن هناك وظيفة معينة للبشر في هذه الحياة وأنهم مسؤولون عن تنفيذها، فالإنسان مدعو ليكون عابداً لله تعالى، وليس لمجرد أن يكون عملية حياة وموت وتكيف بين الكائنات الحية دون هدف أو غاية وراء ذلك.

الفرع الثاني: إثبات وحدانية الله:

يؤكد القرآن الكريم أن الله عز وجل هو الوحيد جل جلاله الذي يجب على كافة البشر عبادته وأنه لا يوجد إله سواه، ويرفض تعالى الشرك به بأي شكل من الأشكال سواء كان ذلك من خلال آلهة متعددة أو أي شيء آخر يشرك في عبادة الله، وتُبرز الآيات القرآنية العديدة هذا المبدأ، مُظهرة عظمة وحكمة الله البالغة وسيطرته على جميع جوانب الحياة والكون.

¹ - أبو القاسم الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة، بيروت، ط 3، 2009، ص 111.

تعد وحدانية الله تعالى من أولويات رسالات جميع الأنبياء، إذ تشكل ركيزة أساسية للديانة، فهي الأساس الذي يقوم عليه قبول الأعمال وهي السمة التي يميز بها المؤمن عن الكافر، ولقد نالت اهتماماً خاصاً في القرآن الكريم وخاصة في الآيات المكية، ويرجع ذلك إلى أنه كان من الصعب على المشركين في مكة وكذلك على من كان يعيش بينهم وعلى الوفود التي جاءت من مختلف أنحاء العرب أن يقبلوا فكرة وحدانية الله، كانوا يرفضونها بشكل عنيد وينكرونها، على الرغم من أن هذا الرفض يتعارض مع الفطرة البشرية، ويقول أبو حامد الغزالي: "وجود الله وقدرته وعلمه وسائر صفاته يشهد له بالضرورة كل ما نشاهده وندركه بالحواس الظاهرة والباطنة ثم قال: "بل" أول شاهد عليه: أنفسنا وأجسامنا وأوصافنا، وتقلب أحوالنا، وتغير قلوبنا، وجميع أطوارنا في حركاتنا وسكناتنا"¹، وفيما يلي آيتان كريمتان أثبتتا ألوهية الله تعالى ووحدانيته وهما:

قوله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾².

فعندما نعود إلى السياق الذي وردت فيه الآية الكريمة نجد أن الموضوع مرتبط بوحداية الله وقدرته على الخلق والإماتة والإحياء، وتأتي هذه الآية مصحوبة بسرد لأقوال المخالفين، أي المشركين في مكة، الذين كانوا يرددون: ﴿سَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾، وقد تكررت هذه العبارة ثلاث مرات في القرآن الكريم، ولكن الملفت للنظر أنهم لم يعترضوا على هذه العبارة عندما سمعوا القرآن الكريم يذكرها، وكانت هذه الآية أساساً للجدل حيث استند النقاش إلى نفي قضيتين رئيسيتين كان المشركون يؤمنون بهما، ألا وهما: أولاً، الولد لله، وثانياً، ووجود إله آخر معه³.

وفي بداية الآية التي ذُكرت جاءت كلا القضيتين بشكل نفي واضح، ويركز الحوار بشكل خاص على قضية الوحدانية، وهي المسألة المركزية والمثيرة للجدل في العقائد العربية الوثنية في ذلك الوقت، وكان العرب وثنيون آنذاك يعتقدون في وجود أصنام ضخمة تعتبرها آلهة، مثل العزى وإساف ونائلة، وكذلك

¹ - أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، دار المناهج للنشر والتوزيع، جدة، مج 4، 2011، ص 321.

² - سورة المؤمنون، الآية 91.

³ - الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مرجع سابق، ص 348.

اللات، بالإضافة إلى أصنام أخرى تحمل أهمية أقل، ومع ذلك يضع المشرك العربي هذه الأصنام في سياق الآلهة، وهو النقيض التام لفكرة التوحيد الذي جاء به الإسلام.

وتأتي الآية ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ﴾ في سياق محاورة المشركين الذين أنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وأنكروا البعث وبعد ذلك أصروا على اعتقاد تعدد الألوهية، وأضافوا إلى ذلك ادعاءهم بأن الملائكة بنات الله كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا اللَّهَ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ﴾¹، وجاء موقف هؤلاء المشركين في قضيتي الألوهية ونسبة البنات إليه على سبيل الحكم بذلك، لا على سبيل الطرح للمناقشة، فكانت أنسب الطرق لمحاورتهم في هذا المقام منع حكمهم هذا في الأصل، مع استصحاب الحجة العقلية التي تؤكد هذا المنع، وتثبت فساد ما اعتقدوه وجزموا به، ومعهم كل من تقول بهذا القول أي أن المنع المقترن بالسند القطعي هو الغالب على هذه المحاورة².

وظهر مما سلف أن هاتين الآيتين الكريمتين ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَا بُدَّعُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾³، يظهر في سياق التوحيد وإبطال نسبة الولد لله سبحانه وتعالى أمور تشير إلى أن الاعتقاد بوجود أولاد لله يؤدي بالضرورة إلى تعدد الآلهة، فمن المنطقي أن يرث الولد صفات والده، ولذلك كان من الضروري في سياق تأكيد التوحيد أن يُنفى فكرة وجود أولاد لله وفكرة تعدد الآلهة في نفس الوقت، وتظهر هذه الفكرة في ثلاثة سياقات مختلفة حيث يُرْفَض فيها أصل الادعاء والنتائج الخاطئة التي يمكن أن تنجم عنها⁴، وهي ظاهرة في مواضع ثلاثة:

- النهي عن اتخاذ إله غير الله مع التحذير من مغبة ذلك: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾⁵.

¹ - سورة الأنعام، الآية 100.

² - السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المرجع السابق، ص 140.

³ - سورة الإسراء، الآية 43.

⁴ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، المرجع السابق، ص 286.

⁵ - سورة الإسراء، الآية 39.

- وإبطال دعوى الولد والتشنيع على قائلها ﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾¹.
- إبطال دعوى تعدد الآلهة وتنزيه الله تعالى نفسه عن ذلك: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾².

وفي ما يلي سنحاول التطرق إلى الآيات التي تشير إلى النظام الرائع والتنظيم في الكون كدليل قاطع على وحدانية الخالق الواحد، كقوله تعالى: ﴿سُنُرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾³، ويشير السعدي في تفسيره إلى أن هذه الآية خطاب للمشككين؛ فإن راودهم الشك في صدق الرسالة، فإن الله يُظهر لهم من آياته في الآفاق - كآيات السماء والأرض - ومن الحوادث العظيمة في الكون، ما يكفي المستبصر ليدرك الحق ويوقن به⁴، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾⁵، يفسر ابن كثير هذه الآية الكريمة بوصفها تذكيرًا للكافرين بعظمة القدرة الإلهية وسلطانها المطلق حيث خلق الكون ابتداءً من رتق واحد ثم فُتق وجُعِل الماء أصلًا للحياة⁶، وهنا يلتقي البيان القرآني مع التساؤل الفلسفي العميق: كيف يمكن لهذا الانسجام الكوني المترابط أن يكون وليد المصادفة، وهو في جوهره شاهد دائم على وحدة الخالق وتفرّده بالتصرف في الوجود؟.

وقال عز وجل: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يَكُونُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ وَيَكُونُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾⁷، يبيّن ابن كثير في تفسيره لهذه الآية أن الله تعالى هو الخالق والمدبّر للسموات والأرض وما فيهما وأنه يقلب الليل والنهار ويسخّر الشمس والقمر وفق نظام دقيق إلى أجل معلوم⁸، وهنا يكشف انتظام حركة الكون عن حقيقة

¹ - سورة الإسراء، الآية 40.

² - سورة الإسراء، الآية 43.

³ - سورة فصلت، الآية 53.

⁴ - السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المرجع السابق، ص 482.

⁵ - سورة الأنبياء، الآية 30.

⁶ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، المرجع السابق، ص 324.

⁷ - سورة الزمر، الآية 05.

⁸ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، المرجع السابق، ص 458.

أن الزمن ذاته ليس فوضى عابرة بل نسيج منضبط يدلّ على أن وراءه إرادة حكيمة تُمسك بمفاتيح الوجود.

وقال عز وجل: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾¹، ولا تختلفوا في الدين الذي أُمِرتم بالتمسك به فإن الفرقة طريق ضياع وهلاك كما نبّه ابن كثير في تفسيره إلى أن الاختلاف يورث الضعف والخذلان بينما الجماعة سبيل قوة وأمان إذ لا ينهض الحق إلا باجتماع القلوب ووحدة الصف².

وقوله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾³، يبيّن السعدي أن هذه المخلوقات العظيمة تحمل دلائل ساطعة على وحدانية الله وعظيم قدرته ففي ارتفاع السماوات واتساعها وما أودع الله فيها من شمس وقمر ونجوم تجري بنظام محكم لمصالح العباد وفي الأرض الممهدة قرارًا ومعاشًا، ثم في تعاقب الليل والنهار بما فيه من تنوع الطول والقصر وما ينشأ عنه من فصول، وفي جريان السفن التي تحمل أرزاق الناس، ونزول المطر الذي يحيي الأرض بعد موتها فتُخرج الأقوات والنبات—جميع ذلك شواهد متجددة تؤكد أن الكون مسخّر بتقدير إله واحد لا شريك له⁴.

¹ - سورة آل عمران، الآية 191.

² - الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مرجع سابق، ص 75.

³ - سورة البقرة، الآية 164.

⁴ - السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المرجع السابق، ص 25.

المطلب الثاني: دليل الغاية:

وتُعرف الغاية نهاية الشيء، وتطلق عند الأصوليين بمعنى الحد الذي ينتهي عنده الحكم. ومنه التخصيص بالغاية¹، مثل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتَمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾².

إن معرفة الخالق والاعتراف بوجوده وبربوبيته تعد أمرًا أساسيًا ينبع من طبيعة الإنسان وفطرته، ففي حالة عزل الإنسان في مكان خالٍ من التأثيرات الخارجية والشوائب العقائدية سيظل قادرًا بفطرته على التعرف على وجود خالق يتحكم ويدير هذا الكون، وتظهر هذه الفطرة في القدرة على الاستدلال على وجود الله ومن ثم الانصراف نحو محبته، ويُعد رفض بعض الأفراد لفكرة وجود الخالق وجلاله من الذين ينكرون الإلهية وذلك نتيجة لانحراف فطري أو تأثير الشياطين وتلاعبها بهم، ويُظهر القرآن الكريم والسنة النبوية الطاهرة دليلًا قاطعًا على وجود هذه الفطرة، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾³، يفسر السعدي قوله تعالى ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ بأنها ما أودعه الله في العقول والقلوب من إدراك حسن الحق وقبح الباطل، وجعل في النفوس ميلًا فطريًا نحو الهداية وإيثار الصواب⁴، فهي البذرة التي تنسجم مع الشرع وتستجيب له، ما لم تُعكَّرها الشهوات أو تُضللّها الأهواء.

ويظهر دليل الغاية في الآفاق لقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتَنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾⁵، إن هذه الآية الكريمة تكشف للإنسان أفقًا واسعًا من دلائل الحق، حيث يشير السعدي إلى أن الله تعالى يُري عباده من آياته في الآفاق ما في السماء من كواكب ناطقة بنظامها، وما في الأرض من حوادث متعاقبة تشهد لقدرته، فيبصر الناظر العاقل أن هذا الكون لم يُنشأ عبثًا، وإنما يسير وفق سنن محكمة، ثم يلتفت إلى باطن الإنسان فيجد في

¹ - أبو العباس شهاب الدين القرافي، شرح تنقيح الفصول، تح: طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، القاهرة، 1973، ص 102.

² - سورة البقرة، الآية 187.

³ - سورة الروم، الآية 30.

⁴ - السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المرجع السابق، ص 407.

⁵ - سورة فصلت، الآية 53.

ذاته عالمًا آخر مركبًا من دقائق الخلق وعجائب التقدير من العصب والدماء والعقل الذي يُدرك ويعي وكلها شواهد قائمة على أن الخالق هو الحق المبين، ويضيف السعدي أن ما يقع من العقوبات على المكذبين وما ينزل من نصر على المؤمنين من جملة تلك الآيات الظاهرة التي تُقيم الحجة حتى يبلغ البيان مبلغًا لا يبقى معه للريب موضع¹، وفي حديث العلماء عن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ما يدلُّ على آيات الله في الافاق، والتي منها:

1- كلما ارتفعنا نقص الأوكسجين: يشير الله تعالى في قوله: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾²، إلى حالة محسوسة يدركها الإنسان عند الارتفاع في طبقات الجو العليا حيث يشتد عليه ضيق الصدر ويشعر بالاختناق، وهذه حقيقة أثبتها العلم الحديث إذ كلما ارتفع الإنسان عن سطح الأرض قلت نسبة الأوكسجين وانخفض الضغط الجوي مما يسبب له ضيقًا في التنفس، فجاء التعبير القرآني دقيقًا بليغًا جامعًا بين المعنى المعنوي لضيق الصدر عن الحق والمعنى الحسي الملموس في ظاهرة الصعود إلى السماء.

2- حركة الكواكب والنجوم: قال تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾³، وقد بين الطبري أن المراد بالفلك هو مجاري هذه الأجرام العلوية فهي تسير وفق نظام دقيق جعل الله فيه البروج منازل للنجوم وجعل في السماء سراجًا مضيئًا هو الشمس، وقمرًا منيرًا يعكس ضوءها⁴، وهذا الجريان المنتظم يبرز عظمة الخالق سبحانه حيث لا يصطدم كوكب بكوكب ولا يخرج نجم عن مداره، بل يسبح الجميع في فضاء واسع بأمر الله فيشهد بذلك على إحكام صنعه وكمال تدبيره، وقوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾⁵، وقد فسّر الطبري هذا القسم بأنه إشارة إلى مواقع النجوم في مطالعها ومغاربها وما يقتزن بهذه اللحظات الكونية من أحداث كبرى تكشف عن سلطان الله وهيمنته

¹ - السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المرجع السابق، ص 482.

² - سورة الأنعام، الآية 125.

³ - سورة يس، الآية 40.

⁴ - الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مرجع سابق، ص 324.

⁵ - سورة الواقعة، الآية 76.

على الوجود وتدلّ دلالة قاطعة على وحدانيته وعظمته، وإن هذا القسم القرآني ليس مجرد إشارة إلى ظاهرة فلكية بل هو استدعاء للتأمل في انتظام الكون ودقته حيث تتحول مواقع النجوم إلى علامات ناطقة تشهد بجلال الخالق وحكمته¹.

3- دوران الجبال والأرض: قال عز وجل: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾²، وقد فسر البغوي هذه الآية بأن الجبال تبدو للناظر وكأنها ثابتة راسخة في حين أنها في حقيقة الأمر تتحرك وتسير كما يسير السحاب حتى تستقر في نهاية المطاف يوم القيامة، ويشير البغوي إلى أن ما يبدو في أعين الناس ساكنًا إنما يخفي وراءه حركة عظيمة لا تدركها الأبصار لعظمة المخلوق وضخامة أبعاده تمامًا كما لا يظهر جريان السحاب على الرغم من سيره في الفضاء³، وفي هذا التصوير القرآني يبرز البعد العميق لصنعة الله عز وجل حيث يكشف لنا عن نسبة إدراك الإنسان وعجزه أمام جلال الكون وحركته السرمدية.

4- التقاء البحرين: قال تعالى: ﴿مَجَّ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يُخْرِجُ مِنْهُمَا الْمَوْجُ الْمُرْجَانُ﴾⁴، وقد فسر السعدي البحرين بأحدهما الماء العذب والماء المالح يلتقيان ويتجاوران غير أن الله جعل بينهما برزخًا يمنع أحدهما أن يطغى على الآخر، ففي هذا التلاقي العجيب تجلّ من تجليات القدرة الإلهية التي تحفظ للكون توازنه وتجعل من التضاد انسجامًا ومن الاختلاف تكاملًا⁵.

5- اهتزاز الأرض بفعل المطر: قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾⁶، وقد أوضح ابن كثير أن هذه الآية تبرز مشهدًا حيًا من دلائل القدرة الإلهية فالأرض الفاحلة الجامدة إذا نزل عليها المطر دبّت فيها الحياة فتحرّكت بعد سكوتها

¹ - السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المرجع السابق، ص 536.

² - سورة النمل، الآية 88.

³ - أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تح: محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحارثي، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، 1997، ج 1، ص 384.

⁴ - سورة الرحمن، الآية 22.

⁵ - السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المرجع السابق، ص 532.

⁶ - سورة الحج، الآية 05.

وارتفعت لما امتلأت بالماء ثم أخرجت من كل نوع بهيج من النبات متفاوتاً في لونه وطعمه ورائحته وشكله ومنافعه، ويرى ابن كثير أن هذا المشهد الطبيعي ليس غايته مجرد بيان الدورة الحياتية في الأرض بل هو برهان يقيني على قدرة الله في إحياء الموتى كما يحيي الأرض بعد موتها¹، وفي هذا التصوير القرآني دعوة للعقل أن يتجاوز ظاهر الطبيعة ليدرك الحقيقة الكبرى أن واهب الحياة في الأرض قادر على إعادتها في الآخرة.

6- أوهن البيوت: قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾²، وقد بين الطبري أن هذا المثل يصف حال المشركين الذين اتخذوا من دون الله أولياء يرجون نفعهم ودفع الضر عنهم فإذا هم عند الحاجة أضعف من أن يحققوا شيئاً، فشبهم الله بالعنكبوت التي تبني بيتاً تحتمي به غير أنه لا يملك لها حماية ولا نفعاً بل هو أوهن البيوت وأضعفها، وهكذا فإن المشرك إذا احتسى بأهله وأوثانه فإنما يستند إلى وهم هش لا يصمد أمام قضاء الله وسخطه³، إن في هذا المثل القرآني تصويراً بليغاً لوهم القوة في غير موضعها ودعوة إلى إدراك أن الملجأ الحق لا يكون إلا إلى الله وحده فهو وحده القادر على النفع والضرر وما عداه لا يتجاوز أن يكون ظلالاً من ضعف وعجز.

وتفاصيل خلق هذا الكون تتجلى في عظمة النظام والتنظيم الذي يحكمه، فالله عز وجل يظهر علامات وآيات تشير إلى وجوده وتكشف عن الغاية من خلق هذا الكون، ويتمثل ذلك في النظام الدقيق للكواكب والنجوم والتناغم بين العناصر في تكوين الحياة، والقرآن الكريم يشير إلى هذه العظمة في آيات الله تعالى في الآفاق وداخل الإنسان، ويظهر تفاصيل الإعجاز العلمي في وصفه للظواهر الطبيعية، وتتداخل العناصر في هذا الكون ككتاب مفتوح يحمل في صفحاته دلائل الله على الحكمة والقدرة الإلهية.

¹ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، المرجع السابق، ص 332.

² - سورة العنكبوت، الآية 41.

³ - الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مرجع سابق، ص 401.

المطلب الثالث: دليل الإبداع:

إن القرآن الكريم يُشدد على الإبداع في خلق الله سبحانه وتعالى بشكل مستمر، ويصف في آياته العديدة عظمة الخلق والكون، ويدعو المسلمين إلى التأمل في الآيات الكونية والآيات البيئات التي تظهر في الطبيعة وفي أنفسهم، ويُشير إلى تنوع الكائنات والأشكال الحيوية التي خلقها الله، مما يبرز الإبداع اللامحدود للخالق.

ويُعرف الإبداع لغة على أنه إحداث شيء أو ابتكاره من غير أن يكون له مثال سابق، والفرق بين إبداع الله سبحانه وتعالى وبين إبداع البشر أن إبداع الله يكون من غير آلة أو أداة أو زمان أو مكان، فليس ذلك إلا الله تعالى وحده¹.

أما اصطلاحاً فهو "إيجاد الشيء من لا شيء؛ وقيل: الإبداع: تأسيس الشيء عن الشيء"²، وأيضاً: "إظهار شيء لا من شيء، ولا بواسطة شيء"³.

ويقول الله عز وجل: ﴿بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾⁴، وقد فسّرهما القرطبي بأنها تدل على كونه الخالق الموجد والمبدع لكل ما في الوجود مبتكراً إياه على غير مثال سابق أو جسم قائم بحيث لا يشبه ما خلقه شيء وكل من أوجد شيئاً لم يسبق إليه يُقال له "مبدع" كما يُطلق هذا الوصف أحياناً على أصحاب البدع⁵، إن هذه الآية تكشف عن عظمة الخالق في الابتكار والإبداع المطلق وتؤكد على أن إرادته وحدها كافية لوجود الأشياء وتحقيقها فهو لا يحتاج إلى سبب أو مثال ومن هنا تظهر قدرة الله المطلقة على الخلق والتدبير في الكون.

¹ - انظر: المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان عدنان الداودي، دار القلم بدمشق، والدار الشامية ببيروت، 1992، ص 109-110.

² - التعريفات، أبو الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني المعروف بالسيد الشريف، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1986، ص 8.

³ - معجم مقاييد العلوم في الحدود والرسوم، أبو الفضل عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، تح: محمد إبراهيم عباد، مكتبة الآداب، القاهرة. مصر، 2004، ص 97.

⁴ - سورة البقرة: الآية 117.

⁵ - القرطبي أبو عبد الله محمد بن حمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993، ج 2، ص 86.

إن ما في هذا الكون من آيات وبراهين يرسخ عقيدة التوحيد في قلب المؤمن بالله، ومن أبرزها وضوحاً آية الله التي لا تغرب عن البصر لحظة واحدة؛ وهي هذه السماء التي تتحدى بإعجاز ما حوته من آيات تبهر اللب، وتربط على القلب، وترسخ خطرات الفؤاد، تلك الآية العظمى المحيطة بالكائنات من كل اتجاه، وهي الآية المشاهدة من كل طبقات البشر، آية عظمى تفتح لكل من تأملها نوافذ البصائر، والأحاسيس المغلقة، وتحطم حواجز القلوب المغلفة، ليعي الناظر عظمة صنع الباري فيما خلق.

إن ضخامة الإعجاز الإبداعي تتجلى في أعظم مخلوق نشاهده: السماء المحيطة بالكون كله من أجرام لا حصر لها وهي تجوب الجو بغير وسيلة مادية يشاهدها من يرسل النظر إليها، إن تلك المخلوقات إنما هي مواعظ تشد اللب إلى توحيد من أوجدها من العدم، وإن هذه الأرض التي نعيش على ظهرها، وهذه الجبال الرواسي التي تجثم في كل نواحيها، ونزول الماء الزلال المبارك النازل من السماء لتحيا به الأرض وتنبت النبات من الأرض الموت كلها، ألا تدل على توحيد الذي أبدع خلقها¹؟ قال - تبارك وتعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾².

حقاً إن الإنسان يبقى مشدوه الحس، مرتحف الفؤاد أمام عظمة هذا الخلق الهائل والإبداع العجيب في صنع السماء، وارتفاعها بغير جدار ولا عمد، وإبداع خلقها، وإحكام صنعها، وكذلك خلق الأرض وما حوته من صنوف الأمم، كل ذلك تم بقدرة الله الواحد القهار، الذي أحكم خلقها، وتولى رونق جمالها، خلق السماوات والأرض، وزين السماء بالشمس والقمر والنجوم، وقدر مدار الأفلاك الواسعة، وجعل لتلك الكواكب الضخمة مدارات في الفلك الواسع ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾³، تَسْبَحُ في هذا الفضاء الواسع، وتُسَبِّحُ الله الذي أبدعها وسخرها، ولا يعلم مدى اتساعه وما يحويه من أسرار الغيب وعجائب ما أودع وأبدع فيه إلا هو سبحانه، والإنسان بطبعه الضعيف

¹ - عبد العزيز بن عبد الله الزهراني، إبداع الخالق في نظام خلقه دليل على وحدانيته، دار التوحيد للنشر، الرياض، ص 48.

² - سورة لقمان: الآية 10-11.

³ - سورة يس: الآية 40.

وحواسه القاصرة، لا يرى السماء إلا في شكل قبة مجوفة، ولكننا نجهل كل الجهالة ضخامتها، وماهيتها، ونوع مادتها، وما تحويه من أنواع المخلوقات الضخمة، وإنما يعلمها من صنع الكون، وزَيَّنَّه وأبدعه، نحن نرى السماء حين نرسل أنظارنا وهي محيطة بنا، ولكننا لا ندري كيف وما مدى بعدها واتساعها حيث لا نهاية لها¹.

ولم نشاهد معالم تحدها، وتبين معالمها وحقيقة عظمتها، وشكلها وجمالها، ناهيك عن الأرض وما فيها من عجائب خلقه، حيث ألقى على الأرض الجبال الرواسي لثلا تميد وتضطرب وتختل، وبث فيها من كل ما خلق من الدواب، من جميع أصناف الخلق، من إنس، وجن، ووحوش، وطيور، وغيرها مما لا يعلمه إلا الله الواحد القهار، ثم أنزل الماء على الأرض الموات وأنبت به ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾²، بل أزواجاً من نبات شتى وغير النبات من جميع صنوف المخلوقات نعم هذا هو الإعجاز³، وذلك هو التحدي قال تعالى: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾⁴.

إن الإبداع الرباني في خلق السماوات والأرض والجبال والشمس والقمر والشجر والنجوم والرياح والسحاب - هي دلائل ثابتة، وآيات باهرة عظيمة، نشاهدها في كل ساعات الليل والنهار لا يملك أحد إنكار وجودها؛ قال - سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾⁵، والقرآن الكريم يلفت الأنظار إلى صنع الله وإبداعه في مخلوقاته وآيات الله في الكون: ﴿بَدِيعُ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صُحْبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾⁶، فالقرآن يحطم حواجز الغفلة، ويفتح نوافذ البصيرة من أولي الأبواب، ويقطع الشك باليقين على توحيد الله، وحتى تنظر تلك البصائر المستنيرة إلى عظمة

¹ - عبد العزيز بن عبد الله الزهراني، إبداع الخالق في نظام خلقه دليل على وحدانيته، مرجع سابق، ص 49.

² - سورة الشعراء: الآية 7.

³ - عبد العزيز بن عبد الله الزهراني، إبداع الخالق في نظام خلقه دليل على وحدانيته، مرجع سابق، ص 49.

⁴ - سورة لقمان: الآية 11.

⁵ - سورة البقرة: الآية 29.

⁶ - سورة الأنعام: الآية 101.

الله - سبحانه - في خلقه، وأنه إله واحد متفرد بالربوبية والألوهية، وأنه لا إله إلا هو: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾¹، وعظمة إبداعه في مخلوقاته دليل ساطع على عظمة من أوجدها وأبدع خلقها، وجودة المصنوع دليل على عظمة الصانع - سبحانه - لأنه لا يد له، ولا نظير له، ولا إله غيره، فهو - سبحانه - غني عن جميع مخلوقاته، وكل خلقه مفتقرون إليه، فلو انقطع مدده عن خلقه لحظة واحدة لهلكوا، ومع غناه عنهم وفقرهم إليه، فخيرهم إليهم نازل وشرهم إليه صاعد، يتحبب إليهم بالعطاء، ويتبغضون إليه بالمعاصي، ومع هذا وذاك فهو - جل جلاله - لا يزال يتحبب إلى خلقه، ويذكرهم بنعمه وآلائه التي لا تحصى، فتلقاه تارة يذكرهم بما خلق لهم من نعمه التي لا غنى لهم عنها، ولا حياة لهم بغيرها، ويذكرهم بوجوب شكرها، والتعلق بمن وهبها دون غيره، وتارة يذكرهم بعظيم سلطانه في آياته الباهرة، وعظمة صنعه وإبداعه في صنع مخلوقاته التي لا يباريه في صنعها أحد، ولا يدعي مباراته في صنعها أحد، ومن أعظم مخلوقاته؛ وما أبدعه في هذا الكون الفسيح من سماء وأرض، وشمس وقمر ونجوم وما فيها من آيات معجزة باهرة، يعجز التصور البشري أن يصفها، أو يحيط بشيء من وصفها وعظمتها، فضلاً أن يدعي أحد منافسته في إبداعها، وكما أشار الخالق إلى إعجاز خلقها وما أوجده فيها² بقوله - سبحانه -: ﴿خَلَقَ السَّمُوتَ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رُبُوسًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾³، ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾⁴، ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾⁵، سبحانه الله إن ضخامة مخلوقات الله وإبداع صنعها برهان ساطع على عظمة من خلقها وأوجدها وقدر فيها أقواتها، وهذه الآيات تلفت النظر، وتوقظ

¹ - سورة الشورى: الآية 11.

² - عبد العزيز بن عبد الله الزهراني، إبداع الخالق في نظام خلقه دليل على وحدانيته، مرجع سابق، ص 51.

³ - سورة لقمان: الآية 10.

⁴ - سورة البقرة: الآية 164.

⁵ - سورة الجاثية: الآية 6.

الحس الغافل إلى التفكير في هذا الخلق العجيب، حين يرسل المؤمن بربه نظره عن اليمين والشمال، ويأخذ العبرة من جنبات الكون الفسيح وما فيه من عظام، وإبداع، وعبر: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾¹، إن حركة نفس المؤمن حين تشاهد مظهر العظمة في منظر السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار، وتعاقب الشمس والقمر والنجوم، والرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض، وأسرار هذا الكون العجيب - عندها يشعر القلب بعظيم جلال خالق الكون ومبدعه، إن عظمة الله في آيات الكون تتجلى بوضوح كامل لأهل القلوب المطمئنة الذاكرة الله، وتلفت العواطف المؤمنة بمجدية إلى قدرة خالق هذا الكون².

يمكننا القول بأن عظمة الكون وجماله وتنظيمه يشيران إلى وجود إله خالق عظيم وحكيم، والتأمل في الطبيعة والكون يوجه الإنسان نحو الإيمان بالله ويذكره بعظمته وقدرته الخالقة وإبداعه، هو دعوة للتفكير في العجائب الكونية والنظر في التناغم المدهش الذي يميز خلق الله، مما يشجع على التواضع والاعتراف بضعف الإنسان أمام هذه العظمة، وكذلك التذكير بالإبداع اللامحدود لله في خلق الكون يعزز من الإيمان ويحث على الشكر والتقدير.

¹ - سورة آل عمران: الآية 190-191.

² - عبد العزيز بن عبد الله الزهراني، إبداع الخالق في نظام خلقه دليل على وحدانيته، مرجع سابق، ص 52.

خاتمة الفصل:

وفي ختام هذا الفصل يظهر من خلال الدراسة العميقة للقرآن الكريم التي قام بها العلماء وفهم النظام الكوني السماوي الذي خلقه الله عز وجل أن وحدة الكون وتناغم جميع أجزائه ليست مجرد ظاهرة علمية، بل هي دلالة على الحكمة الإلهية والتخطيط الرباني، ويظهر التكامل والتعاون في الكون كدليل على الحكمة والرحمة الإلهية وكيف أن الإنسان خُلق بغرض وهدف واضح يتمثل في تحقيق التوازن والاتصال الروحي بالله، فوحدة النظام الكوني السماوي تُظهر لنا التكامل والتوازن في كل جزء من أجزاء الكون، وكيف يعمل الكل بتناغم لتحقيق الغاية العظيمة للحياة، ومن خلال الانقياد لله والانغماس في العلم والعبادة يستطيع الإنسان تحقيق الاتصال بالله والوصول إلى درجات الإبداع والتميز في حياته.

لذلك يظل القرآن الكريم مرشدًا يضيء الطريق للإنسان يوجهه نحو الحقائق العميقة في الكون، ويذكره بأهمية الانقياد لله والبحث عن الحكمة والعلم، وأن الإيمان بالله والالتزام بتعاليمه يُشكلان الأساس لوحدة الإنسان والكون، ويمهدان الطريق نحو التلاحم والتفاهم بين البشر وبين الخلق الآخر في هذا العالم المتكامل الذي خلقه الله سبحانه وتعالى.

الفصل الثاني:

سُنن الوحدة الإنسانية

تمهيد:

إن الملاحظ للنصوص الدينية والفلسفية وغيرها نجده يُشدد على أهمية فهم الذات وتقديرها والعمل على تحقيق التوازن الداخلي والسلام الداخلي، أما في الإسلام فهو يُعزّز الفكر بأن الإنسان يجسد الوحدة الإنسانية في نفسه عبر التفكير في النفس ككيان متكامل يجمع بين الروح والجسد والعقل، ويُشجع المسلمون على الاهتمام بالنفس والعمل على تطويرها وذلك من خلال العلم والتعلم والعمل الصالح والتواصل الإنساني، فمن خلالها يمكن للفرد أن يحقق التوازن الداخلي، وتتجلى هذه الوحدة في القدرة على فهم الآخرين، فعندما يدرك الفرد أنه جزء لا يتجزأ من الإنسانية، ونجد أن القرآن الكريم يُشجع الإنسان على النظر إلى النفس بأنها هدية من الله وعليه أن يحترمها ويحافظ عليها، وأيضاً أن يراعي حقوق الآخرين ويحترم تنوع البشرية، وجاء هذا الفصل تحت عنوان "سُنن الوحدة الإنسانية" وللتفصيل فيه أكثر سنقوم بالتطرق إلى "وحدة التكوين الإنساني وعماراته للأرض" كمبحث أول، أما المبحث الثاني فسندرس فيه "وحدة الكرامة الإنسانية"، أما المبحث الثالث فسننتطرق فيه إلى "وحدة وسائل المعرفة"، وختمنا الفصل بخلاصة لما سبق.

المبحث الأول: سُنن الوحدة في التكوين الإنساني:

الإنسان في القرآن الكريم هو الكائن المكرّم الذي خلق لعبادة الله وحُصّ بالقيام بخلافة الأرض ويمتاز بتركيب متكامل يجمع بين الروح والجسد والعقل والإرادة والحرية، ويشير القرآن الكريم إلى أن الذكر خُلِقَ من تُراب والأُنثى من ضلع وأن نسلهما يأتي من ماء مهين ونطفة أمشاج دون تمييز بين ذكر أو أنثى، ويفسّر الراغب الأصفهاني سبب تسمية الإنسان بذلك بأنه "منسوب إلى الإنس" ويقال ذلك لكل ما يأنس به الإنسان وللإنسان ذاته لأنه خلق بحيث لا يقوم بدوره الكامل إلا بالتواصل مع الآخرين فهو بطبيعته كائن مدني يحتاج إلى من يأنس به ويتشارك معه الحياة، كما يُشير إلى أن الإنسان يأنس بكل ما ألفه وأحبه مما يعكس طبيعة اجتماعية وفطرية متأصلة في تكوينه وتكشف هذه الخصائص عن حكمة الخالق في ترتيب الإنسان ككائن يعتمد على التفاعل والتكامل مع الآخرين للحياة الكريمة والنظام الاجتماعي¹.

المطلب الأول: سُنّة وحدة المادة الإنسانية:

وردت الكثير من الآيات القرآنية التي تتحدث عن خلق الإنسان منها: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾². قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْنَا صَالِحًا لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾³، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾⁴، ﴿الرَّحْمَنُ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾⁵.

¹ - انظر: الراغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط 01، 1412 هـ، ص 94.

² - سورة النساء: الآية 1.

³ - سورة الأعراف: الآية 189.

⁴ - سورة الروم: الآية 20-21.

⁵ - سورة الرحمن: الآية 1-4.

ومن خلال هذه الآيات نجد أن الله جعل من سنّته خَلْقَ الإنسان من أصل متواضع أي من تراب ثم بقوله: "كن فيكون" نقله من السكون إلى الحركة والانتشار السريع لقوله تعالى: ﴿إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾، ولا يخرج مخلوق بشري عن هذه القاعدة.

ومنه السُنّة المستخرجة أنه ما من مخلوق بشري إلا وكان تحت النفس الواحدة الأولى التي خلقت من تراب وجُعِلَ زيادتها بالتناسل لعمارة الأرض.

عن قتادة قال: "الإنسان: آدم، وقال آخرون: بل المراد جميع الناس، وُجِّعَ في لفظ واحد لأداء ما يخص جنسه كما قيل: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ والقولان محتملان من وجه نظر ظاهر النص"، ويشير هذا إلى أن الإنسان لا يقتصر في تعريفه على فرد بعينه بل يشمل النوع البشري كله وأن صياغة القرآن في لفظ واحد تكشف عن الجمع بين الفرد والجنس البشري في إطار شامل¹، وإن الإنسان يتقلب في أدوار الخلق وأكوان الفطرة عبر أطوار متعددة:

أولاً: طور التراب:

قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّا خَلَقْتُمْ مِّنْ تُرَابٍ﴾² إذ خلق الإنسان من المني المتولد من الأغذية، والأغذية تنتهي إلى النبات، وهو يتولد من الأرض والماء³، وهذا التصوير القرآني دلالة عميقة على وحدة المادة في الكون وترابط مكوناته وكذلك على حكمة الخالق في خلق الإنسان من مكونات مألوفة للجسم والبيئة لتتجلى قدرته في تحويل عناصر الأرض إلى كائن حي راشد يمتلك روحاً وعقلاً وإرادة. ورأي الإمام الرازي في كتاب تفسيره هي قوله: ﴿فَإِنَّا خَلَقْتُمْ مِّنْ تُرَابٍ﴾ وفيه وجهان: أحدهما: إنا خلقنا أصلكم وهو آدم عليه السلام من تراب، لقوله: ﴿كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾⁴، وقوله: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ﴾⁵، والثاني: أن خلقة الإنسان من المني ودم الطمث وهما إنما يتولدان من الأغذية والأغذية إما حيوان أو نبات وغذاء الحيوان ينتهي قطعاً للتسلسل إلى النبات والنبات إنما يتولد من الأرض والماء، فصح قوله: ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ﴾⁶.

¹ - محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط 1، 2000، ص 22.

² - سورة الحج: الآية 5.

³ - أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، دار الفكر، بيروت، مج 6، 2010، ص 168-169.

⁴ - سورة آل عمران: الآية 59.

⁵ - سورة طه: الآية 55.

⁶ - فخر الدين الرازي، التفسير مفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت، 1981، ج 17، ص 8.

هذه الآية تبين أن الأول في ترتيب من خلق الإنسان هو من تراب وهذا البحث يؤكد برأي تفسير الدكتور زغلول النجار في كتابه تفسير الآيات الكونية وهي:

هذا النص القرآني المعجز يشمل خلق أبينا آدم عليه السلام من تراب، ونسله جميعا حتى قيام الساعة كانوا في صلبه لحظة خلقه، ولذلك فإن خلقه من تراب ينسحب على كل فرد من ذريته، لأن كل فرد من بني آدم يرث شيئا من هذا التراب الأولى الذي خلق منه أبوه الأول، وهذا الشيء الموروث ينمو على دماء أمه وهو في بطنها، والدماء مستمدة من غذائها المستمد أصلا من عناصر تراب الأرض، ثم بعد ولادته يفطم على لبن أمه أو على لبن غيرها من المرضعات، وهو مستمد أيضا من غذاء الأم المستمد من عناصر تراب الأرض وبعد فطامه يتغذى الطفل على نبات الأرض والمنتجات الحيوانية وكلها مستمدة أصلا من تراب الأرض. ولذلك فهناك تشابه واضح بين التركيب الكيميائي لكل من جسم الإنسان، وتربة الأرض الزراعية، مع زيادة واضحة في كل من عناصر الأكسجين والهيدروجين والكربون والفسفور في جسم الإنسان، وذلك لغلبة الماء فيه بالنسبة للعنصرين الأولين، وللاستفادة بثاني أكسيد الكربون المستمد من الجو في بناء سلاسل الغذاء، ولقدرة كل من النبات والحيوان والإنسان على تركيز عنصر الفسفور في الجسم، من هنا كانت الإشارة القرآنية: ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ إشارة معجزة بحق لأنه لم يكن لأحد من البشر إدراك هذه الحقيقة في زمن الوحي ولا لقرون متطاولة من بعده¹.

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾²، والتراب عنصر أساسي من عناصر تكوين كل إنسان بعد آدم - عليه السلام - إذ من التراب النبات، ومن النبات الغذاء، ومن الغذاء الدم، ومن الدم النطفة، ومن النطفة الجنين، وقال عز وجل: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ مَعْمَرٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾³، وتفسير الآية أن الله خلق أباكم آدم من تراب، ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين، ثم جعلكم رجالا ونساء، وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه، وما يعمر من معمر، فيطول عمره، ولا يُنقص من عمره إلا في كتاب عنده، وهو اللوح المحفوظ، قبل أن تحمل به أمه وقبل أن تضعه. قد أحصى الله ذلك كله، وعلمه

¹ - زغلول النجار، تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مج 2، 2007، ص 157.

² - سورة آل عمران: الآية 59.

³ - سورة فاطر: الآية 11.

قبل أن يخلقه، لا يُزاد فيما كتب له ولا يُنقص، إن خَلَقَكُمْ وَعَلَّمَ أحوالكم وكتابتها في اللوح المحفوظ سهل يسير على الله¹.

ويقول الله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يَتَوَفَّى مِنْ قَبْلٍ وَلِتَبْلُغُوا أَجْلاً مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾²، أي أن الله هو الذي خلق أباكم آدم من تراب، ثم أوجدكم من المني بقدرته، وبعد ذلك تنتقلون إلى طور الدم الغليظ الأحمر، ثم تجري عليكم أطوار متعددة في الأرحام، إلى أن تولدوا أطفالاً صغاراً، ثم تقوى بِنَيْتِكُمْ إلى أن تصيروا شيوخاً، ومنكم من يموت قبل ذلك، ولتبلغوا بهذه الأطوار المقدرة أجلاً مسمى تنتهي عنده أعماركم، ولعلكم تعقلون حجج الله عليكم بذلك، وتندبرون آياته، فتعرفون أنه لا إله غيره يفعل ذلك، وأنه الذي لا تنبغي العبادة إلا له³.

وقال عز وجل: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾⁴، أي من علامات ربوبيته ووحدانيته أن خلقكم من تراب؛ أي خلق أباكم منه والفرع كالأصل، وقد مضى بيان هذا في (الأنعام)، وأن في موضع رفع بالابتداء وكذا أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً، ثم إذا أنتم بشر تنتشرون ثم أنتم عقلاء ناطقون تتصرفون فيما هو قوام معاشكم، فلم يكن ليخلقكم عبثاً؛ ومن قدر على هذا فهو أهل للعبادة والتسبيح⁵.

ثانياً: طور الطين:

يقول سبحانه تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾⁶.

السلالة لغة: الخلاصة لأنها تسل من بين الكدر، وسلالة الشيء: ما استل منه، والنطفة سلالة الإنسان⁷، فعالة. وهو بناء يدل على القلة كالقُلَامَة والقُمَامَة، والسلالة هي الأجزاء الطينية المبتوثة في

¹ - ابن كثير، تفسير ابن كثير، المرجع السابق، ص 435.

² - سورة غافر: الآية 67.

³ - ابن كثير، تفسير ابن كثير، المرجع السابق، ص 475.

⁴ - سورة الروم: الآية 20.

⁵ - أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط 2، 1964، ص 406.

⁶ - سورة المؤمنون: الآية 12-14.

⁷ - إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تح: محمد زكريا يوسف، دار العلم للملايين، بيروت، ط 4، يناير 1990، ص 9. مادة (سلل).

أعضائه التي لما اجتمعت وحصلت في أوعية المني صارت منياً، وهذا التفسير مطابق لقوله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾¹، وفيه وجه آخر، وهو أن الإنسان إنما يتولد من النطفة وهي إنما تتولد من الأغذية، وهي إما حيوانية وإما نباتية والحيوانية تنتهي إلى النباتية، والنبات إنما يتولد من صفو الأرض والماء فالإنسان بالحقيقة يكون متولداً من سلالة من طين، ثم إن تلك السلالة بعد أن تواردت على أطوار الخلقة وأدوار الفطرة صارت منياً، وهذا التأويل مطابق للفظ ولا يحتاج فيه إلى التكلف.

وطور الطين فيه عدة مراتب:

التراب دل قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾²، على أن آدم مخلوق من تراب، والضمير في خلقه لآدم لا لعيسى؛ إذ قد علم الكل أن عيسى لم يُخلق من تراب، فمحل التشبيه قوله: ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، وجمله ﴿خَلَقَهُ﴾ وما عطف عليها مُبَيِّنَةٌ لجملة كمثل آدم. وثم للتراخي الرتبة فإنّ تكوينه بأمر ﴿كُنْ﴾ أرفع رتبة من خلقه من تراب³.

وفي الحديث الشريف عن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: "خلق الله آدم من أديم الأرض كلها فخرجت ذريته على حسب ذلك منهم الأبيض والأسود والاسمر والاحمر، ومنهم بين ذلك ومنهم السهل والحزن والخبيث والطيب"⁴.

الطين دل قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾⁵ على أن آدم انتقل من مرحلة التراب إلى مرحلة الطين.

وقال تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾⁶، يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم: (واذكر يا محمد

¹ - سورة السجدة: الآية 97.

² - سورة آل عمران: الآية 59.

³ - محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 1997، ج 3، ص 191.

⁴ - أحمد بن الحسين بن علي أبو بكر البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، تح: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، 1994، ج 9، ص 3.

⁵ - سورة ص: الآية 59.

⁶ - سورة الإسراء: الآية 61.

تمادي هؤلاء المشركين في غيهم وارتدادهم عتوا على ربهم بتخويفه إياهم تحقيقهم قول عدوهم وعدو والدهم حين أمره ربه بالسجود له، فعصاه وأبى السجود له حسداً واستكباراً ويعني بقوله وإذ قلنا للملائكة واذكر إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس فإنه استكبر وقال أأسجد لمن خلقت طينا يقول لمن خلقت من طين فلما حذفت من تعلق به قوله خلق فنصب يفتخر عليه الجاهل بأنه خلق من نار وخلق آدم من طين)¹.

وقال تعالى في سورة الأعراف: ﴿قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾²، وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن قيله لإبليس إذ عصاه فلم يسجد لآدم إذ أمره بالسجود له يقول قال الله لإبليس ما منعك أي شيء منعك ألا تسجد أن تدع السجود لآدم إذ أمرتك أن تسجد قال أنا خير منه يقول قال إبليس أنا خير من آدم خلقتني من نار وخلقته من طين³.

وقد وصف الطين بأنه لازب في قوله تعالى: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مِنْ خَلْقِنَا إِنَّ خَلْقَنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَأَزَبٌ﴾⁴.

اللازب لغة: لَزَبَ لُزُوبًا أي: لَزَقَ وَالطِّينُ اللَّازِبُ منه⁵، وقال ابن منظور: لازب أي لازم شديد ولزب الشيء يَلْزُبُ بالضم لُزْبًا وَلُزُوبًا دخل بعضه في بعض وَلَزَبَ الطِّينُ يَلْزُبُ لُزُوبًا وَلَزَبَ لَصِيقٌ وَصَلَبٌ⁶ وليس من معاني اللازب الرخو كما قال الزمخشري: لأزب موصوف بالرخاوة لأن ما يصنع من الطين غير موصوف بالصلابة والقوة⁷ بل الرخاوة من أوصاف الطين إذا ما قورن بغيره من المواد الصلبة، قال ابن عادل في اللباب: قوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَأَزَبٌ﴾ أي جيد حر لاصق يعلق باليد.

¹ - أبو الفضل شهاب الدين محمود اللوسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ضبطه وصححه علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1994، ج 11، ص 7.

² - سورة الأعراف: الآية 12.

³ - أبو الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، دار الفكر، بيروت، ط 2، 1970، ص 392.

⁴ - سورة الصافات: الآية 11.

⁵ - أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، دار ومكتبة الهلال، تح: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، د ط، د ت، ص 369.

⁶ - محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط 3، 1414هـ، ص 738.

⁷ - أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم الأقاويل في وجوه التأويل الخوارزمي، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص 40.

واللازب والازم بمعنى وقيل: اللازبُ اللزج. وقال وأكثر أهل اللغة على أن الباء في اللازب بدل من الميم¹، والحمأ المسنون ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَآ مَّسْنُونٍ﴾² وهي ما بعد الطين.

ومعنى الحمأ بوزن فعلة، والجمع الحمأ وهو الطين الأسود المنتن³ قاله الليث. وقال أبو عبيدة والأكثرون حماة بوزن كمأة وقوله: {مَّسْنُونٌ} فيه أقوال:

الأول: قال ابن منظور: "حَمَآ مَّسْنُونٌ" أي متغير⁴ والدليل عليه قوله تعالى: ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾⁵ أي: لم يتغير، قال ابن السكيت سمعت أبا عمرو يقول قول الله جل ثناؤه انظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه أي لم يتغير، من قوله من حما مسنون، قال: فقلت له: إن مسنونا من ذوات التضعيف ويتسنّ من ذوات الياء؟ قال أبدلوا النون من يتسنن ياء، كما قالوا تظنيت⁶.

الثاني: المسنون المحكوك وهو مأخوذ من سنتت الحجر إذا حككته عليه، والذي يخرج من بينهما يقال له السنن وسمي المسن مسناً لأن الحديد يسن عليه⁷.

الثالث: قال الزجاج: هذا اللفظ مأخوذ من أنه موضوع على سنن الطريق لأنه متى كان كذلك فقد تغير.

الرابع: قال أبو عبيدة: المسنون المصبوب، والسن والصب يقال سن الماء على وجهه سناً، قال ابن فارس (السين والنون أصل واحد مطرد، وهو جريان الشيء وإطراده في سهولة، والأصل قولهم سَنَنْتُ الماء على وجهي سَنًا، إذا أرسلته إرسالاً. ثُمَّ اشْتَقَّ مِنْهُ رَجُلٌ مَسْنُونٌ الْوَجْهَ، كَأَنَّ اللَّحْمَ قَدْ سُنَّ عَلَى وَجْهِهِ، وَالْحَمَأُ الْمَسْنُونُ مِنْ ذَلِكَ، كَأَنَّهُ قَدْ صُبَّ صَبًّا)⁸.

¹ أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، الباب في علوم الكتاب، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1998، ص 284.

² سورة الحجر: الآية 26.

³ محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض، الملقب بمرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين، الناشر دار الهداية، د ت، ص 201.

⁴ ابن الأثير أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تح: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1979، ج 2، ص 1022.

⁵ سورة البقرة: الآية 259.

⁶ ابن السكيت، صلاح المنطق، تح: أحمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، 1987، ص 98.

⁷ الزمخشري، الكشاف، المرجع السابق، ص 220.

⁸ أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، بيروت، ط 1، 1399 هـ، ص 60.

الخامس: قال سيويه: المسنون المصور على صورة ومثال من سنة الوح وهي صورته قال ابو البقاء: والمسنون المصور¹.

السادس: روي عن ابن عباس أنه قال: المسنون الطين الرطب، وهذا يعود إلى قول أبي عبيدة، لأنه إذا كان رطباً يسيل وينبسط على الأرض، فيكون مسنوناً بمعنى أنه مصبوب².

ثالثاً: الصلصال:

ومعنى الصلصال في اللغة: الطَّيْنُ الحُرُّ حُلِطَ بِالرَّمْلِ فَصَارَ يَتَصَلَّصِلُ إِذَا جَفَّ فَإِذَا طُبِخَ بِالنَّارِ فَهُوَ الْفَخَّارُ أَوْ الطَّيْنُ مَا لَمْ يُجْعَلْ حَرَقاً سُمِّيَ بِهِ لِتَصَلُّصِلِهِ وَكُلُّ مَا جَفَّ مِنْ طِينٍ أَوْ فَخَّارٍ فَقَدْ صَلَّ صَلِيلًا كَمَا فِي الْمُخَكَّمِ وَقَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: الصَّلْصَالُ: الطَّيْنُ الْيَابِسُ الَّذِي يَصِلُّ مِنْ يُبْسِهِ أَيْ يُصَوِّتُ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ قَالَ: هُوَ صَلْصَالٌ مَا لَمْ تُصِبْهُ النَّارُ فَإِذَا مَسَّتْهُ فَهُوَ حِينَئِذٍ فَخَّارٌ³.

وجاء في هذه الآية ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ وهي مرحلة ما بعد التراب والطين والحمأ المسنون، وهذه المراتب على الترتيب.

قال تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾⁴، خلق الله الإنسان وهو آدم من صلصال: وهو الطين اليابس الذي لم يطبخ، فإنه من يبسه له صلصلة إذا حرك ونقر كالفخار، يعني أنه من يُبْسُهُ وإن لم يكن مطبوخاً، كالذي قد طبخ بالنار، فهو يصلصل كما يصلصل الفخار، والفخار: هو الذي قد طبخ من الطين بالنار.

وهو مروي عن ابن عباس، في قوله: ﴿مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ قال: هو من الطين الذي إذا مطرت السماء فيبست الأرض كأنه خزف رقاق، وعن ابن عباس قال: الصلصال: التراب المدقق، وعن عكرمة في قوله: ﴿مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ قال: الصلصال: طين خلط برمل فكان كالفخار⁵.

¹ - أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، الكليات، تح: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1998، ص 646.

² - محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي المعروف بالفخر الرازي أبو عبد الله فخر الدين، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ت، ص 672.

³ - مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، المرجع السابق، ص 7240.

⁴ - سورة الرحمن: الآية 14.

⁵ - أبو جعفر الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المرجع السابق، ص 24.

وفي الصلصال قولان: قيل الصلصال الطين اليابس الذي يصلصل وهو غير مطبوخ، وإذا طبخ فهو فخار، قالوا: إذا توهمت في صوته مدا فهو صليل، وإذا توهمت فيه ترجيعا فهو صلصلة، قال المفسرون: خلق الله تعالى آدم عليه السلام من طين فصوره وتركه في الشمس أربعين سنة، فصار صلصالاً كالحزف ولا يدري أحد ما يراد به، ولم يروا شيئاً من الصور يشبهه إلى أن نفخ فيه الروح. وحقيقة الكلام أنه تعالى خلق آدم من صورة الإنسان فجف فكانت الريح إذا مرت به سمع له صلصلة فلذلك سماه الله تعالى صلصالاً.

والقول الثاني: الصلصال هو المنتن من قولهم صل اللحم وأصل إذا نتن وتغير، قال الطبري: "ولو وجه موجه قول صلصال إلى أنه فعلا من قولهم صل اللحم: إذا أنتن وتغيرت ريحه، كما قيل من صر الباب صرصر، وكبك من كب كان وجهها ومذهباً"¹.

ويُشير الكلام إلى أن الصلصال الذي يشير إليه القرآن مصنوع من حمأ مسنون، مما يظهر على وضوح التغير والتحول، يُشير الرأي إلى أن هذا التغير يظهر كثراد من الله تعالى للإشارة إلى النتن والتحول الذي يحدث في الإنسان، وبالرغم من أن الله عز وجل يمكنه خلق الإنسان بأي شكل من الأشكال، إلا أنه اختار خلقه من الحمأ المسنون لأسباب تتعلق بالمشيئة الإلهية ومصلحة الملائكة والجن، وهذا الخلق يُظهر العجب والتأمل في قدرة الله وحكمته في خلق الإنسان بهذه الطريقة.

رابعا: نفخ الروح:

فنفخ الروح في الجنين يكون بعد تسويته وتعديله واستقامة جسمه وتمييزه عن غيره من الأجنة. قال الإمام الطبري في تفسير قوله تعالى: "ثم أنشأناه خلقاً آخر"²، وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عُني بذلك نفخ الروح فيه، وذلك أنه بنفخ الروح فيه يتحول خلقاً آخر - إنساناً - وكان قبل ذلك بالأحوال التي وصفه الله أنه كان بها من نطفة وعلقة ومضغة وعظم، وبنفخ الروح فيه يتحوّل من تلك المعاني كلها إلى معنى الإنسانية كما تحوّل أبوه آدم بنفخ الروح في الطينة التي خلق منها إنساناً آخر وخلقاً آخر غير الطين الذي خلق منه!³. وقال الإمام ابن كثير: "أي ثم نفخنا فيه الروح فتحرك وصار خلقاً آخر ذا سمع وبصر وإدراك وحركة واضطراب"³.

¹ - القاضي أبو السعود محمد بن محمد العمادي، تفسير أبي السعود العمادي، المسمى ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم، ط 4، دار احياء التراث العربي، بيروت، 1994، ص 125.

² - الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، دار الفكر، لبنان، 1405هـ، ص 18.

³ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، المرجع السابق، ص 386.

المطلب الثاني: وحدة الروح:

عند دراسة المعاجم والقواميس والكتب التي تتناول مفردات اللغة العربية وتشرحها، نجد أن كلمة "الروح" تظهر فيها بمعانٍ واسعة ومتنوعة، فالرُّوح والروح والريح، جميعها تأتي من أصل واحد، حيث اكتنفتها معانٍ متشابهة، وتم بناء كل معنى من هذا الأصل الواحد، وتم التفاعل بينها في سياق البنية اللغوية، ويُذكر أن لفظة "الروح" ذكرت في القرآن الكريم 24 مرة.

وبخصوص تعريف الروح لغةً فيقول ابن فارس: الراء والواو والحاء أصل كبير مطّرد، يدلُّ على سَعَةٍ وَفُسْحَةٍ وَاطِّرَادٍ، وأصل ذلك كله الرِّيح، وأصل الياء في الريح الواو وإِثْمًا قلبت ياءً لكسرة ما قبلها¹، ومن معانيها:

1. فالرُّوح رُوح الإنسان، وإِثْمًا هو مشتق من الرِّيح، وكذلك الباب كله. قال أبو بكر بن الأنباري:

الرُّوح والنَّفْسُ واحدٌ، غير أن الرُّوح مذكّر، والنَّفْسُ مؤنّثة عند العرب². يقول الله عز وجل:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾³ وتأويل الرُّوح أنه (ما بِهِ حَيَاةُ النَّفْسِ)

والأكثر على عدم التعرض لها، لأنها معروفة ضرورةً، وَمَنْعَ أَكْثَرِ الْأَصُولِيِّينَ الْخَوْضَ فِيهَا لِأَنَّ اللَّهَ

أَمْسَكَ عَنْهُمَا فَتَمَسِكَ؛ كما قاله السُّبُكِيُّ وغيره، وروى الأزهري بسنده عن ابن عباس في قوله:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ إِنَّ الرُّوحَ قد نزل في القرآن بمنازل، ولكن قولوا كما قال الله تعالى:

﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ وقال الفراء: الرُّوح: هو الَّذِي يَعِيشُ

به الإنسان، لم يُخبر الله تعالى به أحداً من خلقه ولم يُعْطَ علمه العباد. قال: وسمعت أبا الهيثم

يقول: الرُّوح إِثْمًا هو النَّفْسُ الَّذِي يَتَنَفَّسُهُ الْإِنْسَانُ، وهو جارٍ في جميع الجَسَدِ، فَإِذَا خَرَجَ لَمْ

يَتَنَفَّسَ بَعْدَ خُرُوجِهِ، فَإِذَا تَمَّ خُرُوجُهُ بَقِيَ بَصَرُهُ شَاخِصاً نَحْوَهُ حَتَّى يُعَمَّضَ.

2. والرُّوح جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام. قال الله جلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ﴾⁴ وهو

المراد بـ: ﴿رُوحُ الْقُدُسِ﴾⁵.

¹ - ابن فارس، مقاييس اللغة، ج 2، ص 454، مادة (روح).

² - ابن منظور، لسان العرب، ج 2، ص 462.

³ - سورة الإسراء: الآية 85.

⁴ - سورة الشعراء: الآية 193-194.

⁵ - سورة البقرة: الآية 352.

3. الرُّوح القرآن أراد ما يَحْيَا به الخَلْق ويَهْتَدُونَ، فيكون حياة لهم، وقال الزجاج: جاء في التفسير أن الرُّوح: (الوحي)، ويُسمَّى القرآن رُوحاً، وقال ابن الأعرابي: الرُّوح: القرآن، والرُّوح النَّفْس. قال أبو العباس: وقوله عزّ وجل: ﴿يُلْقِي الرُّوح مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾¹ و﴿يُنْزِلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ﴾² قال أبو العباس: هذا كله معناه الوحي سُمِّيَ رُوحاً لأنه حياة من موت الكُفْر، فصار بحياته للناس كالرُّوح الذي يَحْيَا به جسد الإنسان³.
4. الرُّوح عيسى عليه السلام لقوله عزّ وجل: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾⁴.
5. قيل: المراد بالوحي (أمر النبوة)، قاله الزجاج. وروى الأزهري عن أبي العباس بن يحيى أنه قال في قوله الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا﴾⁵.
6. قال ابن الأعرابي: الرُّوح: الفَرْخُ والرُّوح القرآن والرُّوح الأَمْرُ، والرُّوح النَّفْسُ فمما تقدم من المعاني هو الذي يتعلق بلفظة الروح بضم الراء.
7. الرُّوح حُكْمُ اللَّهِ تَعَالَى وأمره الذي يُجْرِيه في خلقه بواسطة ملائكته وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾⁶، قال الزجاج: الرُّوح: خَلْقُ كَالْإِنْسِ وليس هو بالإنس. وقال ابن عباس: هو (مَلَك) في السماء السابعة (وَجْهُهُ كوجه الإنسان، وجسده كالملائكة)، أي على صورتهم وقال أبو العباس: الرُّوح: حَفْظَةٌ على الملائكة الحَفْظَةُ عَلَى بَنِي آدَمَ، وَيُرَوَّى أَن وجوههم مثل وجوه الإنس، لا تراهم الملائكة، كما أنَّ لا نَرَى الحَفْظَةَ ولا الملائكة⁷.

¹ - سورة غافر: الآية 15.

² - سورة النحل: الآية 2.

³ - محمد بن محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1965، ج 4، ص 58.

⁴ - سورة النحل: الآية 171.

⁵ - سورة الشورى: الآية 52.

⁶ - سورة النبأ: الآية 38.

⁷ - ابن فارس، مقاييس اللغة، ج 2، ص 454.

أما تعريف الروح اصطلاحاً فليس له معنى واحد محدد بل عدة معانٍ متشعبة، ما ذكره ابن القيم ونسبه إلى جماعة، حيث قال: وقالت جماعة "الأرواح على صور الخلق، لها أيد وأرجل، وأعين، وسمع وبصر ولسان.

وقال الإمام البغوي: "الروح جسم لطيف يحيا به الإنسان".

وقال ابن أبي العز الحنفي: "النَّفْسُ جِسْمٌ مُخَالِفٌ بِالْمَاهِيَّةِ لِهَذَا الْجِسْمِ الْمَحْسُوسِ، وَهُوَ جِسْمٌ نُورَانِيٌّ غُلُوبِيٌّ، خَفِيفٌ حَيٌّ مُتَحَرِّكٌ، يَنْقُذُ فِي جَوْهَرِ الْأَعْضَاءِ، وَيَسْرِي فِيهَا سَرِيانَ الْمَاءِ فِي الْوَرْدِ، وَسَرِيانَ الدُّهْنِ فِي الرَّيْتُونِ، وَالنَّارِ فِي الْقَحْمِ. فَمَا دَامَتْ هَذِهِ الْأَعْضَاءُ صَالِحَةً لِقَبُولِ الْأَثَارِ الْفَائِضَةِ عَلَيْهَا مِنْ هَذَا الْجِسْمِ اللَّطِيفِ، بَقِيَ ذَلِكَ الْجِسْمُ اللَّطِيفُ سَارِيًّا فِي هَذِهِ الْأَعْضَاءِ، وَإِفَادَتُهَا هَذِهِ الْأَثَارُ، مِنْ الْحِسِّ وَالْحَرَكَةِ الْإِرَادِيَّةِ، وَإِذَا فَسَدَتْ هَذِهِ، بِسَبَبِ اسْتِيلَاءِ الْأَخْلَاطِ الْغَلِيظَةِ عَلَيْهَا، وَخَرَجَتْ عَنْ قَبُولِ تِلْكَ الْأَثَارِ، فَارَقَ الرُّوحُ الْبَدَنَ، وَانْفَصَلَ إِلَى عَالَمِ الْأَرْوَاحِ¹ وَالذَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾².

يأتي استكمالاً لأطوار خلق الإنسان المذكورة في الآية: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾³ والإنشاء هو التصوير والتسوية والتعديل، ثمّ النفخ في الروح، و(ثم) هنا تفيد التراخي ولا تفيد السببية؛ أي أنّ النفخ في الروح جاء في مرحلة متأخرة وليس بسبب الإنشاء والتعديل، وبالتالي لم تكن هذه المرحلة نتيجة المراحل السابقة، فنفس الروح لا يرتبط بتطورات الجنين، بل هو سر من أسرار الله يودعه جسم الإنسان، والبحث في حقيقتها أمر في غاية الغموض، والمعطيات الأساسية غير متوافرة للبحث فيها، أما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾⁴، إذ وضع ابن فارس دلالة التسوية فقال: "سَوَّى: السَّوَّى والواو والياء أصل واحد يدلّ على استقامة واعتدال بين شيئين"⁵ حيث سوى أعضاء الإنسان وعدلها في المماثلة، لا تفضل يد على أخرى ولا رجل على أخرى، فسواه إنساناً كريماً وعدل به أن يجعله

¹ - ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، المكتب الإسلامي، بيروت، ط 9، 1988، ص 260.

² - سورة الزمر: الآية 42.

³ - سورة المؤمنون: الآية 14.

⁴ - سورة السجدة: الآية 9.

⁵ - ابن فارس، مقاييس اللغة، ج 13، ص 112، مادة (سوى).

حيواناً بهيماً، أما في دلالة نفخ فيقول: "النون والفاء والخاء أصل صحيح يدل على انتفاخ وعلو، ومنه انتفخ الشيء انتفاخاً، والنون والفاء تدلان على انقطاع الشيء وذهابه"¹.

إذ تبدو على الجنين في هذه المرحلة مظاهر جديدة؛ كاكتمال بناء القلب والكبد والدماغ والسمع والبصر، وتبدأ عضلاته الإرادية بالتحرك، ويتقلب في رحم أمه، ويبدأ ظهور الأظافر في أطراف أصابع اليدين والقدمين، وتنضج معالم الشخصية المتميزة عن جميع البشر².

فالقارئ الذي يتأمل الآيات التي تصف خلق الإنسان يدرك أنها تمثل استعداداً لمرحلة أرفع وأكثر نبلاً في حياته، وهذه الآيات تشكل دليلاً قاطعاً على الرسالة الإلهية حيث يمكن للإنسان أن يرى فيها آثار الخالق الذي لا يمكن للعيون أن تراه والآذان أن تسمعه، وبالرغم من أن الإنسانية اكتسبت الكثير من المعرفة حول هذه العملية بفضل تقدم علم الطب وعلم الأجنة، إلا أن القرآن الكريم أشار إليها قبل قرون، لذلك يجب على كل من لديه القدرة على التفكير والتأمل أن يتوقف ويتأمل في هذا الخلق العجيب، إن ذلك يملأ النفوس بالإيمان ويثير الخشوع أمام عظمة الخالق، الذي لا يُضاهى في علوه وكماله.

وكما أشرنا بما أن الروح في القرآن الكريم تُشير إلى جوانب متعددة وعميقة من الوجود الإلهي والإنساني، والروح لها ثلاث مراحل:

أولاً. في بطن الأم جيناً:

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾³، قال ابن عباس: أي نفخ الروح فيه⁴.

وفي الحديث ما رواه الإمام أحمد في مسنده: عن عبد الله -هو ابن مسعود- قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو الصادق المصدوق: إن أحدكم ليُجمع خَلْقُهُ في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقه مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: رزقه، وأجله، وعمله، وهل هو شقي أو سعيد، فوالذي لا إله غيره، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيختم له بعمل أهل النار فيدخلها،

¹ - ابن فارس، مقاييس اللغة، ج 5، ص 458، مادة (نفخ).

² - انظر: السعيد عاشور، الإنسان في القرآن الكريم علمي، طي، تربوي، ديني، دار غريب، القاهرة، 2002، ص 255.

³ - سورة المؤمنون: الآية 12-14.

⁴ - جمال الدين البغدادي، زاد المسير في علم التسيير، المكتب الإسلامي، بيروت، 1984، ج 4، ص 405.

وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيختم له بعمل أهل الجنة فيدخلها"¹.

فالروح تكون في الدنيا ابتداءً في بطن الأم في ذلك الحصر والضيق والغم والظلمات الثلاث من بلوغ الجنين 120 يوماً يؤمر الملك بنفخ الروح فتسري الروح في الجسد، فيبدأ في التحرك ويصبح خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين، وهذه الصلة بين الروح والجسد في بطن الأم رتب الفقهاء أحكاماً شرعية تتعلق بهذا المخلوق في داره الأولى كالإجهاض والدية والإرث، والوقف والصلاة عليه، وغير ذلك من الأحكام والحقوق التي قررها الشرع المطهر².

ثانياً: بَعْدَ خُرُوجِهِ إِلَى وَجْهِ الْأَرْضِ: يقول تعالى: ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرُهُ﴾³، فيه قولان:

✓ الأول: سهل له العلم بطريق الحق والباطل، قاله الحسن، ومجاهد. قال الفراء: والمعنى: ثم يسره للسبيل.

✓ الثاني: يسر له السبيل في خروجه من بطن أمه⁴، أي الانتقال إلى هذه الدار التي نشأت فيها والفتها واكتسبت فيها الخير والشر أسباب السعادة والشقاوة، وفي هذه المرحلة عند اتصال الروح بالبدن معاً هو ما يعرف بالإنسان، فلذا ما يناله في هذه الدار منصب على الروح والبدن معاً، إلا أن الأبدان، تبع، وكما قال ابن القيم: "أحكام دار الدنيا على الأبدان والأرواح تبعاً لها وعلى ذلك يناهما معاً اللذة والألم والراحة والتعب، ويشتركان في الأعمال الصالحة والطالحة، وما يترتب على ذلك من ثواب وعقاب، وما يوصف به أحدهما يوصف به الآخر⁵.

ثالثاً: في حَالِ النَّوْمِ، فلها به تَعَلُّقٌ مِنْ وَجْهِ، وَمُفَارَقَةٌ مِنْ وَجْهِ:

النوم أخو الموت إلا أن الروح تفارق البدن جزئياً، ولذا فما ينال الإنسان في هذه الدار حال النوم منصب على الأرواح والأبدان معاً، إلا أن التبعية عكسية، أي عكس ما كانت عليه حال اليقظة أي أصبح البدن تابعاً للروح، فالروح في حال النوم لها اتصال بالبدن من وجه، ولها انفصال من وجه

¹ - شهاب الدين أبو العباس، سنن أبي داود، دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، مصر، 1990، ج 12، ص 316.

² - ابن كثير تفسير القرآن العظيم، مؤسسة قرطبة للطبع والنشر والتوزيع، الجزيرة، 2000، ج 5، ص 467.

³ - سورة عبس: الآية 20.

⁴ - ابن الجوزي، زاد المسير، تح: محمد بن عبد الرحمن عبد الله، المكتب الإسلامي، لبنان، 1984، ج 6، ص 124.

⁵ - علي بن سعيد العبيدي، موسوعة الروح - الروح عند أهل السنة والجماعة - الروح عند أهل الكلام والفلسفة، ج 1، الدرر السنية - الظهران، ط 1، 1433هـ، ص 202.

آخر، وهذا الانفصال هو الانفصال الجزئي، ولو كانت كلياً لكان الموت؛ لانقطاع التعلق بينهما، وقد ذكر ذلك عز وجل في كتابه: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾¹ وهذه الروح المرسلة تأتي بالمبشرات، وهي التي تأتي بالأفراح والأتراح، وهي التي تلتقي بالأحياء والأموات، وهي التي تعرج إلى السماء وتسجد تحت العرش، وهي التي ترى ربها وخالقها، وقد تأتي بشفاء الأمراض، والوصايا، وحل المعضلات وغير ذلك².

ومن خلال ما مر من دراسة نستطيع القول أن الله عز وجل جعل من سُننته خلق الإنسان من مادة واحدة وروح واحدة وهذا التأصيل يرجع بالإنسان إلى وحدة أصله التي تدعو لأن يعتبر أنه وباقي البشر على الأرض منذ بداية تكوينه إلى يوم القيامة يشترك معهم في عناصر تكوينه وهذا الانتماء الروحي والمادي يعزز صلة الإنسان بالإنسان.

المطلب الثالث: وحدة الفطرة:

الفرع الأول: تعريف الفطرة لغة:

وردت لفظة الفطرة بالكسر والفتح والضم، فهي بالكسر الخلقة أي ما فطر الله عليه الخلق من المعرفة به، قال أبو الهيثم: الفطرة الخلقة التي يخلق الله عليها المولود في بطن أمه، قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَأَنَّهُ سَاهِدِينَ﴾³، وبالفتح بمعنى الشق طولاً، يقال فطرته فانفطر، ومنه قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾⁴، أي انشقت، ويأتي بمعنى الابتداء والاختراع⁵، قال ابن عباس ما كنت أعرف ما فطر السموات والأرض حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما أنا فطرتهما، أي أنا ابتدأت حفرهما⁶، وفطر الله الخلق، إيجاده الشيء وإبداعه على هيئة ترشحه لفعل من الأفعال⁷ قال تعالى: ﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾⁸، أي الذي أوجدنا أبدعنا، وقال تعالى: ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدَ الَّذِي فَطَرَنِي فِي وَآلِيهِ﴾

¹ - سورة الزمر: الآية 42-43.

² - علي بن سعيد العبيدي، المرجع السابق، ص 204.

³ - سورة الزخرف: الآية 27.

⁴ - سورة الانفطار: الآية 01.

⁵ - ابن منظور، لسان العرب، ج 5، ص 56.

⁶ - ابن منظور، المرجع السابق، ص 56.

⁷ - انظر: إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، دار العلم للملايين، بيروت، 1987، ج 2، ص 781.

⁸ - سورة طه: الآية 72.

ترجعون¹، وبالضم، فطره يفطره فطرا أي خلفه، والفطرة بأساليبها الثلاثة تدور معانيها على الابتداء والخلق والإيجاد أولاً من غير التأثيرات الخارجية عليه إلا من قبل منشئه، ومنه قوله تعالى: ﴿الحمد لله فاطر السموات والأرض﴾²، ومن أمعن النظر في خلق الله وصنعه لا يجد تفاوتاً أو تنافراً بين أجزائه يقول تعالى: ﴿صنع الله الذي أتقن كل شيء﴾³.

وقوله تعالى: ﴿ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير﴾⁴، وفطرة الله: أي الجبلّة المتهيئة لقبول الدين، فهي ما ركز فيه من قوته على معرفة الإيمان.

ومنه قوله تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله﴾⁵.

الفرع الثاني: تعريف الفطرة اصطلاحاً:

تنوعت تعريف العلماء حول لفظة الفطرة وكلها تدور حول المعاني اللغوية، فجاءت متحدة في مضمونها مختلفة في ألفاظها وفيما يأتي بعض هذه التعاريف:

1. عرفها الطبري بقوله: "هي الصبغة التي خلق الله الناس عليها ألا وهي الإسلام"⁶؛ فقد فسر الطبري الفطرة بالدين والابتداء بالعهد الذي أعطوه مع الله والاعتراف بألوهيته وأن الإسلام دين الفطرة.

2. عرفها القرطبي بقوله: "البداء التي ابتدأهم الله عليها من الحياة والموت السعادة الشقاء وإلى ما يصدون إليه عند البلوغ"⁷ فهو الابتداء والاختراع من الله تعالى للخلف أولاً.

ويمكن أن نعرف الفطرة من خلال التعاريف ليكون التعريف جامعاً مانعاً ونقول:
الفطرة: هي أيجاد الله تعالى المخلوق من العدم وتأبيدهم بالمعرفة التي توصلهم إلى الانقياد لجلاله بمنهج الإسلام لترشدتهم إلى ذلك من خلال هذا التعريف، نجمل ما يأتي:

¹ - سورة يس: الآية 22.

² - سورة فاطر: الآية 01.

³ - سورة فاطر: الآية 88.

⁴ - سورة الملك: الآية 04.

⁵ - سورة الزخرف: الآية 81.

⁶ - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري جامع البيان، دار ابن الجوزي، القاهرة، 2009، ج 21، ص 40-41.

⁷ - أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1964، ج 14، ص 25.

✓ أن فاطر السماوات والأرض ومنشئ المخلوقات هو الله.

✓ السلامة من العيوب والتفاوت بين أجزاء الكون.

✓ العهد الذي بين الخالق والمخلوق الانقياد لجلاله وبينه وبين الإنسان الانقياد والإيمان به على منهج الإسلام.

✓ جريان حكمه وأمره على المخلوق ومحاسبتهم على هذا العهد الذي أخذه منهم واعترافهم وقبولهم للعهد الذي قبلوه من الله.

يتضح من خلال هذه التعاريف أنّ الفطرة ليست مجرد مفهوم نظري بل هي رابطة وجودية بين الخالق والمخلوق تجعل الإنسان مهياً بطبعه للانقياد إلى منهج الإسلام، وهي بهذا المعنى تمثل الجسر الذي يصل الروح بمصدرها الإلهي.

الفرع الثالث: سنة الفطرة الإنسانية:

جاء لفظ الفطرة في القرآن الكريم بمعان متعددة وأساليب متنوعة، فجاء بمعنى الخلق والإبداع ست مرات قال تعالى: ﴿أني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين﴾¹.

فطر السماوات: أوجدها وخلقها

وقال تعالى: ﴿قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن﴾².

يخاطب النبي إبراهيم قومه بأن الذي ملك السماوات والأرض وخالقهما هو خالقكم وربكم، والإنسان يعلم بأن خلق السماوات والأرض ليس من وضع المخلوقات ولا من الطبيعة الصماء أو خلقنا من تلقاء أنفسهما بهذا النظام الدقيق³.

ثم ينتقل الكلام إلى أن الإنسان خلق ابتداء من التراب ومنشئه وخالقه هو الله تعالى. قال تعالى: ﴿فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة﴾ بين الله تعالى للبشر أن أحياء الأموات يوم القيامة تأتي على يد من أنشأها وفطرها أول مرة، قال تعالى: ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه﴾، وإنشاء الإنسان من التراب مباشرة أمرٌ مسلمٌ لدى العلماء في وحدة عناصر البشر مع

¹ - سورة الأنعام: الآية 76.

² - سورة الأنبياء: الآية 56.

³ - السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المرجع السابق، ص 326.

التراب تغذيه مما أخرج الله له مِنَ الرزق، وتلاش أجزائه بين التراب وفنائها ألا عجب الذنب مما يحيا عليه الأحياء يوم القيامة.

وأكد الله تعالى إحياء المخلوقات بقوله: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾¹، فقد ظهر للبشر كل هذه الحقائق من إنزال الماء من السماء وإحياء الأرض بعد موتها، وكذلك تخرجون، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُسْقِنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأُحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾².

فالفطرة جاءت بمعنى الإسلام والصفاء الذي يولد عليه المولود والأصل الذي يخرج عليه الفرع على شاكلة أبيهم آدم وأمههم حواء من غير إلحاد أو كفر، يقول تعالى: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾³.

غير أن الوقوف عند هذه المعاني اللغوية والاستعمالات القرآنية لا يكفي وحده لبناء تصوّر متكامل عن حقيقة الفطرة الاصطلاحية؛ إذ إن العلماء قد أولوها عناية كبيرة في مصنفاتهم وافترقوا في تحديد معناها الاصطلاحية إلى آراء متعددة تبعاً لمناهجهم في النظر إلى النصوص الشرعية وعلاقتها بالفطرة الإنسانية، ولعلّ من أخصر التعريفات التي ضبطت هذا المفهوم وأوجزته ما ذكره الجرجاني في "التعريفات" حيث عرّف الفطرة بأنها: "الجلبة المتهيئة لقبول الدين"⁴، وهذا التعريف يُشير إلى أن الفطرة ليست مجرد استعداد بيولوجي بل هي تهيؤ خاص يُوجد في الإنسان منذ نشأته يجعله قابلاً لتلقي الدين واستيعابه دون أن يعني ذلك أن الدين يتحقق في الإنسان تلقائياً، بل يحتاج إلى إرادة واختيار.

وإذا كان تعريف الجرجاني موجزاً جامعاً، فإن ابن القيم الجوزية في "شفاء العليل" قد أفاض في تحرير هذه المسألة، ونقل الخلاف الواقع فيها، حيث قال: "وقد اختلف في معنى هذه الفطرة والمراد بها"⁵، ثم أورد عن القاضي أبي يعلى روايتين عن الإمام أحمد: إحداهما أن الفطرة هي "الإقرار بمعرفة الله تعالى" وهو "العهد الذي أخذه الله عليهم في أصلاب آبائهم حتى مسح ظهر آدم فأخرج من ذريته إلى

¹ - سورة يس: الآية 79.

² - سورة فاطر: الآية 9.

³ - سورة الروم: الآية 30.

⁴ - علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983، ص 215.

⁵ - ابن القيم الجوزية، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1987، ص 283.

يوم القيامة أمثال الذر وأشهدهم على أنفسهم أَلست بربكم قالوا بلى¹، والثانية أنها الإسلام، لكن القاضي أبا يعلى رجّح المعنى الأول، وعَلّل ذلك بأن "معنى الفطرة ابتداء الخلقة"²، وأنها لو كانت الإسلام "لوجب إذا ولد بين أبوين كافرين أن لا يرثهما ولا يرثانه ما دام طفلاً لأنه مسلم"³، وهذا الاستدلال الفقهي يُبيّن الأثر العملي المترتب على اختلاف تفسير الفطرة مما يُظهر أن المسألة ليست مجرد نقاش لفظي بل لها تداعيات على الأحكام الشرعية.

أما ابن حجر العسقلاني في "فتح الباري" فقد ذهب إلى تفسير آخر، حيث قال في شرحه لحديث "كل مولود يولد على الفطرة": "(على الفطرة) أي: على فطرة الإسلام"⁴، وبهذا جعل الفطرة مرادفة للإسلام لا مجرد استعداد له، وهو قول يوافق الرواية الأخرى عن الإمام أحمد التي أشار إليها ابن القيم، وقد فَرّق ابن حجر بين استعمالين للفظ الفطرة في الأحاديث النبوية؛ فذكر أن "أما حديث الفطرة خمس، أو خمس من الفطرة فالمراد بها السنة عند الأكثر"⁵، وهذا يُبين أن اللفظ الواحد قد يُستعمل في سياقات مختلفة بمعانٍ متعددة مما يقتضي من الباحث التمييز بين الاستعمالات بحسب السياق الذي وردت فيه.

ويبدو أن التحرير الأكثر إحكاماً لهذه المسألة قد جاء عند ابن عاشور في "التحرير والتنوير"، حيث أفاض في بيان حقيقة الفطرة من وجهة نظر فلسفية وعقدية، فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾: "معنى فطر الناس على الدين الحنيف أن الله خلق الناس قابلين لأحكام هذا الدين وجعل تعاليمه مناسبة لخلقتهم غير مجافية لها، غير نائين عنه ولا منكّرين له مثل إثبات الوجدانية لله، لأن التوحيد هو الذي يساوق العقل والنظر الصحيح حتى لو ترك الإنسان وتفكيره ولم يلحق اعتقاداً ضالاً لاهتدى إلى التوحيد بفطرته"⁶، ثم أورد كلاماً مهماً لابن سينا يوضح به حقيقة الفطرة، وهو: "معنى الفطرة أن يتوهم الإنسان نفسه حصل في الدنيا دفعة وهو عاقل لكنه لم يسمع رأياً ولم يعتقد مذهباً ولم يعاشر أمة ولم يعرف سياسة، ولكنه شاهد المحسوسات وأخذ منها الحالات، ثم يعرض على ذهنه شيئاً ويتشكك فيه، فإن أمكنه الشك فالفطرة لا تشهد به، وإن لم يمكنه الشك فهو

¹ - ابن القيم الجوزية، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، المصدر السابق، ص 283.

² - المصدر نفسه، ص 284.

³ - ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تح: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ، ج 3، ص 168.

⁴ - ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، المصدر السابق، ج 3، ص 168.

⁵ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984، ج 21، ص 89.

⁶ - المصدر نفسه، ج 21، ص 89-90، نقلاً عن ابن سينا في كتابه "النجاة".

ما توجهه الفطرة"¹، وهذا الكلام يُقرر أن الفطرة ليست مجرد ميل غريزي بل هي قدرة عقلية تميز بين الحق والباطل، وتدرك ضرورات الوجود الأولية.

وهذا ما جعل ابن عاشور يصل إلى نتيجة مهمة وهي أن "وصف الإسلام بأنه فطرة الله معناه أن أصل الاعتقاد فيه جار على مقتضى الفطرة العقلية وأما تشريعاته وتفاريعه فهي: إما أمور فطرية أيضاً أي جارية على وفق ما يدركه العقل ويشهد به وإما أن تكون لصلاحه مما لا ينافي فطرته"²، ثم يبيّن أن "كون الإسلام هو الفطرة وملازمة أحكامه لمقتضيات الفطرة صفة اختص بها الإسلام من بين سائر الأديان في تفاريعه أما أصوله فاشتركت فيها الأديان الإلهية وهذا ما أفاده قوله {ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ} فالإسلام عام خالد مناسب لجميع العصور وصالح بجميع الأمم ولا يستتب ذلك إلا إذا بنيت أحكامه على أصول الفطرة الإنسانية ليكون صالحاً للناس كافة وللعصور عامة"، وقد أشار ابن عاشور أيضاً إلى أن قوله تعالى ﴿لَا تَبْدِيلَ لَخَلْقِ اللَّهِ﴾ يُبيّن أن "الدين الحنيف الذي ليس فيه تبديل لخلق الله"³، فهو الدين الموافق للفطرة وأما دين أهل الشرك فإنهم يبدّلون خلق الله عز وجل وقد قال تعالى عن الشيطان: ﴿وَلَا مَرَهُمْ فَلْيَغْيِرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾⁴.

إن الجمع بين هذه التعريفات يُقودنا إلى استخلاص تعريف جامع للفطرة اصطلاحاً وهو أنها: الجِلَّةُ والهيئة التي خلق الله عليها الإنسان، وجعلها مستعدة وقابلة لتلقي الحق والإيمان بالله عز وجل وتهيئة لقبول شريعة الإسلام التي هي دين الفطرة بحيث لا يقع فيها تنافر بين متطلبات الشرع ومقتضيات الطبيعة البشرية السليمة، وهذه الفطرة قد تظهر في صورتها الصافية إذا سلم الإنسان من المؤثرات الخارجية وقد تُغيَّر وتُبدَّل بفعل البيئة والتنشئة، كما يشير إلى ذلك الحديث النبوي الشريف: "كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه"⁵، وهو ما يُفسر لماذا يحتاج الإنسان إلى الوحي والهداية النبوية لإحياء هذه الفطرة وتوجيهها الوجهة الصحيحة.

¹ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، المصدر السابق، ج 21، ص 90.

² - المصدر نفسه، ج 21، ص 90.

³ - المصدر نفسه، ج 21، ص 91.

⁴ - سورة النساء: الآية 119.

⁵ - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه؟، رقم (1358)، ومسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، رقم (2658).

يقول الله عز وجل: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾¹، حيث نجد أن الله عز وجل في هذه الآية الكريمة يبين أن الفطرة هي خلق لا يتغير ولا تتبدل بداخل الإنسان والقانون هنا أن التوحيد ومعرفة الله ومعرفة الخالق مغروسان في جِلَّة كل البشر على امتداد الحياة البشرية، فكلمة "لا تبدل لخلق الله" في قوله تعالى تبين أن الفطرة قانون فرضه الله عز وجل في خلقه لا يخرج عنه مخلوق بشري عن هذا الخلق، وهو بذلك سنة من سنن الله عز وجل ويُعزَّز هذه الحقيقة قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۚ شَهِدْنَا ۚ أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ﴾²، ففي هذه الآية بيان لأقدم ميثاق بين الخالق والمخلوق وهو ميثاق الفطرة الذي أُودع في كيان الإنسان منذ نشأته الأولى، وقد أفاض الدكتور محمد راتب النابلسي في تفسير هذه الآية مُبيِّناً أن الله سبحانه وتعالى خلق الخلائق كلها قبل عالم الصور، وأخذ من بني آدم ذُرِّيَّتَهُمْ وأشْهَدَهُمْ على أنفسهم فقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾، فكان جوابهم: ﴿بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾³، وهذا الإقرار الفطري ليس قولاً باللسان فقط بل هو شهادة مودعة في أعماق النفس البشرية تشهد بوحدانية الله وربوبيته وتجعل التوحيد أصلاً في الإنسان والشرك طارئاً عليه، وقد أشار النابلسي إلى أن "العقل والفطرة كافيان لمعرفة الله واتباع أوامره"⁴، وأن هذا الإيمان الفطري هو أعظم إيمان؛ لأن العقل الإنساني مُبرمج على مبدأ السببية والإقرار بالخالق وهذه الفطرة لا تتبدل ولا تتغير وإنما قد تُغشى بفعل البيئة والتنشئة كما يشير إلى ذلك الحديث النبوي: "كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه"⁵.

وهكذا تتكامل الآيتان الكريمتان - آية سورة الروم وآية سورة الأعراف - لتؤكد أن الفطرة الإنسانية هي سنة إلهية ثابتة، وأن الإيمان بالله معرفة فطرية مغروسة في النفس البشرية لا تحتاج إلى دليل خارجي لتثبتها وإنما تحتاج إلى تنقية وإحياء؛ لأن الشرك والضلال إنما يطرآن على هذه الفطرة بسبب

¹ - سورة الروم: الآية 30.

² - سورة الأعراف: الآية 172.

³ محمد راتب النابلسي، تفسير سورة الأعراف - الدرس التاسع والأربعون (الآيات 172-174)، موقع موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية، حيث قال: "الله سبحانه وتعالى خلق الخلائق كلها قبل عالم الصور... وأشْهَدَهُمْ على أنفسهم، أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالوا بلى".

⁴ - المصدر نفسه، حيث قال: "العقل والفطرة كافيان لمعرفة الله واتباع أوامره".

⁵ - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه؟، رقم (1358)، ومسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، رقم (2658).

المؤثرات الخارجية والعوائد الموروثة، وهذا ما عبّر عنه ابن عاشور في تفسيره بقوله: "فجعل اليهودية والنصرانية مخالفة الفطرة، أي في تفاريعها"¹، أي أن الانحراف عن دين الفطرة إنما يكون في التفاصيل الفرعية التي تطرأ على الأصل، وأما أصل التوحيد فهو ثابت لا يتبدّل.

نستطيع القول مما مر بنا أن الفطرة هي خلقة مطبوعة تدخل في تركيبة الإنسان وتوليفة تدله إلى خالقه، اعتبرها الله عز وجل سنة من سننه تجتمع في قلوب كل البشرية، ومنه نستطيع أن نعتبر أن الفطرة ركيزة تجمع الإنسانية جمعاء من حب لله وحب للحق والخير وبُغض للكره والظلم وتتطلع إلى النقاء والصفاء باتصال الروح بأصلها.

المطلب الرابع: سُنّة التنوع من الائتلاف الزوجي القائم على وحدة الأصل:

امتن الله سبحانه وتعالى علينا في كتابه أن خلقنا معشر الرجال والنساء من نفس واحدة، وهذه النفس الواحدة هي آدم، والمنة في هذا أن نوع الرجال ليسوا خلقاً مستقلاً وكذلك نوع النساء ليس أصل خلقهم مستقلاً فلو كان النساء خلقن في الأصل بمعزل عن الرجال كأن يكون الله قد خلقهم من عنصر آخر غير الطين مثلاً أو من الطين استقلالاً لكان هناك من التنافر والتباعد ما الله أعلم به ولكن كون حواء قد خلقت كما جاء الحديث الصحيح من ضلع من أضلاع آدم عليه السلام قال: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، واستوصوا بالنساء خيراً فإنهن خلقن من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً)²، كان هذا يعني أن المرأة في الأصل قطعة من الرجل، ومعلوم أن أعلاه مما يلي منبت الضلع فإن الضلع يكون فيه اعوجاج، هذا معروف، فالمعنى أنه لا بد أن يكون في خلقها شيء من العوج والنقص، ولذلك حن الرجل إلى المرأة وحنّت المرأة إلى الرجل وتجانسا: حنين الشيء إلى مادته وتجانس المادة بجنسها.

ثم كان من رحمة الله سبحانه وتعالى أن جعل التكاثر من التقاء الرجال والنساء لقاء يكون فيه الإفضاء الكامل، والاتصاق الكامل واللذة الكاملة وذلك ليحقق قول النبي: (النساء شقائق الرجال)³، ومعنى كون النساء شقائق الرجال أن المرأة شقيقة الرجل، بمعنى أنها جزء منه؛ لأن المرأة بنت

¹ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 21، ص 92.

² - أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم عليه السلام وذريته، (4/ 133)، برقم: (3331)، ومسلم، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، (2/ 1091)، برقم: (1468).

³ - أخرجه الإمام أحمد في باقي مسند الأنصار من حديث أم سليم بنت ملحان برقم 5869، والترمذي في كتاب الطهارة، باب ما جاء فيمن يستقيظ فيرى بللاً ولا يذكر احتلاماً برقم 105، وأبو داود في كتاب الطهارة، باب في الرجل يجد البله في منامه برقم 204.

لأبيها فهي بضعة منه؛ كما قال النبي في فاطمة بنت محمد رضي الله عنها: (فاطمة بضعة مني)¹، وله معنى آخر؛ شقائق الرجال أي مساويات للرجال فيما فرض الله عز وجل على الرجال والنساء فيما لا يختص به المرأة أو لا يختص به الرجل.

فالرجل والمرأة وجهان لعملة واحدة. أو شقان لشيء واحد وهذا الخلق على هذا النحو من أعظم آيات الله سبحانه وتعالى، كما قال جل وعلا: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾²، وجاء في مفاتيح الغيب للرازي: "هذا نوع رابع من دلائل وجود الإله وكمال قدرته وعلمه، وهو الاستدلال بأحوال الإنسان فنقول لا شبهة في أن النفس الواحدة هي آدم عليه السلام وهي نفس واحدة. وحواء مخلوقة من ضلع من أضلاعه، فصار كل الناس من نفس واحدة وهي آدم"³.

ولذلك أمرنا الله سبحانه وتعالى بمراعاة هذه الوحدة في الأصل عند تعامل الرجال والنساء فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾⁴، وجاء في تفسير ابن كثير: يقول تعالى أمراً خلقه بتقواه، وهي عبادته، وحده لا شريك له، ومنبهاً لهم على قدرته التي خلقهم بها من نفس، واحدة، وهي آدم عليه السلام، وخلق منها زوجها، وهي حواء عليها السلام خلقت من ضلعه الأيسر، من خلفه، وهو نائم، فاستيقظ فراها فأعجبته، فأنس إليها، وأنست إليه⁵.

بل أمرنا بما هو أكبر من ذلك أن نتذكر نعمته في خاتمنا على هذا النحو، وبأن خلق فينا هذا الميل من بعضنا لبعض وغرس في القلوب الحب والرحمة بين الزوجين كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ

¹ - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ ومنقبه فاطمة بنت النبي ﷺ، برقم (3714)، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة بنت النبي ﷺ، برقم (2449)، عن المسور بن مخرمة رضي الله عنه.

² - سورة الأنعام: الآية 98.

³ - فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 3، 1420هـ، ص 80.

⁴ - سورة النساء: الآية 1.

⁵ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، 1419هـ، ص 77.

لَقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ¹، ومعنى خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها أي نساء تسكنون إليها، من أنفسكم أي من نطف الرجال ومن جنسكم، وقيل: المراد حواء، خلقها من ضلع آدم².

هكذا يصبح أمام المسلم أمور يجب أن يضعها نصب عينيه وهو يبحث في العلاقة بين الرجل والمرأة.

أولاً: أن الرجال والنساء جنس واحد وليسوا جنسين، فأصلهم واحد وهو آدم وزوجته قطعة منه، والرجال والنساء في الأرض بعضهم من بعض لا توجد نسمة إلا وفيها جزء من الرجل وجزء من المرأة وقد تحملت المرأة في الخلق والتكاثر ما لم يتحمل الرجل حيث كان رحمها مستقراً ومستودعاً للنطفة، ومكاناً لا اكتمال الخلق من البويضة والنطفة إلى الطفل، وقد تحمل الرجل في مقابل ما تحملت المرأة الكدح في سبيل العيش والرعاية وبهذا توزعت الاختصاصات وتحمل كل شق من هذا الجنس الواحد جانبها من جوانب استمرار الحياة وبقاء الحضارة: تحملت المرأة وهياها الله أن تكون مستقراً، ومستودعاً للنسل حتى يخرج إلى الحياة، وأن يكون الرجل مكافحاً وعاملاً وكادحاً في سبيل الحصول على الرزق وبهذا تكتمل الصورة الواحدة.

ثانياً: أن خلق الرجال والنساء على هذا النحو من أكبر آيات الله سبحانه وتعالى، ومن أعظم الأدلة على قدرته، وقد أرشدنا الله سبحانه وتعالى في آيات كثيرة إلى التفكير في هذا الخلق كما قال تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ. خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ يُخْرَجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ³﴾، يُخْرَجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ أي: يخرج هذا الماء الدافق، من بين صلب كل واحد منهما، وترائب كل منهما، أي: أن أعضاء وقوى كل منهما، تتعاون في تكوين ما هو مبدأ لتوالد الإنسان: ماء الرجل وهو المني، ومادة المرأة وهي البويضة المصحوبة بالسائل، المنصبان بدفع وسيلان سريع إلى الرحم عند الاتصال الجنسي⁴.

والصلب في لغة العرب هو فقار الظهر (عند الرجل) والترائب هي عظام الصدر، قال الفراء في هذه الآية (يعنى صلب الرجل وترائب المرأة) والمعنى عند ذلك أنه من مجموع جدى الرجل والمرأة بل ومن مخ عظامهما أوجدك الله أيها الإنسان، وذلك لتتم اللحمة والتعاطف والحب بين الأزواج والزوجات والآباء والأمهات والأبناء بعضهم مع بعض فمن فرق بين الذكر والأنثى لصفات الذكورة والأنوثة التي

¹ - سورة الروم: الآية 12.

² - أبو عبد الله القرطبي، كتاب تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1964، ص 406.

³ - سورة طارق: الآية 5.

⁴ - محمد سيد طنطاوي، كتاب التفسير الوسيط لطنطاوي، مطبعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ط 3، 1992، ص 354.

جعلها الله سبحانه وتعالى لازماً لاستمرار النوع والنسل فقد فرق بين الشيء نفسه وجنسه، ومن افتعل معركة بين ذكور الجنس البشري وإنائه فإنما هو مبطل يريد هدم الكيان البشري والوصول إلى الإباحية والشيوعية الجنسية، ومن قال بما قال به الرب سبحانه من توزيع الحقوق والواجبات على الجنسين اعتباراً بالذكورة والأنوثة فقد وافق الفطرة التي فطر الله الناس عليها وأراد أن يعم السلام والخير بين الرجال والنساء.

ويقول الله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾¹، أي أن الله جعل لكم من أنفسكم أزواجا جعل بمعنى خلق وقد تقدم من أنفسكم أزواجا يعني آدم خلق منه حواء، وقيل: المعنى جعل لكم من أنفسكم، أي من جنسكم ونوعكم وعلى خلقتكم؛ كما قال: لقد جاءكم رسول من أنفسكم أي من الآدميين².

من الآيات التي مرت بنا في سورة النحل الآية 72 وسورة النساء الآية 01 وسورة الروم التي تجمعهما أن الزوجية أصلها نفس واحدة فجعل منها زوجا للسكن والمودة والتناسل وتعمير الأرض وجعل هذا قانونا لا يُستثنى فيه البشر مجموعة عن مجموعة وهو نظام وضعه الله عز وجل ويُعتبر سنة من سنن الله ومن آياته.

وعليه هذه الزوجية النابعة من الوحدة ومن أصل واحد مدعاة لنبذ الفروقات وكسر الحواجز بين البشر والانتماء الواحد بينهم على أساس الأصل الواحد.

¹ - سورة النحل: الآية 72.

² - أبو عبد الله القرطبي، كتاب تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن، المرجع السابق، ص 274.

المبحث الثاني: وحدة الكرامة الإنسانية:

إن الإنسان يشكل المحور الأساسي للخطاب في القرآن الكريم فهو المخاطب الرئيسي فيه والقرآن نزل لأجله ولا عجب في ذلك، فهو أكرم المخلوقات التي خلقها الله سبحانه وتعالى قد فضّله الله عن كثير من مخلوقاته الأخرى، ويقول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾¹، فالإنسان يكتسب أهمية خاصة في الإسلام بسبب التكريم الإلهي الذي خصه به الله عز وجل، ويتجلى هذا التكريم في حديث القرآن عن خلق آدم ونفخ الروح فيه وسجود الملائكة له، وكذلك في طرد إبليس لرفضه السجود للإنسان، وهذا الأمر يظهر بشكل واضح في بناء الإنسانية وخاصة في الزمن الذي تجد فيه البشرية نفسها محاصرة بالمشاكل والأزمات، ويمثل القرآن الطريق الوحيد الذي يمكن من خلاله للإنسانية النجاة من هذه الوضع، حيث يمنح القرآن الإنسان حريته وكرامته ويسمح له بالاختيار من بين ألوان الحياة المختلفة.

المطلب الأول: سنة التكريم القائم على النفخة الإلهية (العلم والروح):

أولاً: تعريف الروح:

الروح في اللغة: مصدر راح يروح، وأصله من الراحة والاستراحة، وقيل: هو النفس الذي يحيا به البدن. قال ابن فارس: "الراء والواو والحاء أصل كبير مطّرد يدل على سعة وفُسحة واطراد، وأصل ذلك كله الريح"²، والروح والريح من أصل واحد فالروح هو ما به حياة الأنفس³.
أما في الاصطلاح، فقد عرّف الجرجاني في "التعريفات" الروح بأنها: "الجلبة المتهيئة لقبول الدين"⁴، وهذا التعريف وإن كان موجزاً، إلا أنه يُشير إلى أن الروح هي الأساس الذي يُهيئ الإنسان لتلقي الهداية والإيمان.

وقد أفادت "هيئة التحرير" في كتاب التعريفات بأن الروح عند أهل السنة "هي عبارة عن ذات قائمة بنفسها تصعد وتنزل وتتصل وتنفصل وتخرج وتذهب وتجيء وتتحرك وتسكن"⁵، مستدلين على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا

¹ - سورة الإسراء: الآية 70.

² - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، 1399هـ، ج 2، ص 498، مادة (روح).

³ - ينظر: الجرجاني، كتاب التعريفات، تح: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983، ص 323.

⁴ - المصدر نفسه، ص 323.

⁵ - المصدر نفسه، ص 323.

أَنْفُسَكُمْ¹، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّاتٍ²، فهذه الآيات تدل على أن النفس - وهي الروح - ذات قائمة بنفسها، تخرج وتذهب وتعود، وهذا ما يقرره أهل السنة والجماعة³.

وقد أفاض الطاهر ابن عاشور في بيان حقيقة الروح في تفسيره "التحرير والتنوير"، فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي⁴﴾: "الروح من أمر الله، أي أنه كائن عظيم من الكائنات المشرفة عند الله، ولكنه مما استأثر الله بعلمه، فلفظ أمر يحتمل أن يكون مرادف الشيء فالمعنى: الروح بعض الأشياء العظيمة التي هي لله، فإضافة أمر إلى اسم الجلالة على معنى لام الاختصاص أي أمر اختص بالله عز وجل اختصاص علم⁵، فابن عاشور يرى أن الروح كائن عظيم شريف استأثر الله بعلم حقيقته وأن إضافته إلى الله هي إضافة تشريف وتكريم.

وقال أيضاً في تفسير سورة مريم: "إضافة الروح إلى الله عز وجل إضافة تشريف؛ لأنه روح مبعوث من لدن الله تعالى بدون وساطة التطورات الحيوانية للتكوين النسلي وجعلها وابنها آية هو من أسباب تشريفهما والتنويه بهما⁶، فإضافة الروح إلى الله - عز وجل - هي إضافة تشريف تدل على علو منزلة هذا المخلوق ورفعته قدره.

وقد بين ابن عاشور أن المراد بالروح في قوله تعالى: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ⁷﴾ هو "الوحي"⁸، وأن الله "جيء بفعل الإلقاء، وبكون الروح من أمره، وبصلة من يشاء من عباده، فأذن بأن ذلك بمحض اختياره وعلمه⁹، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ¹⁰﴾.

¹ - سورة الأنعام: الآية 93.

² - سورة الفجر: الآية 27-30.

³ - الجرجاني، كتاب التعريفات، المصدر السابق، ص 323-324.

⁴ - سورة الإسراء: الآية 85.

⁵ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984، ج 15، ص 198.

⁶ - المصدر نفسه، ج 16، ص 138.

⁷ - سورة غافر: الآية 15.

⁸ - المصدر نفسه، ج 24، ص 108.

⁹ - المصدر نفسه، ج 24، ص 108.

¹⁰ - سورة الإسراء: الآية 124.

وأما الروح المسئول عنه في قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾¹ فقد رجّح ابن عاشور قول الجمهور بأنه "الروح بالمعنى الأول الموجود الخفي المنتشر في سائر الجسد الإنساني"²، أي الروح التي هي سر الحياة في الإنسان والتي دلت عليها آثاره من الإدراك والتفكير وهي التي "تتقوم في الجسد الإنساني حين يكون جنيناً بعد أن يمضي على نزول النطفة في الرحم مائة وعشرون يوماً"³.

وقد ذكرت "هيئة التحرير" في كتاب التعريفات أن الروح عند الفلاسفة "عبارة عن نور روحاني آلة للنفس، كما أن السر آلة لها أيضاً"⁴، وقيل: "إن النفس جسم كثيف والروح فيه جسم لطيف، والعقل فيه جوهر نوراني"⁵، وأما الأطباء فعندهم الروح "عبارة عن جسم لطيف بخاري يتكون من لطافة الأخلاط وبخاريتها"⁶، وهو الحامل للقوى الثلاث: الروح الحيواني، والروح النفساني، والروح الطبيعي.

وأما الصوفية، فالروح عندهم "خفي لذا يسميه السالكون بالأخفى"⁷، وهو "نور لطيف من السر والروح، وهو أقرب إلى عالم الحقيقة"⁸، وقد أجمع المسلمون – كما تذكر هيئة التحرير – على أن "الروح مظهر الذات الإلهية من حيث ربوبيتها، ولذلك فلا يمكن أن يحوم حولها حائم ولا يروم وصلها رائم، لا يعلم كنهها إلا الله تعالى"⁹.

وقد دلت النصوص الشرعية على أن الروح حادثة وليست قديمة وأنها تحدث بعد تسوية الجسم، وتتصل به وتحل فيه وهو جنين كما جاء في حديث النبي ﷺ: "إن أحركم يُجمَعُ خَلْقُهُ في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل الله الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: يكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أم سعيد"¹⁰، فهذا الحديث يُبين أن نفخ الروح يحدث بعد مرحلة المضغة أي بعد مائة وعشرين يوماً من بدء الحمل.

¹ – سورة الإسراء: الآية 85.

² – المصدر نفسه، ج 15، ص 197.

³ – ابن عاشور، التحرير والتنوير، المصدر السابق، ج 15، ص 196.

⁴ – الجرجاني، التعريفات، المصدر السابق، ص 324.

⁵ – المصدر نفسه، ص 324.

⁶ – المصدر نفسه، ص 324-325.

⁷ – المصدر نفسه، ص 324.

⁸ – المصدر نفسه، ص 324.

⁹ – المصدر نفسه، ص 325.

¹⁰ – أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، رقم (3208)، ومسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب كيفية خلق آدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، رقم (2643).

ثانياً: ورود لفظ الروح في القرآن الكريم:

ورد لفظ "الروح" في القرآن الكريم في عدة مواضع جاءت بحسب السياق، منها:

1. الروح بمعنى الوحي، كقوله تعالى: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾¹، وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾².
2. الروح بمعنى جبريل عليه السلام، كقوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾³.
3. الروح بمعنى عيسى عليه السلام، كقوله تعالى: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾⁴.
4. الروح بمعنى النفس الإنسانية، وهي التي تخرج عند الموت وتقبض، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾⁵، وقوله: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾⁶.
5. الروح بمعنى الحياة والنفس التي ينفخها الله في الجنين، وقد ورد ذلك في ثلاثة مواضع رئيسية سنتناولها بالتفصيل.

ثالثاً: نفخ الروح في الإنسان:

ورد نفخ الروح في الإنسان في ثلاث آيات قرآنية اشتملت كل منها على دلالة تكريمية عظيمة سنعرضها مع أقوال المفسرين فيها:

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾⁷، ذكر ابن كثير في تفسيره لهذه الآية أن الله سبحانه "أعلم الملائكة قبل خلق آدم - عليه السلام - بأنه سيخلق بشراً من صلصال من حمأ مسنون، وتقدم إليهم بالأمر متى فرغ من خلقه وتسويته فليسجدوا له إكراماً وإعظاماً واحتراماً وامتنالاً لأمر الله - عز وجل -"⁸، فالسجود هنا جاء مرتبطاً بنفخ الروح وكأن نفخ الروح هو اللحظة التي اكتمل فيها خلق آدم واستحق التكريم بالسجود حيث جعل الله نفخ الروح من روحه سبباً مباشراً لأمر الملائكة بالسجود لآدم تكريماً وإعظاماً.

¹ - سورة غافر: الآية 15.

² - سورة الشورى: الآية 52.

³ - سورة الشعراء: الآية 193.

⁴ - سورة النساء: الآية 171.

⁵ - سورة النبأ: الآية 39.

⁶ - سورة القدر: الآية 4.

⁷ - سورة الحجر: الآية 29.

⁸ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ، ج 4، ص 523.

وقال ابن كثير: "فامتثل الملائكة كلهم ذلك سوى إبليس ولم يكن منهم جنساً، كان من الجن فخان طبعه وجبلته أحوج ما كان إليه، فاستكف عن السجود لآدم"¹، فرفض إبليس السجود كان بسبب استكباره وهو دليل على أن السجود لآدم كان تكريماً له وإظهاراً لفضله وقد امتثل الملائكة لذلك.

وقد بيّن ابن كثير أن السجود كان "إكراماً وإعظاماً واحتراماً"²، وهذا يُبرز الجانب التكريمي لنفخ الروح في الإنسان.

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾³، قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: "ثم سواه) يعني: آدم، لما خلقه من تراب خلقه سوياً مستقيماً، (ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة)، يعني العقول"⁴، ثم ختم بقوله: "فالسعيد من استعملها في طاعة ربه عز وجل"⁵، فابن كثير يربط بين نفخ الروح ومنح الحواس والقوى ويجعل الغاية من ذلك تكريم الإنسان وتمكينه من طاعة الله.

وأما الرازي فقد أشار إلى أن إضافة الروح إلى الله هي إضافة تشريف فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾: "إضافة الروح إلى نفسه كإضافة البيت إليه للتشريف"⁶، ويضيف الرازي أنه "لما أضاف الروح إلى نفسه دل على أنه جوهر شريف علوي قدسي"⁷.

أما ابن عاشور فقد بيّن أن إضافة الروح إلى ضمير الجلالة "للتنويه بذلك السر العجيب الذي لا يعلم تكوينه إلا هو تعالى فالإضافة تفيد أنه من أشد المخلوقات اختصاصاً بالله تعالى وإلا فالمخلوقات كلها لله"⁸، فابن عاشور يُقرر أن الروح من المخلوقات التي اختصها الله بشرف عظيم وأن إضافتها إليه - تعالى - تنويه بها وتشريف.

أما سيد قطب في "في ظلال القرآن" فيرى في هذه الآية إشارة إلى "الفضل الذي أودع تلك الخلية الصغيرة الضعيفة كل هذا الرصيد من القدرة على التكاثر والنماء، والتطور والتحول، والتجمع

¹ - المصدر نفسه، ج 4، ص 523.

² - المصدر نفسه، ج 4، ص 523.

³ - سورة السجدة: الآية 9.

⁴ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، المصدر السابق، ج 3، ص 438.

⁵ - المصدر نفسه، ج 3، ص 438.

⁶ - فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ، ج 25، ص 114.

⁷ - المصدر نفسه، ج 25، ص 115.

⁸ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، المصدر السابق، ج 21، ص 108.

والتخصص"¹، فهو يرى في نفخ الروح إيداعاً إلهياً لقدرات هائلة في هذا الكائن البشري مما يجعله أهلاً للتكريم والتفضيل على كثير من المخلوقات.

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾²، جاء في تفسير ابن كثير لهذه الآية أن الأمر بالسجود كان "إكراماً وإعظاماً واحتراماً وامتنالاً لأمر الله"³، وأن الملائكة "امتلأوا كلهم ذلك سوى إبليس"⁴، وهذا يؤكد أن الجانب التكريمي هو المحور الأساسي في قصة خلق آدم ونفخ الروح فيه.

وقد أوضح الرازي في تفسيره أن قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ يدل على أن تخليق البشر لا يتم إلا بأمرين: التسوية أولاً، ثم نفخ الروح ثانياً⁵، فالروح هي التي أكملت خلق الإنسان وجعلته مستحقاً للتكريم الإلهي. وقد أشار الرازي إلى أن "الفاء في قوله: {فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ} تدل على أنه كما تم نفخ الروح في الجسد توجه أمر الله عليهم بالسجود"⁶، وهذا يظهر أن نفخ الروح هو الحدث الذي استوجب التكريم الإلهي، وكأن لحظة نفخ الروح هي لحظة انتقال الإنسان من مرحلة الجسد المادي إلى مرحلة الكائن المكرّم.

أمّا البيضاوي فقد أشار في تفسيره إلى أن الأمر بالسجود لآدم بعد نفخ الروح كان تكريماً له وإظهاراً لفضله، وأن السجود كان لله - تعالى - بأمره، وآدم كان قبله لهم⁷، وهذا يؤكد أن التكريم الإلهي للإنسان بنفخ الروح فيه لم يكن مجرد تشريف صوري، بل كان تكريماً حقيقياً تجلّى في أمر الملائكة بالسجود.

مما سبق يتبين أن الروح هي سر الحياة الإنسانية وهي الجانب الذي ميّز الإنسان عن سائر المخلوقات وجعله أهلاً للتكريم الإلهي، وقد أجمع المفسرون على أن نفخ الروح في الإنسان كان سبباً مباشراً لأمر الله الملائكة بالسجود لآدم وأن إضافة الروح إلى الله عز وجل هي إضافة تشريف وتكريم تدل على علو منزلة هذا المخلوق ورفعة قدره.

¹ - سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة - بيروت، ط 17، 1412هـ، ج 5، ص 2863.

² - سورة ص: الآية 72.

³ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، المصدر السابق، ج 4، ص 56.

⁴ - المصدر نفسه، ج 4، ص 56.

⁵ - الرازي، مفاتيح الغيب، المصدر السابق، ج 26، ص 215.

⁶ - المصدر نفسه، ج 26، ص 216.

⁷ - ينظر: ناصر الدين البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن مرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1418هـ، ج 5، ص 120-121.

فألروح - كما بيّن ابن عاشور - هي "من أشد المخلوقات اختصاصاً بالله تعالى"¹، وهي التي جعلت الإنسان "خلقاً آخر" بعد أن كان مجرد جسد مادي كما أشار الرازي إلى أن تخليق البشر لا يتم إلا بالتسوية ثم نفخ الروح²، وكما بيّن ابن كثير أن السجود لآدم كان "إكراماً وإعظاماً واحتراماً"³.

وهكذا تتجلى سنة التكريم الإلهي القائمة على نفخ الروح في الإنسان وهي سنة ثابتة في القرآن الكريم تظهر في الآيات التي تناولت خلق آدم ونفخ الروح فيه وتتجلى في التفاسير المختلفة التي أكدت جميعها على الجانب التكريمي في هذا الفعل الإلهي العظيم.

وتشير الآيات إلى قانون مستمر متمثل في الأفضلية والرفعة تكتسب بجانب الروحي والایماني لا بالماديات، لذلك حينما كان آدم على هيئة صلصال رغم تمام تشكيله لم يعطى الكرامة ولكن نفخة الروح غيرت المقاييس وجعلت منه خليفة على الأرض وجعلت الملائكة أكرم خلق الله تكرمه بالسجود بأمر من الله عز وجل، وحمل للأمانة لذلك هناك تلازم بين نفخ الروح والكرامة الإنسانية.

ومما مر بنا نجد أن أغلب التفاسير اعتبرت أن نفخ الروح في الإنسان أكسبه الكرامة وكان سبباً في السجود للملائكة وأنها سر من أسرار الله عز وجل تميز البشرية وتشتمل عند جميع البشر وهذه الودعة تجعل البشر متساوين في القيمة الإنسانية الأصلية من تطلع للقيم العليا كالحق والعدل والجمال مما يخلق أرضة إنسانية موحدة للتعايش والتراحم.

المطلب الثاني: سُنّة التقويم البشري الأمثل القائم على أساس التكليف:

يُعتبر خلق الإنسان في أحسن تقويم له ربط عميق بمفهوم الخلقية ونحن كمسلمين نُؤمن بأن الله خلق الإنسان في أحسن تقويم، حيث منحه الله عقلاً سليماً وجسداً كاملاً، ويُعد الإنسان حصيلة الحكمة الإلهية والرحمة، إذ جُهِز بقدرات فريدة تجعله قادراً على التفكير والاستنتاج، ويمتلك جسماً معقداً يمكنه الحركة والتفاعل مع البيئة المحيطة، وبالإضافة إلى ذلك جُعِلَ الإنسان خليفة على الأرض ومسؤولاً عليها، هذا التكريم والمسؤولية تجعل الإنسان يحمل مهمة عظيمة وقد جاءت عدة آيات تُبين ذلك متمثلة في:

قال تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾⁴، فأحسن الله تعالى خلق كل شيء إذ خلق الإنسان من طين ميت لا حراك فيه

¹ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، المصدر السابق، ج 21، ص 108.

² - الرازي، مفاتيح الغيب، المصدر السابق، ج 26، ص 215.

³ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، المصدر السابق، ج 4، ص 523.

⁴ - سورة فصلت: الآية 7 - 8.

وجعل نسله يخرج من خلاصة انسلت من صلبه من ماء ضعيف، ثم أتم خلقه وتصويره ونفخ فيه الروح، وجعل له السمع والأعين والقلوب ليسمعوا ويفهموا¹.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾²، فالله هو الذي خلق المخلوق من نقطة ماء قليلة وساوى بين أعضائه في مواضعها، ثم عدلها ووازن بينها بحيث صار كل عضو مكمل الآخر³.

قال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾⁴، هذه الآية دليل على خلق الإنسان بأكمل صورة وأحسن تقويم، وأجمل شكل، وهذا يدل على قدرة الخالق وحكمته وعظمته⁵.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾⁶، دلالة التقويم في الآية الكريمة: تسوية الشيء بصورة مناسبة ونظام معتدل وكيفية لائقة، وسعة مفهوم⁷.

والآية الكريمة تدل على أن الله تعالى خلق المخلوق بشكل متوازن لائق من جميع الجهات سواء أكانت الجسمية أم الروحية أم العقلية⁸ وما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾⁹.

قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾¹⁰.

من خلال الآيات الثلاث الأخيرة يرتبط ذكر كلمة أحسن تقويم بوحدة الكرامة الإنسانية من خلال السنن الإلهية في سنة التقويم البشري الأمثل في الخلق القائم على أساس التكليف، والربط

¹ - انظر: جماعة من علماء التفسير، المختصر في تفسير القرآن الكريم، مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض، 1436هـ، ص 484.

² - سورة الانفطار: الآية 6 - 8.

³ - انظر: المختصر في تفسير القرآن الكريم، المرجع السابق، ص 695.

⁴ - سورة التغابن: الآية 3.

⁵ - انظر: محمد بن سليمان الأشقر، تفسير العشر الأخير من القرآن الكريم من كتاب زبدة التفسير ويليهِ أحكام هم المسلم، ط 16، 1429هـ، ص 17.

⁶ - سورة التين: الآية 4.

⁷ - ينظر: تفسير ابن كثير، ج 8، ص 435؛ تفسير القرطبي، ج 20، ص 102؛ تفسير السعدي، ص 1980؛ تفسير الرازي، ج 31، ص 78؛ تفسير الميزان، ج 20، ص 345.

⁸ - انظر: ناصر مكارم الشيرازي، كتاب الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مطبعة سليمان زاده، ط 1، 1426هـ، ص 242.

⁹ - سورة الإسراء: الآية 70.

¹⁰ - سورة المؤمنون: الآية 115-116.

المنهجي: نعني بهذه السُننة أن الخلق في أحسن تقويم ليس امتيازاً لعرق أو جنس بل هو قاسم تكويني مشترك مُنح لجميع البشر فطرةً وبنيةً وعقلاً، ونجد الآيات ربطته بمسؤولية الشكر والعبادة والاستخلاف. * أثره على وحدة الكرامة: هذا التساوي في أصل الخلق والتكريم التكويني يؤسس لوحدة الكرامة، فالجميع يشتركون في نفس القيمة التأسيسية التي سبقت أي تصنيف اجتماعي أو ثقافي لاحق.

وقال "القرطبي" في تفسيره¹: "وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْعَالَمِ الْكَبِيرِ لَهُ نَظِيرٌ فِي الْعَالَمِ الصَّغِيرِ، الَّذِي هُوَ بَدَنُ الْإِنْسَانِ، وَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾، وقال تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾، فَخَوَّسُ الْإِنْسَانِ أَشْرَفُ مِنَ الْكَوَاكِبِ الْمُضِيئَةِ، وَالسَّمْعُ وَالْبَصَرُ مِنْهَا بِمَنْزِلَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ فِي إِدْرَاكِ الْمُدْرَكَاتِ بِهَا، وَأَعْضَاؤُهُ تَصِيرُ عِنْدَ الْبَلَى ثُرَابًا مِنْ جِنْسِ الْأَرْضِ..."، وقوله تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾²، وحيثما وقف الإنسان يتأمل عجائب نفسه التقى بأسرار تدهش وتحير، تكوين أعضائه وتوزيعها، وظائفها وطريقة أدائها لهذه الوظائف، عملية الهضم والامتصاص، عملية التنفس والاحتراق، دورة الدم في القلب والعروق، الجهاز العصبي وتركيبه وإدارته للجسم، الغدد وإفرازها وعلاقتها بنمو الجسد ونشاطه وانتظامه، تناسق هذه الأجهزة كلها وتعاونها، وتجاوبها الكامل الدقيق، وكل عجيبة من هذه تنطوي تحتها عجائب، وفي كل عضو وكل جزء من عضو خارقة تحير الألباب³.

ومنها قوله تعالى: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾⁴، وقال قتادة: قادر والله ربنا على ذلك ومعنى هذا القول عند هؤلاء أن الله عز وجل قادر على خلق النطفة على شكل قبيح من الحيوانات المنكرة الخلق ولكن بقدرته ولطفه وحلمه يخلقه على شكل حسن مستقيم معتدل تام حسن المنظر والهيئة⁵، فالله تعالى هو الذي سوَّى خلقك - أيها الإنسان - فعَدَلَك، وجعلك مستوي الخلقة سالم الأعضاء، وجعلك معتدل الخلق متناسب الأعضاء ليست يد أو رجل أطول من الأخرى،

¹ - أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، (المتوفى: 671 هـ): الجامع لأحكام القرآن، تح: هشام سمي البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1423 هـ / 2003، ج 2، ص 202 - 203.

² - سورة الذاريات: الآية 12.

³ - سيد قطب، القرآن الكريم - في ظلال القرآن، تفسير سورة الذاريات - الآية 21

⁴ - سورة الانفطار: الآية 7-8.

⁵ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، المرجع السابق، ص 587.

ومنها قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾¹، قال أبو جعفر: يعني بذلك جل ثناؤه: الله الذي يصوِّرُكم فيجعلكم صورًا أشباحًا في أرحام أمهاتكم كيف شاء وأحب، فيجعل هذا ذكرًا وهذا أنثى، وهذا أسود وهذا أحمر. يُعرَف عباده بذلك أنَّ جميع من اشتملت عليه أرحامُ النساء، ممَّن صورته وخلقه كيف شاء²، ومنها قوله تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾³، والفاء للتفسير والمعنى أحسن خلق صوركم وذلك أن الإنسان جهاز من دقائق التجهيز في صورته بما يقوى به من الأعمال المتنوعة العجيبة على مالا يقوى عليه شيء من سائر الموجودات الحية، ويلتذ من مزايا الحياة بما لا يتيسر لغيره أبداً⁴.

وأيضا قوله عز وجل مخاطبا بني آدم إلى قيام الساعة: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾، وجاءت هذه العبارة في موضعين في القرآن الكريم: الأول في سورة غافر قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾، والثاني في سورة التغابن: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾⁵، ولأهل العلم قولان في هذه القضية: الأول: أن المعنى هنا هو آدم عليه السلام، خَلَقَهُ بِيَدِهِ كَرَامَةً لَهُ، قَالَهُ مُقَاتِلٌ، أما الرأي الثاني: فهو يعني جميع الخلائق، أما التَّصْوِيرُ فهو التَّخْطِيطُ وَالتَّشْكِيلُ، قال القرطبي: فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ أَحْسَنَ صُوَرَهُمْ؟ قِيلَ لَهُ: جَعَلَهُمْ أَحْسَنَ الْحَيَوَانِ كُلِّهِ، وَأَبْهَاهُ صُورَةً بِدَلِيلٍ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَتِمُّ أَنْ تَكُونَ صُورَتُهُ عَلَى خِلَافِ مَا يَرَى مِنْ سَائِرِ الصُّورِ، وَمِنْ حُسْنِ صُورَتِهِ أَنَّهُ خُلِقَ مُنْتَصِبًا غَيْرَ مُنْكَبٍ، كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ⁶.

¹ - سورة آل عمران: الآية 6.

² - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، 2001، ص 50.

³ - سورة غافر: الآية 64.

⁴ - السيد الطباطبائي، تفسير الميزان، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، د ت، ج 17، ص 346.

⁵ - سورة التغابن: الآية 3.

⁶ - أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2003، ج 2، ص ص 202 - 203.

إن تنويه الإسلام بقدسية الإنسان وكرامته، ورعاية الشريعة الإسلامية لذلك في سائر الأحكام، حقيقة ثابتة لا يرتاب فيها باحث أو فقيه، ومن ثم فإن رعاية الكرامة الإنسانية داخلية دخولا أوليا في المقاصد أو المصالح التي هي محور الشرع الإسلامي الحنيف¹.

أوضح القرآن الكريم بأن الله تعالى خلق الإنسان بشكل بديع، وزوده بالحواس والجوارح والغرائز والقوى اللازمة ليتمكن من أداء مسؤولياته وواجباته بكل كفاءة وفعالية.

المطلب الثالث: سُنّة التلازم بين الكرامة الإنسانية والفاعلية الكونية القابلة للتسخير:

بإحسانه عز وجل منح الله الإنسان وسخر له الكون لخدمته وليستفيد منه، ممكناً له استخدام جميع موارد الكون وذلك لتحقيق مصالحه ومساعدته في أداء الدور الذي خُلق من أجله، وسخر الله للإنسان ما هو أكبر منه خلقاً مثل السماوات والأرض، وما هو أعظم منه جسماً كالأنعام وغيرها الكثير والمتنوع، وكل ما وجد في هذا العالم فقد خلقه الله عز وجل لأجل الإنسان، ويقول الله عز وجل: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾².

يقول تعالى ذكره الله الذي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وفعل الأفعال التي وصف ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ يتعاقبان عليكم أيها الناس بالليل والنهار، لصلاح أنفسكم ومعاشكم ﴿دَائِبَيْنِ﴾ في اختلافهما عليكم. وقيل: معناه: أنهما دائبان في طاعة الله، وحدثنا خلف بن واصل، عن رجل، عن مقاتل بن حيان، عن عكرمة، عن ابن عباس، في قوله ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ﴾³ قال: دءوبهما في طاعة الله، ووقوله ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ يختلفان عليكم باعتقاب، إذا ذهب هذا جاء هذا بمنافعكم وصلاح أسبابكم، فهذا لكم لتصرفكم فيه لمعاشكم، وهذا لكم للسكن تسكنون فيه، ورحمة منه بكم⁴، أي أن الله بتسخيره للسماوات والأرض والشمس والقمر بهدف توفير النعم والمنافع للإنسان، وهذا يعكس رحمة الله وفضله على الإنسان.

¹ - محمد سعيد رمضان البوطي، انتفاع الإنسان بأعضاء جسم إنسان آخر حياً أو ميتاً في الفقه الإسلامي، مجلة مجمع الفقه الإسلامي، تصدر عن منظمة المؤتمر الإسلامي بجدة، العدد 4، ص 121.

² - سورة إبراهيم: الآية 32.

³ - سورة إبراهيم: الآية 33.

⁴ - الطبري، تفسير الطبري، المرجع السابق، ص 259.

يقول ابن كثير: يعدد تعالى نعمه على خلقه بأن خلق لهم السموات سقفاً محفوظاً والأرض فرشاً ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى﴾¹، ما بين ثمار وزروع مختلفة الألوان والأشكال والطعوم والروائح والمنافع وسخر الفلك بأن جعلها طافية على تيار ماء البحر تجري عليه بأمر الله تعالى وسخر البحر لحملها ليقطع المسافرون بها من إقليم إلى إقليم آخر لجلب ما هنا إلى هناك وما هناك إلى هنا وسخر الأنهار تشق الأرض من قطر إلى قطر رزقاً للعباد من شرب وسقي وغير ذلك من أنواع المنافع ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ﴾² أي يسيران لا يفتران ليلاً ولا نهاراً³.

مما سبق نجد أن الله عز وجل خالق السموات والأرض قد وفر للإنسان نعمًا كبيرة ومتنوعة، وخلق سقفاً محفوظاً في السموات وفرشاً في الأرض لخدمة الإنسان، وأنزل الماء من السماء لينبت الزروع والثمار المتنوعة، وبالإضافة إلى ذلك سخر الله تعالى الشمس والقمر ليسيران دائماً، ليوفران النور والظلام، مما يساهمان في تنظيم الحياة، هذه الآيات تبرز كرم الله وحكمته في خلقه وتسخير الكون للإنسان.

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلُكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾⁴، وقال الإمام الرازي في تفسير هذه الآية: أي ذلل لكم ما فيها فلا أصلب من الحجر ولا أحد من الحديد ولا أكثر هيبة من النار، وقد سخرها لكم وسخر الحيوانات أيضاً حتى ينتفع بها من حيث الأكل والركوب والحمل عليها والانتفاع بالنظر إليها⁵.

وقال الشيخ السعدي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾⁶، وهذا شامل لأجرام السموات والأرض ولما أودع الله فيهما من الشمس والقمر والكواكب والثوابت والسيارات وأنواع الحيوانات وأصناف الأشجار والثمار وأجناس المعادن وغير ذلك مما هو معد لمصالح بني آدم ومصالح ما هو من ضروراته، فهذا يوجب عليهم أن يبذلوا غاية جهدهم في شكر نعمته وأن تتغلغل أفكارهم في تدبر آياته وحكمه، وكل ذلك دال على أنه وحده المألوه المعبود

¹ - سورة طه: الآية 53.

² - سورة إبراهيم: الآية 33.

³ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص 1036.

⁴ - سورة الحج: الآية 65.

⁵ - فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، دار الكتب العلمية، 2004، ج 12، ص 55.

⁶ - سورة الجاثية: الآية 13.

الذي لا تنبغي العبادة والذل والمحبة إلا له وأن رسله صادقون فيما جاءوا به، فهذه أدلة عقلية واضحة لا تقبل ريباً ولا شكاً¹.

الله عز وجل كَرَّمَ الإنسان عندما أعد له الأرض، جعلها مناسبة للحياة بفضل الهواء والماء وغيرها من عوامل البقاء التي خصَّها بها، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾².

قال الإمام الشوكاني: "أي: سهلة لينة تستقرون عليها، ولم يجعلها خشنة بحيث يمتنع عليكم السكون فيها والمشي عليها"³.

وقال الشيخ السعدي في تفسير هذه الآية: هو الذي سخر لكم الأرض وذلَّلها، لتدركوا منها كل ما تعلقت به حاجتكم، من غرس وبناء وحرث، وطرق يتوصل بها إلى الأقطار النائية والبلدان الشاسعة، ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ أي: لطلب الرزق والمكاسب، ﴿وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ أي: بعد أن تنتقلوا من هذه الدار التي جعلها الله امتحاناً، وبلغة يتبلغ بها إلى الدار الآخرة، تبعثون بعد موتكم، وتحشرون إلى الله، ليجازيكم بأعمالكم الحسنة والسيئة⁴.

هناك العديد من الآيات تشير إلى أهمية الماء ودوره كسبب أساسي للحياة، وتوزيعه في الأرض بهذه الطريقة يُعتبر فضلاً عظيماً ورحمة من الله تعالى، يقول الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾⁵.

وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾⁶، يقول الطبري في تفسير هذه الآية: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ﴾ من شمس وقمر ونجوم ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ من دابة وشجر وجبل وجماد وسفن لمنافعكم ومصالحكم ﴿جَمِيعًا مِنْهُ﴾ يقول تعالى ذكره: جميع ما ذكرت لكم أيها الناس من هذه النعم نعم عليكم من الله أنعم بها عليكم

¹ - عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مؤسسة الرسالة، سوريا، ط 1، 2002، ص 936.

² - سورة الملك: الآية 15.

³ - محمد بن عبد الله الشوكاني، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط 1، 1414هـ، ص 1771.

⁴ - عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، 2000، ص 1054.

⁵ - سورة الواقعة: الآية 68.

⁶ - سورة الجاثية: الآية 13.

وفضل منه تفضل به عليكم جميعها منه ومن نعمه فلا تجعلوا له في شرككم له شريكا بل أفرده بالشكر والعبادة وأخلصوا له الألوهة فإنه لا إله لكم سواه¹.

استخراج السنة:

1- تفكيك المفاهيم:

* وسخر لكم: اللام هنا تفيد الغائية والانتفاع والخطاب موجه للإنسانية جمعاء بصمير الجمع بكم.
* أما في السماوات وما في الأرض جميعا: تفيد الشمول والاستغراق فلا توجد كينونة في هذا الوجود إلا وهي مُهيأة لخدمة حركة الإنسان وحاجته.
* منه: تدل على مصدر هذا العطاء فهو هبة ربانية مباشرة من الخالق لكل المخاطبين دون وساطة أو تمييز.

* لقوم يتفكرون: إشارة إلى أن إدراك هذه العلاقة وقوانينها يحتاج إلى تفعيل العقل والبحث والتفكير.

ومنه نستنتج أن العلاقة التلازمية بين المتغيرات التالية متمثلة في:

* التسخير كأثر للتكريم: الآية الكريمة لا تتحدث عن مجرد منافع مادية، بل عن إعلاء لمكانة الإنسان فحين يكون الكون كله بما فيه من عظمة مُسَخَّرٌ لخدمة الإنسان فهذا أسمى أشكال التكريم الإلهي العملي لهذا الإنسان.

* وحدة الكرامة عبر التسخير المشترك: كلمة (لكم) أو (جميعا) تَقْطَعُ الطريق على أي تمييز عنصري أو طبقي فالكون مسخر للنوع الإنساني باعتباره إنساناً مما يؤسس لوحدة الكرامة البشرية، فكل البشر متساوون أمام تسخير الطبيعة، ولا فضل لأحد في أصل الاستحقاق لهذا التسخير.
ومنه نستطيع القول أن هذه الآية تصل بنا إلى سنة التلازم بين الكرامة الإنسانية والفاعلية الكونية القائمة على التسخير.

والقرآن الكريم يشير بوضوح في عدة آيات إلى الارتباط الحيوي بين الماء ونمو النباتات والثمار، وهو الغذاء الأساسي للإنسان وماشيته، نذكر منها قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾²، وقال تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ أَنَا صَبَبْنَا

¹ - ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، دار الفكر، 1984، ج 13، ص 143-144.

² - سورة النحل: الآية 10.

الْمَاءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا وَرَيْتُونًا وَنَخْلًا وَحَدَائِقَ غُلْبًا وَفَاكِهَةً وَأَبًّا مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ¹.

القرآن يشير إلى الليل والنهار سواءً عبر إظهاره بصيغة التسخير، أو عند ذكر الغاية من هذا التسخير، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾²، قال ابن كثير: «يمتن تعالى على خلقه بآياته العظام، فمنها مخالفته بين الليل والنهار، ليسكنوا في الليل وينتشلوا في النهار للمعاش والصناعات والأعمال والأسفار، وليعلموا عدد الأيام والجمع والشهور والأعوام، ويعرفوا مضي الآجال المضروبة للديون والعبادات والمعاملات والإجراءات وغير ذلك؛ ولهذا قال: ﴿لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: في معاشكم وأسفاركم ونحو ذلك ﴿وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ فإنه لو كان الزمان كله نسقاً واحداً وأسلوباً متساوياً لما عرف شيء من ذلك»³.

هكذا خصّ الله تعالى الإنسان بتسخير السماوات والأرض لخدمته، وما ذُكر هنا هي مجرد أمثلة تؤكد ما أشرنا إليه، وهو أن الله تعالى يُيسّر للإنسان الطريق لحياته، ولا يُمكن إلا أن نُذكر بأن آيات التسخير كثيرة وفوائدها عظيمة، وإنّ تأمل ظاهرة تسخير الكون للإنسان يفتح أمام العقل والقلب معاً أفقاً رحباً لفهم العلاقة بين الخالق والمخلوق، فليس التسخير مجرد منفعة مادية يجنيها الإنسان من الماء والهواء والشمس والأنهار بل هو في جوهره دعوة عقدية عميقة إلى إدراك عظمة المنعم وتوجيه البصر والبصيرة إلى أن كل هذه النعم ليست إلا دلائل على وحدانيته، وهكذا فإنّ التسخير ليس إذن غاية في ذاته بل وسيلة إيمانية وتربوية ليبقى الإنسان متذكراً أنّ وجوده في هذا الكون مرتبط برباط العبودية لله وأنّ من مقتضيات هذا التسخير أن لا يغفل عن الشكر وألا يزيغ قلبه عن التوحيد الخالص.

إن التسخير الذي وهبه الله عز وجل للإنسان جاء تشريفاً وتكليفاً من حيث اصطفاؤه على الخلق بهذا التسخير وتذليل الكون له وجاء تكليفاً لحمله أمانة الإستخلاف على الأرض وكل البشر معنيين بهذا التسخير ومنه الوحدة الإنسانية جاءت بعدة صور ومنها سُنّة هذا التسخير الذي هو من ضمن وحدة الكرامة الإنسانية.

¹ - سورة عبس: الآية 24.

² - سورة الإسراء: الآية 12.

³ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص 1106.

المبحث الثالث: وحدة وسائل المعرفة والأخلاق الإنسانية:

يُمثل القرآن الكريم بصفة عامة منظومة متكاملة من المعرفة والأخلاق، حيث يقدم إرشادات حول الغيبيات مثل الإيمان بالله تعالى والملائكة والقدر والحياة الآخرة، ويحكم الأصول والقيم التي يجب على المسلمين العيش بموجبها، مشجعاً في الوقت نفسه على السعي لفهم العالم والبحث عن المعرفة فيه، ويُقدم مبادئ أخلاقية عالمية تُنظم سلوك الإنسان وتُعزز التعاون والوثام بين أفراد المجتمع، ويبحث الإنسان على استخدام حواسه وعقله لاستكشاف الكون وفهم الظواهر المحيطة به مشيراً إلى أهميتهما -الحواس والعقل- في هذا السعي، مما يؤدي إلى تعزيز الوحدة بين وسائل المعرفة والأخلاق الإنسانية، ويُقدم مبادئ أخلاقية عالمية تُنظم سلوك الإنسان وتُعزز التعاون والوثام بين أفراد المجتمع.

المطلب الأول: الوحدة في سُنّة الابتلاء بالتمكين المعرفي:

جاء مفهوم المعرفة في المصادر اللغوية على أنها ومشتقاتها ترتبط بالعلم، فمعرفة الشيء تدل على العلم به وإدراكه بحاسة من الحواس أو العقل، والعرفان يعني العلم¹، أما الجرجاني فيعرفها بأنها الخبرة بالشيء في ظاهره أو في أثر من آثاره أو في جزئية من جزئياته، ولذلك وصف الله ذاته بالعلم ولم يصفها بالمعرفة²، ومن جهة أخرى نجد أن القرآن الكريم كخطاب متوافق مع المنطق الإنساني والطبيعة البشرية، حيث يوجه الإنسان بطريقة تدرك حاجاته التفكيرية والسلوكية والعاطفية، مما يؤدي إلى تعزيز الوحدة بين وسائل المعرفة والأخلاق الإنسانية، ويوجهها نحو التفكير السليم والبحث عن الحقيقة بشكل منطقي وموجه.

الفرع الأول: تفعيل وسائل المعرفة:

يقول الله عز وجل في القرآن: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾³، هذه الآية تدعو إلى التفكير والتأمل في خلق الكون، وفهم دقته وتناغم جزئياته وأجزائه، وفي ضمن ذلك حث العباد على التفكير فيها، والتبصر بآياتها، وتدبر خلقها، وأبهم قوله: ﴿آيَاتٍ﴾ ولم يقل: "على المطلب الفلاني" إشارة لكثرتها وعمومها، وذلك لأن فيها من الآيات العجيبة ما يبهر الناظرين، ويقنع المتفكرين، ويجذب أفئدة الصادقين، وينبه العقول النيرة على جميع المطالب الإلهية، فأما تفصيل ما اشتملت عليه، فلا يمكن لمخلوق أن يحصره، ويحيط ببعضه، وفي الجملة

¹ - ابن منظور، لسان العرب، مج 10، ص 110 - 110.

² - الجرجاني، كتاب التعريفات، المرجع السابق، ص 238.

³ - سورة آل عمران: الآية 190.

فما فيها من العظمة والسعة، وانتظام السير والحركة، يدل على عظمة خالقها، وعظمة سلطانه وشمول قدرته. وما فيها من الإحكام والإتقان، وبديع الصنع، ولطائف الفعل، يدل على حكمة الله ووضعه الأشياء مواضعها، وسعة علمه، وما فيها من المنافع للخلق، يدل على سعة رحمة الله، وعموم فضله، وشمول بره، ووجوب شكره، وكل ذلك يدل على تعلق القلب بخالقها ومبدعها، وبذل الجهد في مرضاته، وألا يشرك به سواه، ممن لا يملك لنفسه ولا لغيره مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، وخص الله بالآيات أولي الألباب، وهم أهل العقول؛ لأنهم هم المنتفعون بها، الناظرون إليها بعقولهم لا بأبصارهم¹.

وقال الله عز وجل: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ...﴾²، أي: ذوو العقول وهي الألباب، جمع لب، وهو العقل³.

وقال: ﴿قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ﴾⁴، قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: قل، يا محمد، لهؤلاء المشركين من قومك، السائلين الآيات على صحة ما تدعوهم إليه من توحيد الله وخلع الأنداد والأوثان: انظروا، أيها القوم، ماذا في السموات من الآيات الدالة على حقيقة ما أدعوكم إليه من توحيد الله، من شمسها وقمرها، واختلاف ليلها ونهارها، ونزول الغيث بأرزاق العباد من سحابها، وفي الأرض من جبالها، وتصدعها بنباتها، وأقوات أهلها، وسائر صنوف عجائبها، فإن في ذلك لكم إن عقلتم وتدبرتم موعظة ومعتبراً، ودلالة على أن ذلك من فعل من لا يجوز أن يكون له في ملكه شريك، ولا له على تدبيره وحفظه ظهير يُغنيكم عما سواه من الآيات⁵.

القرآن الكريم يقدم هذه الآيات بأسلوب مدهش يعيد إلينا تحديد آفاقها كما لو كانت تُرى لأول مرة، ويُسلط الضوء على هذه الأرض الشاسعة التي أرويت بمياه الحياة حيث ازدهرت بالنعم الوفيرة: من أنهار جارية، وأشجار مثمرة، وحقول خضراء، وجبال شاهقة، وبحار شاسعة تتمدد بلا نهاية، وقال الله جل وعلا: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾⁶، وقال الله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا﴾⁷، وقال عز وجل:

¹ - عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 2000، ص 75.

² - سورة ص: الآية 29.

³ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص 455.

⁴ - سورة يونس: الآية 101.

⁵ - أبو جعفر الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المرجع السابق، ص 220.

⁶ - سورة النبأ: الآية 14-16.

⁷ - سورة النازعات: الآية 30-31.

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ أَنَّا صَبَبْنَا¹، قوله تعالى: فلينظر الإنسان إلى طعامه لما ذكر - جل ثناؤه - ابتداء خلق الإنسان، ذكر ما يسر من رزقه؛ أي فلينظر كيف خلق الله طعامه، وهذا النظر نظر القلب بالفكر؛ أي ليتدبر كيف خلق الله طعامه الذي هو قوام حياته، وكيف هيأ له أسباب المعاش، ليستعد بها للمعاد².

وقال الله عز وجل: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ...﴾³، يقول تعالى ذكره لمكري قدرته على ما وصف في هذه السورة من العقاب والنكال الذي أعدّه لأهل عداوته، والنعيم والكرامة التي أعدّها لأهل ولايته: أفلا ينظر هؤلاء المنكرون قُدرة الله على هذه الأمور، إلى الإبل كيف خلقها وسخرها لهم ودلّلها وجعلها تحمل حملها باركة، ثم تنهض به، والذي خلق ذلك غير عزيز عليه أن يخلق ما وصف من هذه الأمور في الجنة والنار، يقول جلّ ثناؤه: أفلا ينظرون إلى الإبل فيعتبرون بها، ويعلمون أن القُدرة التي قدر بها على خلقها، لن يُعجزه خلق ما شابهها⁴.

فالانغماس في مشاهدة شروق الشمس وغروبها، والنظر إلى الظل الطويل الذي يتسع وينقص، والتفرّج عن كثر على العيون اللامعة والأفهار الجارية، ورؤية الأشجار تنمو والزهور تتفتح، والطيور تحلق في السماء والأسماك تسبح في الماء، والحشرات تزحف والنباتات تنمو، سواء في الصباح أو المساء، في هدوء الليل أو حيوية النهار، كل هذا يثير الدهشة في القلب ويجعل الإنسان يشعر بعظمة الخالق المبارك، قال عز وجل: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ...﴾⁵، وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا...﴾⁶.

وقال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾⁷، فقد نبه الله عز وجل على عظمتها وقدرته وأنهم لو رأوا بقلوبهم ونظروا ببصائرهم لعلموا أنه الذي يستحق أن يعبد؛ إذ هو القادر على كل شيء⁸.

¹ - سورة عبس: الآية 24-25.

² - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المرجع السابق، ص 585.

³ - سورة الغاشية: الآية 17.

⁴ - الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المرجع السابق، ص 592.

⁵ - سورة الشورى: الآية 29.

⁶ - سورة الفرقان: الآية 61.

⁷ - سورة الشعراء: الآية 7.

⁸ - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المرجع السابق، ص 367.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾¹، أي جعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لتعلمون بها وتذكرون؛ لأن الله جعل ذلك لعباده قبل إخراجهم من البطون وإنما أعطاهم ذلك بعد ما أخرجهم؛ أي وجعل لكم السمع لتسمعوا به الأمر والنهي، والأبصار لتبصروا بها آثار صنعه، والأفئدة لتصلوا بها إلى معرفته. والأفئدة: جمع الفؤاد نحو غراب وأغربة. وقد قيل في ضمن قوله وجعل لكم السمع إثبات النطق لأن من لم يسمع لم يتكلم، وإذا وجدت حاسة السمع وجد النطق².

ويقول المولى تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾³، ويقول عز وجل: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾⁴، يقول تعالى ذكره: قل يا محمد للذين يكذبون بالبعث من المشركين، الله الذي أنشأكم فخلقكم، ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ﴾ تسمعون به ﴿وَالْأَبْصَارَ﴾ تبصرون بها ﴿وَالْأَفْئِدَةَ﴾ تعقلون بها ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ يقول: قليلا ما تشكرون ربكم على هذه النعم التي أنعمها عليكم⁵.

ويقول المولى عز وجل: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾⁶، يقول تعالى ذكره: فجعلناه ذا سمع يسمع به، وذا بصر يبصر به، إنعاما من الله على عباده بذلك، ورأفة منه لهم، وحجة له عليهم⁷.

وقوله عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾⁸، وقوله ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا﴾ يسمعون به مواعظ ربهم، وأبصارا يبصرون بها حجج الله، وأفئدة يعقلون بها ما يسرهم وينفعهم⁹.

¹ - سورة النحل: الآية 78.

² - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المرجع السابق، ص 275.

³ - سورة الإسراء: الآية 36.

⁴ - سورة الملك: الآية 23.

⁵ - الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المرجع السابق، ص 563.

⁶ - سورة الإنسان: الآية 2.

⁷ - الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المرجع السابق، ص 578.

⁸ - سورة الأحقاف: الآية 26.

⁹ - الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المرجع السابق، ص 505.

يقول الله عز وجل: ﴿سُتْرِبِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾¹، أي: سُنري هؤلاء المكذبين آياتنا من الفتوحات وظهور الإسلام على الأقاليم وسائر الأديان، وفي أقطار السماوات والأرض، وما يحدثه الله فيهما من الحوادث العظيمة، وفي أنفسهم وما اشتملت عليه من بديع آيات الله وعجائب صنعته، حتى يتبين لهم من تلك الآيات بيان لا يقبل الشك أن القرآن الكريم هو الحق الموحى به من رب العالمين. أولم يكفهم دليلاً على أن القرآن حق، ومَن جاء به صادق، شهادة الله تعالى؟ فإنه قد شهد له بالتصديق، وهو على كل شيء شهيد، ولا شيء أكبر شهادة من شهادته سبحانه وتعالى².

فالتأمل في خلق الله يضيف حلاوة على القلب وينعكس بوضوح على العقل، الكون بأسره بما فيه من حجارة وأشجار، بحار وأنهار، أراضي وسما، شمس وقمر، ليالي وأيام، يشكل جزءاً من هذا الإبداع الإلهي، ويقول الله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾³، أي: وهو الذي جعل الليل والنهار متعاقبين يَخْلُف أحدهما الآخر لمن أراد أن يعتبر بما في ذلك إيماناً بالمدبر الخالق، أو أراد أن يشكر الله تعالى على نعمه وآلائه⁴.

قال ربنا سبحانه: ﴿قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾⁵، أي: قُلْ- يا مُحَمَّد- للمُشْرِكِينَ الذين يسألونك الآيات: انظُرُوا ماذا في السَّمَاوَاتِ مِنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ وَالسَّحَابِ، وفي الأرضِ مِنَ الْجِبَالِ وَالْبَحَارِ، وَالْأَنْهَارِ وَالْأَشْجَارِ، وَالْثَّمَارِ والدوابِّ وغير ذلك من المخلوقات الصَّغِيرَةِ والكَبِيرَةِ، فَتَفَكَّرُوا فيها واعتَبَرُوا؛ فَإِنَّهَا دَالَّةٌ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَأَلُوْهِيَّتِهِ، وعلى كمالِ قُدْرَتِهِ وَعَظِيمِ صِفَاتِهِ، فَتُغْنِيَكُمْ عَنْ طَلَبِ الْآيَاتِ⁶.

يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾⁷، يقول: لقوم يسمعون هذا القول فيتدبرونه ويعقلونه ، ويطيعون الله بما دلهم عليه⁸.

¹ - سورة فصلت: الآية 53.

² - عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمن، المرجع السابق، ص 482.

³ - سورة الفرقان: الآية 62.

⁴ - الواحدي أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: 468هـ)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت، 1415هـ، ص 783.

⁵ - سورة يونس: الآية 101.

⁶ - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري جامع البيان، ج 12، ص 300.

⁷ - سورة النحل: الآية 65.

⁸ - الطبري، تفسير الطبري جامع البيان، ج 12، ص 274.

يُبرز القرآن الكريم أهمية التدبر في آياته، كما قال ربنا سبحانه: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾¹، وقد فسّر الطبري قوله: "كتاب أنزلناه إليك" بأنه توجيه للنبي محمد ﷺ مفاده أن هذا القرآن المبارك أنزل لهداية الناس وتبيين الحجج الإلهية في ما شرعه من أحكام وتشريعات، ويبيّن أن الهدف من التدبر هو التفكير في معاني الحجج الإلهية والاعتبار بها والعمل بمقتضاها بحيث يستفيد الإنسان من القرآن ليس مجرد حفظ الكلمات بل لاستنارة العقل والروح وتحقيق التزكية الفردية والاجتماعية²، وفي هذا التأمل يظهر البعد الفلسفي للعلاقة بين الإنسان والقرآن حيث التدبر سبيل للوصول إلى فهم أعمق لحكمة الخالق وتطبيقها في الحياة.

عباد الله، الآيات الكونية تمثل خلق الله، والآيات التكوينية أفعال الله، والآيات القرآنية تحمل كلمات الله، في الأولى نجد التفكير، وفي الثانية النظر، وفي الثالثة التأمل، وقوله عز وجل: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾³، يقول تعالى آمرا بتدبر القرآن وتفهمه، ونهايا عن الإعراض عنه، فقال: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ أي: بل على قلوب أقفالها، فهي مطبقة لا يخلص إليها شيء من معانيه⁴.

إن المنطق الإنساني يمثل جوهرًا أساسيا للطبيعة البشرية، فالإنسان منذ ولادته مزود بفطرة فضولية تدفعه نحو البحث والاستكشاف وتجعله دائما يبحث عن الحقيقة والمعرفة، وفي هذا الصدد يظهر الخطاب القرآني كمصدر ملائم يتجاوب مع هذا الجانب من الطبيعة البشرية، إذ يقدم لنا القرآن الكريم توجيهات وإرشادات تتفق مع منطق الإنسان وتستجيب لحاجاته الفكرية والعاطفية والسلوكية، وبالتالي يظهر القرآن الكريم كمرشد هادي يوجه الإنسان نحو الخير والصواب، متأسيا بمعرفته الدقيقة بطبائع النفس البشرية وحاجاتها المتعددة.

ومن الواضح أن القرآن الكريم يدمج المعرفة والأحكام الوجدانية والفطرية في خطابه؛ مكملًا بذلك البرهان المتعلق بالمنطق والعقل، والمنطق هو أداة للتفكير توجه من يستخدمها إلى نتائج صحيحة إذا تبع القواعد الصحيحة، سواء كان ذلك المنطق برهانيًا، قياسيًا، استقرائيًا أو غير ذلك، وبالتالي فكل عملية فكرية تستند إلى مبادئ المنطق بغض النظر عن نوعه، ويتم ذلك من خلال تداخل المعلومات

¹ - سورة ص: الآية 29.

² - الطبري، تفسير الطبري جامع البيان، ج 12، ص 455.

³ - سورة محمد: الآية 24.

⁴ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، المرجع السابق، ص 509.

وتنظيمها بشكل منطقي، وهذا التداخل غالبًا ما يكون غير ملحوظ للمفكر إلا إذا كان ملماً بالمنطق وخفاياه.

وقد ربط الله المعرفة به بالعقل واستخدامه في مشاهدة ما في الكون والاستدلال به: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾¹.

فالعقل يلعب دورًا في فهم الأمور الدينية مثل الأمور الغيبية والتشريع لكنه ليس مصدرًا مستقلًا، فهو يحتاج إلى التوجيه الشرعي حيث يكمن هدى العقل في التوجيه بالوحي ومع ذلك لا يُستبعد دور العقل، وفي الإسلام تعتمد المعرفة على الدلالة العقلية لما يتعدى الحدود المعرفية العادية، ولكن مع توسيط الحواس في هذه الدلالة، فالحاجة العقلية لا تقتصر على دلالة الحواس على الوجود الملموس، بل قد تشمل الدلالة على وجود حقيقة لم تدركها الحواس، وبهذا يكون العقل قادرًا على التعامل مع ما هو خارج نطاق الحواس، دون أن يخترق حدود القدرة العقلية أو يتعارض مع مقتضيات الحواس.

لذلك يوجد في الغيب ما يمكن الاستدلال عليه بوساطة العقل وهو الغيب المعقول الذي يتطلب وجود وسيط محسوس، فالمعرفة بالغيب المعقول ليست مبنية على الاستدلال العقلي وحده بل يتم تحقيقها من خلال الارتباط المتسق بين الحقيقة الغيبية وآثارها الملموسة، وإثبات العقل للغيب المعقول يتعلق بالمعنى وليس بالكيفية، حيث لا تستطيع العقول فهم حقيقته وتفصيلها بالكامل؛ لذا ضرب الله الأمثال في القرآن لتقرير مسائل الغيب تنبيهًا للعقول على إمكان وجودها، فاستدل مثلاً على النشأة الآخرة بالنشأة الأولى، وعلى خلق الإنسان بخلق السماوات والأرض، وعلى البعث بعد الموت بإحياء الأرض الميتة².

¹ - سورة البقرة: الآية 164.

² - انظر: عبد الله بن محمد بن عبد الله القرني، المعرفة في الإسلام مصادرها ومجالاتها، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في العقيدة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1418هـ، ص 501 - 504.

من خلال الآيات التي تطرقنا لها عن وسائل المعرفة والإدراك من سمع وبصر وفؤاد وعقل نجد أن القرآن الكريم ربط الشكر بهذه النعم لقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾¹، وربط المسؤولية بها أيضا في قوله تعالى: ﴿كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾²، وربطه الابتلاء في قوله تعالى: ﴿نَبِّئْهُمْ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾³، وربط التدبر والتفكر في آيات الله بالعقل والقلب بعد أخذ المدخلات من السمع والبصر وربط تفعيل هذه الوسائل بالوصول إلى الحق والإيمان، ومنه هذه النعمة تتطلب الشكر وهي في نفس الوقت ابتلاء ومسؤولية، وهذه النعمة لم يميز بها إنسان عن إنسان، فكل البشر أعطاهم الله التمكين المعرفي من خلال هذه الوسائل، وكلهم مسؤولون عن عدم تفعيلها.

إذا هنا تلازم بين المسؤولية والابتلاء ووسائل المعرفة المتاحة للبشر جميعا ومنه نستطيع القول أن من بين السُنن التي تجتمع في سُنن الوحدة الإنسانية هي سُنّة الابتلاء بالتمكين المعرفي.

الفرع الثاني: سُنّة الانحدار السلوكي والشقاء القائم على الجمود المعرفي:

الذين لا يتأملون في خلق الله أولئك هم الذين ضلوا عن الطريق الصحيح وتجروا على التشكيك في عظمة الخالق وحكمته، ويتجاهلون الآيات البديعة والدلائل الواضحة على وجود الله في كل شيء من حولهم، فبدلاً من أن يتأملوا في تنوع وجمال الكون وتناغم أجزائه يُفسدون فهمهم بالشك والجهل، فهم يسعون لإلهاء أنفسهم بالأُمور الدنيوية دون أن يعيشوا لحظة من الانتباه إلى القدرة والحكمة التي خلق بها الله هذا الكون، فالإيمان بالله والتأمل في خلقه يفتحان أفق الإنسان ويزيدانه حكمة وفهماً، وبالتالي فعلى الإنسان أن يعتمد على عقله ويفتح قلبه ليستقبل عظمة الله في كل شيء من حوله ويحقق السلام الداخلي من خلال التقرب من الله والتأمل في آياته.

ويقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾⁴، والمثل في القرآن هو إبراز المعنى في صورة رائعة موجزة، لها وقعها في النفس، سواء أكانت تشبيهاً أو قولاً مرسلاً⁵.

وقال عز وجل: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ

¹ - سورة النحل: الآية 78.

² - سورة الإسراء: الآية 36.

³ - سورة الإنسان: الآية 02.

⁴ - سورة الزمر: الآية 27.

⁵ - مناع بن خليل القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، 2000، ص 290.

عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَزْكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصْ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ¹.

هذا المثل ضربه الله عزَّ وجلَّ في رجل آتاه الله العلم والحجج والآيات، فنبذ كلَّ هذا وراء ظهره وانسلخ منه، وخلعه كما يخلع اللباس، فخرج من الحصن الحصين، وتسَلَّط عليه الشيطان فصيرَه لنفسه تابعاً له ينتهي إلى أمره في معصية الله، فكان من الهالكين. ولو علم الله فيه خيراً لوفَّقه ورفع قدره في الدنيا والآخرة، ولكنه فعل ما يقتضي الخذلان بخلوده وميله إلى الأرض، فأثر لذتها وشهواتها على الآخرة، وأتبع هواه ورفض طاعة الله وخالف أمره. فمثله في شدة حرصه على الدنيا وانقطاع قلبه إليها كمثل الكلب الذي يلهث في كل حال. فكل شيء يلهث إنما يلهث من إعياء أو عطش، إلا الكلب فإنه يلهث في حال الكلال وحال الراحة وحال المرض وحال الصحة وحال الرِّي وحال العطش، فحرارة الحرص في كبده توجب له دوام اللهث، فهكذا مُشَبِّهُهُ؛ شدة الحرص وحرارة الشهوة في قلبه توجب له دوام اللهث، فإن حَمَلَتْ عليه الموعظة والنصيحة فهو يلهث، وإن تركته ولم تعظه فهو يلهث².

وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ³﴾، قال ابن القيم رحمه الله: "وهذا المثل من أبلغ ما أنزله الله سبحانه في بطلان الشِّرك، وتجهيل أهله، وتقبيح عقولهم، والشهادة على أنَّ الشيطان قد تلاعب بهم أعظم من تلاعب الصبيان بالكرة"⁴.

وقال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا⁵﴾، وقد فسَّر القرطبي هذا القول بأن استعمال "أم" لا جاء اعتباطاً بل للدلالة على التناقض بين الظاهر والواقع فالآية تخاطب المشركين من أهل مكة الذين لم ينفعهم ما يسمعون من هدى أو عقل فكأنهم لا يسمعون ولا يعقلون وهم بمنزلة الأنعام في تركيزهم على الحاجات الدنيوية دون التفكير في الآخرة بل هم أضل طريقاً إذ لا حساب ولا عقاب على الأنعام، ويضيف القرطبي نقلاً عن مقاتل أن

¹ - سورة الأعراف: الآية 175-175.

² - الطبري، تفسير الطبري جامع البيان، ج 13، ص 261.

³ - سورة الحج: الآية 73.

⁴ - محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تح: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1991، ص 139.

⁵ - سورة الفرقان: الآية 44.

البهائم تعقل مراعيها وتنقاد لأربابها بينما هؤلاء البشر لا ينقادون ولا يعرفون رهم الذي خلقهم ورزقهم حتى أن عدم إدراكهم للحق لا يحميمهم من الباطل¹، إن هذا التصوير القرآني يبرز فجوة الوعي بين الإنسان المكلف والإنسان الغافل ويجعل من العقل وسيلة للتمييز بين الهدى والضلال مؤكداً على مسؤولية الإنسان أمام الخالق.

وفي هذا المثل يوضح الله المشركين بأنهم في كثير من مواضع القرآن كالبهائم التي لا تعقل ولا تفقه ما يُقال لها غير أن الله يجعلهم أضل طريقاً من البهائم نفسها فالبهائم تهتدي إلى مراعيها وتنقاد لأربابها الذين تعقلهم بينما هؤلاء البشر لا ينقادون ولا يعرفون رهم الذي خلقهم ورزقهم ومع ذلك يعبدون غيره ويشركون به رغم وضوح الحجة وإرسال الرسل إليهم، ويشير الطبري إلى أن هذا التشبيه يبين أن من يرمي الرسول بالضلال هو أكثر ضلالاً بل إن أي حيوان بهيم أهدى منهم².

وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾³، يقول تعالى ذكره: مثل الذين اتخذوا الآلهة والأوثان من دون الله أولياء يرجون نصرها ونفعها عند حاجتهم إليها في ضعف احتياهم، وقبح رواياتهم، وسوء اختيارهم لأنفسهم، ﴿كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ﴾ في ضعفها، وقلة احتياها لنفسها، ﴿اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ لنفسها، كيما يُكنَّها، فلم يغن عنها شيئاً عند حاجتها إليه، فكذلك هؤلاء المشركون لم يغن عنهم حين نزل بهم أمر الله، وحلّ بهم سخطه أولياؤهم الذين اتخذوهم من دون الله شيئاً، ولم يدفعوا عنهم ما أحلّ الله بهم من سخطه بعبادتهم إياهم⁴.

يوضح السعدي رحمه الله أن هذا المثل ضربه الله لمن عبد معه غيره ظناً أن ذلك يمنحه عزاً ونفعاً بينما الأمر على العكس فالاعتماد على غير الله يزيد الإنسان ضعفاً، ويشبه المشركين بالعنكبوت وببئته الضعيف فالعنكبوت من أضعف المخلوقات وببئته من أضعف البيوت فلا ينفعها ولا يزيدنها إلا ضعفاً وهكذا من اتخذوا من دون الله أولياء فقراء عاجزين ظناً أن يستنصروا بهم ويستعينوا عليهم فزادوا ضعفاً ووهناً لأنهم حملوا عليهم مصالحهم وتخلوا عنها فلم ينالوا منهم نفعاً ولا عوناً، ويشير السعدي إلى أن معرفة الإنسان بحقيقة حاله وحال من يتخذهم من دون الله تدفعه إلى التبرؤ منهم والاعتماد على الرب

¹ - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المرجع السابق، ص 364.

² - الطبري، تفسير الطبري جامع البيان، ج 19، ص 274.

³ - سورة العنكبوت: الآية 41.

⁴ - الطبري، تفسير الطبري جامع البيان، ج 19، ص 401.

القادر الرحيم الذي يكفي عبده في دينه ودينه ويقوّي قلبه وجسده وأفعاله إذا توكل عليه¹، هذا التصوير القرآني يجسّد حكمة التوحيد وأهمية توجيه العبادة والاعتماد لله وحده ويبرز ضعف الاعتماد على المخلوق في مقابل القوة المطلقة للخالق.

يوضح الحكيم الترمذي رحمه الله أن أوهم البيوت هو بيت العنكبوت الذي لا يحمي من حر ولا برد ولا ينفع في شيء مشيراً إلى أن كل معبود من دون الله كذلك فهو عاجز عن ستر الإنسان أو حمايته، وفي هذا التصوير القرآني والعقدي يُبين الترمذي أن الكافر الذي يعتمد على غير الله يخرج إلى الله عارياً من الحماية والستر الإلهي فتظهر فضائحه وقبائحه أمام الجميع²، وهذا التأمل يعكس حكمة القرآن في بيان ضعف الشرك وأهمية الاعتماد على الله وحده فكل ما سواه عاجز عن حماية الإنسان أو نفعه، بينما الاعتماد على الخالق القادر بمنح القوة والستر والنجاة.

قال ابن القيم رحمه الله: "وهذا من أحسن الأمثال وأدّها على بطلان الشّرك وخسارة صاحبه وحصوله على ضدّ مقصوده، فإن قيل: فهم يعلمون أنّ أوهم البيوت بيت العنكبوت؛ فكيف نفى عنهم علم ذلك بقوله: ﴿لو كانوا يعلمون﴾؛ فالجواب أنه سبحانه لم ينف عنهم علمهم بوهن بيت العنكبوت؛ وإنما نفى عنهم علمهم بأنّ اتخاذهم أولياء من دونه كالعنكبوت اتخذت بيتاً، فلو علموا ذلك لما فعلوه ولكن ظنوا أنّ اتخاذهم الأولياء من دونه يفيدهم عزاً وقدرة فكان الأمر بخلاف ما ظنوا"³.

وقال عز وجل: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ خُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾⁴،

بعد أن تبين أنه تعالى آتى فضله قوماً أميين أعقبه بأنه قد آتى فضله أهل الكتاب فلم ينتفع به هؤلاء الذين قد اقتنعوا من العلم بأن يحملوا التوراة دون فهم وهم يحسبون أن ادخار أسفار التوراة وانتقالها من بيت إلى بيت كاف في التبجح بها وتحقير من لم تكن التوراة بأيديهم، فالمراد اليهود الذين قاوموا دعوة محمد صلى الله عليه وسلم وظاهروا المشركين، وقد ضرب الله لهؤلاء مثلاً بحال حمار يحمل أسفاراً لا حظّ له منها إلا الحمل دون علم ولا فهم، ذلك أنّ علم اليهود بما في التوراة أدخلوا فيه ما صيرته مخلوطاً بأخطاءً وضلالاتٍ ومُتَّبِعاً فيه هوى نفوسهم وما لا يعدّو نفعهم الدنيوي ولم يتخلّصوا بما

¹ - عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمن، المرجع السابق، ص 741-742.

² - محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي، الأمثال من الكتاب والسنة، المحقق: د. السيد الجميلي، دار ابن زيدون / دار أسامة، بيروت - دمشق، د ت، ص 38-39.

³ - الدين ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، المرجع السابق، ص 119-120.

⁴ - سورة الجمعة: الآية 5.

تَحْتَوِي عَلَيْهِ مِنَ الْهُدَى وَالْدُّعَاءِ إِلَى تَرْكِةِ النَّفْسِ وَقَدْ كَتَمُوا مَا فِي كُتُبِهِمْ مِنَ الْعَهْدِ بِاتِّبَاعِ النَّبِيِّ الَّذِي يَأْتِي لِتَحْلِيصِهِمْ مِنْ رِنَقَةِ الضَّلَالِ فَهَذَا وَجْهُ اِرْتِبَاطِ هَذِهِ الْآيَةِ بِالآيَاتِ الَّتِي قَبْلَهَا، وَبِذَلِكَ كَانَتْ هِيَ كَالْتِمَّةِ لِمَا قَبْلَهَا. وَقَالَ فِي الْكَشَافِ عَنْ بَعْضِهِمْ: افْتَحَرَ الْيَهُودُ بِأَتَمِّ أَهْلِ كِتَابٍ. وَالْعَرَبُ لَا كِتَابَ لَهُمْ. فَأَبْطَلَ اللَّهُ ذَلِكَ بِشَبْهِهِمْ بِالْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا¹.

ضرب الله عزَّ وجلَّ هذا المثل في الذين أعطوا التوراة من اليهود والنصارى ليتعلموها ويعملوا بما فيها، فحفظوها لفظاً ولم يتفهموها ولا عملوا بمقتضاها، فمثلهم في ذلك كمثل الحمار الذي يحمل فوق ظهره كتباً من كتب العلم لا يستفيد منها ولا ينتفع منها ولا يعقل ما فيها. وفي هذا تنبيه من الله تعالى لمن حمل الكتاب أن يتعلم معانيه ويعلم ما فيه، لئلا يلحقه من الذمِّ ما لحق هؤلاء².

قال ابن القيم رحمه الله: "فهذا المثل وإن كان قد ضرب لليهود؛ فهو متناول من حيث المعنى لمن حمل القرآن فترك العمل به، ولم يؤدِّ حقَّه، ولم يرعه حقَّ رعايته"³.

وقال تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾⁴، وَشَبَّهَتْ حَالَهُ إِعْرَاضِهِمْ الْمُتَحَيِّلَةَ بِحَالَةِ فِرَارِ حُمْرٍ نَافِرَةٍ بِمَا يُنْفِرُهَا، وَالْحُمْرُ: جَمْعُ حِمَارٍ، وَهُوَ الْحِمَارُ الْوَحْشِيُّ، وَهُوَ شَدِيدُ الْفِرَارِ إِذَا أَحَسَّ بِصَوْتِ الْقَانِصِ وَهَذَا مِنْ تَشْبِيهِ الْمُعْقُولِ بِالْمُخْسُوسِ، وَقَدْ كَثُرَ وَصْفُ النَّفَرَةِ وَسُرْعَةِ السَّيْرِ وَالْهَرَبِ بِالْوَحْشِ مِنْ حُمْرٍ أَوْ بَقَرٍ وَحْشٍ إِذَا أَحْسَسْنَ بِمَا يَرْهَبْنَهُ⁵.

هذا مثلٌ ضربه الله عزَّ وجلَّ في أولئك الغافلين الصادِّين عن المواعظ والنَّذر، حيث شَبَّهَهُمْ فِي نَفَرَتِهِمْ وَإِعْرَاضِهِمْ عَنِ الْحَقِّ بِحُمْرٍ الْوَحْشِ إِذَا فَرَّتْ مِمَّنْ يَرِيدُ صَيْدَهَا مِنْ صَائِدٍ، أَوْ مِنْ أَسَدٍ وَنَحْوِهِ، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ مَا يَكُونُ مِنَ النَّفُورِ عَنِ الْحَقِّ⁶.

قال ابن القيم رحمه الله: "وهذا من بدیع القياس والتمثيل، فَإِنَّ الْقَوْمَ فِي جَهْلِهِمْ بِمَا بَعَثَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ كَالْحُمْرِ، وَهِيَ لَا تَعْقِلُ شَيْئاً، فَإِذَا سَمِعَتْ صَوْتَ الْأَسَدِ أَوْ الرَّمْيِ نَفَرَتْ مِنْهُ أَشَدَّ النَّفُورِ، وَهَذَا غَايَةُ الذَّمِّ لَهُؤُلَاءِ، فَإِنَّهُمْ نَفَرُوا عَنِ الْهُدَى الَّذِي فِيهِ سَعَادَتُهُمْ وَحَيَاتُهُمْ كَنَفُورِ الْحُمْرِ عَنْ مَا يُهْلِكُهَا وَيَعْقِرُهَا. وَتَحَتِ الْمُسْتَنْفِرَةِ مَعْنَى أَبْلَغَ مِنَ النَّافِرَةِ؛ فَإِنَّهَا لَشَدَّةُ نَفُورِهَا قَدْ اسْتَنْفَرَتْ بَعْضُهَا بَعْضاً وَحَضَّتْهُ عَلَى النَّفُورِ،

¹ - فوزي أحمد سلامة، درر التحرير والتنوير "مقتطفات وقواعد من تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور" الجزء الأول، أوراق للنشر والتوزيع، القاهرة، ص 96.

² - الطبري، تفسير الطبري جامع البيان، ج 23، ص 377.

³ - ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، المرجع السابق، ص 127.

⁴ - سورة المدثر: الآية 49-51.

⁵ - فوزي أحمد سلامة، درر التحرير والتنوير، المرجع السابق، ج 29، ص 329.

⁶ - عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمن، المرجع السابق، ص 1063.

فإنَّ في الاستفعال من الطلب قدراً زائداً على الفعل المجرد، فكأنها تواصلت بالتثبور، وتواطأت عليه، ومن قرأها بفتح الفاء فالمعنى أنَّ القسورة استنفَرها وحملها على التثبور بئاسه وشِدَّتته¹.

وقول الله عز وجل: ﴿الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾²، والفراش: الطير الذي تراه يتساقط في النار والسراج والواحدة فراشة، كذا قال أبو عبيدة وغيره، وقال الفراء: الفرّاش هو الطائر من بعوض وغيره، ومنه الجراد، قال وبه يضرب المثل في الطيش والهوج، يقال: أطيّش من فراشة وأنشد:

فراشة الحلم فرعون العذاب وإن يطلب نداه فكلب دونه كلب

وقول آخر:

وقد كان أقوام رددت حلومهم عليهم وكانوا كالفرّاش من الجهل

والمراد بالمبثوث: المتفرق المنتشر³.

شبه الله عز وجلّ الناس يوم القيامة في انتشارهم وتفرقهم وذهابهم ومحيئهم، من شدة الفزع والهول والحيرة كالفرّاش المنتشر، والفرّاش: هي الحيوانات التي تكون في الليل، يموج بعضها ببعض لا تدري أين توجه، فإذا أوقد لها ناراً تهافتت إليها لضعف إدراكها. وقال تعالى في موضع آخر في سورة القمر: ﴿خُشْعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾، فهما صفتان في وقتين مختلفين، أحدهما: عند الخروج من القبور، يخرجون فزعين لا يهتدون أين يتوجهون، فیدخل بعضهم في بعض، فهم حينئذ كالفرّاش المبثوث بعضه في بعض لا جهة له يقصدها. الثاني: إذا سمعوا المنادي قصده، فصاروا كالجراد المنتشر، لأنّ الجراد له جهة يقصدها⁴.

فيُجمعوا في ذلك اليوم العظيم على صعيد واحد حفاة عراة غرلاً صاغرين، قلوبهم واجفة، وأبصارهم شاخصة، والسَّعيد فيهم من كان زاده التقوى ولباسه، وتحصّن بقلب سليم، ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ

¹ - ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، المرجع السابق، ص 136-137.

² - سورة القارعة: الآية 1-4.

³ - محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، 1414هـ، ص 457-458.

⁴ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 5، المرجع السابق، ص 537.

مَا لَ وَلَا بُتُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ¹، قال القرطبي رحمه الله: "حَصَّ القلب بالذِّكر لأنه الذي إذا سلم سلمت الجوارح، وإذا فسد فسدت سائر الجوارح"².

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ³﴾، وقوله: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو حذيفة، حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ قال: مسخت قلوبهم، ولم يمسخوا قردة، وإنما هو مثل ضربه الله ﴿كَمَثَلِ الْخَمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا⁴﴾.

ومن خلال الآيات الكريمة نستنتج أن الإنسان إذا عطل وسائل المعرفة من سمع وبصر وفؤاد يمس القلب والعقل فقد خرج من كرامته الإنسانية إلى الشقاوة الحيوانية وذلك بضرب المثال بلهث الكلب ووزر الخمار وخراب بيت العنكبوت وخساسة القردة وتيه وضياح الحُمُر المستنفرة والجراد المنتشر.

ومنه نستطيع القول أن الآيات الكريمة التي مررنا بها تؤسس على سُنَّة تمثلت في سُنَّة الانحدار السلوكي والشقاء القائم على الجمود المعرفي ومنه جمود الوسائل يُخرج الإنسان من الوحدة الإنسانية.

إنَّ وحدة وسائل المعرفة في المنظور القرآني ليست مجرد تنوع في أدوات الإدراك بين السمع والبصر والعقل بل هي تجلُّ لوحدة المقصد الإلهي في توجيه الإنسان نحو الحقيقة بحيث تتكامل الحواس مع ملكة التفكير ويستضيء الجميع بنور الوحي، فالمسلم مدعوٌّ لأن يوظف هذه الوسائل في انسجام يفضي إلى معرفة الله وإدراك عظيمته، ومن هنا يظهر أن تعطيل هذه الوسائل ليس خلافاً معرفياً فحسب بل انحراف روحي وأخلاقي يقطع الإنسان عن غايته العليا ويحوّل نعمة العقل إلى نقمة كما حذّر القرآن من حال الذين لهم قلوب لا يفقهون بها وأعين لا يبصرون بها وآذان لا يسمعون بها، وبهذا يؤكد الإسلام أن المعرفة الحقّة ليست تراكم معلومات بل هي مسار هداية غايته أن يعيش المسلم في وعي متكامل يربط بين العقل والوحي والوجدان فيتحقق له التوازن بين التفكير السليم والإيمان العميق.

¹ - سورة الشعراء: الآية 88-89.

² - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 13، المرجع السابق، ص 114.

³ - سورة البقرة: الآية 65.

⁴ - سورة الجمعة: الآية 5.

المطلب الثاني: وحدة الأخلاق الإنسانية:

عبر امتداد تاريخها الطويل اكتسبت البشرية مجموعة من الأخلاق الإنسانية العالية، ولم تبلغ تلك الأخلاق كما لها إلا عندما تواصلت مع خالقها من خلال الرسائل السماوية، ومع ذلك عندما يسود البشر أهواؤهم يخطئون ويخسرون تلك الإنسانية حيث تضع وتتهور قيمها، فإذا نظرنا إلى القرآن الكريم لوجدنا أن لفظ "الإنسان" ذكر 56 مرة، حيث وُصف بالضعف واليأس والتعب والظلم والجهل والطمع وغيرها من الصفات السلبية، ومع ذلك يُظهر الإسلام في الوقت نفسه السبل والوسائل لتحويل هذه الصفات السلبية إلى صفات إيجابية مما يجعل الإنسان يرتقي بذاته، وفيها يقول الله عز وجل: ﴿وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ﴾¹.

الفرع الأول: سُنّة الابتلاء بالقصور الجبلي:

إن المتأمل في القرآن الكريم يدرك بوضوح أن الإنسان ضعيف بطبيعته وهذا الضعف يشمل جميع جوانب حياته، سواء كان ذلك في الجانب الروحي، أو الجسدي، أو الظروف التي يمر بها، ويمتد هذا الضعف ليشمل الطبيعة البشرية بأكملها حيث يبدأ الإنسان كطفل ضعيف لا يملك القدرة على تدبير أموره وتحقيق طموحاته وتأمين احتياجاته الأساسية، ويستمر في النمو وتقوية جسمه ثم يعود إلى الضعف في سنوات الشيخوخة مرة أخرى، وهذا الضعف يتجلى أيضاً في الجانب الأخلاقي حيث يجد الإنسان نفسه ضعيفاً أمام الشهوات والإغراءات، لذلك فإن حقيقة ضعف الإنسان والتي أكدها القرآن الكريم تعتبر موضوعاً يستحق البحث والدراسة، لفهم الدلالات والمعاني والأحكام التي تحملها تلك الآيات.

وقد جاء مفهوم اللغوي للضعف بأنه: "هُوَ خِلَافُ الْقُوَّةِ. يُقَالُ : ضَعْفَ يَضْعُفُ، وَرَجُلٌ ضَعِيفٌ، وَقَوْمٌ ضَعْفَاءُ وَضِعَافٌ"²، أما مفهومه الاصطلاحي فقد عُرِفَ بأنه "هو وهن القوة حساً، أو معنى، أو نفساً، أو بدنًا، وهو من فعل الله تعالى، كما أن القوة من فعله سبحانه، تقول: خلقه الله ضعيفاً، قال تعالى: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَنُ ضَعِيفًا﴾"³، ويمكن أن يكون الضعف في النفس، أو في البدن، أو

¹ - سورة العصر: الآية 03.

² - ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا (ت: 395هـ)، مقاييس اللغة، نج: عبد السلام هارون، ج 3، دار الفكر، بيروت، 1399هـ 1979م، ص 362، (مادة: ضعف).

³ - سورة النساء: الآية 28.

في الحال¹، ويُعتبر المعنى الاصطلاحي للضعف في السياق الشامل يتناول الفهم العميق للمفهوم، حيث يشير إلى حالة عدم القوة أو القدرة الكافية في مجال معين، ومع ذلك فإن هذا المعنى لا يخرج عن الدلالة اللغوية الأساسية للفظ، حيث يدل "الضعف" في سياقه الأصلي على عدم وجود القوة أو ضعفها نسبياً بالمقارنة مع شيء آخر.

وجاء لفظ الضَّعْف في القرآن الكريم والِدال على "ضد القوة" في عدة مواضع، مما يبرز معنى الضعف بشكل واضح، وتتناول عدة آيات هذا المفهوم ومنها قوله تعالى: ﴿الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾²، وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾³، وقيل: من ضعف أي في حال ضعف؛ وهو ما كانوا عليه في الابتداء من الطفولة والصغر⁴.

أما لفظ ضَعِيف فقد وُرد في مواضع منها قوله عز وجل: ﴿فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ﴾⁵، قوله (أو ضعيفا) أي شيخا كبيرا وقيل هو ضعيف العقل لعتة أو جنون⁶، وقوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾⁷، قوله تعالى وخلق الإنسان ضعيفا نصب على الحال؛ والمعنى أن هواه يستميله وشهوته وغضبه يستخفانه، وهذا أشد الضعف فاحتاج إلى التخفيف⁸.

وجاء لفظ ضُعَفَاء في أربعة مواضع منها قوله عز وجل: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى﴾⁹، في أبدانهم وأبصارهم، الذين لا قوة لهم على الخروج والقتال¹⁰، وقوله تعالى: ﴿وَبَرِّزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ

¹ انظر: صالح بن عبد الله بن حميد، وعدد من المختصين، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم، ج 10، ط 4، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، ص 4787.

² - سورة الأنفال: الآية 66.

³ - سورة الروم: الآية 54.

⁴ - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 13، المرجع السابق، ص 410.

⁵ - سورة البقرة: الآية 48.

⁶ - البغوي، تفسير البغوي، المرجع السابق، ص 48.

⁷ - سورة النساء: الآية 28.

⁸ - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 13، المرجع السابق، ص 83.

⁹ - سورة التوبة: الآية 91.

¹⁰ - عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمن، المرجع السابق، ص 201.

شَيْءٌ¹، وقوله: ﴿وَإِذْ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ﴾²، فيقول الضعفاء منهم وهم المتبعون على الشرك بالله³. وهناك صيغ فعلية للفظ "الضعف" في القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا﴾⁴، أي: ما ضعفت قلوبهم، ولا وهنت أبدانهم⁵، وقوله عز وجل: ﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾⁶، وهذا غاية ما يصير من العجز⁷، وقوله: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾⁸، إهانة لهم واحتقاراً لبني إسرائيل⁹، وأيضاً في قوله عز وجل: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾¹⁰، يقهرون ويستذلون بذبح الأبناء واستخدام النساء والاستعباد¹¹.

وتوجد العديد من الكلمات الدالة على مفهوم الضعف، منها: الوهن، والذلة، والمسكنة، والاستكانة، والإكراه، كقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾¹²، يعني بقوله (وَهَنَ) ضعف ورق من الكبر¹³، وقوله عز وجل: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا تُثْقَفُوا إِلَّا يُحِبِّلِ مِنَ اللَّهِ وَحِبِّلِ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾¹⁴، بمعنى: أذلهم الله فلا منعة لهم، وجعلهم الله تحت أقدام المسلمين¹⁵، وأيضاً في قوله تعالى:

¹ - سورة إبراهيم: الآية 21.

² - سورة غافر: الآية 47.

³ - الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المرجع السابق، ص 472.

⁴ - سورة آل عمران: الآية 146.

⁵ - عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمن، المرجع السابق، ص 68.

⁶ - سورة الحج: الآية 73.

⁷ - عبد الله السعدي، المرجع السابق، ص 341.

⁸ - سورة القصص: الآية 04.

⁹ - ابن كثير، تفسير ابن كثير، المرجع السابق، ص 385.

¹⁰ - سورة الأعراف: الآية 137.

¹¹ - البغوي، تفسير البغوي، المرجع السابق، ص 166.

¹² - سورة مريم: الآية 04.

¹³ - الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المرجع السابق، ص 305.

¹⁴ - سورة آل عمران: الآية 112.

¹⁵ - الطبري، ج 7، المرجع السابق، ص 111.

﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الدَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾¹، أي: وضعت عليهم وألزموا بها شرعا وقدرًا، أي: لا يزالون مستذلين، من وجددهم استذلهم وأهانهم، وضرب عليهم الصغار، وهم مع ذلك في أنفسهم أذلاء متمسكون²، ونجد أيضا في قوله عز وجل: ﴿وَكَايَيْنِ مِّن نَّيِّ قَاتِلٍ مَّعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾³، أي: ما ضعفت قلوبهم، ولا وهنت أبدانهم⁴.

من بين أهم مقاصد التي أتى بها القرآن الكريم هو تيسير الأمور وتخفيف العبء عن الناس وذلك ليتناسب مع الحقيقة الواضحة لضعف الإنسان التي أكدها الله تعالى، فالإنسان بطبيعته معرض للضعف والنقص، ولا يمكنه دائماً تحمل العبء والصعوبات بمفرده، ولذلك فإن الله تعالى يريد تيسير الأمور وتخفيف الحرج عن عباده، حتى يكونوا قادرين على تحمل التحديات والمصاعب بأسهل الطرق الممكنة، وتعكس هذه المقاصد الشرعية رحمة الله وعنايته بخلقه، وتوجيهاته لهم ليعيشوا حياة مريحة وسعيدة وفق قوانينه وتوجيهاته الإلهية، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ ۖ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾⁵، وهنا تتجلى رحمة الله عز وجل التامة وإحسانه الشامل، وعلمه وحكمته بضعف الإنسان من جميع الوجوه، ضعف البنية، ضعف الإرادة، ضعف العزيمة، ضعف الإيمان، وضعف الصبر، فناسب ذلك أن يخفف الله عنه، ما يضعف عنه وما لا يطيقه إيمانه وصبره وقوته⁶.

وبين الله عز وجل ضعف الإنسان في أصل خلقته الجسدية في قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾⁷، يذكر الله تعالى في القرآن الكريم أن الإنسان خلق من صلصال من حمأ مسنون، وهذا الصلصال يفتقد للتماسك وسرعان ما ينهار ويتفتت، لأنه هش ولا يمتلك القدرة على الحفاظ على نفسه، وهكذا يكون الإنسان في حالة ضعف مستمرة وعرضة للفساد والتغير ما لم

¹ - سورة البقرة: الآية 61.

² - ابن كثير، تفسير ابن كثير، المرجع السابق، ص 09.

³ - سورة آل عمران: الآية 146.

⁴ - عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمن، المرجع السابق، ص 68.

⁵ - سورة النساء: الآية 28.

⁶ - انظر: عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمن، المرجع السابق، ص 83.

⁷ - سورة الحجر: الآية 26.

يتدخل الله عز وجل برحمته ليرشده ويثبته، فعندما يكون الإنسان تحت حماية الله وتوجيهاته يصبح قويًا وثابتًا وبعيدًا عن أي انحراف أو فساد¹.

وفطر الله تعالى الإنسان على الضعف النفسي، نتيجةً لتأثير النوازع بين الخير والشر التي تتواجد في داخله، بالإضافة إلى التحديات التي تواجهه من الوسوس التي تعرقل سيره نحو الخير والسلوك الصالح، ويذكر القرآن الكريم العديد من الأمثلة على ضعف الإنسان في الجانب النفسي، كقوله تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِصَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْخَرْثِ ۚ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الدُّنْيَا ۗ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾².

وقد جعل الله تعالى الإنسان ضعيفاً في مواجهة الكفر والجهالة والظلم كما يذكر الله في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾³، فبالنظر إلى هذه الآية، ندرك أن الإنسان بطبيعته يميل إلى الظلم والكفر بسبب ضعفه وجهله، أي: هذه طبيعة الإنسان من حيث هو ظالم متجبر على المعاصي مقصر في حقوق ربه كفَّار لنعم الله، لا يشكرها ولا يعترف بها إلا من هداه الله فشكر نعمه، وعرف حق ربه وقام به⁴.

إن المتأمل في القرآن الكريم يجد أنه يأتي ضمن حدود الوسع والقدرة والاستطاعة، حيث لا يوجد فيها مشقة أو تضيق أو حرج، وتراعي هذه الأحكام أسباب الضعف التي قد يواجهها الإنسان سواء كانت اضطرارية مثل الإصابة بالمرض أو النسيان أو الشيخوخة، وأسباب أخرى تحدث دون إرادة الشخص، أو كانت اختيارية، كالسفر أو الجهل أو الإكراه وغيرها، ومن أمثلتها قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ﴾⁵، قال الطبري في تفسير الآية وما جعل عليكم ربكم في الدين الذي تعبدكم به من ضيق، لا مخرج لكم مما ابتليتكم به فيه، بل وسع عليكم، فجعل التوبة من بعض مخرجا والكفارة من بعض، والقصاص من بعض، فلا ذنب يذنب المؤمن إلا وله منه في دين الإسلام مخرج⁶، والله عز وجل خفف عن عباده ولم يثقل عليهم، بحيث لم يكلفهم بما يفوق

¹ - انظر: فضل عباس، قصص القرآن الكريم، ط 3، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، 1430هـ - 2010م، ص 112-113، بتصرف.

² - سورة آل عمران: الآية 14.

³ - سورة إبراهيم: الآية 34.

⁴ - عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمن، المرجع السابق، ص 260.

⁵ - سورة النور: الآية 61.

⁶ - الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المرجع السابق، ص 689.

قدرتهم أو يتعدى حدود استطاعتهم، مراعيًا بذلك ضعفهم ومبدئيًا سعة رحمته بهم، وعدله فيما فرض عليهم¹.

ومن مظاهر الضعف البشري ميل الإنسان إلى الجدل والمخاصمة حتى فيما هو واضح من الحقائق، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾²، وقد أوضح الطبري أن الإنسان كثير المراء والخصومة يميل إلى العناد والمجادلة بغير بينة فلا يُسلم للحق بسهولة ولا يتأثر بالموعظة³، وهذه النزعة الجدلية إذا تُركت دون تهذيب قد تكون سببًا للنزاع والفرقة أما إذا ضُبِطت بمنهج القرآن فإنها تتحول إلى وسيلة لإظهار الحقيقة وبناء الحوار المثمر مما يسهم في ترسيخ الفهم المشترك وتعزيز الوحدة الإنسانية.

كما يتجلى ضعف الإنسان في ميله الفطري إلى الشح والإمساك بما يملك، قال تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾⁴، ويرى السعدي أن الإنسان مطبوع على البخل يميل إلى التقتير والحرص المفرط على ما في يده حتى يقصّر في البذل والعطاء⁵، وهذا الطبع إذا تُرك دون إصلاح يقوض أركان التكافل الاجتماعي، غير أن الإسلام عالجَه بدعوة الإنسان إلى الإنفاق والصدقة، ليكون عطاؤه وسيلة لتوثيق الروابط وتقوية جسور الوحدة بين أفراد المجتمع.

ومن سمات الضعف الإنساني كذلك النزوع إلى العجلة والتسرع في طلب الأمور قبل أوانها، قال تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾⁶، ويشير القرطبي إلى أن طبيعة الإنسان ميّالة إلى الاستعجال فيطلب الخير على وجه السرعة، وقد يدعو بالشر كما يدعو بالخير من شدة تسرعه⁷، وهذه العجلة قد تُفضي إلى اضطراب في القرارات وإضعاف روابط الجماعة لكن الإسلام وجهها نحو الصبر والتأني، مما يُحوّل هذا الضعف إلى عنصر استقرار يعزز من تماسك العلاقات الإنسانية ويقوي وحدة المجتمع.

¹ - انظر: البغوي، معالم التنزيل، ج 5، ص 403، تفسير الرازي، ج 10، ص 55، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 3، ص 336.

² - سورة الكهف: الآية 54.

³ - الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المرجع السابق، ص 300.

⁴ - سورة الإسراء: الآية 100.

⁵ - عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمن، المرجع السابق، ص 292.

⁶ - سورة الإسراء: الآية 11.

⁷ - أبو عبد الله القرطبي، كتاب تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن، المرجع السابق، ص 283.

مما مر بنا من آيات تبين مكان ضعف الإنسان في قوله تعالى: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾¹، وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾²، وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾³، وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾⁴، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظُلُومٌ كَفَّارٌ﴾⁵، اعتبر القرآن الكريم هذه الصفات من ضعف أمام الشهوات والعجلة والبغض والجدال ونكران النعم من بين جِلَّة الإنسان لقوله تعالى "وَخُلِقَ" وقوله تعالى "وَكَانَ الْإِنْسَانُ" أي أنه طبع من طباعه وجِلَّة فيه، غير أن هذه الجِلَّة جاءت لامتحانته وابتلائه بمقاومتها بعقله وإرادته، ويقابل هذه الجِلَّة الفطرة التي غرسها الله في الإنسان، إذا فهو صراع داخلي في كل الأنفس البشرية ليكون الانتصار فيها إما لطبعه أو لإرادته التي تريد الحق وتريد اتباعه، لذلك نستطيع أن نستنتج سُنتين على الأغلب؛ الأولى سُنة الابتلاء بالقصور الجِلِّي وهذا ما عنونا به هذا الفرع، والسنة المقابلة لها هي سُنة الضعف البشري القائم على الابتعاد عن هدى الله عز وجل والابتعاد عن بغية الحق.

الفرع الثاني: سُنة الإلزام الأخلاقي القائم على الملكة الفطرية:

إن أصل مادة (خلق) تدل على تقدير الشيء، يقول ابن فارس: ومن هذا المعنى الخُلُق، وهو السجية لأن صاحبه قد قُدِّر عليه...، والخُلُق: النصيب لأنه قد قُدِّر لكل أحد نصيبه⁶، وعرفها الجاحظ إلى أن: الخُلُق هو حال النفس، بما يفعل الإنسان أفعاله بلا روية ولا اختيار، والخلق قد يكون في بعض الناس غريزة وطبعاً، وفي بعضهم لا يكون إلا بالرياضة والاجتهاد، كالسخاء قد يوجد في كثير من الناس من غير رياضة ولا تعمل، وكالشجاعة والحلم والعفة والعدل وغير ذلك من الأخلاق الحمودة⁷.

وجاء مفهوم الأخلاق عند بعض المعاصرين بأنه: مجموعة المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني التي يحددها الوحي لتنظيم حياة الإنسان وتحديد علاقته بغيره على نحو تحقيق الغاية من وجوده في هذا العالم على أكمل وجه⁸.

¹ - سورة النساء: الآية 28.

² - سورة الإسراء: الآية 11.

³ - سورة الإسراء: الآية 100.

⁴ - سورة الكهف: الآية 54.

⁵ - سورة إبراهيم: الآية 34.

⁶ - أحمد ابن فارس، مقاييس اللغة، ج 02، تح: عبد السلام هارون، القاهرة، 1969، ص 214.

⁷ - الجاحظ، تهذيب الأخلاق، دار الصحابة للتراث، القاهرة، د ت، ص 12.

⁸ - مقداد الجين، التربية الأخلاقية الإسلامية، ط 01، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1977، ص 75.

وتمثل الأخلاق الإنسانية قيماً ومبادئ لا تتغير رغم تقلبات الزمن وتحدياته، فالصدق على سبيل المثال يظل صدقاً مهما تبدلت الظروف، والأمانة تظل أمانة وإن كانت البشرية تنحرف أحياناً عنها في أقوالها وأفعالها، وتتجلى الإنسانية في القرآن الكريم من خلال دعوته إلى الرحمة والتعاطف مع الآخرين، فالتفاني في مساعدة الآخرين ومساعدتهم في حالات الضعف يعد فعلاً إنسانياً نبيلًا يجسد الروح الإنسانية السامية التي يدعو إليها القرآن الكريم.

وفي الحقيقة يُظهر لنا القرآن الكريم أن الإنسان قد خُلق على أخلاقٍ عالية وأن الحياة الدنيوية لا تُبرّر انحرافه عن هذه القيم في بعض الأحيان، فالاستقامة والإيمان والعدل هي مبادئ يُحث عليها الإنسان في تعامله مع الناس وفي تحقيقه للنجاح والسعادة، وهي ترتبط بعمق بما يحمله القرآن الكريم من توجيهات وتعاليم، فالقيم الإنسانية في القرآن الكريم تبرز كأساس لسلوك الإنسان وتوجيه حياته، مُظهرةً أنَّ الأخلاق الرفيعة تُشكل جوهر الإنسان وتعكس الروح السامية التي يجب أن يسعى إليها في حياته.

أولاً. مصادر الإلزام الأخلاقي:

استطاع الفيلسوف الفرنسي هنري برجسون، في تحليله العميق لقضية الإلزام الأخلاقي أن يكشف له عن مصدرين: أحدهما: قوة الضغط الاجتماعي، والآخر: قوة الجذب ذي الرحابة الانسانية المستمدة من العون الإلهي، وهي قوة أوسع مدى من سابقتها¹.

حيث استطاع برجسون أن يصور لنا الإنسان على أنه لعبة في يد قوة أيًا كانت، فهو تارة مدفوع بالغريزة، وأخرى محمول بالعاطفة، ولكنه لم يكن مطلقاً شخصية مستقلة، قادرة على المقارنة، والتقييم، والاختيار، فإذا نظرنا الى عرض برجسون هذا على أنه وصف وتحليل لواقع معين نجده في التجربة - أمكن القول بأنه لم يغفل كثيراً من الأساس، وأما إذا تناولناه -على أنه نظرية في الإلزام الاخلاقي- فإن تحليله يحمل بعض الصعوبات، وشيئاً من الانحراف عن الجادة، بالنسبة الى وجهة النظر القرآنية².

ومن هنا نرى القرآن يقف دائماً أمام هذين العدوين للأخلاقية: اتباع الهوى دون تفكير: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ﴾³، ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا﴾⁴، والانقياد الأعمى: ﴿قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا

¹ - محمد عبد الله دراز، دستور الأخلاق في القرآن، ط 10، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1998، ص 23.

² - محمد عبد الله دراز، دستور الأخلاق في القرآن، المرجع السابق، ص 24.

³ - سورة ص: الآية 26.

⁴ - سورة النساء: الآية 135.

آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ¹، فهل يقدم الذين يريدون السير على سنة أسلافهم على الانقياد لهم دون تمييز، حتى ولو ﴿كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾²، ففي الفرد إذن - من حيث كونه فاعلاً- عنصر عقلي، أعني: عنصراً أخلاقياً، بالمعنى الحق، وفي الأمر الخلقى عنصر آخر هو: العقل، والحرية، والمشروعية؛ وتلك هي العوامل الأساسية، التي أدى إغفالها الى نقص كبير في تحليل برجسون³.

والحق أن القرآن لم يقتصر على الملكات العقلية وحدها، فلقد عنى في الوقت نفسه عناية كبيرة بإيقاظ أشرف مشاعرنا وأزكاها، بيد أنه لم يحرك هذه المشاعر إلا تحت رقابة عقلنا، فهو يتوجه إلينا دائماً، أعني: يتوجه الى ذلك الجانب المضيء من أنفسنا؛ الى ملكتنا القادرة على أن تفهم، وأن تقدر في كل شيء ما يضر وما ينفع، وأن تقوم القيم المختلفة⁴.

ومن المشاعر السامية التي حركها القرآن فينا - نذكر على سبيل المثال ما جاء فيه دعماً لسائر واجباتنا الاجتماعية، بالمعنى الأوسع لكلمة: (مجتمع)، الشعور بالأخوة الإنسانية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾⁵، ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾⁶، ولقد تجلّى هذا الشعور حين قدم لنا القرآن في صورة عاطفية مؤثرة مشهد الفرع الذي ينبغي أن يزعنا عن اغتياب الآخرين، فشبه المغتاب بمن ﴿يَأْكُلُ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾⁷، ثم يضيف: ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾⁸ كلكم أجمعون.

فالأمر الإلهي يسوغ في نظرنا بتطابقه مع تلك الحقيقة الموضوعية، وهو بهذا التطابق يستحوذ على قبولنا؛ كما أنه يقيم على هذا القبول سلطانه الأخلاقي، فليس هنالك إذن سوى نور واحد محض، وغير محدود، هو الذي يستطيع ان يضم هذا الجوهر كاملاً، وفي ثقة تامة؛ ولذا كان من حق المؤمنين ان يتخذوا من الهدي الإلهي وسيلة الهداية الأخلاقية الكاملة⁹.

¹ - سورة الزخرف: الآية 22.

² - سورة البقرة: الآية 170.

³ - محمد عبد الله دراز، دستور الأخلاق في القرآن، المرجع السابق، ص 25.

⁴ - نفسه، ص 29.

⁵ - سورة الحجرات: الآية 13.

⁶ - سورة النساء: الآية 01.

⁷ - سورة الحجرات: الآية 12.

⁸ - محمد عبد الله دراز، دستور الأخلاق في القرآن، المرجع السابق، ص 30.

⁹ - نفسه، ص 52.

ثانيا. خصائص التكليف الأخلاقي:

إن كل قانون ماديًا كان أو اجتماعيًا أو عقليًا إنما يسري بالضرورة على جميع الأفراد على نسق واحد كما يحكم الفرد ذاته في مختلف أحواله وإلا فقد جوهره كقاعدة عامة ثابتة، فهو سنة مضطردة لا تحابي ولا تستثني تجري في نظامها كما تجري سنن الله في الكون والتاريخ.

إن قانون الواجب على الرغم من طابعه الفردي يظل مشتركًا في جوهره شاملاً وضروريًا إذ يقوم على قاعدة أخلاقية عامة تحتضن الإنسان بما هو إنسان، وهذا ما يبرزه القرآن الكريم بوضوح حيث تأتي أوامره ونواهيه خطابًا موجَّهًا إلى البشرية جمعاء وهو ما يقرره قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾¹، وقوله: ﴿لَا نَذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾².

وقوله: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾³، وهو ما قد يحمل على معنى توزيعي، بل إن القاعدة الواحدة، ولتكن قاعدة العدالة، أو الفضيلة بعامة، يجب على كل فرد أن يطبقها على نسق واحد، سواء أكان تطبيقه لها على نفسه، أم على الآخرين: ﴿اتَّامُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾⁴، ﴿وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾⁵، ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ، الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ، وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾⁶، وسواء أكان هذا التطبيق على أقربائه، أم على البعداء، على الأغنياء أم على الفقراء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا﴾⁷، وسواء أكان خارج الجماعة أم داخلها: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾⁸، على الأصدقاء أم على الأعداء: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۖ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾⁹.

¹ - سورة الأعراف: الآية 158.

² - سورة الأنعام: الآية 19.

³ - سورة الرافقان: الآية 01.

⁴ - سورة البقرة: الآية 44.

⁵ - سورة البقرة: الآية 267.

⁶ - سورة المطففين: الآية 01-03.

⁷ - سورة النساء: الآية 135.

⁸ - سورة آل عمران: الآية 75.

⁹ - سورة المائدة: الآية 08.

ومن الارتباب، أو مرض القلوب - كما حدثنا القرآن - ألا ندعن للقانون إلا حين نفيده منه، على حين يخضع له المؤمنون دون قيد أو شرط¹: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ ۚ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا² ۚ

والقرآن لا يعظم فحسب الاتفاق الذي يحدث على نسق واحد، في السراء والضراء: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ³، ولا يمتدح فقط الشجاعة التي تتحدى الجوع والعطش والنصب: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ⁴، ليس ذلك فحسب، وإنما هو يندد في قسوة بأولئك المرضى المنحرفين، الذين تمنعهم مثل هذه الحالات من أداء الواجب: ﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ ۖ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا⁵ ۚ

وهكذا يكون للفرد أمام الواجب الاختيار بحسب الواقع، ولكنه لا يملك هذا الاختيار شرعاً. فالضرورة الأخلاقية ليست إذن ضرورة وجودية، بل هي ضرورة مثالية، ومع ذلك يجب ألا نلبسها بالضرورة المنطقية، فكل ما هو ضروري منطقياً يفرض نفسه على العقل مسلمة من المسلمات، إذ ليس بوسع المرء ألا يرى ما رآه جلياً، وكل ما هو ملزم أخلاقياً يفرض نفسه على الإرادة على أنه شيء لما يكن، ولكن يجب أن يكون، وهو ينتج من حكم على قيمة، لا من حكم على واقع⁶.

ثالثاً. شروط المسؤولية الأخلاقية:

أ. الطابع الشخصي للمسؤولية:

أول ما يجب ذكره هو أن المسؤولية الأخلاقية شخصية محضة ولسوف يكون من باب الإطالة أن نذكر جميع النصوص القرآنية التي تقرر هذا المبدأ الأساسي، وهي التي تنص على هذه الحقيقة في

¹ - محمد عبد الله دراز، دستور الأخلاق في القرآن، المرجع السابق، ص 55.

² - سورة النور: الآية 48-51.

³ - سورة آل عمران: الآية 134.

⁴ - سورة التوبة: الآية 120.

⁵ - سورة التوبة: الآية 81.

⁶ - محمد عبد الله دراز، دستور الأخلاق في القرآن، المرجع السابق، ص 57.

ألفاظ تامة الوضوح، قوله تعالى في آيات: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾¹، ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ﴾²، ﴿مَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾³، ﴿لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾⁴، ﴿الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾⁵، ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا﴾⁶، ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾⁷.

وينتج من هذا كله، بوضوح، أن الثواب والعقاب لا يمكن أن يتأتى فيها أي تحويل، أو امتداد، أو اشتراك، أو التباس، حتى بين الآباء والأبناء؛ وإذا كان آباؤنا وأجدادنا مسؤولين مثلاً عن الأمثلة التي لقنوها لنا، والعادات التي أخذناها عنهم، وإذا كنا مسؤولين عن الطريقة التي استعملنا هذه التركة، فلا يجب مطلقاً أن نتحمل معهم وزر ما عملوا⁸: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾⁹.

ب. الأساس القانوني:

هذا هو الشرط الثاني للمسؤولية، فالقرآن يعلمنا أن أحداً لن يحاسب على أفعاله دون أن يكون قد أعلم مسبقاً بأحكامها.

وهذا الإعلام يأتي من طريقين مختلفتين: داخلية، وخارجية، فقواعد القانون الأخلاقي في أكثر صورها شمولاً مسجلة بشكل ما في أنفسنا، وليس علينا، لكي ندرك مغزاها، سوى أن نستخدم قدراتنا وملكاتنا الفطرية: فنستشير عقلنا، ونستبطن قلبنا، أو نتبع غرائزنا الخيرة. ولما كانت معرفة هذا القانون الفطري في وسع كل إنسان، على تفاوت بين الأفراد، فإن هذه المعرفة تكفي قطعاً لتأكيد مسؤوليتنا نحو

¹ - سورة البقرة: الآية 286.

² - سورة النساء: الآية 111.

³ - سورة الإسراء: الآية 15.

⁴ - سورة لقمان: الآية 33.

⁵ - سورة غافر: الآية 17.

⁶ - سورة الأنعام: الآية 132.

⁷ - سورة النجم: الآية 39.

⁸ - محمد عبد الله دراز، دستور الأخلاق في القرآن، المرجع السابق، ص 149.

⁹ - سورة البقرة: الآية 134.

أنفسنا، ولم تنازع أكثر المدارس الإسلامية تشدداً في أن هنالك نوعاً من المسؤولية الشاملة القائمة على هذا التكليف الفطري¹.

وفيما يتعلق بالمسؤولية الأخلاقية لا ينبغي أن تقوم إلا على الحالة الواقعية لضميرنا مع تحفظ واحد هو ألا يزيغ هذا الضمير مختاراً عن الهدى الذي يقدم إليه، بل يحاول أن يبحث عنه عند الحاجة²، والله يقول: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾³.

فليس يكفي إذن، أن يُحمَل القانون الى علم الناس بعامة، وأن أكون بحيث أستقبله، بل ينبغي أن نضيف ضرورة إبلاغه الى علمي، أنا نفسي سواء أكان ذلك بوساطة التربية، أو النشر، أو الصدفة، أم كان بطلي إياه في سعبي وبحثي، وقد رأينا كيف أن القرآن حرص على أن يثبت -على سبيل الحقيقة التاريخية إن لم يكن على سبيل القانون الثابت- أن التعليم الإلهي الذي خطبت به الشعوب القديمة كان يصل دائماً إلى المعنيين به، قبل أن يلزموا بمسؤوليتهم هذه الحقيقة نفسها يجب أن تنطبق على التعليم القرآني وإنها كذلك⁴، فقد قرر القرآن: ﴿وَأَوْحِي إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ﴾⁵.

ج. العنصر الجوهرى في العمل:

لقد تحدثنا حتى الآن عن العلاقة التي تربط الفرد المسؤول بالقانون، وقد رأينا أن المسؤولية لا يمكن أن تثبت أو تسوغ في نظر القرآن إلا بشرط أن تذيب شريعة الواجب، ويعرفها كل ذي علاقة بها، وأن تكون حاضرة في عقله لحظة العمل.

ولكننا فضلاً عن علاقتنا بالشريعة، لنا علاقة أخرى بالعمل، فالأولى «علاقة معرفة»، وهذه «علاقة إرادة». والضمير الكلي للفرد الأخلاقي يحتوي هذه العلاقة المزدوجة في آن، ومثله كمثل الفنان الذي يرسم لوحته، وهو ينظر إلى النموذج، سواء في مطابقته له، أو في استقلاله عن قواعده، وعليه فإن المحكمة التي تهتم بأن تنسب أعمالاً إلى أشخاص لا تستطيع أن تصدر في هذا حكماً عادلاً دون أن تلاحظ الطريقة التي تقع بها أعمالنا، وعلاقتها بشخصنا⁶.

¹ - محمد عبد الله دراز، دستور الأخلاق في القرآن، المرجع السابق، ص 163.

² - نفسه، ص 170.

³ - سورة الزخرف: الآية 36.

⁴ - محمد عبد الله دراز، دستور الأخلاق في القرآن، المرجع السابق، ص 170.

⁵ - سورة الأنعام: الآية 19.

⁶ - محمد عبد الله دراز، دستور الأخلاق في القرآن، المرجع السابق، ص 172.

فالعَمَل اللاإرادي يجب أن يستبعد - بادئ ذي بدء - من مجال المسؤولية من حيث كان ينقصه مطلقاً هذا العنصر التكويني للشخصية، أعني: الإرادة فالذي يكبو في سيره - مثلاً - لا يمكن أن يعتبر مسؤولاً، لا عن سقوطه، ولا عن نتائجه المكدرّة أو المستطابة، بالنسبة إليه أو إلى الآخرين¹.

والعمل اللاإرادي من الناحية الإنسانية هو (حادث)، وإن كانوا يطلقون عليه اصطلاحاً: (عمل) لأنه حين نستخدم التعبير القرآني لن يكون بعض ما تكتسبه أنفسنا، كقوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾².

د. الحرية:

عندما يكون المرء قد عرف الشريعة، وعمل بإرادة، وعلى بصيرة من الأمر فليس معنى ذلك أنه يكون قد جمع كل شروط المسؤولية، فأنا أعرف جيداً أن هذا العمل محرم علي، ولست أخطئ طبيعته المادية، أو طبيعته الأخلاقية، وحين يتحتم على إرادتي أن تتدخل فإنها تتناوله من نفس الجانب الذي صار به محرماً، فهو إذن عمل شعوري منبعث عن نية مزدوجة، بيد أنه إذا لم تكن إرادتي وحدها هي التي تحدّثه، وإذا لم يكن مجال اختياري الحر خالياً كصفحة بيضاء، وكان مشغولاً بقوى أخرى هي التي حددت اختياري في اتجاه معين دون أي اتجاه آخر، وإذا لم يكن لإرادتي -وهي تواجه هذا التداخل- غير أن تتبع تياراً سبق أن خط لها فكيف أنسب إلى نفسي عملاً كهذا، لم تسهم فيه شخصيتي إلا في جانب معين؟³.

مما سبق ذكرنا خصائص التكليف الأخلاقي ومصدره، ونجد أن عبد الله دراز لمح في نقطتين؛ نقطة المصدر الأخلاقي والذي بين فيه أن الإنسان تتوافق ملكته أمام الأخلاق السامية مع ما جاء به القرآن الكريم وأنه مشتركة معه، لذلك دعى الله عز وجل الإنسان المسلم أن يتعرف على الإنسان في كل بقاع الأرض وحدد معيار التفاضل بالتقوى والتي يتجسد فيها أسمى معاني الأخلاق في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾⁴، وبدايتها "يَا أَيُّهَا النَّاسُ" أي تخاطب كل الإنسانية، ومعيار التفاضل التقوى "إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ" أي لا فرق بينكم بأبيض أو أسود وغني أو فقير أو قوي أو ضعيف إلا بالتقوى، فهي تلغي الفروقات وتضم البشرية على تطبيق أين يرضى الله عز وجل، لقوله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ) رواه أحمد، وهو دليل على وجود هذه

¹ - محمد عبد الله دراز، دستور الأخلاق في القرآن، المرجع السابق، ص 172.

² - سورة البقرة: الآية 286.

³ - محمد عبد الله دراز، دستور الأخلاق في القرآن، المرجع السابق، ص 181.

⁴ - سورة الحجرات: الآية 13.

الأخلاق وتواصلها في الإنسان إنما تحتاج إلى إتمام وكمال بمعرفة الله عز وجل، هذه بالنسبة للنقطة الأولى والنقطة الثانية في كلامه عن مسؤولية الأخلاق على أساس قواعد القانون الأخلاقي في أكثر سورها شمولاً مسجلةً بشكل ما في أنفسنا وليس علينا كي ندركها سوى أن نستخدم ملكتنا الفطرية باستشارة القلب والعقل والغرائز الخيرة فينا وهذا مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾¹، وقوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾²، وقوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾³.

فمن خلال الآيات الكريمة نجد أن الإنسان إلى جانب الإرادة والحرية أعطاه الله عز وجل الميزان والتميز بين الخير والشر، بالنسبة للآية الأخيرة تبين أن الخير متجذر في خلقه الإنسان لأن الدين القيم يُعمل في كل جنباته القيم العليا والأخلاق السامية، ومنه نستطيع أن نستنتج أن السنة الإلهية متعلقة بالأخلاق متمثلة في سنة الإلزام الأخلاقي القائم على الإرادة والملكة الفطرية، وبما أن هذه السنة تمس جميع البشر من دون استثناء فهي صورة من صور الوحدة الإنسانية.

* الجانب التطبيقي للواقع المعاش للوحدة الإنسانية:

إذا توجهنا إلى الواقع في مجال تطبيق نظرية الوحدة الإنسانية، على أساس أن الإنسان في العالم يجمعه الأخلاق، والنشأة، والرحمة، والتعاون، وكما يسميها العالم "الإنسانية"، لأن هذه الكلمة تنم عن احترام روح الإنسان، وحرية، وفكره، وإرادته، ومشاعره، وحقوقه على شتى أنواعها المادية والمعنوية، نجد أن العالم وضع منظمات عالمية تدعو إلى هذا الاحترام، من منظمة حقوق الإنسان، والطفل، والمرأة، وحتى الشجر، لنجد في المقابل أن نفس الدول هي التي تنشر التلوث، والحروب، والإبادة الجماعية، وتقمع العقول، وتطمس الهويات، من أجل بناء هوية تخدم المصالح العليا التي تضمن لها السيطرة على العالم، فإذا بهذه القوى قد انحرفت بالإنسان إلى اللاإنسانية، وأصبحت هناك مشكلات إنسانية عالمية انجرت تحتها كل العالم، كالعنف، والانتحار، والإدمان على شتى أنواعه، وانحرفت أطوار الجنسين من امرأة ورجل، وبدأت معالم الطفولة تختفي في ظل التمرد، والحرية المطلقة، وفرض سيطرة الآلة على حياة الإنسان، وهذا الواقع المعاش جاء لعدة أسباب خالفت السنن التي تساهم في الوحدة الإنسانية لذلك نُعدّد أسباب الفُرقة الإنسانية في العالم ثم نقارنها مع السنن.

¹ - سورة الشمس: الآية 7-8.

² - سورة البلد: الآية 10.

³ - سورة الروم: الآية 30.

أسباب عدم الوحدة الإنسانية والانقسام في العالم:

منذ أن وُجد الإنسان على هذه الأرض وهو يتأرجح بين حلم الوحدة وواقع الانقسام؛ فبينما توحدته الفطرة في إنسانيته تفرقه المصالح والسلطة والهوية، وهكذا يصبح العالم مسرحاً لتصارع فيه القوى فتغلب الأنانية على قيم العدالة ويظل السؤال لماذا يفشل الإنسان في أن يكون إنساناً مع الإنسان؟ معلّقاً عبر التاريخ.

1. النزاعات على الموارد والسلطة: إن الصراع على الموارد والسلطة يمثل أحد أعمق الجراح في

مسيرة الإنسانية فبدل أن تكون الثروات والنظم السياسية جسوراً للتعاون والعدل تحولت في كثير من الأحيان إلى ساحة صراع وتنافس أعمى يفتت الروابط ويزرع الانقسام، وهكذا غدت النعمة نقمة والسلطة عبئاً بعدما أسيء توظيفهما بعيداً عن مقاصد الحق والخير التي تحفظ كرامة الإنسان وتحقق وحدته.

أ- الموارد الطبيعية (مصادر الطاقة والأراضي)¹:

✓ لقد كان التنافس على الموارد الطبيعية من أبرز مظاهر الانقسام الإنساني في العصر الحديث فبدل أن تكون هذه الموارد وسيلة لتحقيق التنمية والتكامل بين الشعوب تحولت إلى مصدر للتوترات والحروب، فالنفط والغاز - باعتبارهما شريان الحياة الاقتصادية وأحد أعمدة الصناعة الحديثة - أصبحتا وقوداً لصراعات لا تنتهي إذ غذّت التدخلات الخارجية والانقسامات الداخلية كما شهدنا في العراق وليبيا فكانت النتيجة أن انكسرت الروابط الإنسانية تحت وطأة النزاع على الثروة، وعلى النحو ذاته فإن وفرة الموارد بدل أن تحقق العدالة والرفاهية وقعت في ما يسميه الباحثون بـ "لعنة الموارد" حيث استغلت من قبل الأنظمة الاستبدادية لترسيخ الفساد والقمع كما في حروب الألماس في سيراليون والكونغو، فصارت الثروة نقمة تقسم الشعوب وتذكي الصراع بدل أن تكون نعمة تدعم الوحدة الإنسانية.

✓ ومن جهة أخرى فإن ندرة الموارد لا تقل خطورة عن وفرتها إذ شكّلت المياه والأراضي الزراعية عوامل نزاع تهدد السلم العالمي، ففي مناطق عدة من العالم لم تعد المياه نعمة تحفظ الحياة بل تحولت إلى أداة صراع تفرّق بين الأمم كما هو الحال في أزمة سد النهضة التي عمّقت الفجوة بين مصر والسودان وإثيوبيا، وهكذا يتضح أن غياب العدالة في توزيع الموارد سواء كانت وفيرة

¹ - انظر: معمر محمد رضا مختاري فيصل، وفرة وندرة الموارد الطبيعية ترسخ الأنظمة أو النخبة الفاسدة تزايد حدة الصراع في المجتمع، المجلة الجزائرية للتسيير والاقتصاد، المجلد 12، العدد 2، 2019، ص 16-32.

أو نادرة يؤدي إلى تهميش فئات واسعة من المجتمعات ويزرع مشاعر الغبن والظلم وهو ما يناقض الأسس التي تقوم عليها الوحدة الإنسانية من عدالة وتكافؤ.

✓ وإلى جانب ذلك فإن التغيرات البيئية والتدهور المستمر للأراضي الزراعية والتصحر المتسارع لم يؤدّ إلى دفع البشر نحو التعاون والتكامل كما قد يُتوقع بل عمّق التوترات بين الجماعات البشرية وزاد من حدة الصراعات على الموارد المحدودة، بل إن استغلال الموارد نفسها في تمويل الحروب والصراعات كان من أبرز عوامل تفكيك الروابط الإنسانية إذ تحولت الثروات المشتركة إلى وقود للعنف والانقسام، وبهذا نجد أن ما كان ينبغي أن يكون أساساً للتنمية والتضامن بين الشعوب صار عاملاً من عوامل التشرذم وفقدان الوحدة الإنسانية.

ب- السلطة والنفوذ:

✓ لقد شكّل الاستبداد السياسي وتمركز القرار بيد فرد أو نخبة ضيقة أحد أبرز معوّقات الوحدة الإنسانية إذ يرسخ الانقسام بين الناس ويقوّض قيم العدالة والمساواة التي هي أساس كل اجتماع بشري، وقد عبّر القرآن الكريم عن خطورة هذا المسلك في قصة فرعون الذي ﴿عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾¹، فكان استعلاؤه سبباً في تفتيت المجتمع وزرع الكراهية بين أفرادِهِ، وعلى هذا النحو فإن تطويع القوانين والأنظمة لخدمة الحاكم أو أصحاب النفوذ بدل أن تكون أداة لتحقيق العدل جعلها وسيلةً للتمييز والظلم فأفقدتها غايتها الأصلية وأدى إلى مزيد من الانقسام، حيث إن القوانين حين تُسَخَّر لخدمة فئة محدودة فإنها تفقد مصداقيتها، وتتحول إلى وسيلة إقصاء بدلاً من أن تكون إطاراً ضامناً للوحدة.

✓ ويُضاف إلى ذلك أن حب التمسك بالسلطة ورفض التداول السلمي لها يعد من أكبر معوّقات الوحدة الإنسانية إذ يحوّل الحكم إلى ملك شخصي ويقضي على مبدأ الشورى الذي جعله الإسلام أساساً للحكم الرشيد، وقد تجلّى ذلك في تجارب معاصرة مثل تجربة الرئيس التونسي الأسبق زين العابدين بن علي الذي بقي في السلطة أكثر من عقدين حتى أطاحته الثورة عام 2011، وكذلك الرئيس المصري الأسبق حسني مبارك الذي استمر في الحكم ثلاثين عاماً قبل أن تسقطه ثورة يناير، وهذه النماذج تكشف أن الاستبداد لا يفضي إلا إلى تفجير المجتمعات

¹ - سورة القصص: الآية 04.

من الداخل وإلى انقسامها الحاد، إذ لا يمكن أن تنمو الوحدة في ظل احتكار السلطة وغياب التمثيل العادل¹.

✓ كما أن انتشار الفساد واستغلال المناصب لتحقيق المصالح الشخصية يُضعف الثقة بين الناس ويقوّض أسس التضامن وقد حثّ النبي ﷺ على الأمانة ونهى عن استغلال النفوذ حين قال: (هدايا العمال غلول)²، وهو نصّ جامع يبيّن أن استغلال الموقع لتحقيق مكاسب خاصة يناقض مبدأ الأمانة الذي تقوم عليه أي وحدة مجتمعية، ولعل من أخطر مظاهر الاستبداد كذلك استعمال السلطة في قمع المعارضين سواء عن طريق المراقبة والتجسس أو عن طريق العنف المباشر الأمر الذي يتعارض مع مقاصد الشريعة التي جاءت لحفظ الدماء وصيانة الحريات، وقد أدى هذا إلى زرع الكراهية وتوسيع الفجوة بين الحكام والمحكومين فكانت النتيجة غياب وحدة حقيقية قائمة على الثقة والعدل.

✓ وأخيراً فإن للسلطة والنفوذ أثراً وعدوى في المجتمعات إذ إن ممارسات الاستبداد حين تترسخ في بلد ما تغري غيره بالسير على النهج نفسه كما أن الثورات والاحتجاجات تنتقل بدورها من بلد إلى آخر وهو ما شهدناه جلياً في "الربيع العربي" حين اندلعت الشرارة من تونس وانتقلت إلى مصر ثم إلى اليمن وليبيا وسوريا، وهكذا فإن النفوذ السياسي سواء في صورته الاستبدادية أو في صيغته الثورية كان عاملاً مسبباً لمزيد من الاضطرابات والانقسامات التي حالت دون تحقيق الوحدة الإنسانية المنشودة³.

2. الاختلافات الأيديولوجية والسياسية: عبر التاريخ ظلّت الأيديولوجيات والأنظمة السياسية

سلاحاً ذا حدين؛ فهي من المفترض أن تكون أطراً تنظّم حياة الإنسان وتضمن العدالة لكنها تحوّلت في كثير من الأحيان إلى قوالب صلبة كرّست الانقسام بدل الوحدة وأفرغت الإنسان من إنسانيته حين جعلته تابعاً للمصالح الضيقة والصراعات الطبقية، وهكذا ضاع المعنى الأسمى للسياسة كفن للتعايش لتغدو أداة للهيمنة والفرقة بدل أن تكون سبيلاً للوحدة الإنسانية.

¹ - انظر: سمير "محمد سعيد" أسعد أبو شمس، استغلال النفوذ الوظيفي في ظل التشريعات الفلسطينية وأثره على التنمية السياسية، رسالة ماجستير في التخطيط والتنمية السياسية بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، جامعة النجاح الوطنية كلية الدراسات العليا، فلسطين، 2011، ص 20-22.

² - أخرجه: أحمد في المسند 14/39 رقم (23601).

³ - انظر: سمير "محمد سعيد" أسعد أبو شمس، استغلال النفوذ الوظيفي في ظل التشريعات الفلسطينية وأثره على التنمية السياسية، المرجع السابق، ص 23-24.

أ- الأنظمة السياسية:

- ✓ لقد شكّلت الأنظمة السياسية أحد أبرز العوامل التي أسهمت في تعميق الانقسامات وإضعاف الوحدة الإنسانية إذ كثيرًا ما كانت الديمقراطية نفسها مجرد قناع يخفي وراءه الاستبداد، فقد أوضح الفيلسوف هربرت ماركيز أن ما يُسمى بالديمقراطية في بعض الدول ما هو إلا صورة شكلية حيث يُسمح بممارسة حرية التعبير أو التظاهر ضمن حدود ضيقة لا تمس البنية العميقة للنظام فتتحول بذلك إلى مجرد وسيلة لتفريغ الغضب الشعبي دون إحداث أي إصلاح حقيقي، ومن هنا فإن هذه الديمقراطية الشكلية بدل أن تكون إطارًا لتحقيق المشاركة الشعبية والوحدة تصبح أداة لإدامة الانقسام وإشاعة الشعور بالخذلان وانعدام الثقة في المؤسسات¹.
- ✓ أما الديكتاتورية فهي تمثل الوجه الأكثر وضوحًا لتمرکز السلطة إذ تحوّل الحكم إلى سلطة فردية مطلقة تقصي الشعوب عن المشاركة في القرار السياسي مما يؤدي إلى غياب الشورى والعدل ويكرّس الانقسام بدل الوحدة، وقد أشار النبي ﷺ إلى خطورة هذا الصنف من الحكام بقوله: «إِنَّ شَرَّ الرِّعَاءِ الْخَطْمَةُ»²، أي أن أسوأ الحكام هم الذين يسوسون شعوبهم بالقسوة والبطش، فالاستبداد لم يكن يومًا طريقًا إلى التماسك بل كان ولا يزال وسيلة لتمزيق الأمة وإضعاف مجتمعاتها على المستويين الداخلي والإنساني العام.
- ✓ كما أن التحالف بين الرأسمالية والسلطة السياسية عزّز من هذا التفكك إذ بيّن ماركيز أن الرأسمالية المتقدمة وظّفت الديمقراطية القمعية والتكنولوجيا لتثبيت هيمنة النظام السياسي والاقتصادي معًا الأمر الذي أفقد الناس البعد النقدي والقدرة على الرفض فصاروا أكثر تبعية وأبعد ما يكونون عن قيم الحرية والوحدة، وبذلك لم تعد الأنظمة السياسية وسيلة لتحقيق العدالة الاجتماعية بل أداة لترسيخ الفوارق وتعميق الانقسام³.
- ✓ وإلى جانب ذلك اتسمت هذه الأنظمة بازدواجية خطيرة بين ما يُسمى بالتقدم وما يُنتجه من دمار، فرغم ما أتاحه النظام السياسي الصناعي من رفاهية مادية ووفرة إنتاجية فإنه في الوقت نفسه كان يطور أدوات دمار هائلة كما حدث في الحربين العالميتين، وهكذا فإن التقدم التقني والاقتصادي لم يفض إلى تعزيز السلام العالمي كما يُفترض بل ساهم في تكريس الانقسام

¹ - انظر: هربرت ماركيز، الإنسان ذو البعد الواحد، تر: جورج طرابيشي، دار الآداب، بيروت - لبنان، 1984، ص 191.

² - «شرح رياض الصالحين» (3/ 637-639).

³ - انظر: هربرت ماركيز، الإنسان ذو البعد الواحد، المرجع السابق، ص 192.

الإنساني وإضعاف فرص التعايش المشترك ليكشف بذلك عن التناقض العميق الذي يطبع علاقة السياسة بالتنمية من جهة وبالحرروب والدمار من جهة أخرى.

ب- الإيديولوجيات:

✓ لقد شكّلت الإيديولوجيات واحدة من أخطر العوامل التي غدّدت الانقسام الإنساني إذ إن الرأسمالية على سبيل المثال كرّست حالة اغتراب الإنسان عن عمله وعن ذاته، فقد تحولت العلاقات الإنسانية في ظلها إلى مجرد علاقات مادية قائمة على الربح والاستغلال الأمر الذي قوّض إمكانات بناء وحدة إنسانية قائمة على القيم المشتركة، وقد اعتبر هربرت ماركيز هذا الاغتراب سلبيًا كاملاً للإنسانية لأن الإنسان حينما يفقد جوهره في العمل ويتحول إلى أداة إنتاج لا غاية لها إلا الربح فإن روابط التضامن والرحمة تتلاشى لتحل محلها علاقات المصلحة الباردة التي تباعد بين البشر بدل أن توحدهم¹.

✓ أما الاشتراكية ورغم شعاراتها الكبرى حول العدالة والمساواة فقد تحوّلت عملياً إلى سلطة بيروقراطية خانقة قيّدت حرية الإنسان باسم الطبقة، فبدل أن تكون وسيلة لتحقيق الوحدة عمّقت الانقسام من خلال إخضاع الفرد لقوانين جماعية صارمة، وقد رفض ماركيز بدوره فكرة الحتمية التاريخية التي بشرت بها الماركسية التقليدية مؤكداً أن الحرية الإنسانية لا تخضع لقوانين آلية وأن أي محاولة لفرضها بالقوة لا تنتج إلا مزيداً من التوترات والانقسامات داخل المجتمعات².

✓ ومن أبرز مظاهر هذه الإيديولوجيات كذلك مسألة الملكية الخاصة التي فصلت الإنسان عن وسائل الإنتاج وجعلته خاضعاً لسلطة الرأسمال، وقد ساهم هذا في تكريس الصراع الطبقي وتعميق الفجوة بين الأغنياء والفقراء، وقد أشار القرآن الكريم إلى خطورة احتكار الثروة بيد فئة محدودة من الناس بقوله تعالى: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾³، وهو توجيه رباني نحو توزيع عادل للثروة بما يضمن تحقيق التوازن الاجتماعي ويحمي الوحدة الإنسانية من الانقسام الطبقي.

¹ - انظر: هربرت ماركيز، العقل والثورة (هيجل ونشأة النظرية الاجتماعية)، تر: فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1970، ص 267.

² - انظر: هربرت ماركيز، العقل والثورة (هيجل ونشأة النظرية الاجتماعية)، المرجع السابق، ص 267.

³ - سورة الحشر: الآية 07.

✓ وقد أدت الطبقية بدورها إلى تحويل الإنسان من كائن إنساني مستقل إلى مجرد فرد طبقي لا يملك من الحرية إلا بقدر ما تمتلك طبقته من نفوذ، وهكذا بدل أن تُبنى المجتمعات على قيم المساواة والكرامة الإنسانية تحولت إلى كيانات منقسمة يتحدد موقع الفرد فيها بحسب طبقته مما قوّض وحدة المجتمع وأضعف إمكانات التعايش المشترك.

✓ وفي ظل هذه الظروف أصبح الوعي الإنساني ذاته وعيًا زائفًا لأنه خاضع للعلاقات المادية المسيطرة، فلم يعد وعيًا تحرريًا قادرًا على تجاوز الانقسام وبناء وحدة إنسانية بل صار أداة لإعادة إنتاج الانقسام عبر تكريس المصالح الطبقية أو الرأسمالية أو البيروقراطية، وهكذا يتضح أن الإيديولوجيات بدل أن تكون إطارًا يوحد البشر تحولت إلى مصدر عميق للتشرذم والصراع¹.

ج- المصالح الوطنية الضيقة:

✓ لقد ساهم التركيز المفرط على المصالح القومية الضيقة في إضعاف الروابط الإنسانية المشتركة حيث جعلت الدول من أولوياتها تحقيق الأمن القومي والرفاه الداخلي حتى وإن كان ذلك على حساب المصلحة الإنسانية العامة، وهذا الانغلاق على الذات الوطنية رسّخ الانقسام العالمي إذ لم تعد الإنسانية إطارًا جامعًا يوجه السياسات وإنما أصبحت المصالح الوطنية معيارًا وحيدًا لاتخاذ القرار وهو ما أضعف قيم التضامن وأفقدتها أثرها الفعلي في العلاقات الدولية².

✓ كما أن تصادم السياسات الخارجية نتيجة تضارب الأهداف القومية للدول أدى إلى نشوء حالة مستمرة من الصراع بدل التعاون، فحينما تسعى كل دولة إلى فرض رؤيتها بالقوة سواء عبر التدخل العسكري المباشر أو من خلال أدوات أكثر نعومة كالدبلوماسية والاقتصاد فإنها بذلك تعمّق الهوة بينها وبين غيرها من الشعوب، بل إن هذا الاستخدام المفرط لأدوات النفوذ جعل من العلاقات الدولية ميدانًا للتنافس العدائي بدل أن يكون مجالًا للتكامل والتعاون في مواجهة التحديات المشتركة³.

✓ ومن مظاهر هذه النزعة أيضًا أن بعض الدول حتى في إطار تحالفاتها أو علاقاتها مع الدول الصديقة سرعان ما تتجاهل المصالح المشتركة إذا ما تعارضت مع أهدافها الذاتية، وهذا السلوك لا يؤدي فقط إلى إضعاف أسس التضامن الدولي وإنما يغذي أيضًا مناخًا من عدم الثقة

¹ - انظر: هيربرت ماركيز، العقل والثورة (هيجل ونشأة النظرية الاجتماعية)، المرجع السابق، ص 268.

² - انظر: الوليد أبو حنيفة، دور البراديم المعرفي الواقعي في تحليل السياسة الدولية، مركز الكتاب الأكاديمي، بيروت، 2020، ص 74.

³ - انظر: الوليد أبو حنيفة، دور البراديم المعرفي الواقعي في تحليل السياسة الدولية، المرجع السابق، ص 75.

المتبادل بين الشعوب، وقد تجلّى ذلك بوضوح في الصراعات الدولية والحروب بالوكالة التي نشبت نتيجة تضارب المصالح الوطنية حيث أضحي التنافس بين القوى الكبرى على الموارد والنفوذ أحد أبرز أسباب تكريس الانقسام العالمي¹.

✓ ويؤكد القرآن الكريم خطورة هذا النزاع حين يجرّد الشعوب من قوتها ويضعف وحدتها حيث قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾²، فالآية تبين أن النزاع الداخلي أو الخارجي يفضي حتمًا إلى الفشل وانهيار القوة وهو ما يتجسد اليوم في الواقع الدولي حيث تشتت الجهود وتزايد الانقسامات نتيجة تغليب المصالح الوطنية الضيقة على المصلحة الإنسانية الجامعة.

3. الانقسامات الاجتماعية والثقافية: إن الاختلافات العرقية والدينية والهوياتية التي وُجدت

لتكون تنوعًا رحيماً يغني التجربة الإنسانية تحوّلت حين غاب الوعي إلى جدران عازلة صنعت التعصب والفرقة، فبدل أن تكون الثقافة والدين والهوية جسورًا للتعارف والتكامل صارت أدوات للإقصاء والصراع مما عمّق الشرخ الاجتماعي وأضعف فرص تحقيق الوحدة الإنسانية المنشودة.

أ- اختلاف العرق والدين:

✓ لقد شكّل التمييز على أساس العرق أو الدين أحد أبرز عوامل الانقسام الإنساني إذ إن التعامل مع البشر وفق معايير العرق أو الانتماء الديني يؤدي إلى شيوع التعصب والتحيز بين الجماعات بدلًا من تحقيق المساواة التي دعا إليها الإسلام في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾³، فالآية تؤكد أن التنوع العرقي والديني ليس مدعاة للفرقة، وإنما وسيلة للتعارف وبناء جسور الوحدة.

✓ إلا أن الواقع التاريخي والحديث يكشف عن ممارسات عكست نقيض هذه القيم حيث اعتقدت بعض الجماعات بتفوقها العرقي أو الديني على غيرها، كما تجلّى ذلك في التجربة الأمريكية حين اعتبر بعض البيض أنفسهم أرقى من السود مما رسخ التمييز وأدى إلى صراعات اجتماعية طويلة الأمد، كما أن استعباد أو اضطهاد فئات معينة بسبب اختلاف العرق أو الدين كان سببًا مباشرًا في تقويض المساواة الإنسانية وهو ما حذر منه النبي ﷺ عندما ألغى في خطبته يوم فتح مكة العصبية الجاهلية وأكد أن الناس جميعًا سواسية في الحقوق والكرامة.

¹ انظر: سليم محمد السيد، تحليل السياسة الخارجية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية، 1998، ص 178.

² - سورة الأنفال: الآية 46.

³ - سورة الحجرات: الآية 13.

✓ ومن صور هذا الانقسام أيضاً فرض مناهج تعليمية وثقافية منحازة حيث استُخدمت التربية أحياناً لترسيخ فكرة التفوق العرقي أو الطائفي وهو ما عمّق الانقسامات داخل المجتمعات كما ظهر في بعض مناطق اليمن، ويضاف إلى ذلك أن استخدام العنف والترهيب من قبل جماعات متسلطة لإخضاع غيرها أسهم في تكريس الفرقة إذ لم يقتصر الأمر على التمييز المعنوي بل تعدّاه إلى القتل والتعذيب واحتلال المؤسسات الحيوية الأمر الذي حال دون أي شكل من أشكال التكامل الاجتماعي.

✓ كما أن نشر الخرافات والأفكار المضللة التي تُظهر فئة بأنها أرقى أو أحق بالسيادة على غيرها ساعد في تغذية مشاعر الكراهية والانقسام وأضعف من فرص التواصل الإنساني الحقيقي بين الشعوب، وبهذا أصبح اختلاف العرق والدين بدل أن يكون مصدر غنى حضاري وتنوع إنساني أداةً للتمزق والانفصال مما يعمق الشرخ في بنية الوحدة الإنسانية ويجول دون بناء مجتمع عالمي يقوم على قيم المساواة والعدل¹.

ب- اختلاف الهويات والجهل والمفاهيم الخاطئة:

✓ لقد كان الانغلاق على الهوية الواحدة ورفض التعدد الثقافي من أبرز العوامل التي عمّقت الانقسام الإنساني حيث يؤدي هذا الموقف إلى التعصب وغياب روح الحوار فينشأ بدلاً من التعايش صراع قائم على نفى الآخر، وهكذا تتحول الهوية من عنصر ثراء وتكامل إلى أداة للتجزئة والفصل فتُضعف الوحدة الإنسانية المنشودة.

✓ ويُضاف إلى ذلك أن الجهل بمفاهيم الآخر وتشويه صورته -وخاصة ما يُقدّم عن الإسلام في بعض المجتمعات الغربية- أسهم في نشر العداء والكراهية بدل التفاهم إذ ارتبط الإسلام في أذهان كثيرين بالعنف أو التخلف وهو تصور مغلو لا يمت إلى تعاليمه السمحة بصلة، وقد نتج عن هذه الصورة المشوّهة اتساع الفجوة بين الأمم وإضعاف فرص التواصل الإنساني القائم على التسامح، ومن هنا نجد أن غياب المعرفة الصحيحة بالآخر يُفضي إلى الانقسام بدل الوحدة.

✓ إن تحويل الدين -الذي هو في أصله رسالة للسلام والرحمة- إلى أداة للصراع شكّل بدوره أحد أسباب الانقسام حيث استُغل الدين في صراعات سياسية أو أيديولوجية أدت إلى زرع الفتنة

¹ - انظر: بيدار محمد حسن، منير علي عبد الرب، مبدأ المساواة في الإسلام دراسة تحليلية في مفاهيم التمييز والتمييز، مجلة الشريعة والقانون، العدد 01، المجلد 09، ماليزيا، 2021، ص 22-24.

وتكريس التشرد بين البشر، وقد جاء القرآن الكريم ليؤكد أن الغاية من الرسالة الإلهية هي الرحمة العامة لا الصراع، فقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾¹، فهذه الآية توضح أن الأصل في الدين هو الرحمة الشاملة لجميع الناس وأن تحريف مفاهيمه أو استخدامه بصورة مغلوطة يجعله سبباً في غياب الوحدة الإنسانية التي دعا إليها.

✓ كما أن الأدلجة الفكرية والدينية أي إخراج الدين عن مقصده الروحي والإنساني وتحويله إلى أداة للصراع والإقصاء فشلت في أن تكون أساساً للتعايش بل على العكس ساهمت في زرع الانقسامات، وإلى جانب ذلك فإن غياب ثقافة الحوار بين الأمم والشعوب حوّل الهوية إلى جدار للفصل بدل أن تكون جسراً للتواصل، وهو ما عمّق التباعد وأضعف من إمكانات تحقيق الوحدة الإنسانية².

4. **التفاوت الاقتصادي والاجتماعي:** شكّل التفاوت الاقتصادي والاجتماعي أحد أخطر مظاهر الانقسام الإنساني إذ يحوّل الثروة من وسيلة للتنمية والتكافل إلى أداة للهيمنة والإقصاء، فحين يُستبعد الفقير تحت وطأة الحاجة ويُغترب الغني خلف جدار الامتياز تتصدع قيم العدالة والتضامن ويتحوّل الفقر والتهميش والعملة المنحرفة إلى قوى تفكك الروابط بدل أن توحدتها فتغدو الوحدة الإنسانية حلماً بعيد المنال.

أ- الفقر وعدم المساواة:

✓ يؤدي تفاقم الفقر واتساع فجوة الدخل بين الطبقات إلى غياب العدالة الاجتماعية، مما يوّلّد شعوراً بالحرمان لدى الفئات المهمشة، ويكرّس الانقسام داخل المجتمع بدل أن يعزز الوحدة الإنسانية.

✓ إن تركّز الثروة في يد أقلية محدودة يخلق اختلالاً بنيوياً في توزيع الموارد، بحيث تصبح السلطة الاقتصادية أداة للتحكم في مصائر الشعوب، وهو ما يجعل إمكانية تحقيق المساواة والوحدة الإنسانية بعيدة المنال.

✓ يشير هربرت ماركيز إلى أن المجتمعات الرأسمالية المتقدمة استطاعت أن تكرّس أشكالاً جديدة من الهيمنة عبر الاستهلاك، مما يخفي مظاهر الفقر خلف واجهة من الوفرة الزائفة، لكن الواقع يكشف عن استمرار الفوارق الطبقيّة العميقة.

¹ - سورة الأنبياء: الآية 107.

² - انظر: درايشو شايجان، النفس المبتورة "هاجس الغرب في مجتمعاتنا"، دار الساقى، بيروت، لبنان، 1999، ص 90-94.

- ✓ الفقر ليس مجرد غياب للموارد المادية، بل هو أيضًا إقصاء اجتماعي ونفسي يُضعف ثقة الأفراد في العدالة الإنسانية، ويعزز مشاعر الكراهية والصراع بين الأمم والشعوب.
- ✓ يُسهم عدم تكافؤ الفرص التعليمية والاقتصادية في إعادة إنتاج الفقر عبر الأجيال، مما يحوّل الظاهرة إلى عائق مستمر أمام أي مسعى لتحقيق الوحدة بين البشر.
- ✓ إن تزايد الفقر في العالم المعاصر، وخاصة في دول الجنوب، أمام ثراء غير مسبوق في دول الشمال، يعكس خللاً عالمياً في النظام الاقتصادي الدولي، ويُعتبر من أبرز مظاهر الانقسام الإنساني.
- ✓ يرى ماركيز أن عدم المساواة الاقتصادية يعكس "العقلانية الأداتية" للمجتمع الصناعي، حيث يُقاس الإنسان بمدى إنتاجيته واستهلاكه، لا بكرامته الإنسانية، مما يفاقم التباين الاجتماعي ويُقوّض أسس الوحدة¹.

ب- الاستبعاد الاجتماعي والتهميش:

- ✓ إن استبعاد فئات واسعة من المشاركة الفعلية في الحياة الاقتصادية والسياسية يجعلها تشعر بالاغتراب ويقوّض فرص التماسك الاجتماعي وبالتالي يصبح التهميش سبباً مباشراً في غياب الوحدة الإنسانية.
- ✓ الفئات المهمشة غالباً ما تُحرّم من الحقوق الأساسية كالعمل والتعليم والرعاية الصحية مما يعمّق الفجوة بينها وبين بقية المجتمع، ويجعلها عرضة للاضطرابات الاجتماعية والصراعات استناداً لقول النبي ﷺ: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحِمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عَضُوهُ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى)² فالحديث يرفض منطق التهميش ويُبين أن وحدة الجماعة لا تتحقق إلا بالتكافل والعدالة في الحقوق.
- ✓ يؤكد هربرت ماركيز أن المجتمع الصناعي الحديث يُنتج "إنساناً ذا بعد واحد" حيث يُقصى كل من يرفض الانخراط في منطق الاستهلاك المهيمن، ويُعامل بوصفه عالة أو تهديداً وهو ما يرسّخ التهميش بدل الاندماج.
- ✓ يؤدي التهميش إلى تعطيل طاقات بشرية هائلة كان يمكن أن تسهم في تنمية المجتمعات مما يجعل الانقسام الإنساني ليس فقط أخلاقياً، بل أيضاً خسارة حضارية واقتصادية.

¹ - انظر: هربرت ماركيز، الإنسان ذو البعد الواحد، المرجع السابق، ص 33-37.

² - أخرجه البخاري، صحيح البخاري، رقم (6011)، ومسلم، صحيح مسلم، رقم (2586). وانظر: الألباني، صحيح الجامع، رقم (5849).

- ✓ يرتبط الاستبعاد الاجتماعي بالتمييز القائم على العرق أو الدين أو الوضع الاقتصادي وهو ما يُنتج طبقات دنيا دائمة، فتظل الوحدة الإنسانية مجرد شعار بعيد عن الواقع.
- ✓ التهميش يولّد بيئات قابلة للتطرف والعنف حيث تبحث الفئات المقصاة عن بدائل تعبيرية قد تتخذ طابعًا عدائيًا، مما يزيد من حالة الانقسام في العالم.
- ✓ يرى ماركيز أن ما يُسمى بالاندماج في المجتمعات الرأسمالية ليس إلا عملية "استيعاب قسري" تُفقد الفرد حريته الفكرية وتحوّله إلى مجرد ترس في آلة الإنتاج، وبذلك يُستبعد المختلف ولا يُدمج بحق¹.

ج- تأثير العولمة:

- ✓ رغم أن العولمة رُوّج لها باعتبارها وسيلة لتعزيز التقارب بين الشعوب إلا أنها في الواقع عمّقت الفوارق بين الدول الغنية والفقيرة، وخلقت أشكالًا جديدة من التبعية وهو ما أدى إلى تفاقم الانقسام الإنساني.
- ✓ تعمل العولمة الاقتصادية على تركيز الثروة في مراكز محددة بينما تُهمّش الأطراف، مما يحوّل العالم إلى دوائر متنافرة بدل أن يكون فضاءً للوحدة والتكامل.
- ✓ يشير هربرت ماركيز إلى أن العولمة لم تُنتج مجتمعًا أكثر حرية، بل أنتجت نظامًا شموليًا ناعمًا يقوم على الاستهلاك والإعلام، حيث تُهيمن الثقافة الواحدة وتُقصي التنوعات الفكرية والثقافية، مما يُضعف الوحدة الحقيقية.
- ✓ إن العولمة الثقافية تسهم في تذويب الهويات المحلية لصالح هوية مهيمنة، الأمر الذي يؤدي إلى صراعات هوية وانقسامات داخل المجتمعات، بدل أن تفتح المجال لحوار حضاري متوازن، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾² فالآية تؤكد أن التعددية الثقافية واللغوية آية من الله عز وجل مقصودة للتكامل والتعارف لا للهيمنة أو الطمس والعولمة حين تذيب هذا التنوع تتحول إلى عامل صراع وانقسام.
- ✓ هيمنة الشركات العابرة للقارات تجعل القرار الاقتصادي والسياسي للدول الضعيفة مرتهنًا لمصالح قوى كبرى، مما يكرّس غياب العدالة الدولية، ويعمّق التشرذم الإنساني.

¹ - انظر: فؤاد زكرياء، هربرت ماركيز، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط 1، الإسكندرية، 2005، ص 29.

² - سورة الروم: الآية 22.

✓ بدل أن تكون العولمة وسيلة للتكامل المعرفي والتكنولوجي، تحولت إلى آلية لفرض نمط حضاري واحد، مما يهدد الخصوصيات الثقافية، ويؤدي إلى مقاومات وصدمات تُضعف الوحدة العالمية.

✓ يرى ماركيز أن العولمة تعكس في جوهرها منطق "العقل الأداتي" نفسه، الذي يحوّل الإنسان إلى مستهلك تابع، ويُضعف طاقته النقدية، وبذلك تنتج شكلاً جديداً من الاغتراب يحول دون تحقيق وحدة إنسانية حقيقية¹.

5. **العوامل التاريخية:** إن التاريخ بما يحمله من ذاكرة الاستعمار والحروب لم يكن مجرد أحداث عابرة بل جروحاً غائرة تركت بصماتها على وجدان الشعوب ومسارها الحضاري، فقد تحوّلت مخلفات الاستعمار والوقائع المأساوية إلى عوائق متجددة أمام البناء والوحدة إذ غدّت الانقسامات ورست مشاعر الظلم والاغتراب لتبقى الإنسانية أسيرة ماضٍ يثقل حاضرها ويقيد مستقبلها.

أ- **مخلفات الاستعمار:**

✓ رسم الاستعمار لحدود سياسية مصطنعة في إفريقيا عمّق الانقسامات العرقية والقبلية، وهو ما جعل الدول بعد الاستقلال عاجزة عن بناء وحدة وطنية متماسكة.

✓ السياسة الاستعمارية التي مارست التهميش والإقصاء لثقافات وهوية الشعوب أفرزت حالة من الاغتراب والانفصال عن الانتماء الوطني.

✓ الممارسات الاستعمارية الطويلة أضعفت الاستقرار السياسي في دول ما بعد الاستقلال، فانتشرت الانقلابات والحروب الأهلية كنتاج مباشر لهذه التركيبة.

✓ الاستغلال الاقتصادي لثروات الشعوب الإفريقية خلّف تبعية اقتصادية وهيكلية للمستعمر السابق، مما قوّض فرص التنمية والوحدة.

✓ الاستعمار وظّف النظام القبلي لإذكاء النزاعات الداخلية، الأمر الذي كرّس الانقسام المجتمعي بدل تعزيز التماسك.

✓ شكّلت السياسات الاستعمارية الفرنسية في الجزائر مرحلة مأساوية من التهميش حيث استُهدفت الهوية العربية الإسلامية بشكل مباشر عبر محاربة اللغة والدين، مما ولّد شرخاً هويّاتياً ما زالت آثاره ماثلة حتى اليوم².

¹ انظر: قيس هادي أحمد، الإنسان المعاصر عند هيرت ماركيز، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 1، 1980، ص 110.

² انظر: ناصر بوقرو، آثار ومخلفات الاحتلال الفرنسي في الجزائر من 1830 إلى 1962م، مجلة المصادر، المجلد 18، العدد 02، الجزائر، 2023، ص 51-52.

ب- الأحداث التاريخية:

- ✓ الحروب التي أشعلها الاستعمار بين الشعوب أو بينه وبينها خلّفت ذاكرة جماعية مليئة بالكراهية والانتقام مما أعاق إمكان تحقيق وحدة إنسانية قائمة على المصالحة.
- ✓ الممارسات الوحشية أثناء الاحتلال مثل التعذيب والإبادة والتهجير القسري رسّخت شعورًا دائمًا بالظلم والاستهداف.
- ✓ تراكم أحداث الحروب الاستعمارية خلق جروحًا عميقة في البنية النفسية والاجتماعية للشعوب انعكست في نزاعات لاحقة بين الدول أو داخلها.
- ✓ الانتهاكات التاريخية التي رافقت الاحتلال أضعفت الثقة بين الشعوب المستعمرة والدول المستعمرة فكرّست حالة من الشك والعداء المستمر.
- ✓ الذاكرة الاستعمارية بما تحمله من مآسٍ غدّت النزاعات الهوياتية والانتقامات العرقية في مرحلة ما بعد الاستقلال.

6. ضعف المؤسسات الدولية وغياب العدالة: إن فشل الأمم المتحدة وازدواجية معاييرها ليسا

مجرد إشكالات قانونية أو سياسية فقط بل هما عاملان مباشران في إضعاف الوحدة الإنسانية وزيادة الانقسام بين الشعوب¹.

أ- عدم فعاليات الأمم المتحدة:

- ✓ ضعف منظمة الأمم المتحدة منذ تأسيسها وبالتالي أدى إلى عدم امتلاكها لقوة فعلية مستقلة وبقاء قراراتها مرهونة بإرادة الدول الكبرى ما جعلها عاجزة عن أداء رسالتها في تحقيق السلام.
- ✓ فشل هاته المنظمة في حل النزاعات المزمّنة مثل عجزها عن إنهاء الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين مما أدى إلى استمرار الحروب والانقسامات وغياب التضامن الإنساني.
- ✓ عجز هاته المنظمة أمام الحروب الكبرى وفشلها في منع غزو العراق وأفغانستان مما عمّق الفوضى الدولية وزاد من الانقسام بين الشعوب والدول.
- ✓ العقوبات الاقتصادية غير الفعالة من طرفها حيث استهدفت هاته العقوبات الشعوب بدل الأنظمة وأدت إلى مآسٍ إنسانية وهو ما يعاكس مبدأ وحدة المصير الإنساني.

¹ - انظر: جميل مطر، وقفة أمام معضلة إقليمية ومصرية شديدة التعقيد، الشروق الجديد، الخميس 5 ديسمبر 2024، تاريخ الاطلاع: 05 سبتمبر 2025، متاح على الرابط:

<https://2u.pw/epB0jT>

✓ انتشار الفوضى الدولية وعجز المنظمة عن ضبط النظام الدولي ساهم في اتساع دائرة الصراعات بدل تقليصها مما رسخ الانقسام والعداء بين الأمم¹.

ب- ازدواجية المعايير:

✓ الكيل بمكيالين في القضايا الدولية فالتدخل العسكري السريع في الكويت والعراق يقابله صمت أمام جرائم إسرائيل مما يعكس انقساماً في قيمة العدالة بين الشعوب.

✓ انتقائية العقوبات وفرض عقوبات على دول بعينها بسبب خلافات مع قوى كبرى بينما تتجاهل انتهاكات أخرى مما يفقد المنظمة مصداقيتها في أعين الشعوب.

✓ التذرع بحقوق الإنسان كذريعة للتدخل والقوى الكبرى استخدمت خطاب حقوق الإنسان لإخفاء مصالحها الاستعمارية والاقتصادية وهو ما يخلق شعوراً بانقسام القيم الإنسانية.

✓ تحويل المنظمة إلى أداة بيد القوى الكبرى بدل من أن تكون إطاراً لتحقيق العدالة والوحدة بين الشعوب أصبحت وسيلة لفرض الهيمنة وهو ما يناقض مبدأ الوحدة الإنسانية².

7. غياب الأجوبة الشافية عن الوجود الإنساني وتساؤلاته: إن التطورات التي شهدتها العالم وخاصة في الدول الصناعية جعلت للإنسان نزعة آلية تكاد تطمس معالم الحياة الروحية للإنسان بحيث قال جبريل مرسال: "إن كل ما أصبح يعيننا الآن إنما هو أن نضع جداول لتنظيم أوقاتنا، فنحدد كمية من الساعات لكل وظيفة من الوظائف الحيوية (كالنوم، والفراغ، والتسلية، والاتصال الجنسي ... إلخ) وحتى الموت نفسه نراه قد أصبح في نظر أصحاب هذه النزعة الموضوعية الوظيفية مجرد (استهلاك أو عدم صلاحية للاستعمال) وكأن الشخص الذي يموت إن هو إلا ترس فاسد أو عجلة متعطلة لا يُرجى لها صلاح!"³.

حيث أن لهذا الإنسان يجب أن يكون له بعداً داخلي بحيث يجب أن يتعمق مع نفسه ويطرح أسئلة على نفسه لأن الإنسان مهما انغمس في المادة يظل في حالة تساؤل عن ما وراء هذه المادة كما قال زكريا: "ألم تشعر يوماً بأن «وجودك» هو شيء أكثر من مجرد «حياتك»؟ ألم يخطر على بالك يوماً أن «الوجود» قد يكون شيئاً أكثر من كل ما تقدمه لنا الحواس أو العقل؟ ألم يدر بخلدك يوماً أنه قد

¹ - انظر: فتوح الخترس، عبد المالك التميمي وآخرون، الغزو العراقي للكويت ندوة بحثية -المقدمات -الوقائع وردود الفعل -التداعيات، عالم المعرفة، العدد 195، الكويت، مارس 1995 ص 100-105.

² - انظر: ناصري سميرة، تأثير نفوذ القوى الكبرى على صنع القرار الدولي داخل هيئة الأمم المتحدة، مجلة المفكر، العدد 13، المجلد 11، الجزائر، 2016، ص 533-536.

³ - زكريا ابراهيم، مشكلة الانسان، دار مصر للطباعة، مصر، د ت، ص 26.

يكون ثمة شيء وراء «التجربة»، مادامت التجربة لا تقوم بذاتها ولا تبدو كافية في ذاتها؟ ألم يراودك الحنين يوما إلى خلق شيء تعلو به على ذاتك، وكأنك تخرج من ذاتك لكي تندمج في حقيقة عالية على الإنسان؟ ألم تجد نفسك مدفوعا يوما إلى القيام بقفزة عالية من أجل عبور الهوة التي تفصل بين ما أنت كائن، وما تريد أن تكونه؟ وفي كلمة واحدة، ألم تشعر يوما بأن لوجودك بعدا ثالثا هو الارتفاع، أو العلو، أو «الفوق»؟¹.

وأیضا قال: ألم "ألم تؤرقكم يوما كلمة «لماذا»؟ ألم تقض مضجعكم يوما مشكلة الإنسان؟ إذن فاعلموا أن الفيلسوف هو إنسان المشكلة، رجل التساؤل، خالق علامة الاستفهام! إنه الموجود الذي لا يزال أبداً سالكا، سائرا، حائرا، عابرا، ناظرا، مسافرا ... إنه المخلوق الذي يجد دائما في إثر الحقيقة"². والإنسان يُبعده الداخلي ويُبعده الخارجي وما فوقه من مثل عليا وما يعني للإنسان من زمان وألغاز كلغز الموت وعلاقته بالطبيعة التي تحترم عقله وتحفزه في الاكتشاف والاختراع والابداع نجد أيضا أن الإنسان كائن اجتماعي لا يستطيع الانفراد بنفسه وهذه الحياة الاجتماعية هي التي تُخرج الجانب الأخلاقي للإنسان (فالحياة الأخلاقية إنما تبدأ حيث يوجد التعلق بالجماعة)³.

إن التناقض القائم بين الغرائز الفطرية لدى الإنسان من جهة والتقاليد الاجتماعية الموروثة من جهة أخرى ولّد صراعا داخليا انعكس سلبيًا على سلوكه وعلى وعيه الجماعي، فالإنسان يجد نفسه ممزقا بين ما تدفعه إليه طبيعته وما تلزمه به الأعراف الأمر الذي يجعله في حالة اغتراب وانفصام يصعب معه الوصول إلى انسجام داخلي وهذا الاضطراب الوجودي لا يبقى حبيس الفرد وحده بل يمتد أثره إلى الجماعة فيكسّر انقسامات اجتماعية وفكرية تُضعف فرص بناء وحدة إنسانية شاملة، وإلى جانب ذلك فإن هيمنة التقاليد الجامدة التي لا تستجيب لمقتضيات التحولات الحضارية جعلت الأجيال عاجزة عن التكيف مع متغيرات الواقع الأمر الذي عمّق الانقسامات وأنتج مجتمعات متنافرة بدل أن تكون متكاملة⁴.

ومن جانب آخر يوضح جون ديوي في كتابه "الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني" أن الحروب التي يبررها الإنسان باعتبارها نابعة من "غرائز قتالية طبيعية" تكشف عن عجز الفكر الإنساني عن

¹ - زكريا ابراهيم، مشكلة الانسان، المرجع السابق، ص 53.

² - زكريا ابراهيم، المرجع نفسه، ص 03.

³ - نفسه، ص 109.

⁴ - انظر: جون ديوي، الطبيعة البشرية والسلوك الانساني، تر: محمد لبيب النجيجي، مؤسسة الخانجي بالقاهرة، مصر، 1963، ج 2، ص 129-133.

ابتكار بدائل سلمية أكثر عقلانية، فاللجوء المستمر إلى العنف بدل الحوار والتفاهم لا يؤدي إلا إلى إعادة إنتاج دوامة الصراع مما يجعل هذه النزعة إحدى أبرز الأسباب المهددة للوحدة الإنسانية، وإلى جانب الحروب ساهمت النظم الاقتصادية القائمة على قيم الربح الفردي والأنانية في إضعاف منظومة القيم المشتركة بين البشر حيث غلب منطق التنافس والصراع على قيم التعاون والتضامن الأمر الذي أفرز فوارق اجتماعية طبقية وزاد من حدة التشرذم، ويشير ديوي أيضاً إلى أن غياب البعد الوجودي للنشاط الإنساني قد حوّل العمل من مصدر للمعنى والكرامة إلى مجرد عبء اقتصادي، مما رسّخ الفوارق الطبقية وأضعف إمكانات التضامن بين البشر.

ثم إن غياب إطار معرفي وفلسفي موحد يفسر الدوافع الإنسانية ويفتح المجال أمام وعي كوني مشترك ترك الساحة مفتوحة أمام الأدلجات المغلقة والتفسيرات المتناقضة وهو ما زاد من حدة الخلافات الفكرية وأضعف إمكانية بلورة تصور إنساني جامع، وإن هذا الفراغ المعرفي والوجودي جعل الإنسان تائهاً أمام تساؤلاته الكبرى عن معنى الوجود وجدوى الحياة فبدل أن تكون هذه التساؤلات دافعا إلى البحث عن مشترك إنساني يوحد البشر تحولت إلى منطلق لتكريس الانقسام بسبب غياب أجوبة شافية ومقنعة، وهكذا يظهر أن العجز عن تحقيق الانسجام بين البعد الغريزي والبعد الاجتماعي والبعد العقلي للإنسان هو أحد أهم العوامل التي حالت دون تحقق وحدة إنسانية حقيقية¹.

وفي الأخير نتكلم على أن هذا الإنسان الذي إذا تعمق في بُعده الداخلي وفي بُعده الخارجي وعالج علاقته مع الله عز وجل ومع المجتمع الذي بداخله، يستيقظ الإنسان الذي بداخله ولا ينفصل عنه، بحيث يجب أن يبحث أن أخيه الإنسان ويهمه أمره هذا الإنسان، ووحدة الإنسان حقيقة لا يجب لأي إنسان نكرانها لقول زكريا إبراهيم: "لكن الإنسانية -لحسن الحظ- لم تفقد يوما الإيمان بوحدة النوع البشري ولم تعد بين الفلاسفة من ينادي بوجود «طبيعة بشرية»، تعلوا على فوارق الحضارات والأجناس والسلالات والطبقات والطوائف... الخ"².

والإنسان حين ما يجتمع بني جنسه ينتج بينهم التعاطف الذي ما يُسمى بالمشاركة الوجدانية (حيث حين ما يشعر الفرد نحو الإنسانية الجمعاء بمحبة حقيقية صادقة فإنه لن يستطيع أن يشهد آلام إخوته في الإنسانية، دون أن يشاركهم آلامهم، أو دون أن يشعر بالحاجة إلى مدّ يد المعونة)³.

¹ - انظر: جون ديوي، الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني، المرجع السابق، ص 138-142.

² - زكريا إبراهيم، مشكلة الإنسان، المرجع السابق، ص 13.

³ - زكريا إبراهيم، المرجع نفسه، ص 160.

وهذا الذي وجدنا العالم عليه الآن بعد سنين من القطيعة الإنسانية والفجوة بين الإنسان وإنسانيته، إذ دمرت الهيمنة الاقتصادية والمخططات الخسيسة التي تسعى لقتل إحساس الإنسان بما حوله من أجل تحقيق مصالح اقتصادية وعنصرية، ورغم كل هذا استطاعت الإنسانية أن تنتفض من فوق كل هذا الركام لقضية غزة والإبادة الجماعية بالرغم من كل محاولات تشويه الحقيقة، فحينما وصلت الحقيقة إلى أذهان العقول في العالم رفضوا رفضًا مطلقًا أن يُسمح بهذه اللاإنسانية على الأرض، وأن يُعامل الإنسان على أنه نكرة رغم الاختلاف الديني والعرقي، ورغم ما يتعرضون له من اعتداءات وسجن وطرده عن مناصبهم فهم يشعرون بالرضى التام والقناعة التامة لأنهم أحسوا بأنهم واحد وأحسوا بإنسانيته.

وقد تجلّت مظاهر التعاطف الإنساني مع قضية غزة على المستويين الأوروبي والأميركي حيث وثّق المركز الأوروبي الفلسطيني للإعلام نحو 42 ألف مظاهرة وفعالية في أكثر من 700 مدينة خلال نحو 675 يومًا من العدوان الإسرائيلي بمشاركة مختلف الجنسيات والأحزاب والسياسيين وأعضاء البرلمان مما ساهم في رفع التأييد للقضية الفلسطينية أما في الولايات المتحدة كشفت استطلاعات رأي حديثة عن تحول جذري في الموقف تجاه إسرائيل حيث أشار 52% من الأميركيين لأول مرة منذ 28 عامًا إلى نظرة سلبية تجاه رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو و60% رفضوا العملية الإسرائيلية في غزة مقابل 32% مؤيدين مما يعكس وعيًا متناميًا تجاه الأزمة الإنسانية¹، ويؤكد هذا التفاعل الشعبي الدولي أن الإنسانية لم تمت وأن شعور التضامن والعدالة بين الشعوب ما زال حيًا رغم كل محاولات التضليل الإعلامي والسياسي وهو مؤشر على قدرة الرأي العام العالمي على التأثير في السياسات ورفع الصوت ضد الانتهاكات واللاإنسانية.

من خلال ما مررنا به من تحليل على أرض الواقع عن حال العالم المتشرد والمفروق واستنتاجا للأسباب نجد أن من أبرز السُنن التي تم تجاهلها كانت سببا في هذه الفُرقة هي وقوع الإنسان في فخ ضعفه الإنساني من طبائع ذكرناها وهي الطمع والجدال والبخل والنكران والضعف أمام الشهوات من حب للقناطير المقنطرة للذهب والخيرات، فالطمع جعل الإنسان ينهب كل خير على الأرض بمنطق (بما أنه قوي له الحق في أن يملك) وهو بذلك تجاهل سُنّة التلازم بين الكرامة الإنسانية والفاعلية الكونية القائم على التسخير، حيث أن هذا الكون سُخر لكل البشرية ليس لبلدان وحدهم أو أقوام مخصصين،

¹ - على موقع الجزيرة الإلكتروني: "أوروبا تتظاهر بـ42 ألف فعالية ضد العدوان الإسرائيلي على غزة"، تاريخ النشر 2025/8/16، تاريخ الزيارة: 2025/8/26، الساعة: 11:30، متاح على: <https://www.aljazeera.net>

وعبارة "وَسَخَّرَ لَكُم" تعني أن كل البشر لهم الحق في خيرات الأرض وليست حكراً لأحد، والبخل جعل كل ذي نعمة يستحوذ عليها وحده ولو كان غيره في أمس الحاجة لها، لذلك نجد دولاً تعيش الرخاء والرفاهية في نفس الوقت دولاً أطفالها يموتون عطشا وجوعاً ورُعباً وتعذيباً ويفتقرون للعلاج والتعليم، والجدال جعل الإنسان لا يدعن حقيقة الإنسان بل جعله يطمس الحق ويُجاريه وهذا ما نجده من تشويه لحقيقة الإسلام لأنه لا يخدم مصالح الدول وهيمتها على العالم، ومنه كان الإنسان في عالمنا الحالي أسيراً لطبائعه التي خلقه الله بها ليمنحنه بالسيطرة عليها وتوجيهها لذلك سُنّة الابتلاء بالقصور الجبلي أو سُنّة الضعف الإنساني القائم على الابتعاد عن الله والابتعاد عن بغية الحق قد أخفق الإنسان في فهمها والسيطرة على نفسه لذلك وصل إلى السُنّة الموالية التي هي سُنّة الانحدار السلوكي القائم على الجمود المعرفي، فلما صمَّ الإنسان آذانه وأعمى بصيرته وجمّد عقله وحجّر قلبه خرج عن إنسانيته وأصبحت عنده الغاية تبرر الوسيلة، فدمر الطبيعة ودمر دولاً وقتل البشرية وانتَهك كل ما حرم وكل طبيعة سليمة من بين صورها تشجيع العلاقات المحرمة تحريماً مؤبداً وما جاء به قوم لوط والمتاجرة بالبشر وأعضائهم والصناعة بجسم الإنسان، غير أن هذه الصفات غَلَبت على كبار من يتحكمون في العالم والبشرية كانت ضحية لهم ورغم ذلك لم يقتلوا الإنسانية بداخلهم وما زالت تقاوم بما فيها من فطرة ولقد ذكرنا موقف العالم إزاء فلسطين فهذا الموقف يعزز القول على أن الأخلاق التي تنبذ الظلم وتحب الحق تبقى قائمة بداخل الإنسان، وبذلك تظهر هنا سُنّة الإلزام الأخلاقي القائم على الملكة الفطرية.

ومن بين الأمور التي أخرت استفاقت البشرية هي النقطة الأخيرة التي ذكرتها في أسباب الفُرقة البشرية وهي غياب الأجوبة الشافية عن الوجود الإنساني والغاية من ذلك، فأعداء الحقيقة اجتهدوا على أن لا تصل هذه الأسئلة إلى أجوبتها التي فصل فيها الإسلام طبعاً لخدمة مصالحهم الدنيوية لأن الإنسان إذا تمكن من معرفة حقيقة وجوده والغاية منها لا يسمح للظلم والاستبداد أن تُطبق على حساب انتسابه، ومن أسباب عدم وصول هذه المعلومات الوجودية هو غياب فهمها أصلاً في المجتمع المسلم والذي سنذكره في الفصل الثالث.

إن الوحدة الإنسانية أمر صعب المنال لكنه ممكن التجسيد إذا احترم الإنسان إنسانيته وتجسدت القيم العليا رغم اختلاف الأعراق والديانات وتبلورت فكرة أن كل من على الأرض له الحق في أن يعيش في أمان مادي ومعنوي، وفهم الإنسان حقيقة وجوده والغاية منها فتستقر البشرية وتتحد رغم كل الفروقات.

خاتمة الفصل:

في ختام هذا الفصل نجد أن الله الذي خلق الإنسان بأحسن تقويم وعَلَّمه ما لم يعلم وجعله خليفة له في الأرض، وتُظهر الكثير من الآيات القرآنية تكريم الإنسان في هذا الدين حيث يُبرز القرآن الكريم قيمة الإنسان ويحقق حقوقه ويحفظ كرامته، ويحمل مفهوم "كرامة الإنسان" في الإسلام وزناً كبيراً حيث يُعتَبَر كل إنسان مُكْرَمًا في نظر الله سواء كان رجلاً أم امرأة، صغيراً أم كبيراً، حياً أم ميتاً، والله يُحِبُّ على احترام هذه الكرامة في التعامل بين الناس.

وتجلى اهتمام الله بالإنسان في القرآن الكريم من خلال إرسال الرسل وإنزال الكتب السماوية لهدايته وتوجيهه، ويُلهم القرآن الكريم الإنسان بأن يكون محافظاً على كرامته وكرامة إخوانه البشر، هذه القيم الإنسانية العالية المنصوص عليها في القرآن الكريم تعكس التزام الإسلام بحقوق الإنسان وتعزز من مكانته وكرامته على الأرض.

الفصل الثالث:

سُنن وحدة الأمة الإسلامية

تمهيد:

في العقيدة التوحيدية يُعد الكون واحدًا بموجب الإيمان بوحدة الله تعالى، حيث يرى المسلمون بأن الكون مخلوق واحد تم خلقه من قبل الله الواحد والوحيد، ويؤمنون بأن الله عز وجل هو الخالق الذي أحدث هذا الكون وكل ما فيه وأنه المسؤول الوحيد عن الحياة والكون بأسره، وبخصوص الوحدة الإنسانية فالمسلمون يرون بأن جميع البشر متساوون أمام الله بغض النظر عن اختلافاتهم العرقية التي لا تؤثر في قيمة الإنسان أمام الله عز وجل، وبالتالي فالإسلام يُشدد على أهمية معاملة الجميع بالعدالة والإحسان والتعاون، بغض النظر عن خلفيتهم، أما بالنسبة لتحقيق وحدة الأمة الإسلامية يتم من خلال إتباع القيم الإسلامية الأساسية، فالإسلام يحث على التسامح واحترام حقوق الآخرين ويشجع على بناء مجتمع واحد متماسك يعيش فيه جميع الناس بسلام وتفاهم، والقرآن الكريم وسنة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) تحتوي على توجيهات وتعاليم تغرز من وحدة الأمة الإسلامية، وسنحاول في هذا الفصل دراسة سُبل وحدة الأمة الإسلامية على أساس:

✓ وحدة الانقياد والعمل (المبحث الأول).

✓ الوحدة الاجتماعية (المبحث الثاني).

✓ سُنن الفُرقة في القرآن الكريم (المبحث الثالث).

المبحث الأول: وحدة الانقياد والعمل:

إن الانقياد لأمر الله تعالى يتمثل في جوهره الاستسلام الكامل والخضوع المطلق لإرادة الله العليا والإذعان لقوانينه وتوجيهاته، ويعني ذلك أننا نؤمن بالله عز وجل ونصدق بأن وحيه يحمل الحقيقة والهدى، وبالتالي يجب علينا الامتثال لتلك التوجيهات والأوامر بإخلاص وانقياد تام، فمن خلال هذا الانقياد يتجلى العمل الذي ينبغي علينا نحن كمسلمين تطبيقه في حياتنا اليومية، فنحن نعيش وفقاً لمبادئ الإيمان والرحمة والعدالة التي علمنا إياها الله عز وجل، ويوجهنا لتكون أفضل نسخة من أنفسنا وأن نسعى للخير والصلاح في العالم من حولنا وذلك بما يتماشى مع تعاليم الله وإرادته، وهذا الانقياد يمثل لنا مرشداً وضوءاً ينير طريقنا في هذه الحياة.

المطلب الأول: سُنّة الوحدة القائمة على مركزية التوجه والتسليم:

التوحيد لغةً جاء أصل مادته (وحد) وتدور هذه المادة على الانفراد والاختصاص¹، وجاء في تعريف لابن فارس: الواو والحاء والذال: أصل واحد يدل على الانفراد².

أما التوحيد اصطلاحاً فقد عرفه السفاريني بأنه: إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته ذاتاً وصفاتٍ وأفعالاً³، أما العلامة ابن عثيمين فعرفه بأنه إفراد الله بالعبادة أي: أن تعبد الله وحده لا تشرك به شيئاً، لا تشرك به نبياً مرسلًا، ولا ملكًا مقربًا ولا رئيسًا ولا ملكًا ولا أحدًا من الخلق، بل تفرد وحده بالعبادة محبة وتعظيمًا، ورغبة ورهبة، وهناك تعريف أعم للتوحيد وهو: إفراد الله سبحانه وتعالى بما يختص به⁴، أما عبد الرزاق عفيفي فيعرف التوحيد بأنه: يطلق شرعاً على تفرد الله بالربوبية والإلهية، وكمال الأسماء والصفات⁵.

ويرى محمد طاهر بأن: توحيد الله تعالى: هو الإقرار بوحدانيته، واتصافه بالمحامد، وتنزيهه عن النقائص، وطرده الإشراك به عبادة واستعانة وذبحاً ونذرًا وحلفاً⁶، أما أبو جعفر الطحاوي: نقول في

¹ - محمد بن أحمد بن الأزهرى الهروي، أبو منصور، تهذيب اللغة، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001، ج 4، ص 3848 - 3844.

² - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ص 1084.

³ - شمس الدين الحنبلي، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرّة المضية في عقد الفرقة المرضية، مؤسسة الخافقين ومكبتها، دمشق، 1982، ج 1، ص 57.

⁴ - محمد بن صالح بن محمد العثيمين، شرح ثلاثة الأصول، دار الثريا للنشر، ط 1، 2004، ص 39.

⁵ - عبد الرزاق عفيفي، مذكرة التوحيد، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، 1420هـ، ج 1، ص 3.

⁶ - شمس الدين الأفغاني، جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبرية، دار الصميعي، الرياض، 1996، ص 87 - 92.

توحيد الله -معتقدين بتوفيق الله: إن الله واحد لا شريك له، ولا شيء مثله، ولا شيء يعجزه، ولا إله غيره¹.

الفرع الأول: التوحيد العلمي:

توحيد الإله يشمل اليقين وإثبات الإلهية لله وحده بأن يشهد أن لا إله إلا هو، ولا يعبد إلا إياه، ولا يتوكل إلا عليه ولا يوالى إلا له ولا يعادى إلا فيه، ولا يعمل إلا لأجله²، ومن أدلته سورة الإخلاص قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4)﴾³.

يُطلق على سورة الإخلاص في القرآن الكريم اسم "سورة التوحيد"، ويعود سبب هذا التسمية إلى تضمنها لمفهوم توحيد الله -عز وجل- ونفي الشرك له، وتعد واحدة من السور القرآنية البارزة، حيث يكاد يحفظها جميع المسلمين بغض النظر عن اختلاف ألسنتهم، ولغاتهم، وأعمارهم.

قال تعالى بخصوص المشركين لمن سألوا محمد صلى الله عليه وسلم عن صفات ربه: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾⁴، روى أبو العالية عن أبي بن كعب أن المشركين قالوا لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-: انسب لنا ربك، فأنزل الله تعالى هذه السورة⁵، فالواحد يدل على مجامع صفات الجلال والكمال إذ الواحد الحقيقي هو ما يكون منزّه الذات عن انحاء التركيب والتعدد وما يستلزم أحدهما كالجسمية والتحيّز والمشاركة⁶.

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾⁷، الصمد: هو السيد الذي يُصمد إليه في الحوائج، قال الليث: صمدت صمد هذا الامر أي قصده، فالصمد هو المقصود في الرغائب والمستغاث به عند المصائب⁸.

¹ - شرح وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني، العقيدة الطحاوية، المكتب الإسلامي، بيروت، 1414هـ، ص 34.

² - تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلّيم ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، تح: محمد رشاد سالم، ج 1، ط 2، جامعة الإمام محمد سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1991، ص 224.

³ - سورة الإخلاص، الآية 01-04.

⁴ - سورة الإخلاص، الآية 01.

⁵ - عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمن، المرجع السابق، ص 604.

⁶ - ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر البضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تح: محمد عبد الرحمن مرعشلي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط 01، 1418هـ، ج 05، ص 347.

⁷ - سورة الإخلاص، الآية 02.

⁸ - فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط 03، 1430هـ، ج 32، ص 362.

وقوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾¹، ولم يلد لأنه لم يفتقر إلى ما يُعينه أو يخلف عنه لامتناع الحاجة والفناء عليه، ولعل الاختصار على لفظ الماضي لوروده رداً على من قال الملائكة بنات الله، والمسيح ابن الله ليُطابق قوله، ولم يولد وذلك لأنه لا يفتقر إلى شيء ولا يسبقه عدم².

وقوله عز وجل: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾³، لم يكن له كفواً أحد أي ليس له من خلقه مثل، ولا نظير ولا شبهة فنفي عنه بقوله ولم يكن له كفواً أحد العدول والنظير والصاحبة والولد⁴.

فتوحيد الإله يعني إفراد الله بالعبادة بجميع أشكالها، سواء كان ذلك في القول، أو القصد، أو الفعل، ويعني التوجه بالعبادة إلى الله عز وجل، فالإنسان يستعين بالله وحده، ويتوكل عليه بدون الاعتماد على غيره في أموره، وهذا هو المبدأ الذي بعث به الرسل وأنزلت بناءً عليه الكتب السماوية، وتوحيد الإله هو جوهر الدعوة الرسالية وسبب الخصومة بين الرسل وأممهم، ولقد استدل بتفرده بالألوهية في قوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنِّي تُسْحَرُونَ﴾⁵، وتوعد بنفاذ أمره على من أشرك به في قوله تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾⁶، يقول تعالى -مقرباً لما وعد به محققاً لوقوعه- {أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ} فإنه آت، وما هو آت، فإنه قريب، {سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} من نسبة الشريك والولد والصاحبة والكفاء وغير ذلك مما نسبته إليه المشركون مما لا يليق بجلاله، أو ينافي كماله⁷، ثم أظهر الله تعالى قدرته على الخلق من خلال آيات مبرزة تفرده باستحقاقه للألوهية فقال عز وجل: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾⁸، خلق الإنسان من نطفة لما ذكر الدليل

¹ - سورة الإخلاص، الآية 03.

² - ناصر الدين البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المرجع السابق، ص 347.

³ - سورة الإخلاص، الآية 04.

⁴ - علاء الدين علي بن محمد المعروف بالخازن، لباب التأويل للخازن في معاني التنزيل، تح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 01، 1415هـ، ج 04، ص 498.

⁵ - سورة المؤمنون، الآية 84-89.

⁶ - سورة النحل، الآية 01.

⁷ - عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمن، المرجع السابق، ص 267.

⁸ - سورة النحل، الآية 04-05.

على توحيده ذكر بعده الإنسان ومناكדתه وتعدي طوره¹، وقوله عز وجل: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾²، قال تعالى منها على عظمتها، وأنه لا تنبغي العبادة إلا له دون ما سواه من الأوثان، التي لا تخلق شيئاً بل هم يخلقون³.

والله عز وجل هو الذي سَوَّى الأرض ورفع السماء دون دعائم مرئية، ويظهر تفرد بارسال الأمطار إذ تعد هذه الرحمة مصدر حياة للأرض وتجلب الرزق لعباده، مشكِّلةً بذلك آية واضحة لاستحقاقه الوحيد للعبادة، وتقديم دليل واضح على وجوب التوحيد في العبادة، وقد قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَإِنِّي تُصَرِّفُونَ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَإِنِّي تُؤْفَكُونَ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾⁴، أي: {قل} لهؤلاء الذين أشركوا بالله، ما لم ينزل به سلطاناً، محتجاً عليهم بما أقروا به من أفرادٍ لرب العالمين، على ما أنكروه من توحيد الألوهية {مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} بإنزال الأرزاق من السماء، وإخراج أنواعها من الأرض، وتيسير أسبابها فيها⁵.

وقد أقرَّ الله عز وجل أموراً لا يمكن لهم إنكارها، ولا يمكن لأحد أن يتجنب الاعتراف بها، إذ تتعلق هذه الأمور بتفرد بالرزق والملك والتدبير، وكذلك بقدرته على الإحياء والإماتة، وبدء الخلق وإعادة حياته، وإرشادهم وهدايتهم، ويقوم هذا القرار بإقامة حجة له عليهم، تثبت وجوب تقواهم لله دون غيره، وفي الوقت نفسه يرفض الله عز وجل حكمهم الخاطئ، وشركهم الباطل، والتمسك بالاهتمام

¹ - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المرجع السابق، ج 13، ص 267.

² - سورة النحل، الآية 17-22.

³ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص 269.

⁴ - سورة يونس، الآية 35.

⁵ - عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمن، المرجع السابق، ص 212.

بأمور ليست مُلكهم، والتوجه نحو من لا يملك لهم ضرًا ولا نفعًا، ولا يتحكم في حياتهم أو مصيرهم، ومن قوله تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾¹، أي: قل الحمد لله الذي يستحق كمال الحمد والمدح والثناء لكمال أوصافه وجميل معروفه وهباته وعدله وحكمته في عقوبته المكذبين وتعذيب الظالمين، وسلم أيضا على عباده الذين تخيرهم واصطفاهم على العالمين من الأنبياء والمرسلين وصفوة الله من العالمين، وذلك لرفع ذكركم وتنويعها بقدرهم وسلامتهم من الشر والأدناس، وسلامة ما قالوه في ربهم من النقائص والعيوب².

الله عز وجل رفض لأي شريك أو ندٍ معه في الخلق والتدبير، في قدرته على الإجابة للمضطرين، والكشف عن الشر، والتوجيه والنصر، والهداية من الضلالة، وتوجيه وتقدير الرزق، هذه القدرات هي خصوصيات مختصة بالله تعالى وحده، وهي جزء من الإيمان الذي استقر في فطر الإنسان، وعبرت عنه ألسنتهم، وهي الحجة القائمة عليهم، فلا مجال للشرك في العبادة.

الفرع الثاني: التوحيد العملي:

إن ممارسة العبادات هي نقل للوعي الفكري الدائم، وتزويد الإنسان المؤمن الذي نمت فيه حبة الإبداع، بموجات متتالية من القوة المستمدة من قوة الله عز وجل، والثقة بالنفس المستمدة من ثقته في الله تعالى، والأمل في المستقبل المستمد من أمله في تأييد الله ونصره، ورجاء ثواب الجنة والوعي والنور المستمد من نور الله، هذه الشحنات هي التي تحرك المسلم إلى الأمام نحو الإنجازات، وتجعله مبدعًا وتمنحه القدرة المتواصلة على الاستمرار والجهد وبذل كل الطاقة والمبادرة.

والإسلام يحرص بعبادته على الاهتمام الكبير بالحفاظ على هذه الشحنة الروحية الحية التي تملأ القلب والنفس والوجدان، وتنير الطريق في أصعب الظروف وأظلمها، وشعور المؤمن بأن جهوده وتضحياته لها هدف واحد وهو إرضاء الله والتمسك بمرضاته وحده، وأن كل جهد يقوم به يتم وفقًا لشريعة واضحة وشاملة جاءت من الله الذي سلم له وجهه، والله عز وجل لا يقبل أي عمل ما لم يكن مرتكزًا على أساس التوحيد والعقيدة الصحيحة والخالصة، فأبي عمل يقوم به الإنسان لا يستند إلى عقيدة صحيحة وتوحيد نقي، فإن الله يجعله هباءً منثورًا دون أن يُقبله أو يثمر له.

¹ - سورة النمل، الآية 59-64.

² - عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمن، المرجع السابق، ص 382.

يقول الإمام ابن تيمية: "والتوحيد العملي الإرادي؛ أن لا يعبد إلا إياه، فلا يدعو إلا إياه، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يخاف إلا إياه، ولا يرجو إلا إياه، ويكون الدين كله لله"¹.

ويقول -رحمه الله- أيضاً: "وقد بسط الكلام في التوحيد وأنه نوعان؛ علمي قولي وعملي قصدي؛ ف ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾²، اشتملت على التوحيد العملي نصاً، وهي دالة على العلمي لزوماً، و ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾³، اشتملت على التوحيد العلمي القولي نصاً وهي دالة على التوحيد العملي لزوماً"⁴.

إن الموحّد الذي وحد الله ليس فقط قولاً واعتقاداً، وإنما عملاً أيضاً للتخلص من الشرك ويحصل له الهدى الكامل، والأمن التام في الدنيا والآخرة؛ بقوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾⁵، وتفاصيل التقوى المتعلقة بالقلب والجوارح كثيرة جداً، يجمعها فعل ما أمر الله به وترك كل ما نهى الله عنه⁶.

كل الأمم السابقة خوطبوا وأمروا بالتوحيد ليعرفوه ويؤمنوا به، وخوطب به المؤمنون، سواء حينما كانوا في مكة أو كانوا في المدينة، وبعض العلماء يقولون: إن من مظاهر القرآن المكي أنه يتحدث عن العقيدة والتوحيد والحقيقة أن المكي والمدني كله يتحدث عن التوحيد، وإن كانت -ولا شك- طريقة المخاطبة اختلفت، لكن الأحكام كلها في أركان الإسلام، فالله عز وجل يخاطب المؤمنين بالتوحيد ليزدادوا إيماناً، وليطمئنوا إلى تحقيق توحيدهم، وليحذروا النقص والخلل فيه، فهذا قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾⁷، ما ذكره الله في هذه الآية من أمر المؤمنين بالإيمان، فإن ذلك يقتضي أمرهم بما يصحح إيمانهم من الإخلاص والصدق، وتجنب المفسدات والتوبة من جميع المنقصات. ويقتضي أيضاً الأمر بما لم يوجد من المؤمن من علوم الإيمان وأعماله، فإنه كلما وصل إليه نص وفهم معناه واعتقاده فإن ذلك من الإيمان المأمور به، وكذلك

¹ - تقي الدين أبو العباس، الصفدية، تح: محمد رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية، مصر، ط 02، 1406هـ، ص 228-229.

² - سورة الكافرون، الآية 01.

³ - سورة الإخلاص، الآية 01.

⁴ - أحمد بن تيمية، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم رحمه الله، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة المنورة - السعودية، 2004، ج 17، ص 107-108.

⁵ - سورة آل عمران، الآية 102.

⁶ - السعدي، تيسير الكريم الرحمن، المرجع السابق، ص 63.

⁷ - سورة النساء، الآية 136.

سائر الأعمال الظاهرة والباطنة، كلها من الإيمان كما دلت على ذلك النصوص الكثيرة، وأجمع عليه سلف الأمة¹.

فالتأمل في التوحيد يجعل العبد يكون متفردًا وخاضعًا لله وحده، وعبادته وفقًا لما شرعه الله عز وجل، وهذا المفهوم هو الذي تجسده الآية التالية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾²، هذا أمر عام لكل الناس، بأمر عام، وهو العبادة الجامعة، لامتنال أوامر الله، واجتناب نواهيه، وتصديق خبره، فأمرهم تعالى بما خلقهم له³، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾⁴.

والتوحيد هو الذي قامت المعارك من أجله، واستشهد المسلمون في سبيله ثم انتصروا بسببه، ولا يزال المسلمون يحاربون من أجله، ولا عزَّ لهم ولا نصرٌ إلا بتحقيقه، فكما أنه استطاع في الماضي أن يُوحِّدَهم ويُقيمَ لهم دولةً كبيرة، فهو الآن قادر - بإذن الله - أن يعيدَ لهم مجدهم ودولتهم إذا عادوا إليه⁵، لقوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾⁶.

فبالإيمان بالتوحيد يأتي منه فوائد عديدة، منها الأمن في الآخرة من العذاب الأبدي، والهداية في الدنيا، وتكفير الذنوب، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾⁷، أي: الأمن من المخاوف والعذاب والشقاء، والهداية إلى الصراط المستقيم، فإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بظلم مطلقاً، لا بشرك، ولا بمعاص، حصل لهم الأمن التام، والهداية التامة. وإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بالشرك وحده، ولكنهم يعملون السيئات، حصل لهم أصل الهداية، وأصل الأمن، وإن لم يحصل لهم كاملها. ومفهوم الآية الكريمة، أن الذين لم يحصل لهم الأمان، لم يحصل لهم هداية، ولا أمن، بل حظهم الضلال والشقاء⁸.

¹ - السعدي، تيسير الكريم الرحمن، المرجع السابق، ص 100.

² - سورة البقرة، الآية 21.

³ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص 523.

⁴ - سورة الذاريات، الآية 56.

⁵ - محمد بن جميل زينو، العقيدة الإسلامية، المدرس في دار الحديث الحيرية، مكة المكرمة، ط 12، 1410هـ، ص 25.

⁶ - سورة محمد، الآية 07.

⁷ - سورة الأنعام، الآية 82.

⁸ - السعدي، تيسير الكريم الرحمن، المرجع السابق، ص 138.

فمن شروط قبول العمل الإيمان بالله وتوحيده، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾¹، أي: إن الذين آمنوا بقلوبهم، وعملوا الصالحات بجوارحهم، وشمل هذا الوصف جميع الدين، عقائده، وأعماله، أصوله، وفروعه الظاهرة، والباطنة، فهؤلاء -على اختلاف طبقاتهم من الإيمان والعمل الصالح- لهم جنات الفردوس².

ومن العوامل التي تُعين المؤمن على الثبات على الحقِّ هو تذكُّره لأجر العمل والذي أعده الله - تعالى - له، وما سيلاقيه من جزاءٍ ونعيمٍ مقابل جهده المستمر وجهاده لهواه وشهوته، لذلك فإنه من الضروري على المؤمن أن يتأمل الآيات ليثبت العقيدة في نفسه ويثبت على الحقِّ، ومن هذه الآيات الكريمة التي تُبشِّر المؤمنين بنتيجة صالح أعمالهم قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾³، يقول: وعملوا بما أمرهم الله فأطاعوه فيه، وانتهوا عما نهاهم عنه⁴.

من يحقق التوحيد كما يريد الله - تعالى -، يرضى الله - تعالى - عنه فقد نال رضاه وابتعد عن سخطه، ولا يمكن تحقيق هذا المثوى والمأوى إلا بتحقيق المؤمن لشئئين؛ الإيمان بالله - تعالى - وتوحيده، ثم العمل الصالح، فقد قال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلَحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾⁵، يأمر تعالى المؤمنين بتقواه، في جميع أحوالهم، في السر والعلانية، ويخص منها، ويندب للقول السديد، وهو القول الموافق للصواب، أو المقارب له، عند تعذر اليقين، من قراءة، وذكر، وأمر بمعروف، ونهي عن منكر، وتعلم علم وتعليمه، والحرص على إصابة الصواب، في المسائل العلمية، وسلوك كل طريق يوصل لذلك، وكل وسيلة تعين عليه⁶.

يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون﴾⁷، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُون﴾⁸، وقال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾

¹ - سورة الكهف، الآية 107.

² - السعدي، تيسير الكريم الرحمن، المرجع السابق، ص 304.

³ - سورة العنكبوت، الآية 58.

⁴ - الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المرجع السابق، ص 403.

⁵ - سورة الأحزاب، الآية 71.

⁶ - السعدي، تيسير الكريم الرحمن، المرجع السابق، ص 427.

⁷ - سورة الأنبياء، الآية 92.

⁸ - سورة المؤمنون، الآية 52.

وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ۚ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ¹.

نجد في الآيتين أن الله عز وجل بيّن أن وحدة الأمة مرتبطة بعبادة الله عز وجل أي أن توحيد الأمة قائم على عبادة الله الواحد وتقواه، وكل من العبادة والتقوى يحوي المعنى العلمي والعملية للتوحيد، والآية الثالثة تبين أن الاعتصام بما أمر الله يمنع من التفرق فهو سبب ركيز في وحدة الأمة، أي التمرکز في الاتجاه إلى الله عز وجل توحيداً علماً وعملاً يُوحد الأمة الإسلامية، ومنه نستنتج أن السنة قائمة هنا هي سنة الوحدة القائمة على المركزية في التوجه والتسليم.

المطلب الثاني: وحدة النموذج البشري (محمد صلى الله عليه وسلم) "سنة الوحدة القائمة على الإتياع للنموذج البشري الواحد:

يتطلب تجسيد عناصر الإيمان وأوامر الله عز وجل تحقيق التوازن بين الفهم النظري والتطبيق العملي للقيم والأخلاق الدينية التي أمرنا بها الله عز وجل، فعندما نتحدث عن هذا التجسيد يتوجب علينا أولاً فهم تعاليم الدين والتفاهم العميق لما يُطلب منا، وينبغي علينا تطبيق تلك التعاليم، فالالتزام بتعاليم الدين وتجسيدها في الواقع يساهم في بناء مجتمع يعيش فيه الأفراد وفقاً للقيم الروحية والأخلاقية، ورسول الله محمد صلى الله عليه وسلم هو النموذج الذي ارتضاه الله عز وجل لنا قدوة ومنهاجا نتبعه لتطبيق المثل العليا في القرآن الكريم على أرض الواقع وهذه من بين سمات الإسلام وهي الواقعية.

ذكر اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في عدة مواضع في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾²، وقوله تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ۚ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾³، وقوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ۚ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾⁴، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ۚ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ ۚ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ۚ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾⁵، ولعل أبلغ آية في هذا الاقتداء هي

¹ - سورة آل عمران، الآية 103.

² - سورة آل عمران، الآية 31.

³ - سورة الحشر، الآية 07.

⁴ - سورة النساء، الآية 80.

⁵ - سورة النور، الآية 54.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾¹، تبين الآية أن الوصول إلى رضا الله عز وجل وتمام عبادته والفوز في الدنيا والآخرة وتحقيق الذكر الامثل لله هو اتباع النموذج الفريد المتمثل في شخص الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ولم يُذكر نموذج غيره.

فاتباع نموذجًا واحدًا يجعل المسلمين يتحدون في الاتجاه والعمل على أرض الواقع وبهذا فبوحدة المتَّبِع يتَّحِدُ المتَّبِعُونَ، فنستطيع القول هنا أن السنة المستنتجة هي سنة الوحدة بوحدة الاتباع.

الفرع الأول: في الصلة بالله عز وجل:

ترك الرسول صلى الله عليه وسلم لنا إرثًا عظيمًا من السيرة النبوية، حياة نقية ونموذجًا يستمد عبقه من القيم الإسلامية وقد ترك لنا رسالة شاملة ودائمة، صالحة لكل زمان ومكان، فالنبي صلى الله عليه وسلم، الذي نبذ الله فيه الطغاة والمؤذنين، وحذر من عذابهم في الدنيا والآخرة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾²، وقال أيضا: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾³.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾⁴، وتسرّد الآيات المنزلة الرفيعة التي وصل إليها النبي صلى الله عليه وسلم حين عُرج به إلى السماء، وكشفت له آيات الله العظيمة، وفي تلك اللحظات رأى النبي صلى الله عليه وسلم شجرة المنتهى، التي تفوق وصفها أي لسان إنسان، ودخل الجنة واستشعر جمالها الذي يظهر في لؤلؤها ورائحة ترابها، وفي هذا السياق السامي وصل إلى مقام لا يعلمه إلا الله، وتحدث الله إليه بوحى خاص، ويظهر أدب النبي في التعامل مع الله تعالى رغم أن اللحظة كانت تستدعي التعبير عن الدهشة والإعجاب، إن هذه اللحظات الفريدة التي وصفت الجنة والسماء السابعة وما وراءها، وشجرة المنتهى بجمالها الفائق، تمثل أعلى المنازل وأشرف المقامات، ويظهر النبي صلى الله عليه وسلم في هذا السياق كنموذج للأدب الذي فاق كل أدب، والذي يعبر عن تواضعه وخضوعه أمام عظمة الله، فقال تعالى: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾⁵، قال ابن عباس:

¹ - سورة الأحزاب، الآية 21.

² - سورة الأحزاب، الآية 57.

³ - سورة التوبة، الآية 61.

⁴ - سورة الأحزاب، الآية 57.

⁵ - سورة النجم، الآية 17.

أي ما عدل يمينا ولا شمالا، ولا تجاوز الحد الذي رأى. وقيل: ما جاوز ما أمر به. وقيل: لم يعد بصره إلى غير ما رأى من الآيات. وهذا وصف أدب للنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام؛ إذ لم يلتفت يمينا ولا شمالا¹.

وفي رحلة المعراج أظهر النبي صلى الله عليه وسلم أدبًا في تعامله مع الله تعالى، عندما فُرضت عليه خمسين صلاة يوميًا، ونصحه النبي موسى عليه السلام بمراجعة الله عز وجل لطلب تخفيفها عن أمته، قام بالمراجعة المتكررة حتى تم تقليل عدد الصلوات إلى خمس في اليوم، وبعد ذلك أشار موسى عليه السلام إلى أهمية متابعة المراجعة لتحقيق التخفيف في الأعباء، قال الرسول صلى الله عليه وسلم مخبرًا عن ذلك: (فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: رَاجِعْ رَبِّكَ، فَقُلْتُ: اسْتَخَيِّتُ مِنْ رَبِّي)²، وفي رواية قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يَا مُوسَى، قَدْ وَاللَّهِ اسْتَخَيِّتُ مِنْ رَبِّي مِمَّا اخْتَلَفْتُ إِلَيْهِ) رواه الشيخان. والحياء من الله تعالى أدب معه عز وجل.

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾³، يقول تعالى ذكر لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وإنك يا محمد لعلی أدب عظیم⁴، فهذه شهادة من الله عز وجل عن تحقيق النبي محمد صلى الله عليه وسلم لأعلى مراتب الأخلاق الحميدة، وبالتالي فإن هذا الإثبات الرفيع يأتي من الله تعالى الذي تُعدُّ شهادته أعظم شهادة وقوله أصدق قول.

كما جاء في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ﴾⁵، وقال: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾⁶، ووصف الله عز وجل رسوله الكريم باللين والرفق، والخلق الحسن؛ حيث تخلَّق بالأخلاق التي جاء بها القرآن الكريم، فعن عائشة أم المؤمنين -رضي الله عنه- قالت: (كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ)⁷.

الفرع الثاني: في طاعة الله وتطبيق شرعه:

وإن من أبرز نواحي العظمة المحمدية تظهر في طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم لله تعالى والذي أرسله عز وجل بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدين كله، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله

¹ - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المرجع السابق، ص 526.

² - رواه البخاري (342) باب المعراج.

³ - سورة القلم، الآية 04.

⁴ - الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المرجع السابق، ص 564.

⁵ - سورة الأنعام، الآية 19.

⁶ - سورة النساء، الآية 122.

⁷ - رواه الألباني، في صحيح الجامع، عن عائشة أم المؤمنين، الصفحة أو الرقم: 4811، صحيح.

عنها: أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقالت عائشة: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟! قال: (أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً)؛ متفق عليه¹، ولهما من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: (كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي حتى تنتفخ قدماه)².

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾³، ذكر الله في أول هذه السورة أنه أمر رسوله بقيام نصف الليل أو ثلثه أو ثلثيه، والأصل أن أمته أسوة له في الأحكام، وذكر في هذا الموضع، أنه امتثل ذلك هو وطائفة معه من المؤمنين⁴، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا نِّصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴾⁵، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر يقوم الليل، نحو قيامه في شهر رمضان فيما ذكر حتى خفف ذلك عنهم⁶، وقوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾⁷، تقدم أن المزمّل والمدثر بمعنى واحد، وأن الله أمر رسوله صلى الله عليه وسلم، بالاجتهاد في عبادة الله القاصرة والمتعدية، فتقدم هناك الأمر له بالعبادات الفاضلة القاصرة، والصبر على أذى قومه⁸.

وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾⁹، قال الإمام الطبري: يعني بذلك عز وجل: قُلْ يا محمد - لهؤلاء الذين قالوا لك ولأصحابك: ما ولاكم عن قبلتكم من بيت المقدس التي كنتم على التوجه إليها إلى التوجه إلى شطر المسجد الحرام -: لله ملك

¹ - رواه البخاري في كتاب التفسير، تفسير سورة الفتح، باب قوله: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ [الفتح: 2]، 4/ 1830 (4557)، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة 4/ 2172 (2820).

² - رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب الصبر عن محارم الله، وقوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُؤَقِّبُ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: 10]، 5/ 2375 (6106)، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة 4/ 2171 (2819).

³ - سورة المزمل، الآية 20.

⁴ - السعدي، تيسير الكريم الرحمن، المرجع السابق، ص 575.

⁵ - سورة المزمل، الآية 02.

⁶ - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المرجع السابق، ص 574.

⁷ - سورة المدثر، الآية 02.

⁸ - السعدي، تيسير الكريم الرحمن، المرجع السابق، ص 585.

⁹ - سورة المزمل، الآية 142.

المشرق والمغرب¹، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾²، يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قل يا محمد لمشركي قومك: إن الله أمرني أن أعبد مفردا له الطاعة، دون كل ما تدعون من دونه من الآلهة والأنداد³.

وفي قوله عز وجل: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾⁴، أمر تعالى رسوله بعد المكتوبات بقيام الليل، فإن التهججد: ما كان بعد نوم؛ قاله علقمة، والأسود وإبراهيم النخعي، وغير واحد وهو المعروف في لغة العرب. وكذلك ثبتت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنه كان يتهججد بعد نومه، عن ابن عباس، وعائشة، وغير واحد من الصحابة، رضي الله عنهم، كما هو مبسوط في موضعه، والله الحمد والمنة⁵.

الفرع الثالث: في علاقته مع الإنسان والكون:

لقد كان الرسول -صلى الله عليه وسلم- ذا شخصية سوية ومتزنة نفسياً، ولم يكن عبوساً أو متأثراً بالحزن بشكل زائد، مما جعل الناس يشعرون بالراحة والسكينة بوجودهم حوله، وكان يبدي الحزن والبكاء فقط خشيةً من الله -تعالى-، سواء أثناء صلاته في الليل أو عند سماع آيات القرآن الكريم، فمِنها عندما كان يبكي عندما قرأ عبد الله بن مسعود له قول الله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾⁶، ولكن كانت دموعه أيضاً تنبع من حزنه وشفقته بأمتة، كما في صلاة الكسوف حيث أخذ -صلى الله عليه وسلم- يقول: (رَبِّ أَلَمْ تَعِدْنِي أَلَّا تُعَذِّبَهُمْ وَأَنَا فِيهِمْ، أَلَمْ تَعِدْنِي أَلَّا تُعَذِّبَهُمْ وَنَحْنُ نَسْتَغْفِرُكَ)⁷، وكان يظهر حزنه وشفقته عند فقدانه لأحبائه، سواء كان ذلك عند وفاة ابنه إبراهيم حيث قال -صلى الله عليه وسلم- حينئذ: (إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ)⁸ أو عثمان بن مظعون -رضي الله عنه-، حيث كان يعبر عن حزنه بكلمات مؤثرة ودموع تنبع من الرحمة والإيمان بقضاء الله وقدره.

¹ - الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المرجع السابق، ص 140.

² - سورة الزمر، الآية 11.

³ - الطبري، المرجع نفسه، ص 460.

⁴ - سورة الإسراء، الآية 79.

⁵ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص 190.

⁶ - سورة النساء، الآية 41.

⁷ - رواه ابن حبان، في صحيح ابن حبان، عن المغيرة بن شعبة، الصفحة أو الرقم: 2827، صحيح.

⁸ - رواه البخاري، في صحيح البخاري، عن أنس بن مالك، الصفحة أو الرقم: 1303، صحيح.

لنبدأ أولاً بالإشارة إلى وصف النبي صلى الله عليه وسلم لأبعاد الأجرام السماوية وأحجامها بالنسبة للفضاء الذي يتجاوزها، وذلك استناداً إلى الحديث الذي رواه الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري -رضي الله عنه-، حيث قال: (... يا أبا ذر! ما السماوات السبع مع الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة...) ¹، مثل قوله صلى الله عليه وسلم: إنما سمي العرش عرشاً لارتفاعه ²، وكذلك قوله: ما يقدر قدر العرش إلا الذي خلقه، وإن السماوات في خلق العرش مثل قبة في صحراء ³، وقوله أيضاً: ما أخذت السماوات والأرض من العرش إلا كما تأخذ الحلقة من أرض الفلاة ⁴، وعن مجاهد: -ح: ما السماوات والأرض في الكرسي إلا بمنزلة حلقة ملقاة في أرض فلاة. كما ورد أيضاً: أن السماوات السبع والأرضين السبع وما فيهما وما بينهما بالنسبة للعرش كحلقة ملقاة في فلاة من الأرض ⁵.

ثم يصف الرسول صلى الله عليه وسلم بعض ما يراه في السماء على شكل دراهم متناثرة في فضاء واسع: (ما السماوات السبع والأرضون السبع في الكرسي إلا كدراهم ألقيت في فلاة من الأرض وما الكرسي في العرش إلا كحلقة ألقيت في فلاة من الأرض)، وأهم وصف للمصطفى عليه السلام لمجموعة المجرات هو عندما وصفها مجتمعاً داخل الفضاء الرحيب فقال: "ما السماوات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس" ⁶.

كانت معاملة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مع أهل بيته جامعةً لحسن الخلق، فكان يلاطف الكبير والصغير، ويقوم بخدمة نفسه وأهل بيته، وكان -عليه الصلاة والسلام- يَحْيِطُ نعله ويرقع ثوبه، ويتعامل مع زوجاته بقدر ما تملك كلٌّ منهم من الحكمة ورجاحة العقل، وربما داعبهنَّ فسابقهنَّ، كما كان يسابق عائشة -رضي الله عنها-، وإن قُدِّمَ له طعام فاشتهاه أكله، وإلا تركه دون أن يعيبه، وما كان ليغضب إلا إذا رأى حرماً لله تُنتهك، فلم يغضب لنفسه قط ⁷، وكان يحرص على مناداة كل زوجةٍ من زوجاته بأحبِّ الأسماء إليها، فقد كان ينادي عائشة -رضي الله عنها- فيقول: (يا عائشَ هذا

¹ - أخرجه ابن حبان في صحيحه وأبو نعيم في الحلية وابن عساكر عن الحسن بن سفيان.

² - ابن أبي حاتم عن ابن عباس.

³ - ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس.

⁴ - أخرجه سعيد بن منصور وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد.

⁵ - في نظم المتناثر من الحديث المتواتر للشيخ جعفر بن محمد الكتاني.

⁶ - أخرجه أبو الشيخ عن عبد الرحمن بن زيد أسلم عن أبيه في "الدر المنثور في التفسير بالمأثور" للإمام السيوطي "في تفسير ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ من الآية 129 من سورة التوبة".

⁷ - مجموعة من المؤلفين (2009)، فتاوى الشبكة الإسلامية، صفحة 649، جزء 4. بتصرف.

جَبْرِيلُ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ)¹، وتروي لنا عائشة فتقول: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقْبَلُ إِحْدَى نِسَائِهِ وَهُوَ صَائِمٌ ثُمَّ تَضَحَكُ)²، وَإِنَّ مَا يُؤَلَّفُ بَيْنَ الزَّوْجِ وَالزَّوْجَةِ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: (وَإِنَّكَ مَعَهُمَا أَنْفَقْتَ مِنْ نَفَقَةٍ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ، حَتَّى اللَّقْمَةُ الَّتِي تَرْفَعُهَا إِلَى فِي امْرَأَتِكَ)³، فهذا الفعل يزيد الوُدَّ، ويعتبر أحد أبواب الصدقة⁴.

أما تعامل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مع أصحابه فكانت معاملته طيبة، ويظهر فيها الرفق والعفو عن المخطئ، وكان يشاورهم في العديد من الأمور، كما كان يعدهم بالنصر ويقوّي عزائمهم⁵، ويُظهر حبه في تعامله معهم، ويصف كلّ منهم بوصفٍ يختلف عن الآخر، مما يزيد من الألفة والمحبة بينه وبينهم، فقد وصف الزبير بن العوام بأنه حواريه، ووصف أبو بكر وعمر بن الخطاب بأهمّاهما وزيرا، وجعل حذيفة بن اليمان أمين سرّه، وعامر بن الجراح أمين الأمة، وكان يمازح أصحابه ويلطفهم، ويشاركهم طعامه، فيروي جابر بن عبد الله أنّه كان جاساً في يومٍ من الأيام، فأتى النبيّ وأشار إليه أن يأتي معه، وأخذ بيده ذاهباً به إلى إحدى حجرات زوجاته، فدخل النبيّ وأذن لجابر أن يدخل، فقال النبيّ -صلى الله عليه وسلم- لأهله: (هَلْ مِنْ غَدَاءٍ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ، فَأَتَى بِثَلَاثَةِ أَقْرِصَةٍ، فَوَضَعْنَ عَلَى نَبِيٍّ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُرْصًا، فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَخَذَ قُرْصًا آخَرَ، فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْ، ثُمَّ أَخَذَ الثَّالِثَ، فَكَسَرَهُ بِاِثْنَيْنِ، فَجَعَلَ نِصْفَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَنِصْفَهُ بَيْنَ يَدَيْ، ثُمَّ قَالَ: هَلْ مِنْ أُدِيمٍ؟ قَالُوا: لَا إِلَّا شَيْءٌ مِنْ خَلٍّ، قَالَ: هَاتُوهُ، فَنِعِمَّ الْأُدِيمُ هُوَ)⁶.

وقال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾⁷، فيحب لكم الخير، ويسعى جهده في إيصاله إليكم، ويحرص على هدايتكم إلى الإيمان، ويكره لكم الشر، ويسعى جهده في تنفيركم عنه. {بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ} أي: شديد الرأفة والرحمة بهم، أرحم بهم من والديهم⁸، وكان رسول الله يدعو ربّه في قيام الليل أن يرزقه محاسن الأخلاق وأكملها، وهو أحسن الناس خلقاً، فيقول: (واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها

¹ - رواه البخاري، في صحيح البخاري، عن عائشة أم المؤمنين، الصفحة أو الرقم: 6201، صحيح.

² - رواه مسلم، في صحيح مسلم، عن عائشة أم المؤمنين، الصفحة أو الرقم: 1106، صحيح.

³ - رواه البخاري، في صحيح البخاري، عن سعد بن أبي وقاص، الصفحة أو الرقم: 2742، صحيح.

⁴ - ب مناهج جامعة المدينة العالمية، التفسير الموضوعي، ماليزيا: جامعة المدينة العالمية، صفحة 166.

⁵ - وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط 2، 1418هـ، ج 4، ص 138.

⁶ - رواه مسلم، في صحيح مسلم، عن جابر بن عبد الله، الصفحة أو الرقم: 2052، صحيح.

⁷ - سورة التوبة، الآية 128.

⁸ - السعدي، تيسير الكريم الرحمن، المرجع السابق، ص 207.

إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت¹، وذلك دليل على محبة الله - تعالى - للأخلاق الحسنة²، ومما يدل على أهمية الأخلاق؛ كثرة الأدلة الواردة بها في الآيات القرآنية، سواء كان ذلك في الآيات المكية أم المدنية، وهي تدل على ضرورة الالتزام بها في جميع شؤون الحياة، والتّهي عن التخلّي عنها، فالأخلاق ملازمة للمسلم في كل أحواله، كما هو شأن العقيدة في ذلك³.

ويظهر من حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - (مر بنا جنازة فقام لها النبي صلى الله عليه وسلم فقمنا معه فقلنا: يا رسول الله! إنها جنازة يهودي؟ قال: إذا رأيتم الجنازة فقوموا)⁴ أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - كان يتعامل مع الجميع بالاحترام والتقدير بغض النظر عن دينهم أو معتقداتهم، فعندما استفسر الصحابة عن ذلك، قال: «إذا رأيتم الجنازة فقوموا»، في إشارة إلى احترام النفس الإنسانية عامة دون تمييز، وهذا الموقف يُبين بوضوح اتساع رحمته وحسن خلقه، فقد كان يسعى إلى إظهار سمو القيم الإنسانية وأهمية احترام الموت، أيًا كان حال الشخص أو دينه.

وفي حديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - مع جبل أُخذ فقال له: (اثبت أُحد؛ فإن فوقك نبيٌّ وصديق وشهيد⁵)؛ يبين عمق ارتباطه بالكون وتقديره للخلائق من حوله، سواء كانت جمادات أو كائنات حية، فقد خاطب النبي جبل أُحد بقوله: "اثبت أُحد؛ فإن فوقك نبيٌّ وصديق وشهيد"، فاستجاب الجبل وأطاع، وكأن الكون من حوله كان في انسجام تام مع رسالته ومحبهته لله ولخلقه.

وفي حديث آخر للنبي صلى الله عليه وسلم: (كنّا مع رسول الله في سفرٍ فانطلقَ لحاجته فرأينا حُمرةً معها فرخانٍ فأخذنا فرخيهما فجاءت تعرشُ فجاء النَّبيُّ فقال: مَنْ فجَعَ هذه بولدِها؟ ردّوا ولدها إليها. ورأى قريةً نملٍ قد حرقناها. فقال: مَنْ حرقَ هذه؟ قلنا: نحنُ قال: إنّه لا ينبغي أن يعذبَ بالنَّارِ إلّا ربُّ النَّارِ)⁶، فمن خلال هذا الحديث تتجلى الرحمة العظيمة التي كان يتمتع بها الرسول - صلى الله عليه وسلم - ليس فقط تجاه البشر بل تجاه المخلوقات الأخرى كذلك، وهذا السلوك

¹ - رواه الترمذي، في سنن الترمذي، عن علي بن أبي طالب، الصفحة أو الرقم: 3423، حسن صحيح.

² - مناهج جامعة المدينة العالمية، أصول الدعوة، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا، ص 98-99.

³ - مناهج جامعة المدينة العالمية، أصول الدعوة، المرجع السابق، ص 100.

⁴ - أسامة سليمان، كتاب شرح صحيح البخاري، باب من قام لجنازة يهودي، المكتبة الشاملة، ص 5.

⁵ - أنس بن مالك، المحدث: الألباني، صحيح الترمذي، الرقم: 3697، خلاصة حكم المحدث: صحيح، أخرجه الترمذي (3697) واللفظ له، وأخرجه البخاري (3675) باختلاف يسير.

⁶ - عبد الله بن مسعود، النووي، رياض الصالحين، الرقم: 519، إسناده صحيح، أخرجه أبو داود (2675) واللفظ له، وأحمد (3835) باختلاف يسير مختصراً

يعكس تعامله الرحيم مع جميع الكائنات، ويبرز البعد الإنساني العميق في علاقته بالكون ككل، حيث يعتبره جزءاً من النظام الإلهي المتكامل.

وروي (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد الله تعالى كرامته بالنبوة، كان إذا خرج لحاجة أي حاجة الإنسان أبعد حتى لا يرى ببناء، ويفضي إلى الشعاب وبطون الأودية، فلا يمر بحجر ولا شجر إلا قال: الصلاة والسلام عليك يا رسول الله، وكان يلتفت عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى أحداً)¹، وإلى ذلك يشير صاحب الأصل بقوله:

لم يبق من حجر صلب ولا شجر ** إلا وسلم بل هناء ما وهبا

ويتجلى في هذا الأثر كرامة النبي صلى الله عليه وسلم ومكانته الخاصة بين الكائنات الجامدة والنباتات، حيث يعكس هذا الحديث صورة تفاعل الكون مع رسالته وشخصه الكريم، ويعبر الشاعر بقوله "لم يبق من حجر صلب ولا شجر ** إلا وسلم بل هناء ما وهبا" عن هذه الحالة الفريدة، حيث تُحيي الكائنات الجامدة والنباتات النبي، مشيرةً إلى حفاوته في الكون كرسول يحمل رسالة الحق، مما يبرز وحدة الكون وتفاعله مع من يحمل رسالة الإيمان.

كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، (وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ: أَبُو عُمَيْرٍ - قَالَ: أَحْسِبُهُ - فَطِيمًا، وَكَانَ إِذَا جَاءَ قَالَ: يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النَّعِيرُ؟ نَعَرَ كَانَ يَلْعَبُ بِهِ، فَرُبَّمَا حَضَرَ الصَّلَاةَ وَهُوَ فِي بَيْتِنَا، فَيَأْمُرُ بِالْبِسَاطِ الَّذِي تَحْتَهُ فَيُكْنَسُ وَيُنْضَحُ، ثُمَّ يَقُومُ وَنَقُومُ خَلْفَهُ، فَيُصَلِّي بِنَا)²، وفي هذا الحديث يتجلى عظيم أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وحسن تعامله مع الطفل، وقد أبدى النبي لطفًا كبيرًا تجاهه، مما يُظهر تعاطفه ورقته مع الجميع بما فيهم الأطفال، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يواسي أبا عمير ويخفف عنه فقدان طائره، ما يُبرز الجانب الإنساني في علاقته مع البشر وحتى صغارهم.

ولم تقتصر رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم على الجوانب الروحية والعبادية فحسب بل شملت أيضًا تنظيم العلاقات الإنسانية ووضع قواعد عادلة للسلم والحرب، وروى ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كَانَ إِذَا بَعَثَ سَرِيَّةً قَالَ اغْزُوا بِسْمِ اللَّهِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ لَا تَغْلُوا وَلَا تَغْدِرُوا وَلَا تُمْتَلُوا وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا وَلَا امْرَأَةً وَلَا شَيْخًا)³، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

¹ - أنس بن مالك، صحيح البخاري، الرقم: 1013، خلاصة حكم المحدث صحيح.

² - أنس بن مالك، صحيح البخاري، الرقم: 6203، خلاصة حكم المحدث صحيح، أخرجه البخاري (6203)، ومسلم (2150).

³ - عبد الله بن عباس، المعجم الأوسط، الرقم: 04/268، خلاصة حكم المحدث: لم يرو هذا الحديث عن جابر بن يزيد إلا عمرو بن هرم ولا عن عمرو إلا سالم تفرد به الصباح

يسعى لترسيخ قواعد إنسانية حتى في أوقات الحرب، فلم تكن المعارك في عهده وسيلة للإضرار أو الانتقام بقدر ما كانت تهدف إلى حماية الحقوق ونشر العدالة، وتعبّر هذه التوجيهات عن التزام النبي صلى الله عليه وسلم بمبادئ العدل والإنسانية في كل جوانب الحياة حيث كان يسعى لتأسيس مجتمع قائم على قيم الرحمة والسلام.

المطلب الثالث: السلام النفسي والوحدة المعرفية:

في الإسلام يظهر تباين واضح في الحالة النفسية بين الموحدين والمشرّكين والمنافقين؛ فالموحدون يتمتعون بسلام نفسي ينبع من إيمانهم الراسخ بوحدة الله والقناعة بقضائه وقدره ويعيشون في حالة من الثقة والراحة الداخلية مما يمكنهم من التصدي للتحديات بثقة وصبر، بينما يعيش المشرّكون والمنافقون حالة من التشّتت النفسي إذ يتخبطون في مفاهيم متناقضة ويعيشون في حالة من عدم الاستقرار الروحي وهذا التشّتت يُنبئ عن انعدام السكينة والطمأنينة النفسية.

الفرع الأول: الحالة النفسية للموحد والمشرّك:

في دراسة الحالة النفسية للموحد والمشرّك، نلاحظ تبايناً واضحاً يعكسه الاختلاف الجذري في المنظومة العقائدية التي يحملها كل منهما، فالحالة النفسية للموحد تتسم بالطمأنينة والاستقرار، نابعة من إيمانه بوحداية الله وثقته في القضاء والقدر، مما يعزز الشعور بالأمان والرضا عن القضاء والقدر، أما المشرّك فيعيش حالة من التشّتت والقلق مما يؤدي إلى غياب اليقين والاستقرار النفسي، ويجعله أكثر عرضة للخوف والتوتر نتيجة عدم وجود قوة إلهية واحدة يعتمد عليها في حياته.

أولاً: الفرقة النفسية للمنافق والمشرّك (سنة الإرجاف القائم على النفوس المرتابة):

إن أسوأ شيء يهين الإنسان في هذه الدنيا، ويخدش من كرامته، ويعذب نفسياً، هو ما يتعرض إليه من ذل غيره له، مما يجعله محتقراً ضعيفاً فما بالك إذا كان هذا الذل عذاب من الله وعز وجل له على اقترافه لذنوب ما فتألم نفسه بل قد يكون عذاب الذلة¹، حيث يقول الدكتور حمادة محمد عبد الفتاح الحسيني: "قد ورد لفظ الذلة في القرآن الكريم في أكثر من موضع في سياقات مختلفة، ففي سياق الحديث عن عذاب الله تعالى الديني لليهود فقد ذكر الله تعالى أنه قد عاقبهم على ما فعلوه من جرائم، يجعلهم أذلاء في هذه الدنيا بين الناس، فإنك لا تجد جنساً من البشر أذل وأدحر من اليهود"²، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَاهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي

¹ - حمادة محمد عبد الفتاح الحسيني، ألفاظ أدوات العذاب في الدنيا "دراسة دلالية"، رسالة ماجستير في أصول اللغة، منشورة، جامعة الأزهر، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين، قسم اللغة العربية وآدابها القاهرة، 2003، ص 219.

² - حمادة محمد عبد الفتاح الحسيني، ألفاظ أدوات العذاب في الدنيا في الآيات القرآنية "دراسة دلالية"، مرجع سابق، ص 220.

الْمُفْتَرِينَ¹، قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: "إن الذين اتخذوا العجل" إلهًا" سينالهم غضب من ربهم"، بتعجيل الله لهم ذلك = "وذلة"، وهي الهوان، لعقوبة الله إياهم على كفرهم بربهم "في الحياة الدنيا"، في عاجل الدنيا قبل أجل الآخرة².

إن من أشد أنواع العذاب النفسي على المنافقين أن تكون قلوبهم مرتابة ومتردة³ ووصف الله عز وجل قلوب المؤمنين بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾⁴، أي: يتحIRON، يقدمون رجلا ويؤخرون أخرى، وليست لهم قدم ثابتة في شيء، فهم قوم حيارى هلكى، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، ومن يضل الله فلن تجد له سبيلا⁵. من بين العذاب النفسي الذي يصيب المنافقين تكون قلوبهم خائفة متذبذبة⁶ وصف الله تعالى قلوب المنافقين فقال: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهِزُّوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَدِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾⁷، يحذر المنافقون، أي: يخشى المنافقون، (أن تنزل عليهم) أي: تنزل على المؤمنين، سورة تنبئهم بما في قلوبهم، أي: بما في قلوب المنافقين من الحسد والعداوة للمؤمنين، كانوا يقولون فيما بينهم ويسرون ويخافون الفضيحة بنزول القرآن في شأنهم⁸.

ومن العذاب النفسي الذي يصيب المنافقين اضطراب قلوبهم⁹ حيث قال تعالى في هذا الشأن مبينا ذلك: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾¹⁰، وقد ذكر الإمام البغوي نوع العذاب النفسي الذي يلقيه المنافقون في هذه الآية الكريمة

¹ - سورة الأعراف، الآية 152.

² - الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المرجع السابق، ص 169.

³ - حسن عبد الله طه الخطيب، أهداف ومقاصد وموضوعات سورة التوبة "دراسة تحليلية"، رسالة ماجستير في علوم القرآن، مشورة، الجامعة الإسلامية كلية أصول الدين، قسم أصول التفسير وعلوم القرآن، غزة، 1424-2003م، ص 156.

⁴ - سورة التوبة، الآية 45.

⁵ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص 174.

⁶ - حسن عبد الله طه الخطيب، أهداف ومقاصد وموضوعات سورة التوبة "دراسة تحليلية"، مرجع سابق، ص 166.

⁷ - سورة التوبة، الآية 64-66.

⁸ - البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، مرجع سابق، ص 101.

⁹ - حسن عبد الله طه الخطيب، أهداف ومقاصد وموضوعات سورة التوبة "دراسة تحليلية"، مرجع سابق، ص 166.

¹⁰ - سورة التوبة، الآية 77.

وهو حرمان الله لهم من التوبة جزاء نفاقهم قائلًا: "يريد حرهم التوبة إلى يوم القيامة، بما أخلفوا الله ما وعده وبما كانوا يكذبون"¹.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالًا يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾²، ويقول الدكتور وهبة الزحيلي: "إن هؤلاء المنافقين لجهلهم وقلة علمهم وسوء تقديرهم يفعلون ما يفعل المخادع، حيث يظهرون الإيمان ويطنون الكفر ... ولم يدروا أن الله تعالى مطلع على أعمالهم وسرائرهم ونياتهم الخبيثة، فيعاقبهم عقاباً أليماً شديداً لأن الله لا يخادع لأنه سبحانه العالم بالسر وأخفى ... مجازيهم على خداعهم لأن الجزاء من جنس العمل، والله يستدرجهم في ضلالهم وطغيانهم، ويخذلهم ويعددهم عن الحق والهداية والنور لأنهم آثروا الانحراف والابتعاد عن جادة الاستقامة، فاستحقوا العقاب والتعذيب والطرْد والإبعاد عن رحمة الله تعالى"³.

وقال عز وجل: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾⁴، يقول سيد قطب رحمه الله: يضرب الله المثل للعبد الموحّد والعبد المشرك بعبد يملكه شركاء يخاصم بعضهم بعضاً فيه، وهو بينهم موزع؛ ولكل منهم فيه توجيه، ولكل منهم عليه تكليف؛ وهو بينهم حائر لا يستقر على نهج ولا يستقيم على طريق؛ ولا يملك أن يرضي أهواءهم المتنازعة المتشاكسة المتعارضة التي تمزق اتجاهاته وقواه! وعبد يملكه سيد واحد، وهو يعلم ما يطلبه منه، ويكلفه به، فهو مستريح مستقر على منهج واحد صريح⁵.

وقال تعالى: ﴿خُنْفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ۚ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾⁶، وفي الآية صورة صادقة لحال من يشرك بالله، فيهوي من أفق الإيمان السامق إلى حيث الفناء والانطواء. إذ يفقد القاعدة الثابتة التي يطمئن إليها. قاعدة التوحيد، ويفقد المستقر الآمن الذي يثوب إليه؛ فتخطفه الأهواء تخطف الجوارح، وتتقاذفه الأوهام

¹ - البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، مرجع سابق، ص 373.

² - سورة النساء، الآية 142.

³ - وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير الوسيط، دار الفكر، دمشق، ط 1، 1422 هـ، ص 399.

⁴ - سورة الزمر، الآية 29.

⁵ - سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، 1972، ج 05، ص 3049.

⁶ - سورة الحج، الآية 31.

تقاذف الرياح، وهو لا يمسك بالعروة الوثقى، ولا يستقر على القاعدة الثابتة، التي تربطه بهذا الوجود الذي يعيش فيه¹.

إن أصعب أنواع العذاب النفسي التي يمكن أن يتعرض لها الإنسان هو الحرمان من تحقيق واستحقاق كل الخيرات التي كان يتطلع إليها، مما يؤدي إلى نشوء شكل من أشكال الألم النفسي، وإذا كان الحرمان يتعلق بالرحمة والعمل فإن ذلك يزيد من درجة الألم، خاصة عندما يتم طرد الإنسان من مجال الرحمة والعمل بسبب ابتعاده عن الطريق الصحيح نتيجة لأفعاله الخاطئة.

* علاقة الفرقة النفسية للمنافق والمشارك في فرقة الأمة:

يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾²، ويقصد به "خَبَالًا" ومعناه الخَبَالُ الفساد والنميمة وإيقاع الاختلاف والأراجيف³.

من خلال ما مر بنا نجد أن تواجد المتردد والمتراب الذي لا يطمأن للإيمان يبيث الفرقة في وسط المؤمنين لقوله تعالى: ﴿مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾⁴، ومنه الضياع الداخلي وهو فتنة للأمة والريب يُنتج التخاذل ومنه السنة التي نستطيع استخراجها هي سنة الإرجاف القائمة على النفوس المترتبة.

ثانيا: نفسية الموحد (سنة الوحدة والتماسك القائم على الاستقرار النفسي والسكينة الإيمانية):

إن مفهوم السكون النفسي في الإسلام هي تلك التعاليم التي تمنع أسباب التوتر العصبي، وذلك بالأمر بالإيمان بالله وقدره الصبر على الشدة والمحنة والمصيبة والمرض تحريم اليأس والانتحار والأمر بتعاون الناس وتراحمهم لتخفيف أعباء الحياة، ثم منع كل بؤر التوتر في المجتمع كالمقامرة والربا والمضاربة واللهو غير البريء، والضججة⁵.

¹ - سيد قطب، في ظلال القرآن، المرجع السابق.

² - سورة التوبة، الآية 45-46-47.

³ - تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، طبعة دار الكتب المصرية، مصر، المجلد 08، ص 36.

⁴ - سورة التوبة، الآية 47.

⁵ - سعيد بن صالح بن الحمدان، الطب الوقائي في الإسلام من صحة الأرواح إلى صحة الأجساد والبيئة، الكتاب منشور على موقع المكتبة الشاملة على الإنترنت، ص 2.

وتناول القرآن الكريم لنفسية الموحد وكيفية تحريرها من مخاوفها وذلك بأن الله جل وعلا هو الذي يدبر الأمور في السراء والضراء وجاء في قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾¹، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾²، وعلى ذلك يمكن تأكيد أن السكينة النفسية وفقاً لما سبق أنها إيقاظ لروح الأمل والتفاؤل تجاه الحاضر؛ نتيجة الإيمان بعدل الله والقناعة بعطاءه والرضا بقضائه، وتجاه المستقبل؛ نتيجة الإيمان بما أعده الله من خير ورحمة وجنة للمتقين، أما الماضي بما فيه من أحداث وأخطاء مقلقة، فإن ذوي السكينة على يقين من مغفرة الله ورحمته، وهذا يريحهم من أثقال الماضي ويعطيهم الفرصة الدائمة لبدايات جديدة³.

وجاء بأن أصل السكينة الطمأنينة والوقار هي بداخله طمأنينة وفي خارجه يظهر الوقار، والسكينة في أدق تعاريفها: طمأنينة في القلب، وسكون في الجوارح⁴؛ إذ يقول الرحمن تبارك وتعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾⁵، وقوله سبحانه: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾⁶، وقوله جل وعلا: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾⁷.

وقد بدأ الله تعالى بتشريع العبادات لكي تقترب منه ونحقق الهدف الرئيسي الذي خلقنا من أجله، ففي جوهرها تعد العبادات الغاية الأساسية لخلق الإنسان، حيث قال عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾⁸، وتأتي الراحة النفسية وجميع المنافع الدنيوية كفوائد وثمرات للعبادات للموحد، فالله تعالى برحمته جعلها محفزات للثبات والاستمرار، بدلاً من أن تكون غايات يتم السعي

¹ - سورة البقرة، الآية 112.

² - سورة الأحقاف، الآية 13.

³ - محمد عبد الفتاح المهدي، العلاج النفسي في ضوء الإسلام، المنصورة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، 1989، ص 99.

⁴ - انظر: عبد الرحمن العيسوي، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، 1995، ص 113.

⁵ - سورة التوبة، الآية 126.

⁶ - سورة التوبة، الآية 40.

⁷ - سورة الفتح، الآية 18.

⁸ - سورة الذاريات، الآية 56.

لتحقيقها من خلال العبادات، لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾¹، ويخبر تعالى عن منتهى على المؤمنين بإنزال السكينة في قلوبهم، وهي السكون والطمأنينة، والثبات عند نزول المحن المقلقة، والأمور الصعبة، التي تشوش القلوب، وتزعج الألباب، وتضعف النفوس، فمن نعمة الله على عبده في هذه الحال أن يثبتته ويربط على قلبه، وينزل عليه السكينة، ليتلقى هذه المشقات بقلب ثابت ونفس مطمئنة، فيستعد بذلك لإقامة أمر الله في هذه الحال، فيزداد بذلك إيمانه، ويتم إيقانه².

فمن بين الأسباب التي تجلب السكينة النفسية التي يتلذذ بها المؤمنون هي تلك اللحظات التي يناجي فيها المؤمن ربه من خلال الصلاة والدعاء، حيث تعد الصلاة ارتقاءً روحياً يفرغ فيها الموحد من همومه واهتماماته في الحياة الدنيا، مما يمكنه من الوقوف بين يدي ربه ومولاه معبراً عن شكره وتقديره ويفضي إليه بجوانب نفسه: كداعٍ وطالبٍ ومتضرعٍ، ويعتبر هذا الاتصال بالله العلي الكبير مصدراً للقوة الداخلية ودافعاً ضد الهزائم ومصدراً للسكينة الروحية، وفي هذا السياق يذكر الطبيب توماس هايسلوب: "لقد تبين لي من خلال سنوات طويلة من الخبرة والتجارب أن الصلاة هي من أهم مقومات النوم والراحة، وأقول ذلك بوصفي طبيباً إذ لم أعرف حتى اليوم وسيلة أعمق أثراً في بث الطمأنينة في النفوس وتهدئة الأعصاب من الصلاة"³، وأيضاً قوله الله تبارك وتعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحُمِيَّةَ حُمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾⁴، وتعني جميعاً بث الطمأنينة والأمن والتثبيت في نفوس المؤمنين أوقات الشدة والظروف العصيبة.

* علاقة السكينة في نفس المؤمن مع وحدة الأمة:

من خلال هذه الآية الكريمة نجد أن تثبيت المسلمين في هذه الآية ووحدة صفوفهم جاءت من عند الله عز وجل تلازماً لما في قلوبهم من إيمانٍ وتوحيد، فكلمة التقوى جامعاً مشتركاً ربطت الآية نزول السكينة بالالتزام بكلمة التقوى، وهي كلمة التوحيد والالتزام بعهد الله، هذا الالتزام هو المرجعية الموحدة التي تجمع قلوب المؤمنين حيث تذوب الفوارق الفردية والقبلية تحت راية العقيدة مما يخلق التلاحم

¹ - سورة الفتح، الآية 04.

² - السعدي، تيسير الكريم الرحمن، المرجع السابق، ص 511.

³ - محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس، ط 5، القاهرة، دار الشروق، 1993، ص 284-293.

⁴ - سورة الفتح، الآية 26.

الاجتماعي، ومنه فالسنة المستنتجة هي سنة الوحدة والتماسك القائم على الاستقرار النفسي والسكينة الإيمانية.

ولعلها أهم من كل العناصر لأن هذه السكينة هي التي جعلت النار بردًا على سيدنا إبراهيم وشقت البحر على سيدنا موسى وأخرجت الماء من تحت قدمي سيدنا إسماعيل عليهم السلام جميعا. فأهمية السكون النفسي جزء لا يتجزأ من الحياة الروحية للموحد، فهو ينبع من الإيمان القوي بالله ورضاه بقضائه، ومن تحقيق التوازن بين العبادة والحياة اليومية، والقرآن الكريم يلقي الضوء على أهمية الإيمان في تحقيق السكون النفسي، وكيف يمكن للإيمان الصحيح أن يكون مصدرًا للطمأنينة والقوة في وجه التحديات.

الفرع الثاني: وحدة الغاية:

بناءً على وحدة الغاية التي أعطاها الله للإنسان بخلقه، يظهر بوضوح مفهوم الوحدة المعرفية في الإسلام، فبفضل القدرة التي وهبها الله عز وجل للإنسان على التفكير والاختيار، تتجلى هذه الوحدة في هدف رئيسي يجمع جميع المسلمين ألا هو العبادة والاستخلاف على الأرض، فيعتبرون أن الله عز وجل خلقهم لغاية محددة، وهي عبادته وأداء الواجبات التي فرضها عليهم، في هذا السياق يعملون على تحقيق استخلافهم عبر العمل الصالح والتعاون في بناء مجتمع يسعى إلى تحقيق العدالة والرحمة.

ويتلزم فهم الوحدة المعرفية في الإسلام مع إدراك المسلمين بأن حياتهم على هذه الأرض هي اختبار مستمر، حيث يتوجب عليهم اتباع السبل القائمة على الشريعة الإسلامية وتحقيق التوازن بين العبادة والعمل الخير، وتكمن وحدة المسلمين في هدفهم المشترك للوصول إلى الجنة وتحقيق السعادة في الحياة الدنيا والآخرة، وهو هدف يوجههم نحو بناء مجتمع يسوده التعاون والتسامح، ويعكس تحقيق فهمهم للوحدة المعرفية الأساسية في الإسلام.

أولاً. وحدة الغاية القائمة على العبادة: إن مفهوم العبادة لغة هي "أن العامة اجتمعوا على تفرقة ما بين عباد الله، والعبيد المملوكين، وعبد بين العبودية وأقر بالعبودية، ولم أسمعهم يشتقون منه فعلا، ولو اشتق لقليل: عَبْدٌ أي صار عبداً، ولكن أميت منه الفعل وأما عَبْدٌ يَعْبُدُ، عبادة، فلا يقال إلا لمن يعبد الله، وتعبد تعبداً أي تفرد بالعبادة، وأما عبد خدم مولاه، فلا يقال: عَبْدَه ولا يعبد مولاه¹، أما

¹ - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مرجع سابق، ص 728.

اصطلاحاً فالعبادة -بكسر العين وفتح الدال- مصدر عَبَدَ: التصرفات المشروعة التي تجمع كمال المحبة والخوف والخضوع لله تعالى¹.

ومن العلماء من يحدد مفهوم العبادة على أنها توحيد الله عز وجل، فيقول الكفوي "جميع ما ذكر في القرآن الكريم من العبادة فالمراد به التوحيد"²، واستدل بعض العلماء على ذلك بأن القرآن الكريم دعا الناس إلى العبادة قبل أن تشرع الشعائر، من صلاة وصيام وحج... إلخ³.

فأما من القرآن الكريم؛ فقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾⁴، هذه الغاية، التي خلق الله الجن والإنس لها، وبعث جميع الرسل يدعون إليها، وهي عبادته، المتضمنة لمعرفته ومحبته، والإنابة إليه والإقبال عليه، والإعراض عما سواه، وذلك يتضمن معرفة الله تعالى، فإن تمام العبادة، متوقف على المعرفة بالله، بل كلما ازداد العبد معرفة لربه، كانت عبادته أكمل، فهذا الذي خلق الله المكلفين لأجله، فما خلقهم لحاجة منه إليهم⁵، وقوله عز وجل: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾⁶، فإنه يعني به: وما أمر هؤلاء اليهود والنصارى الذين اتخذوا الأحرار والرهبان والمسيح أرباباً، إلا أن يعبدوا معبوداً واحداً، وأن يطيعوا إلهاً واحداً دون أرباب شتى، وهو الله الذي له عبادة كل شيء، وطاعة كل خلق، المستحق على جميع خلقه الدينونة له بالوحدانية والربوبية⁷، وقوله جل وعلا: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾⁸، وقال الحسن: نسكي ديني. وقال الزجاج: عبادتي؛ ومنه الناسك الذي يتقرب إلى الله بالعبادة⁹، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ خُنْفَاءً وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾¹⁰، مخلصين له الدين أي العبادة؛ ومنه قوله تعالى:

¹ - محمد رواس قلججي، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1988، ج 1، ص 303.

² - أيوب بن موسى الحسيني القريني الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تح: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، د ت، ص 597.

³ - شحاتة محمد صقر، الموسوعة الميسرة في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة الصحيحة المطهرة، دار الفتح الإسلامي، الإسكندرية، د ت، ج 4، ص 36.

⁴ - سورة الذاريات، الآية 56.

⁵ - السعدي، تيسير الكريم الرحمن، المرجع السابق، ص 523.

⁶ - سورة التوبة، الآية 31.

⁷ - الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المرجع السابق، ص 191.

⁸ - سورة الأنعام، الآية 163.

⁹ - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المرجع السابق، ص 150.

¹⁰ - سورة البينة، الآية 05.

قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين، وفي هذا دليل على وجوب النية في العبادات فإن الإخلاص من عمل القلب وهو الذي يراد به وجه الله تعالى لا غيره¹.

ثانياً. سنة الإستخلاف في الأرض:

إن مفهوم الإستخلاف في الأرض يعبر عن مفهوم يشمل جميع البشر، حيث يكون كل فرد خلقاً للآخر متولياً مسؤولية الحكم والسلطة وفقاً لتوجيهات الله عز وجل، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾²، أي: قَوْماً يَخْلَفُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ وَحِيلًا بَعْدَ حِيلٍ³، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾⁴، أي: يخلف بعضكم بعضاً، واستخلفكم الله في الأرض⁵، وَقَالَ ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾⁶، قيل: يجعل أولادكم خلفاءكم⁷.

وتكريم الله للمسلمين باستخلافهم في الأرض يظهر من خلال العديد من الآيات في القرآن الكريم والأحاديث النبوية التي تشير إلى الفضل والمكانة الخاصة التي أعطيت لهم، فهذا الاستخلاف يعتبر بمثابة امتياز من الله تعالى يتضمن مسؤوليات وتحديات تحقق الغاية الإلهية في تحقيق العدالة والخير في الأرض.

وحقيقة الاستخلاف في الأرض تتعدى مفهوم الملك والقهر والغلبة والحكم، بل تكمن في الاستخدام المثمر لهذه السلطة من أجل الإصلاح والتنمية والبناء، ويجسد هذا الاستخلاف التزاماً بتحقيق المنهج الإلهي الذي أنزل للبشرية، لتسلك الطريق نحو الكمال المرغوب وتحقيق مستوى من الاستقامة يرضي الله عز وجل بها، وبهذا السياق يتوجب علينا أن نستخدم هاته السلطة بحكمة، بهدف تحقيق التقدم وتطوير الحياة على الأرض وفقاً للقيم والمبادئ التي وردت في الوحي الإلهي. فالجوهر الحقيقي للاستخلاف يكمن في تحقيق التوازن والعدالة وكذا رضا الله عز وجل، فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ

¹ - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المرجع السابق، ص 598.

² - سورة البقرة، الآية 30.

³ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص 06.

⁴ - سورة الأنعام، الآية 165.

⁵ - السعدي، تيسير الكريم الرحمن، المرجع السابق، ص 150.

⁶ - سورة النمل، الآية 62.

⁷ - البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، مرجع سابق، ص 382.

وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ¹، أي: ملكناهم إياها، وجعلناهم المتسلطين عليها، من غير منازع ينازعهم، ولا معارض².

ومن جهة ثانية فإن وجود فترة من الابتلاء والاختبار مشروط قبل أن يتحقق الاستخلاف في الأرض، وهو أمر أساسي لأولئك الذين يحملون رسالة الله ويؤهلون لتولي مسؤولية الخلافة فيها لقوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَتُكِنُّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾³، بأن نزيل عنهم مواد الاستضعاف، ونهلك من قاومهم، ونخذل من ناوأهم. ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾ في الدين، وذلك لا يحصل مع استضعاف، بل لا بد من تمكين في الأرض، وقدرة تامة، ﴿وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ للأرض، الذين لهم العاقبة في الدنيا قبل الآخرة⁴، بعد ذلك يظل الاختبار هو التحدي الذي يجب أن يمر به كل مسلم، وأن تخضع له كل جماعة قبل أن يُسمح له بتحمل مسؤولية الاستخلاف في الأرض، فقد ابتلى الله - عز وجل - جند طالوت بمنعهم من شرب مياه النهر وذلك لتعزيز إرادتهم في مواجهة التحديات والإغراءات والشهوات، ولتمكينهم من الصمود أمام العدو، حيث قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾⁵، والاستخلاف ليس إلا نتيجة لامتنان الإنسان لتعاليم الله عز وجل، فمن يسعى لتحقيق وعد الله تعالى بالاستخلاف يجب أن يلتزم بالاستقامة على أوامره، وإذا أظهر التزاماً بالاستقامة فإنه لن يكون عرضة لقوة الكافرين ولا بمعجزين له، لقوله تبارك وتعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾⁶.

الاستخلاف في الأرض يعتبر ثمرة للإيمان والأعمال الصالحة، ولن تنضج هذه الثمرة إلا إذا تم غرسها بعناية، وتم توجيهها نحو النجاح، ويكمن سر نجاحها في أن يكون الجذر قوياً وثابتاً، وكان فرعها في السماء، ويعكس هذا المفهوم ما أكده الإمام الشافعي على أهمية التوازن بين التمكين والابتلاء عندما سئل عن أيهما يفضل للعبد: التمكين أم الابتلاء؟ فقال: "لا يكون التمكين إلا بعد الابتلاء!".

¹ - سورة الأنعام، الآية 41.

² - السعدي، تيسير الكريم الرحمن، المرجع السابق، ص 337.

³ - سورة القصص، الآية 06.

⁴ - السعدي، تيسير الكريم الرحمن، المرجع السابق، ص 385.

⁵ - سورة البقرة، الآية 249.

⁶ - سورة النور، الآية 57.

المبحث الثاني: الوحدة الاجتماعية:

إن فهم وتحقيق الوحدة الاجتماعية من بين الأمور الحيوية التي تسهم في بناء مجتمع قائم على العدالة والتعاون، ويستند هذا المبحث إلى فهم متعدد لأبعاد للوحدة، حيث سنحاول تناول أهمية تحقيق الوحدة في العديد من الجوانب الاجتماعية، ففي المطلب الأول سنستعرض الوحدة الوظيفية التي تتناول التعارف بين الشعوب والقبائل وكيفية حمل الأمانة في مجتمعاتنا بالإضافة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كأدوات أساسية لتعزيز هذه الوحدة، أما المطلب الثاني سنتناول فيه وحدة العدو وكيف يتعامل الإنسان مع إغواءات الشيطان، وكذلك العلاقة بين الإنسان وإبليس كما جاءت في القرآن الكريم، وفي المطلب الثالث سنستعرض فيه كيف يمكن أن تتجسد الوحدة في الاختلاف؛ سواء فيما يتعلق بالجنس والعرق، أو في مجال الفكر، حيث يظهر الاختلاف كثرة وعظمة الخلق ويدعو إلى فهم متبادل واحترام لتحقيق تكامل المجتمع، وأخيرا سنتناول الوحدة الاجتماعية كمطلب رابع.

المطلب الأول: الوحدة الوظيفية:

في هذا المطلب سنتناول فيه الوحدة الوظيفية كمفهوم يمتد ليشمل مجموعة من الجوانب الرئيسية، بدءًا من التعارف بين الشعوب والقبائل، وسنستكشف كيف يمكن لهذا التعارف أن يكون محركًا للتفاهم والاحترام المتبادل وكذلك كوسيلة للتعاون وبناء جسور التواصل بين ثقافات مختلفة، وبعد ذلك سنتنقل إلى مفهوم حمل الأمانة، وأخيرًا سنلقي نظرة على مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث يعكس هذا المفهوم التزام المجتمع بتعزيز القيم الإيجابية ومحاربة الظلم والفساد.

الفرع الأول: سُنّة التعارف القائمة على تنوع الخلق:

جاء مفهوم التعارف لدى ابن منظور: تَعَارَفَ الْقَوْمُ؛ أي: عَرَفَ بعضهم بعضًا، والعريف: الْقِيَمُ والسيد؛ لمعرفته بسياسة القوم، والعريف: النقيب، وهو دون الرئيس، والعرفاء جمع عريف، وهو الْقِيَمُ بأمور القبيلة أو الجماعة من الناس، والمعروف: ضد المنكر، والعرف: ضد النكر، والمعروف: النَّصَفَةُ وحُسن الصُّحبة مع الأهل وغيرهم من الناس¹.

أما مفهوم التعارف اصطلاحًا فهو "مبدأ إسلامي، واستراتيجية للمستقبل الإنساني؛ فإننا نفهم تمامًا دَوْرَ الرسالة الإسلامية الإنسانية، الدور الذي لم يتوقَّف ولن يتوقف ولا ينقطع؛ فهو مستمدٌّ من روح القرآن الكريم، وتدبير خالق هذا الكون والأكوان جميعًا، ودعوة القرآن الكريم للتعارف تعني تمامًا

¹ - ابن منظور، لسان العرب، المرجع السابق، ص 309.

إيجاد القواسم المشتركة بين بني البشر، دعوة هي تنبيه واضح لهذا المخلوق حتى يدرك طبيعته العقلية والنفسية أولاً، ثم طبيعته الإنسانية الشمولية ثانياً، ثم دوره في الاستخلاف وتعمير الدنيا ثالثاً¹.

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾²، فهذه الآية جاءت تنبيهاً إلى وحدة أصل الإنسان رغم تفرق الشعوب والقبايل، ووحدة إمكاناته واستعداداته، على تعدد أوصافه، وتنوع مكتسباته، وضرورة التعارف المؤدي إلى التآلف والتوَادد المنافي لأنواع التعالي والتفاخر والتعاضم، وتحديد مقياس التفاضل الحق بين الناس، وأساسه هو التقوى، التي تعني الاستقامة على ما يحقق للإنسان سعادته في الدارين، وراحته وطمأنينته في الحياتين، والمقياس الذي يبعث على التنافس الجميل، لا على التحاسد البغيض، وكانت الآية تبياناً لما تقدّم قبلها في السورة وتقريراً له³.

وقال الله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾⁴، فأصبحتم بتأليف الله عز وجل بينكم بالإسلام وكلمة الحق، والتعاون على نصرة أهل الإيمان، والتأزر على من خالفكم من أهل الكفر، إخواناً متصادقين، لا ضغائن بينكم ولا تحاسد⁵.

وتعد قيمة التعارف من المقاصد الكبرى للشرعية الإسلامية، وهي بمنزلة قانون أو قاعدة عامة من أصول الإسلام الكبرى؛ "فالتعارف قاعدة اجتماعية عظيمة، وأصل من أصول الإسلام الكبرى لطبيعة العمران الاجتماعي في الإسلام، المبني على حقائق الإيمان، إنه عالم له فكرته الكاملة عن وحدة الإنسانية المختلفة الأجناس، المتعددة الشعوب، وله ميزانه الواحد الذي يقوم به الجميع، إنه ميزان الله المبرأ من شوائب الهوى والاضطراب⁶.

¹ - الباش حسن، منهج التعارف في الإسلام نحو قواسم مشتركة بين الشعوب، ط 1، منشورات جمعية الدولة الإسلامية العامة الجماهيرية العظمى، طرابلس، 2005، ص 5.

² - سورة الحجرات، الآية 13.

³ - التذكرة مجلة شهرية تصدر مؤقتاً فصلية تعنى بالفكر والثقافة الإسلامية يصدرها المجلس العلمي للدار البيضاء، ع 11-12، 2008، ج 3، ص 28-29.

⁴ - سورة آل عمران، الآية 103.

⁵ - الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المرجع السابق، ص 63.

⁶ - أنوار مجلة علمية ثقافية تصدر مرتين كل سنة عن المجلس العلمي المحلي، بني ملال، ع 3، 2014، ص 32.

والله عز وجل خلق البشر على قدم المساواة، حيث يُفرض العدل والحكمة في توزيع الصفات بينهم، لا يكون هناك تفضيل إلا بناءً على مقياس التقوى ولا يظهر التفضيل في اللون، والعرق، والدين، واللغة، والجنس، والصفات، فميزان الله لا يعرف الاختلافات والفرقات، فلا فارق بين الشريف والضعيف وكذلك لا يكون هناك تفضيل بين الميل والانحياز، والظلم والغش، لقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مَحْسَبَانِ وَالتَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾¹، وقال الضحاك وقتادة وغيرهما يعني الخير والشر وقول الحسن ههنا أحسن وأقوى لأن السياق في تعليمه تعالى القرآن²، وميزان الله مبني على مفهوم العدل والحق، وقد حذر الله ووعد بالويل والعذاب للذين يحاولون الغش في هذا الميزان لقوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾³، هذا الوعيد على الذين يخسون الناس بالمكيال والميزان، فالذي يأخذ أموالهم قهراً أو سرقة، أولى بهذا الوعيد من المطففين⁴.

أمرنا الله سبحانه بصلة الرحم وأن نتحلى بهذا الخلق العظيم والنبيل في مجموعة من آي القرآن؛ كقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾⁵، وقوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾⁶، وقوله: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾⁷، وقوله: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ﴾⁸، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ اللَّعَنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾⁹، وقوله صلى الله عليه وسلم: (تعلموا من أنسابكم ما تصلون به

¹ - سورة الرحمن، الآية 09.

² - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص 531.

³ - سورة المطففين، الآية 03.

⁴ - السعدي، تيسير الكريم الرحمن، المرجع السابق، ص 587.

⁵ - سورة النساء، الآية 01.

⁶ - سورة الأنفال، الآية 75.

⁷ - سورة الأحزاب، الآية 06.

⁸ - سورة محمد، الآية 23.

⁹ - سورة الرعد، الآية 25.

أرحامكم¹، وعن عبدالله بن عباس رضي الله عنه: "اعرفوا أنسابكم تصلوا أرحامكم؛ فإنه لا قرب بالرحم إذا قُطعت وإن كانت قريبة، ولا بُعد بها إذا وُصلت وإن كانت بعيدة"².

وقد جرى الله تعالى المتحابين في الله لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾³، يحب التوابين من الذنوب والمتطهرين من الشرك⁴، وجاء في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ثلاث من كنَّ فيه وجد بهنَّ حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار)⁵.

والله تعالى يدعوا إلى الإصلاح بين المتخاصمين لقوله عز وعلا: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾⁶، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾⁷، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾⁸، وبالإضافة إلى الأحكام الأخرى المتفق عليها والتي تتماشى مع مبدأ التعارف، يُضاف إلى ذلك الاعتبارات المتعلقة بالعرف، وهو ما أشارت إليه كلثومة دخوش في ملاحظاتها: "اعتبار العرف في التشريع عملاً بما تعارف الناس عليه، ما لم يكن عرفاً فاسداً يخالف الشرع، كما هو مقرر في مجاله من المباحث الأصولية"⁹.

وأخيراً نجد أن دعوة القرآن الكريم لتعزيز قيمة التعارف تتضمن توفير الوعي حول القيم المشتركة بين أفراد الجنس البشري، وتشكل هذه الدعوة تنبيهاً واضحاً للإنسان ليدرك أولاً طبيعته العقلية

¹ - أخرجه ابن الملقن شرح البخاري، رقم 20/17.

² - الألباني، صحيح الجامع، رق الحديث 1051.

³ - سورة البقرة، الآية 222.

⁴ - البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، مرجع سابق، ص 35.

⁵ - أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، حديث 43 من حديث أنس.

⁶ - سورة النساء، الآية 114.

⁷ - سورة الحجرات، الآية 09.

⁸ - سورة النساء، الآية 128.

⁹ - مقاصد الشريعة والسياق الكوني المعاصر، أعمال الندوة العلمية الدولية التي نظمتها الرابطة المحمدية للعلماء، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ط 1، 2013، ص 189-190.

والنفسية، وثانيًا طبيعته الشمولية، وثالثًا دوره في الاستخلاف وتعمير الدنيا، وجميع هذه النقاط تمثل قيمًا ومقاصد تتحقق بترسيخ قيمة التعارف.

الفرع الثاني: سُنّة الابتلاء لحمل الأمانة:

جاء لفظ "الأمانة" و"الأمانات" في القرآن الكريم في خمسة مواضع مختلفة، وفي جميع الحالات تحمل هاتان اللفظتان المعنى الذي يعبر عن التبعة والعهد والمسؤولية، وتميزت إحدى هذه المواضع في "سورة البقرة" حيث خصصت الكلمة بها في سياق يتعلق بوديعة المال وكل ما يتعلق بها، وجاءت الآية الكريمة في سياق وثائق الديون، حيث قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْب كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾¹، قال ابن عباس رضي الله عنهما لما حرم الله الربا أباح السلم وقال: أشهد أن السلف المضمون إلى أجل مسمى قد أحله الله تعالى في كتابه وأذن فيه²، تم تخصيص مفهوم "الأمانة" في هذه الآية ليرتبط بالتكليفات والديون التي كُلف بها الإنسان، ورغم ذلك فالآية الكريمة تُسلط الضوء بشكل أساسي على أهمية تذكيرنا بالمعنى العام للأمانة، والتي تمثل الحق والفريضة، ومن بين هذه الفروض تبرز حقوق المعرفة وفرضيتها، حيث يُحظر على الفرد الذي اكتسب معرفة أن يتجاهل حقوقها.

كل ما ذكر خارج سياق المسائل المتعلقة بالديون والودائع يعتبر قاعدة عامة، حيث يسري الحكم عليه بشكل شامل حتى إذا كان النص يشير إلى سبب خاص، يتجلى هذا في أن مناسبات النزول لا تعيق سريان الحكم إلى جميع المخاطبين بآيات الكتاب، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾³، الأمانات كلّ ما أوتمن عليه الإنسان وأمر بالقيام به. فأمر الله عباده بأدائها أي: كاملة موفرة، لا منقوصة ولا مبخوسة، ولا ممطولا بها، ويدخل في ذلك أمانات الولايات والأموال والأسرار؛ والمأمورات التي لا يطلع عليها إلا الله⁴.

وكذلك الأمانات والعهد لقوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾⁵، أي: إذا أوتمنوا لم يخونوا، بل يؤدونها إلى أهلها، وإذا عاهدوا أو عاقدوا أوفوا بذلك، لا كصفات المنافقين الذين

¹ - سورة البقرة، الآية 282.

² - البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، مرجع سابق، ص 48.

³ - سورة النساء، الآية 58.

⁴ - السعدي، تيسير الكريم الرحمن، المرجع السابق، ص 87.

⁵ - سورة المؤمنون، الآية 08.

قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: "آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان"¹.

أما الأمانة التي عُرضت على البشر عامة فتكتسب أهمية خاصة؛ حيث يحملها الإنسان بلا استثناء، بينما لا يشترك أحد آخر من خلق الله في هذه المسؤولية، وتتجاوز هذه الأمانة المناسبات الخاصة والعامة في سياق التبليغ إذ ترتبط بطبيعة الخلق الذي وُجد عليه الإنسان، وفي القرآن الكريم تم ذكر هذه الفطرة بجمعها مع فطرة الكون بأسره، مشيراً إلى السمات الفريدة التي يتحلى بها الإنسان عندما يتحمل أعباء هذه الفطرة، لقوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾²، يعظم تعالى شأن الأمانة، التي ائتمن الله عليها المكلفين، التي هي امتثال الأوامر، واجتناب المحارم، في حال السر والخفية، كحال العلانية، وأنه تعالى عرضها على المخلوقات العظيمة، السماوات والأرض والجبال، عرض تخيير لا تحميم، وأنت إن قمت بها وأدّيتها على وجهها، فلك الثواب، وإن لم تقومي بها، [ولم تؤديها] فعليك العقاب³. ولقد ذكرت هذه الفطرة في موضع آخر في القرآن الكريم، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾⁴، وفضلهم به من الفضائل التي ليست لغيرهم من أنواع المخلوقات⁵.

ظهر مصطلح "الأمانة" محملاً بمعنى التبعة والعهد والمسؤولية، ويبرز القرآن الكريم أهمية تذكير الإنسان بالأمانة كقيمة أساسية، تتجاوز العلاقات الإنسانية لتشمل الالتزام بالواجبات تجاه الله والآخرين، ويتعامل القرآن الكريم مع مفهوم الأمانة بشمولية ويشدد على أهمية العدالة والالتزام بالواجبات الشرعية، ويؤكد على أهميتها كقيمة أخلاقية أساسية في حياة الإنسان.

¹ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص 342.

² - سورة الأحزاب، الآية 72.

³ - السعدي، تيسير الكريم الرحمن، المرجع السابق، ص 427.

⁴ - سورة الإسراء، الآية 70.

⁵ - السعدي، تيسير الكريم الرحمن، المرجع السابق، ص 289.

الفرع الثالث: سُنّة الإصلاح الآلي القائم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إن مفهوم المعروف لغة من مصدر الفعل الثلاثي عَرَفَ، أي عَرَفَت الشيء مَعْرِفَةً وَعِرْفَانًا، والمعْرُوفُ واحد ضد النَكَرُ: وهو كل ما تعرفه النفس من الخير وتبساً به وتطمئن إليه¹، أما اصطلاحاً فهو كل ما تعرفه النفوس وستحسنه العقول من مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، وهي التي كانت لم تزل مستحسنة في كل زمان وعند أهل كل ملة، فلا تزال كذلك لا يجري عليها النسخ، ولا يجوز فيها التبديل².

أما مفهوم المنكر لغة فهو: من مصدر الفعل الثلاثي نكر. يقال: أَنْكَرَ الشَّيْءُ يُنْكِرُهُ إنْكَارًا فَهُوَ مُنْكَرٌ، وَتَكَرَّرَ يُنْكِرُهُ نُكْرًا فَهُوَ مُنْكَوِّرٌ، وَاسْتَشْكِرُهُ فَهُوَ مُسْتَشْكِرٌ، وَالْجَمْعُ مَنَاكِرٌ³، والمنكر اصطلاحاً ضد المعروف، وهو اسم جامع لكل ما قبحه الشرع وحرمه وكرهه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة⁴.

فمن بين واجبات المسلم الرئيسية التي يلتزم بها لإصلاح مجتمعه وسلامته في الدنيا والآخرة يتمثل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كمبدأ وسيلة أساسية، حيث يُعتبر هذا المبدأ كسفينة النجاة التي توجب على المسلمين أداءها للحفاظ على الخير، فعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا)⁵.

يظهر بوضوح من السياق السابق عظم أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ يعد هذا المفهوم سبيلاً للنجاة والوسيلة الفعالة لتحقيق صلاح المجتمع، ويبرز أيضاً أن الالتزام بهذا الواجب ليس

¹ - الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، د ت، ج 2، ص 121.

² - أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي، غريب الحديث، تح: عبد الكريم إبراهيم الغريباوي، دار الفكر، دمشق، 1982، ج 1، ص 156.

³ - ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، تح: محمود محمد الطناحي، مؤسسة اسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، 2000، ج 5، ص 114.

⁴ - ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، المرجع السابق، ص 114.

⁵ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الشركة، باب: هل يقرع في القسمة...، رقم الحديث (2493) (139/3)، ورواه أحمد في مسنده، مسند الكوفيين، مسند النعمان بن بشير، رقم الحديث (18361) (310/30)، ورواه الترمذي في سننه، كتاب: الفتن رقم الحديث (2173) (40/4)، ورواه البزار في مسنده، مسند النعمان بن بشير، رقم الحديث (3251) (211/8).

مجرد اقتراح بل فرض على المسلمين حيث يشكل وسيلة حيوية لحفظهم من مصادر الضرر والهلاك، ويُظهر القرآن الكريم بوضوح هذه الأهمية من خلال تكرمه لفعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مشيراً إلى أن أمة النبي محمد صلى الله عليه وسلم هي خير الأمم بسبب تميزها بصفات حميدة منها اتساقها مع هذا الواجب الذي يعتبر ركيزة أساسية في بناء المجتمع.

وأظهرت النصوص الشرعية من الكتاب والسنة ضرورة التأكيد على واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو واجب يقع على عاتق كل مسلم، ومع ذلك يختلف تحديد هذا الواجب وفقاً للموقع الذي يشغله الفرد وعلمه وفهمه للدين وكذلك في إطار حدود طاقاته وإمكانياته، ويعد هذا الالتزام ذا أهمية خاصة نظراً للفوائد الجمة التي يجلبها إلى الأمة الإسلامية والتي تساهم في ترقيتها وتميزها بين الأمم، وهناك العديد من الأدلة التي تشير إلى هذا الواقع حيث يمكن الاستشهاد ببعض الأمثلة لتوضيح هذه الفوائد، ففي قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾¹، أي: بالمعروف²، وقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾³، أي: وليكن منكم أيها المؤمنون الذين مَنَّ الله عليهم بالإيمان والاعتصام بجملة ﴿أمة﴾ أي: جماعة ﴿يدعون إلى الخير﴾ وهو اسم جامع لكل ما يقرب إلى الله ويبعد من سخطه ﴿ويأمرُونَ بالمعروف﴾ وهو ما عرف بالعقل والشرع حسنه ﴿وينهون عن المنكر﴾ وهو ما عرف بالشرع والعقل قبحه، وهذا إرشاد من الله للمؤمنين أن يكون منهم جماعة متصدية للدعوة إلى سبيله وإرشاد الخلق إلى دينه⁴، وقوله عز وجل: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾⁵، يأمرُونَ الناس بالإيمان بالله ورسوله⁶، وقوله ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ

¹ - سورة الأعراف، الآية 199.

² - البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، مرجع سابق، ص 176.

³ - سورة آل عمران، الآية 104.

⁴ - السعدي، تيسير الكريم الرحمن، المرجع السابق، ص 63.

⁵ - سورة التوبة، الآية 17.

⁶ - الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المرجع السابق، ص 198.

وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ¹، يعني أنهم يأمرون الناس بالحق في أديانهم، واتباع الرشد والهدى، والعمل وينهونهم عن المنكر، وذلك نهيهم الناس عن كل فعل وقول نهي الله عباده عنه².

ومن السنة النبوية الأحاديث الشريفة فعن طارق بن شهاب قال أول من بدأ بالخطبة يوم العيد قبل الصلاة مروان، فقام إليه رجل فقال: الصلاة قبل الخطبة، فقال: قد ترك ما هنالك، فقال أبو سعيد: أما هذا فقد قضى ما عليه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم - يقول: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان"³، وأما في حديث ثان فعن حذيفة بن اليمان عن النبي صلى الله عليه وسلم - قال: "والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ يَبْعَثُ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يَسْتَجِيبُ لَكُمْ"⁴.

عند استعراضنا لهذه الأحاديث النبوية تعرّفنا على الهدف الذي وراء تشريعات الشريعة الإسلامية وفهم الغاية منها فيما يتعلق بتأمين سلامة الأفراد والمجتمعات في أي مجتمع من مجتمعات البشر، تتضح من خلال هذه الأحاديث الدور الإيجابي الذي يلعبه المسلم وكيف يشكل جزءاً أساسياً في المجتمع الذي يعيش فيه، حيث يكون مصدراً للخير في أي مكان يتواجد فيه، فالأمر بالمعروف لا يقتصر على الجوانب المادية فقط، بل يشمل أيضاً الجوانب الأخلاقية التي تحمل فوائد ونفعاً للإنسان، مثل مساعدة ودعم المحتاج.... الخ وفي حالة عدم قدرة المسلم على تحقيق هذه الأعمال، ويؤكد النبي صلى الله عليه وسلم أن هذا العمل يحل محل الأعمال الخيرية ويعتبر إحدى وسائل التكفير عن الذنوب التي قد يقع فيها المسلم في حق أهله وماله وولده وجيرانه، ويُعتبر نوعاً من أنواع الجهاد في سبيل الله.

فمن خلال ما سبق يتبين لنا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم عوامل نهضة الأمة الإسلامية وتحقيق عزتها ورفعتها وهو سبب خيري يميزها عن غيرها من الأمم، ويجب أن يكون هذا الأمر واجباً على كل مسلم متناسباً مع علمه وفهمه، وداخل حدود طاقاته وإمكاناته، ليكون جزءاً فاعلاً في بناء الأمة، ويعتبر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أساسياً في بناء المجتمع وتحقيق المقاصد الكلية للإسلام مما يضمن صلاحية تطبيقه بين صفوف الأفراد والجماعات في كل زمان ومكان.

¹ - سورة التوبة، الآية 112.

² - الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المرجع السابق، ص 206.

³ - متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، ج 1، ص 69.

⁴ - سنن أبي داود، أبو داود، كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، ج 4، ص 121، وسنن الترمذي، الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ج 4، ص 468. قال أبو عيسى: "هذا حديث حسن".

المطلب الثاني: وحدة العدو:

إن من بين أسباب تشخيص المتاعب التي يتعرض لها الإنسان تبرز في جهله بطبيعة العلاقة بينه وبين إبليس وعدم فهمه لفقه العداء الذي يرتبط بهما، ويفتقر الجاهل للوعي بكيفية استمرار هذه العلاقة التي قد جعلها الله مستمرة طوال حياة الإنسان، وينبغي علينا أن ندرك الحقيقة حول هذه العلاقة؛ إذ تساعد فهمها على تجنب شرورها حيث يقول المثل العام "اعرف لغة عدوك تتقي شره" يلقي الضوء على أهمية فهم العدو وتفاعلاته لتجنب أذاه.

الفرع الأول: علاقة الإنسان بإبليس في القرآن الكريم (سنة الابتلاء القائم على عداوة إبليس):

ورد ذكر إبليس في القرآن الكريم في إحدى عشرة آية من آيات القرآن الكريم¹، وجاء لفظ إبليس في بعض المواضع من الآيات ليدل على عصيانه لأمر الله عز وجل، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾²، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾³، وقال تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾⁴، وكذلك لتذكيره بأصله والطبيعة التي خلق منها لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾⁵، أي: خانه أصله؛ فإنه خلق من مارج من نار⁶.

وهناك مواضع من الآيات ذكر فيها إبليس بوصفه بالشیطان، كقوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾⁷، وذلك أن إبليس أراد أن يدخل ليووس (إلى) آدم وحواء⁸، وقال تعالى: ﴿كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾⁹، يعني: أنه قد أبان لكم عداوته، بإبائه عن السجود لأبيكم، وغروره إياه حتى أخرجه من الجنة، واستنزه بالخطيئة، وأكل من

¹ - محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة، 1364هـ، ص 134.

² - سورة البقرة، الآية 34.

³ - سورة الأعراف، الآية 11.

⁴ - سورة الحجر، الآية 31.

⁵ - سورة الكهف، الآية 50.

⁶ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص 299.

⁷ - سورة البقرة، الآية 36.

⁸ - البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، مرجع سابق، ص 06.

⁹ - سورة البقرة، الآية 168.

الشجرة¹، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾²، أي: إنما حملهم على صنيعهم هذا القبيح وعدوهم عن فعل الطاعة على وجهها الشيطان؛ فإنه سول لهم وأملى لهم، وقارنهم فحسن لهم القبائح³.

والعلاقة بين الإنسان وإبليس هي علاقة صراع منذ القدم؛ فعندما دُعي إبليس للسجود أمام آدم عليه السلام رفض الطاعة واستكبر كما أشارت الآيات السابقة، وإغواء إبليس للإنسان مستمر إلى يوم القيامة باستثناء المتقين الذي ليس له سلطة عليهم لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾⁴، يقول: إنما حجته على الذين يعبدونه، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ يقول: والذين هم بالله مشركون⁵.

وقد أخبرنا الله عز وجل أن مكر إبليس وكيدته ضعيف بالرغم من أنه أوتي الكثير من سبل الإغواء، لقوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾⁶، فالشيطان وإن بلغ مكره مهما بلغ فإنه في غاية الضعف، الذي لا يقوم لأدنى شيء من الحق ولا لكيد الله لعباده المؤمنين⁷، والواجب علينا كما أمرنا الله تعالى الحذر منه لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾⁸، يقول الطبري: فأنزلوه من أنفسكم منزلة العدو منكم واحذروه بطاعة الله واستغشاشكم إياه حذرهم من عدوكم الذي تخافون غائلته على أنفسكم، فلا تطيعوه ولا تتبعوا خطواته⁹.

مما سبق نجد من خلال الآيات القرآنية والتفاسير أن العلاقة بين الإنسان وإبليس تمثل صراعاً دائماً بين الخير والشر، حيث بدأ هذا الصراع منذ خلق آدم عليه السلام واستمر عبر الأجيال، ومع تحذير الله عز وجل للإنسان من خطر إبليس وتحديد قوة مكره، يُشدد على ضرورة أن يكون المؤمن

¹ - الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المرجع السابق، ص 25.

² - سورة النساء، الآية 38.

³ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص 85.

⁴ - سورة النحل، الآية 100.

⁵ - الطبري، المرجع السابق، ص 278.

⁶ - سورة النساء، الآية 76.

⁷ - السعدي، تيسير الكريم الرحمن، المرجع السابق، ص 90.

⁸ - سورة فاطر، الآية 06.

⁹ - الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المرجع السابق، ص 435.

حذرًا ويتقي الله في كل الأمور، فالقوة الحقيقية تأتي من التوكل على الله والابتعاد عن مغريات إبليس، وذلك باتباع الهدى الذي وضعه الله عز وجل في كتابه وبسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

ومنه عداوة إبليس جاءت بأمر من الله وهو العدو الوحيد الذي طلب منا الله عز وجل أن نحذر منه ومن يتبعه في حربه والامتحان في الدنيا أن نتجاوز خطوات الشيطان فلا نتبعه، لذا كان إبليس هو ابتلاء الإنسان الدائم الذي يجب أن يجتهد في النجاح في اجتيازه، لذا كانت سنة وحدة العدو وهي سنة الابتلاء القائم على عداوة إبليس وحزبه.

إن التركيز على عداوة إبليس تجعل المسلمين متيقظين ومتحدين ومتسامحين وهذا ما كان في موقف سيدنا يوسف مع إخوته حينما قال: ﴿نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾¹.

الفرع الثاني: مداخل ووسائل الشيطان:

الشيطان هو العدو الخفي والأشد ضراوة على الناس حيث يسعى بلا كلل لتفكيك الأخلاق والعقائد الإنسانية ويزرع بذور البغض والعداوة بين الناس، فلا عجب أن تتناول الآيات القرآنية مرارًا وتكرارًا خطورة هذا العدو مسلطة الضوء على طرق ووسائل إضلاله وفساده.

أولاً. مداخله: إن من مداخل الشيطان هي سوء الظن فهي إحدى الفخاخ التي ينسجها الشيطان ليقع فيها قلوب العباد حيث يلعب دورًا كبيرًا في تفكيك الجماعات الإنسانية وإفساد العلاقات الاجتماعية، ويشكل هذا الظن السيء عائقًا أمام بناء روابط قوية ويعمل على تقسيم وتفتيت روابط المحبة، في هذا السياق فإن الشيطان يجد الفرصة المثلى لتنفيذ خطته، ويستغل الفراغ الناتج عن انقسام الأفراد ليتمكن من صيد الأفراد واحدًا تلو الآخر، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (مَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَنَالَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ، فَلْيَلْزَمْ الْجَمَاعَةَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ، وَهُوَ مِنَ الْإِثْنَيْنِ أَبْعَدُ)؛ رواه أحمد والترمذي وقال: حسن صحيح غريب²، لذا فالشيطان يبذل جهدًا كبيرًا في تفتيت وتفكيك العلاقات بين الأحباء، ويعمل بجد لخلق الفرقة والانفصال بين القلوب، ومع ذلك فقد تبهنا الرسول صلى الله عليه وسلم إلى هذا المدخل الخبيث من مداخله فقال: (إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا إِخْوَانًا)³، ويقول الله تعالى:

¹ - سورة يوسف، الآية 100.

² - صحيح مجموع طرقة: الترمذي رقم (2165) في «الفتن»، باب ما جاء في لزوم الجماعة، وأخرجه أحمد في «المسند» (1/ 16)، (18)، والحاكم في «المستدرک» وصححه، ووافقه الذهبي والألباني، وصحح إسناده الشيخ أحمد شاکر في التعليق على المسند.

³ - متفق عليه: رواه البخاري رقم (5143) في «النكاح»، باب لا يخطب على خطبة أخيه، ومسلم رقم (2563) في «البر والصلة»، باب تحريم الظن والتجسس.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾¹، نهي الله تعالى عن كثير من سوء الظن بالمؤمنين، ف ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ وذلك، كالظن الخالي من الحقيقة والقرينة، وكظن السوء، الذي يقترب به كثير من الأقوال، والأفعال المحرمة، فإن بقاء ظن السوء بالقلب، لا يقتصر صاحبه على مجرد ذلك، بل لا يزال به، حتى يقول ما لا ينبغي، ويفعل ما لا ينبغي، وفي ذلك أيضًا، إساءة الظن بالمسلم، وبغضه، وعداوته المأمور بخلاف ذلك منه².

وقال عز وجل: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَأْنَفْسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾³، إن الآية أصل في أن درجة الإيمان التي حازها الإنسان؛ ومنزلة الصلاح التي حلها المؤمن، ولبسة العفاف التي يستتر بها المسلم لا يزيلها عنه خبر محتمل وإن شاع، إذا كان أصله فاسداً أو مجهولاً⁴.

إن سوء الظن هو إحدى مداخل الشيطان التي يستغلها لتفتيت العلاقات الإنسانية وتحطيم الجماعات، فيعمل الشيطان جاهداً على زرع بذور الشك والتشكيك في قلوب الناس مما يؤدي إلى تفكيك الوحدة والتضامن، والواجب علينا أن نتجنب هذا الفخ الخبيث ونتبع نصائح الرسول صلى الله عليه وسلم في تجنب الظن السيئ والتجسس والتحسس والتباغض، ولنقم بتعزيز التواصل الإيجابي والثقة بيننا ولنكن حذرين من الشائعات والافتراءات، ولنكن إخوة في الله، ولنعمل معاً على تعزيز التلاحم والوحدة، متجاوزين أي اعتراضات أو سوء ظن قد يحاول الشيطان زرعها في قلوبنا، وذلك بالتواصل الفعال والثقة المتبادلة حيث يمكننا بناء مجتمع يسود فيه الخير والسلام.

ومن مداخل الشيطان الغفلة عن النعم فعدم شكر النعم هو هدف آخر من أهدافه يسعى إلى تحقيقه، يقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا تَأْنِيهِمْ مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾⁵، أي: من جميع الجهات والجوانب ومن كل طريق يتمكن فيه من إدراك بعض مقصوده فيهم، ولما علم الخبيث أنهم ضعفاء قد تغلب الغفلة على كثير منهم، وكان جازماً ببذل مجهوده على إغوائهم، ظن وصدق ظنه فقال: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ فإن القيام بالشكر من سلوك

¹ - سورة الحجرات، الآية 12.

² - السعدي، تيسير الكريم الرحمن، المرجع السابق، ص 517.

³ - سورة النور، الآية 12.

⁴ - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المرجع السابق، ج 13، ص 351.

⁵ - سورة الأعراف، الآية 17.

الصراط المستقيم، وهو يريد صدهم عنه، وعدم قيامهم به، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ وإنما نهى الله على ما قال وعزم على فعله، لناخذ منه حذرنا ونستعد لعدونا، ونختار منه بعلمنا، بالطريق التي يأتي منها، ومداخله التي ينفذ منها، فله تعالى علينا بذلك، أكمل نعمة¹.

وفي هذا الصد ذكر سيد قطب حول هذه الآية فقال: "ويجيء الشكر تنسيقاً مع ما سبق في مطلع السورة: ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾²، لبيان السبب الحقيقي في قلة الشكر، وكشف الدافع الحقيقي الخفي من حيولة إبليس دونه وقعوده على الطريق إليه ليستيقظ البشر للعدو الكامن الذي يدفعهم عن الشكر والهدى³.

مما سبق نجد أن إحدى وسائل الشيطان هي أنه يستغل هذه الغفلة ليحقق هدفه في صرف الإنسان عن شكر الله والاعتراف بنعمه، ويذكرنا الله عز وجل في القرآن الكريم بأهمية الشكر والاستغفار ويحذرنا من الغفلة التي تجعل الإنسان ينسى نعمه، فالشيطان يعلم جيداً أن الإنسان الغافل عن نعم الله قد ينجر إلى الكفر بالشكر ويصبح من أهل السعير، لذا فلنكن من الشاكرين ولنحرص على الوقوف مستيقظين أمام نعم الله ولنكن على يقين بأن شكر الله يزيد في النعم ويؤمننا برحمته، ولنتجنب فخ الغفلة الذي يمكن أن يقودنا إلى الضلال والابتعاد عن سبيل الله.

ثانياً. وسائله: يسعى الشيطان بجهد كبير لإغواء الإنسان وإيقاعه في الخطأ والضلال، وكذلك يعمل جاهداً على جعل عودة الإنسان إلى الله تعالى صعبة ويحاول منعهم من التوبة الصادقة إليه، ويستخدم وسائل متعددة لتحقيق هذا الهدف منها:

1- الوسوسة: تعتبر الوسوسة من بين أقدم الأساليب التي يستخدمها الشيطان وهي الوسيلة التي استخدمها لأول مرة مع آدم وحواء لإخراجهما من الجنة، كما ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾⁴، فلم يزلَا ممتثلين لأمر الله، حتى تغلغل إليهما عدوهما إبليس بمكره، فوسوس لهما وسوسة خدعهما بها⁵.

¹ - السعدي، تيسير الكريم الرحمن، المرجع السابق، ص 152.

² - سورة الأعراف، الآية 10.

³ - سيد قطب، القرآن الكريم - في ظلال القرآن، المرجع السابق، ج 2، ص 1267.

⁴ - سورة الأعراف، الآية 20.

⁵ - السعدي، تيسير الكريم الرحمن، المرجع السابق، ص 320.

2- تزيين المعصية: الشيطان يعمل جاهداً على تزيين المعصية عند الإنسان محاولاً جعلها تبدو مغرية رغم حقيقة الضرر الذي قد تسببه، مثال على ذلك يأتي من قصة آدم وحواء، حيث زين الشيطان الشجرة المحرمة ووعدهما بأنها ستمنحهما الخلود إذا أكلا منها، قال تعالى ﴿فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾¹، يقول: قال له: هل أدلك على شجرة إن أكلت منها خلدت فلم تمت، وملكت ملكاً لا ينقضي فيبلى².

3- التسويف وطول الأمل: التسويف وطول الأمل هما وسيلتان يستعملهما الشيطان لخداع الإنسان، حيث يغريهم بتأجيل التوبة ويخلق في قلوبهم الشعور بأن لديهم الكثير من الوقت للتوبة في المستقبل، ويوهم الإنسان بأن لديه حياة طويلة تنتظره، وبالتالي لا داعي للعجلة أو الإسراع إلى التوبة، ومن خلال هذا الخداع يتمكن الشيطان من إبعاده عن الطريق الصحيح وتأجيل تحقيق التوبة، مما يؤدي إلى زيادة انغماسه في الذنوب والخطايا، لقوله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْهَوَى وَطُولُ الْأَمَلِ)³.

4- التئیس من رحمة الله: إرهابات اليأس من رحمة الله تعالى تعتبر من أبرز وسائل الشيطان لإلهاء الإنسان عن التوبة والعودة إلى طريق الله، يقدم الشيطان أفكاراً توهمه بأن ذنبه لا يمكن أن يغفر، وأنه قد وصل إلى مرحلة لا رجوع فيها إلى الله، وأن الله لن يتقبل توبته، وهذه الأفكار ليست إلا وساوس من الشيطان، تهدف إلى زعزعة إيمانه وثقته برحمة الله وتضعيف إرادته في العودة إلى الله، إذ قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾⁴، أي: لا تيأسوا منها، فتلقوا بأيديكم إلى التهلكة، وتقولوا قد كثرت ذنوبنا وتراكمت عيوبنا، فليس لها طريق يزيلها ولا سبيل يصرفها، فتبقون بسبب ذلك مصرين على العصيان، متزودين ما يغضب عليكم الرحمن، ولكن اعرفوا ربكم بأسمائه الدالة على كرمه وجوده، واعلموا أنه يغفر الذنوب جميعاً من الشرك، والقتل، والزنا، والربا، والظلم، وغير ذلك من الذنوب الكبار والصغار⁵.

¹ - سورة طه، الآية 120.

² - الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المرجع السابق، ص 320.

³ - رواه الألباني، في السلسلة الضعيفة، عن جابر بن عبد الله، الصفحة أو الرقم: 2177.

⁴ - سورة الزمر، الآية 53.

⁵ - السعدي، تيسير الكريم الرحمن، المرجع السابق، ص 464.

المطلب الثالث: سُنن الوحدة القائمة على تقبل الاختلاف:

الوحدة في الاختلاف هي مبدأ أساسي يعززه القرآن الكريم، حيث يؤكد على أهمية تفهم واحترام التنوع في جميع جوانب الحياة البشرية، ويظهر هذا المفهوم في مختلف الجوانب بما في ذلك الاختلاف في الجنس والعرق، وكذلك الفكر والمعتقدات، من خلال التأمل في آيات القرآن الكريم نجد أن الله عز وجل يدعو البشرية إلى التفكير في وحدتهم كبشر بغض النظر عن اختلافاتهم في الجنس والعرق.

الفرع الأول: الوحدة في اختلاف الجنس والعرق:

الاختلاف لغة وهو يطلق على المضادة، وهو نقيض الاتفاق¹، أما اصطلاحاً فهو علم يعرف به كيفية إيراد الحجج الشرعية، ودفع الشبهات، وقوادح الأدلة الخلافية، بإيراد البراهين². والله عز وجل جعل في البشر اختلافًا وهذا ما تضمنته الآيات في القرآن الكريم، فجعل كل أمة تتميز بثقافتها الخاصة ولغتها المميزة، بالإضافة إلى اختلافات في لون الجنس والعرق، وتعتبر هذه الاختلافات البيولوجية والثقافية دليلاً على إبداع الخالق وعظمته في تشكيل التنوع البشري، مما يبرز قدرته الفائقة في الخلق والتنوع المتنوع في الخصائص والطبائع.

ومن الآيات التي تطرقت إلى الاختلاف بين الناس في الجنس والعرق قوله عز وجل: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾³، اختلاف ألسنتكم وألوانكم اللسان في الفم ؛ وفيه اختلاف اللغات: من العربية والعجمية والتركية والرومية . واختلاف الألوان في الصور: من البياض والسود والحمرة؛ فلا تكاد ترى أحداً إلا وأنت تفرق بينه وبين الآخر. وليس هذه الأشياء من فعل النطفة ولا من فعل الأبوين؛ فلا بد من فاعل، فعلم أن الفاعل هو الله تعالى؛ فهذا من أدل دليل على المدبر الباري. إن في ذلك لآيات للعالمين أي للبر والفاجر. وقرأ حفص: للعالمين بكسر اللام جمع عالم⁴.

¹ - انظر: ابن منظور، لسان العرب، المرجع السابق، ج 09، ص 90، مادة (خلف).

² - عبد القادر بن أحمد بدران، المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1401هـ، ص 450.

³ - سورة الروم، الآية 22.

⁴ - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المرجع السابق، ج 13، ص 406.

ونجد في قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ¹، يخبر تعالى أنه خلق بني آدم، من أصل واحد، وجنس واحد، وكلهم من ذكر وأنثى، ويرجعون جميعهم إلى آدم وحواء، ولكن الله [تعالى] بث منهما رجالاً كثيراً ونساءً، وفرقهم، وجعلهم شعوباً وقبائل أي: قبائل صغاراً وكباراً، وذلك لأجل أن يتعارفوا، فإنهم لو استقل كل واحد منهم بنفسه، لم يحصل بذلك، التعارف الذي يترتب عليه التناصر والتعاون، والتوارث، والقيام بحقوق الأقارب، ولكن الله جعلهم شعوباً وقبائل، لأجل أن تحصل هذه الأمور وغيرها، مما يتوقف على التعارف، ولحوق الأنساب، ولكن الكرم بالتقوى، فأكرمهم عند الله، أتقاهم، وهو أكثرهم طاعة وانكفافاً عن المعاصي، لا أكثرهم قرابة وقوماً، ولا أشرفهم نسباً، ولكن الله تعالى عليم خبير، يعلم من يقوم منهم بتقوى الله، ظاهراً وباطناً، ممن يقوم بذلك، ظاهراً لا باطناً، فيجازي كلا، بما يستحق².

وقال عز وجل: ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ﴾ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ³، ومن ذلك: الناس والدواب، والأنعام، فيها من اختلاف الألوان والأوصاف والأصوات والهيئات، ما هو مرئي بالأبصار، مشهود للنظر، والكل من أصل واحد ومادة واحدة، فتفاوتها دليل عقلي على مشيئة الله تعالى، التي خصصت ما خصصت منها، بلونه، ووصفه، وقدرة الله تعالى حيث أوجدها كذلك، وحكمته ورحمته، حيث كان ذلك الاختلاف، وذلك التفاوت، فيه من المصالح والمنافع، ومعرفة الطرق، ومعرفة الناس بعضهم بعضاً، ما هو معلوم⁴.

مما سبق يمكن استنتاج أن إرادة الله تعالى تجسدت في تنوع البشرية، حيث خلق الله الناس بأشكال وأعراق مختلفة ولغات متنوعة وألوان مختلفة، وجعلها سنة من سُنن خلقه وأمرنا بالتعارف والاجتماع، مما يعكس إبداعه الفائق وعظمته في تشكيل التنوع البشري، ويؤكد هذا التنوع على أهمية التعايش والتعارف بين الشعوب والأمم لتعزيز الفهم المتبادل والتعاون، وعلى الرغم من هذا التنوع يظهر أن وحدة الإنسانية محفوظة حيث يجسد هذا التنوع معنى الأخوة الإنسانية الجامعة والتعاون بين الناس، بالإضافة إلى ذلك يبرز لنا أهمية حرية الاختيار التي أعطاها الله للبشر بين الهداية والضلال، مما يعكس مبدأ التنوع والحرية في الخلق.

¹ - سورة الحجرات، الآية 13.

² - السعدي، تيسير الكريم الرحمن، المرجع السابق، ص 517.

³ - سورة فاطر، الآية 28.

⁴ - السعدي، نفسه، ص 437.

الفرع الثاني: الوحدة في اختلاف الفكر:

يُعد الاختلاف كما أشرنا سابقاً بأنه سُنّة اجتماعية، إذ يتجذر جذوره في عمق النفس البشرية، حيث قدر الله سبحانه الاختلاف بين بني آدم وجعله جزءاً أساسياً من خلقتهم، والقرآن الكريم يدعو لحماية الفكر من خلال آياته وأحكامه وأخلاقه المتجسدة التي تدعو إلى هاته القيم، يقول عز وجل: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۚ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾¹، أي: ولا يزال الخلف بين الناس في أديانهم واعتقادات مللهم ونحلهم ومذاهبهم وآرائهم²، القرآن الكريم يأتي بدعوة صريحة ومقصودة للتفكر، لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُ بِوَاحِدَةٍ ۚ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ ثَمَرٍ مُّثْقَلٍ ۚ وَفِرَاقُكُمْ شَتَّىٰ ۚ مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ حِجَّةٍ ۚ إِنَّهُ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾³.

قال الزمخشري في معنى هذه الآية: "إنما أعظمكم بوحدة إن فعلتموها أصبتم الحق، وتخلصتم، وهي أن تقوموا لوجه الله خالصا متفرقين اثنين اثنين وواحدًا واحدًا، (ثم تتفكروا) في أمر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به، أما الاثنان فيفكران ويعرض كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه، وينظران فيه نظر متصادقين متناصفين، ولا يميل بهما اتباع هوى ولا ينبض لهما عرق عصبية حتى يهجم بهما الفكر الصالح والنظر الصحيح على جادة الحق وسننه، وكذلك الفرد يفكر في نفسه بعدل ونصفه من غير أن يكابرها، ويعرض فكره على عقله وذهنه، وما استقر عنده من عادات العقلاء ومجاري أحوالهم، والذي أوجب تفرقهم مثنى وفردى أن الاجتماع مما يشوش الخواطر ويعمي البصائر ويمنع من الروية ويخلط القول، ومع ذلك يقل الإنصاف ويكثر الاعتساف ويثور عجاج التعصب ولا يسمع إلا نصره المذهب"⁴.

ونعمة البيان هي إحدى أعظم نعم الله التي وهبها الله للإنسان، والتي تميزه عن سائر المخلوقات، قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾⁵، جاء في تفسير أبي السعود لهذه

¹ - سورة هود، الآية 118.

² - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، المرجع السابق، ص 235.

³ - سورة سبأ، الآية 46.

⁴ - الزمخشري أبو القاسم، جار الله محمود بن عمر، الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، د ط، د ت، ج 03، ص 294.

⁵ - سورة الرحمن، الآية 04.

الآيات والبيان هو التعبير عما في الضمير وليس المراد بتعليمه مجرد تمكين الإنسان من بيان نفسه بل منه ومن فهم بيان غيره أيضا إذ هو الذي يدور عليه تعليم القرآن¹.

وتعليم الله تعالى للإنسان البيان إنما كان بما أودع الله في ابن آدم علم جميع الأشياء من غير تحديد ولا تعيين، فالمراد بالأسماء المسميات عبر عن المدلول بالدليل لشدة الصلة بين المعنى واللفظ والموضوع له وسرعة الانتقال من أحدهما إلى الآخر².

"ومعنى تعليمه تعالى إياه أن يخلق فيه إذ ذاك بموجب استعداده علما ضروريا تفصيليا بأسماء جميع المسميات وأحوالها وخواصها اللائقة بكل منها، أو يُلقى في روعه تفصيلا أن هذا فرس وشأنه كيت وكيت وذاك بعير وحاله زيت وزيت إلى غير ذلك من أحوال الموجودات فيتلقاها عليه السلام حينما يقتضيه استعداده وتستدعيه قابليته المتفرعة على فطرته المنطوية على طبائع متباينة وقوى متخالفة وعناصر متغايرة"³.

والقرآن الكريم يذكر التفكير "ويعبر عنه بكلمات متعددة تشترك في المعنى أحيانا وينفرد بعضها بمعناه على حسب السياق أحيانا أخرى، فهو الفكر والنظر والبصر والتدبر والاعتبار والذكر والعلم وسائر هذه الملكات الذهنية التي تتفق أحيانا في المدلول، ولكنها لا تستفاد من كلمة واحدة تغني عن سائر الكلمات الأخرى"⁴.

وتكمن أهمية التفكير في أنه: "وسيلة لمعرفة ما في الكون من حقائق وسنن وقوانين، فالآيات التي تشمل على وصف حوادث الطبيعة ومشاهدها وأنواع المخلوقات الموجودة فيها أكثر ما تكون مبتدأة ومختتمة بما يدل على التفكير"⁵.

وتظهر أهمية اللغة كوسيلة للتفكير إذا نظر إليها باعتبارها رموزا للمفاهيم، التي هي من أهم مكونات التفكير، فالإنسان يفكر من خلال المفاهيم والمعاني الكلية، وهذا ما جعل الإنسان قادرا على تناول جميع الأشياء في تفكيره بطريقة رمزية، فهو يستطيع عن طريق اللغة أن يميز بين المفاهيم ويقارن

¹ - أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، تح: عبد القادر أحمد عطا، د ط، دار الفكر، بيروت، 1981، ص 242.

² - رضا محمد رشيد، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، دار المعرفة، بيروت، ط 2، د ت، ص 262.

³ - أبو السعود، تفسير أبي السعود، المرجع السابق، ص 147.

⁴ - العقاد عباس محمود، التفكير فريضة إسلامية، نخبة مصر للطباعة، القاهرة، د ط، د ت، ص 9.

⁵ - المبارك محمد، الإسلام والفكر العلمي، بيروت، ط 1، 1978، ص 37.

بينها، كما يستطيع اكتشاف العلاقات التي تربطها، والمبادئ والقوانين التي تحكمها، وهذا ما ساعد على سرعة البحث العلمي وتقدمه¹.

والإنسان يحتاج إلى اللغة في كل عملياته العقلية، فهو يستخدمها في التخيل والتذكر، والتفقه، والتدبر، كما يربط خبراته الماضية بحاضره، ويستنتج من كل ذلك ما يجب عليه أن يفعله في مواجهة ما يعترضه من مشكلات وما التفكير إلا استخدام للرموز من خلال العمليات العقلية المختلفة².

كما أن اللغة هي وسيلة الإنسان في نقل الخبرات الماضية إلى الأجيال اللاحقة، ويضيف الإنسان ما اكتشفه من معلومات جديدة إلى رصيده من المعلومات السابقة ويعيد تنظيم المعلومات وتبويبها ليصل إلى معلومات ومفاهيم جديدة، وهذا هو الإحساس في كل تقدم علمي وصل إليه الإنسان³.

وتأثير الفكر في اللغة تأثير متبادل، فالتفكير يطور اللغة ويرقيها لتكون قادرة على استيعاب هذا الفكر المتطور، فالفكر البشري لا يقف عند حد وهو يسعى دائما إلى الكمال، وهو يحتاج في مسيرته إلى لغة سامية تعبر عنه كما أن اللغة عامل مهم في تنظيم التفكير وتيسيره وتوضيحه⁴.

لا شك أن التفكير المقصود الهادف هو التفكير الذي يؤدي إلى نتائج إيجابية في حياة الفرد وحياة الجماعة، وهذا التفكير لا يحدث إلا إذا قام الفرد بتوجيه انتباهه توجيهها مقصودا نحو الموضوع الذي يريد أن يفكر فيه وإلا سيقع في الغفلة التي نهي الله عنها ووصف بها المشركين المعرضين عن آياته قال الله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾⁵.

ويفرق بعض الباحثين⁶ بين نوعين من الانتباه: انتباه استسلامي لا إرادي ينتقل فيه الشخص بين أشياء كثيرة دون غرض، وانتباه نشط فعال، يتركز في شيء معين دون سواه، ويتصف بانحرافه عن كل ما لا علاقة له بالشيء الذي يتركز فيه.

¹ - انظر: نجاتي محمد عثمان، القرآن وعلم النفس، دار الشروق القاهرة، ط 5، 1984م، ص 144.

² - انظر: بدري مالك، التفكير من المشاهدة إلى الشهود، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط 2، 1992، ص 26.

³ - نجاتي، القرآن وعلم النفس، المرجع السابق، ص 124.

⁴ - انظر: حماد أحمد عبد الرحمن، العلاقة بين اللغة والفكر، د ط، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1985، ص 31.

⁵ - سورة الأعراف، الآية 146.

⁶ - جعفر نوري، التفكير طبيعته وتطوره، بغداد، ط 2، 1977، ص 146.

ولا شك أن هناك اختلافات بين الناس في قدرتهم على التركيز، تعود إلى خصائص الجهاز العصبي الذي وهبه الله للإنسان، فهناك فريق من الناس يضخم التكوين الشبكي من الإشارات العصبية التي ترسلها الأعضاء الحسية إلى الدماغ، فيتمتع الفرد بقدرة كبيرة على التركيز، بينما تقوم الألياف العصبية لدى فريق آخر بكف الإشارات والنبضات العصبية المرسلّة إلى الدماغ والتخفيف منها، وهؤلاء أقل قدرة على التركيز من الفريق الأول، إلا أن غالبية الناس متوسطين بين الفريقين¹.

ولتدريب الانتباه على التركيز دور كبير في تنمية التفكير ويمكن أن يتم ذلك بأن يعتاد المرء تنفيذ جميع الأمور بكل انتباه مهما كانت هذه الأمور بسيطة، وذلك أمر إرادي يتم بسيطرة الإنسان على نشاطه الذهني وتوجيهه الوجهة الصحيحة في جميع الظروف².

والقرآن الكريم يستخدم أساليب متنوعة لإثارة التفكير، من ذلك ما جاء في بدايات بعض السور من حروف مقطعة، فإن لتصدير السور بهذه الحروف جذب الأنظار المعرضين عن هذا القرآن، إذ تطرق أسماعهم لأول وهلة ألفاظ غير مألوفة في مخاطبتهم، فينتبهوا إلى ما يلقي إليهم من آيات بينات³. والقرآن الكريم حرص على جلب انتباه البشر إلى ما ألقوه، إذ يدرك أن الإنسان في كثير من الأحيان قد يتعود على المألوف والمتكرر بحيث لا ينتبه إليه أو يشعر بالإثارة نحوه، حيث يكون الارتياح الشديد عائقاً يحجب عن الإنسان فهم ما هو أهم وملهم للتفكير والانتباه.

وقد كان استدلال القرآن على الحقيقة الكبرى في هذا الوجود، وهي وجود الله تعالى، ومن عالم الحس والشهادة، فقد عرض القرآن الكريم مشاهد الكون ومظاهر الطبيعة عرضاً شاملاً، فعرض الطبيعة بأرضها وسماؤها، وبرها وبحرها، وصحرائها وخضرائها، وشموسها وأفلاكها..، وذلك للانتقال منها إلى الخالق، والتعرف على ما تحمله من دلالات جازمة على وجود الله تعالى، وما يتصف به من صفات الكمال، وأيا كانت البيئة التي يعيش فيها الإنسان، وأيا كانت المشاهد الكونية التي تقع تحت حسه، فإنه يجدها في القرآن ويجد فيها الدلالة القاطعة على وجود الله ووجوب الإيمان به⁴.

وقد شاءت مشيئة الله تعالى أن يخلق الناس بأذهان وفهم متنوعة مصحوبة بتباين في الألسنة والألوان والتصورات والأفكار، فإذا كانت اختلاف ألواننا وألستنا ومظاهر خلقنا علامة من آيات الله فإن اختلاف مداركنا وأفكارنا وما تنتجه من ذلك من معارف وافتراضات تُعدُّ أيضاً من آيات الله عز

¹ - بدري، التفكير من المشاهدة إلى الشهود، المرجع السابق، ص 89-91.

² - انظر: جعفر، التفكير طبيعته وتطوره، المرجع السابق، ص 143.

³ - انظر: الصابوني محمد علي، صفوة التفسير، دار الصابوني، القاهرة، ط 1، 1997، ص 25.

⁴ - زرزور عدنان محمد، دراسات في الفكر الإسلامي، مكتبة الفلاح، الكويت، ط 1، 1986، ص 86.

وجل ودليلاً على قدرته العظيمة، وبالتالي فإن إعمار الكون وازدهار الوجود وقيام الحياة لم يكن ممكناً لو خُلِقَ البشر على نحوٍ متجانس في كل شيء فكل ميسر لما خُلِقَ له ووُجِدَتْ له أسبابه وعوامله.

فاختلاف وجهات النظر وطريقة التفكير في الأمور هي رحمة متكاملة يجعل المرونة في الشريعة الإسلامية وآفاق النظرة الإسلامية التي تتميز بالشمولية والتي تتطلب سعة المدارك وتنوع وجهات النظر بعيداً عن الثوابت العقدية طبعاً، ففي قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنًا وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾¹، حيث كلمة "أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنًا وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا" فهنا الإسلام يدعوا إلى التفكير والنظر وجمع هذه الآراء للوصول إلى الحق وهنا نصل إلى أن الوحدة في الوصول إلى الحق هو تعدد النظر، ومنه القرآن يؤسس إلى قبول اختلاف الفكر على شريطة بُغْيَةِ الحق لا الجدال العقيم أو المتعصب وعلى أساسه باختلاف الفكر سُنَّة من سُنن الله في خلقه.

المطلب الرابع: الوحدة الاجتماعية في الجانب التشريعي:

تعتبر الوحدة الاجتماعية في العبادات وتطبيق الأحكام جوانب أساسية في الإسلام تعكس قيم الاتحاد والتضامن بين المسلمين، فالعبادات تشكل الشريان الحيوي للتواصل والتلاحم بين أفراد المجتمع الإسلامي، أما فيما يتعلق بتطبيق الأحكام فتبرز العدالة والمساواة كمبادئ أساسية في الإسلام، فجميع المسلمين متساوون أمام الشريعة الإسلامية، حيث تُطبَّق الأحكام على الجميع بنفس القوانين والمعايير دون تفرقة بين أعضاء المجتمع، مما يعزز الشعور بالوحدة والعدالة الاجتماعية بين المسلمين.

الفرع الأول: الوحدة في العبادات (سُنَّة الوحدة القائمة على العبادات):

إن الوحدة الإسلامية سواء شاء المسلمون ذلك أو لم يشاءوا تتجسد بينهم في العديد من المظاهر والعبادات، يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾²، قوله عز وجل: (إن هذه أمتكم) أي ملتكم ودينكم، (أمة واحدة) أي ديناً واحداً وهو الإسلام فأبطل ما سوى الإسلام من الأديان وأصل الأمة الجماعة التي هي على مقصد واحد فجعلت الشريعة أمة واحدة لاجتماع أهلها على مقصد واحد ونصب أمة على القطع (وأنا ربكم فاعبدون)³.

¹ - سورة سبأ، الآية 46.

² - سورة الأنبياء، الآية 92.

³ - البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، مرجع سابق، ص 330.

توضح الآية ومثيلاها العديد من الأدلة على أن وحدة الأمة الإسلامية هي الأساس الذي ينبغي للمسلمين الالتزام به، فهي تمثل الحصن القوي الذي يجب على المسلمين المحافظة عليه، وإن التمسك بالوحدة يجعل الأمة الإسلامية قوية ومتماسكة وتكون مرهوبة في عيون الأعداء والمتآمرين عليها، فالوحدة تُعتبر الدرع الحصين الذي يحمي المسلمين ويضمن لهم حياة مليئة بالكرامة والاستقلال والإرادة المتحررة من أي ضغوطات داخلية أو خارجية، وتقوم هذه الوحدة على شعار "لا إله إلا الله، محمد رسول الله"، الذي يجمع المسلمين على قاعدة واحدة تجمعهم وتوحدهم بغض النظر عن اختلافاتهم. وإذا أردنا أن نلقي نظرة سريعة على ما يجمع المسلمين ويوحدهم في العبادات، نجد أن الوحدة تتجلى في عدة جوانب من حياتهم اليومية وممارساتهم الدينية، ونذكر منها:

1- القرآن الكريم: ويعتبره جميع المسلمين على اختلاف مذاهبهم وعقائدهم ومسالكهم الفقهية معجزة نبينا الخالدة، ويقرون بأنه لا زيادة فيه ولا نقصان بل هو الذي أنزله الله على نبينا صلى الله عليه وسلم، وهو الذي يتلون في بيوتهم ويقرؤون به في مساجدهم وفي العديد من جوانب حياتهم، ويحفظه المسلمون ويتغنون به ويعتبرونه مصدر التشريع في دينهم لجميع أمور حياتهم، فهو الكتاب الذي يستمدون منه الإرشاد والتوجيه في كل شأن.

يقول الله تعالى في كتابه الكريم ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ۚ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرْعَةً وَمِنْهَا جَا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لَيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۚ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۖ﴾¹، يقول تعالى: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ) الذي هو القرآن العظيم، (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً) تبعا لشريعة واحدة، لا يختلف متأخروها و[لا] متقدمها².

2- الصلاة: وهي الفريضة التي تجمع المسلمين في مساجدهم يوميًا ثلاث مرات على الأقل، عند الفجر والظهر والمغرب من كل يوم، وتعدّ ركناً أساسياً في حياة المسلمين، فعند النظر إلى مختلف بلدان المسلمين نجد أن المساجد تمتلئ في هذه الأوقات الثلاث بالمصلين، حيث يقفون جماعات متجمعة، ويصلون إلى رب واحد وخالق واحد، موجّهين نحو قبلة واحدة وهي "الكعبة المشرفة"، ولا يُلاحظ أحد يتجه إلى غير "الكعبة" في صلاته، مما يبرز الوحدة الجماعية والتضامن في عبادة الصلاة، وهذا المظهر

¹ - سورة المائدة، الآية 42.

² - السعدي، تيسير الكريم الرحمن، المرجع السابق، ص 116.

للمسلمين في وحدة أوقات صلواتهم وفي وحدة قبلتهم يجب أن يكون سبباً للفخر والاعتزاز بالانتماء إلى هذا الدين العظيم، الذي يوحدنا أينما كنا في العالم من خلال هذه الشعيرة العظيمة.

يقول الله تعالى في كتابه الكريم ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾¹، فحين يتجه المسلمون باتجاه قبلة واحدة ويتحدون في جميع أنحاء الأرض في عبادتهم وعقيدتهم وقبلتهم، وكأنهم جسد واحد، فهي من أعظم أسباب ثبات المسلم في المحن².

3- الحج: يتوافد المسلمون إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج، الفريضة الإلهية العظيمة، حيث يأتون من جميع أنحاء العالم ليعيشوا تجربة وحدة كاملة وشاملة تمتد على مدار عدة أيام أثناء إقامة الشعائر، وتتجلى عظمة الإسلام في اثنين من أروع مظاهر فريضة الحج: "الطواف حول الكعبة" و"الوقوف في جبل عرفات"، ويقف الحجاج موقفاً واحداً وموحداً، يتהלون إلى الله ويتضرعون ليغفر لهم ذنوبهم في ذلك المكان المقدس، يرتدي الجميع لباساً موحداً ملوناً بالأبيض، مما يخلق منظراً مهيباً وجميلاً ورائعاً، يعكس قوة ووحدة المسلمين.

ومن مظاهر وحدة المسلمين في الحج:

✓ **الوحدة في الأصل الإنساني:** وذلك بغض النظر للحدود الجغرافية التي تفصل الشعوب والأمم، لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾³.

✓ **وحدة المسلمين في الحج بالزمان والمكان:** فقد قال عز وجل: ﴿الْحُجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾⁴، وأيضاً في قوله: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلْبَ﴾⁵.

¹ - سورة البقرة، الآية 43.

² - إسحاق السعدي، دراسات في تميز الأمة الإسلامية وموقف المستشرقين، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط 01، 2013، ج 02، ص 257-259.

³ - سورة الحجرات، الآية 13.

⁴ - سورة البقرة، الآية 197.

⁵ - سورة المائدة، الآية 97.

✓ وحدة المسلمين في شرائع الحج: تظهر وحدة المسلمين بشكل بارز في شرائع الحج وشعائره، حيث يقومون بأداء الفريضة بوحدة وتلاحم، من خلال مثل الطواف والسعي والنداء، دون وجود أي اختلاف أو تناقض بينهم.

4- شهر رمضان، شهر الصيام والذي تظهر فيه عظمة الإسلام ومكانته في قلوب المسلمين في كافة أنحاء العالم بشكل واضح، وتترنن الدول الإسلامية بمساجدها وساحاتها وشوارعها وبيوتها بكل ما يشير إلى هذا الشهر الفضيل، الذي يمارس فيه المسلمون عبادة الصوم لله عز وجل في زمان واحد مما يلخص وحدتهم في عبادة الصوم، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (الصوم يوم يصوم الناس، والفطر يوم يفطر الناس، والأضحى يوم يضحى الناس)¹، وعندما ينتهي الصيام ويأتي يوم العيد يحتفل المسلمون بهذه المناسبة بفرح مبتهجين بأن الله قد وفقهم لصوم نهاره وقيام ليله، وفي هذا اليوم العظيم يدعو المسلمون بقلوب ملؤها الشكر والامتنان: "اللهم إني أسألك في هذا اليوم "العيد" الذي جعلته للمسلمين عيداً، ولمحمد شرفاً وذخراً ومزيداً....".

وشهر رمضان تبرز فيه قيمة الوحدة بين المسلمين، وهذه الوحدة والتضامن تكون مع إخوانهم وأخواتهم المسلمين، وهذا يعزز الروابط الاجتماعية والروحانية بينهم، كما يذكرهم الصوم بأهمية التقوى والصبر والتعاطف مع الفقراء والمحتاجين، مما يعزز الروح الوحدوية في المجتمع ويجعلهم يشعرون بالتلاحم والتكافل الاجتماعي.

ونستنتج مما سبق أن العبادات تشكل جسراً قوياً يربط بين قلوب المسلمين، حيث يتجلى فيها التضامن والتلاحم الاجتماعي بينهم، فمن خلال القرآن الكريم والصلاة وفريضة الحج وشهر رمضان وغيرها من العبادات يبرز توحيد الأمة الإسلامية في ممارساتها الدينية وهذا يعكس قوة الروابط الروحانية والاجتماعية بين المسلمين، فالوحدة في العبادات ليست مجرد توحيد في العقيدة بل هي تجسيد لروح التضامن والتكافل بين أفراد الأمة الإسلامية مما يعزز الروابط الاجتماعية ويعمق الانتماء الديني لدى المسلمين.

¹ - وهبة بن مصطفى الزُّحَيْلِي، الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر، دمشق، 1985، ج 03، ص 1659.

الفرع الثاني: الوحدة في تطبيق الأحكام (سنة الوحدة القائمة على العدل والمساواة):

تعد العدالة والمساواة من القيم الأساسية التي تركز عليها الشريعة الإسلامية، وتحظى بأهمية كبيرة في الفهم الإسلامي للعدل والإنصاف، فهي قيم تتجاوز البعد السياسي لتكون أساساً أخلاقياً ودينياً يحث على تعامل الناس بالمساواة وتحقيق العدل في جميع جوانب الحياة، وتبرز العديد من الآيات والأحاديث التي تشجع على العدل والمساواة بين الناس في تطبيق الأحكام الشرعية، وتعد هذه القيم أساسية في بناء مجتمع إسلامي يعتمد على العدل والمساواة كمبادئ أساسية في التعامل مع جميع أفراده بغض النظر عن اختلافاتهم.

ومن بين مظاهر العدل في الإسلام يتبين بأن الله سبحانه وتعالى يأمر بالعدل في الأحكام، كما تقرر في نحو قوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾¹، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾²، الله عادل في الشريعة وفي الكون، حيث إنه أتقن نظام الكون وعدل بين القوى الروحية والمادية، وأقام التوازن الدقيق في الأحكام بين الإنسان والخالق، وبين الفرد والجماعة، وبين الإنسان وأخيه، وبين فئات الناس في مجتمع ما، بين الغني والفقير ونحو ذلك³.

من جوانب صفات الله هي العدل الذي يظهر في أوامره وتشريعاته وعقوباته، وتتجلى مظاهر العدل في شرائعه بوضوح، حيث لا يحاسب الإنسان على ما لا يمكنه القيام به، بل لم يلزمه أصلاً بما يتعذر عليه فعله، وقال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾⁴.

وابن القيم بين بأن الشريعة وُجِدَتْ لتحقيق أعلى مراتب العدل والإحسان، حيث اعتبر العدل كواحد من أهم مقاصد وأهداف الشريعة الإسلامية، فقال: الشريعة مبنها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها؛ فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث؛ فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل؛ فالشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين

¹ - سورة النحل، الآية 90.

² - سورة النساء، الآية 58.

³ - وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر، دمشق، مج 03، 2003، ص 179.

⁴ - سورة البقرة، الآية 286.

خلقه، وظله في أرضه، وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسوله - صلى الله عليه وسلم - أتم دلالة وأصدقها¹.

ويُريد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعلمنا أهمية الثبات على المبادئ وعدم التقلب وأن في الإسلام لا مجال للتحيز لأحد سواء كان ذلك لشخص رفيع المنصب أو حتى لأبنائهم، ففي الإسلام لا يجوز فعل شيء إذا قام به شخص قوي بل الجميع متساوون كأسنان المشط، فعن عائشة أم المؤمنين: (أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: ومن يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد، حب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه أسامة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتشفع في حد من حدود الله، ثم قام فاختطب، ثم قال: إنما أهلك الذين قبلكم، أنكم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)².

هنا يتجسد المبدأ الذي يضمن المساواة بين الجميع في فرض العقوبات، حيث لا يُعفى الشخص الشريف من تحمل عواقب أفعاله إذا ارتكب مخالفات تستدعي العقوبة، وقد أوضح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن التمييز بين الأفراد في فرض العقوبات كان من الأسباب التي أدت إلى انحراف الأمم السابقة.

وفرض الإسلام إقامة العدل بين الناس دون النظر إلى لغاتهم أو جنسياتهم، أو أوضاعهم الاجتماعية، فالإسلام أساسه العدل في التحكيم بين المتنازعين، والحكم بالحقيقة ولا يجب النظر إلى هوية المحكوم عليهم سواء كانوا أصدقاء أو أعداء، أغنياء أو فقراء، عمالاً أو أرباب عمل، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾³، أي كما تشهدون لوليكم، فاشهدوا عليه، وكما تشهدون على عدوكم فاشهدوا له، ولو كان كافراً أو مبتدعاً، فإنه يجب العدل فيه، وقبول ما يأتي به من الحق، لأنه حق لا لأنه قاله، ولا يرد الحق لأجل قوله، فإن هذا ظلم للحق⁴.

قامت الرِّبِّيع بنت النضر بلطم جارية لها ذات يوم حتى كسرت ثنيتها، فقدم أهل الجارية إلى رسول الله يطلبون منه القصاص بحق ابنتهم، فقدم أنس بن النضر إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

¹ ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 11، 1991، ص 11.

² صحيح البخاري: 3475.

³ سورة المائدة، الآية 08.

⁴ - السعدي، تيسير الكريم الرحمن، المرجع السابق، ص 108.

فقال: (لا والله، لا تُكْسَرُ سُنَّتُهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا أَنَسُ كِتَابُ اللَّهِ الْقِصَاصُ فَرَضِي الْقَوْمَ وَقَبِلُوا الْأَرْضَ)¹.

وفي زمن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كانت هناك مساواة بين المسلمين والذميين في العديد من الجوانب حيث كانوا يتساوون في جميع الأمور التي يشتركون فيها، أما فيما يختلف بينهم فلم تكن هناك مساواة، ولم يختلفوا إلا في جوانب العقيدة، حيث يؤدي التساوي معهم في هذه الجوانب إلى جور وظلم عليهم، ومن جوانب المساواة في حقهم هو عدم إكراههم على الدخول في الإسلام، لقوله عز وجل: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾².

المبحث الثالث: سُنن الفرقة في القرآن الكريم:

إن مفهوم الفرقة اللغوي عادة يشير إلى الاختلاف والتمييز أو التمايز، وأشار ابن منظور إلى أنها: مصدر الافتراق ... وفارق الشيء مفارقة وفراقاً: باینه، والاسم الفرقة وتفارق القوم: فارق بعضهم بعضاً، وفارق فلان امرأته مفارقة باینها، والفرق والفرقة والفريق الطائفة من الشيء المتفرق والفرقة طائفة من الناس، والفريق أكثر منه³، أما مفهوم الفرقة اصطلاحاً فتعني كل طائفة من الناس دعيت إلى معتقد معين⁴، فالملاحظ لمؤلفات المسلمين في تعريف لفظ الفرقة يجد أنها تعرض تنوعاً في وجهات النظر بين العلماء في تحديد نطاق هذه الكلمة، ومع ذلك يظل المعنى الأساسي للكلمة متفقاً عليه من حيث المضمون، من خلال آيات القرآن الكريم نجد أن التنازع والتفرق أحد أكبر أسباب الفرقة في الأمة المسلمة ومنه نستطيع أن نقسم مبحثنا هذا إلى:

المطلب الأول: التنازع والاختلاف:

التنازع لغة هو التخاصم، وتنازع القوم: اختصموا⁵، أما المصدر من تنازع بمعنى اختلاف وتجادب وتخاصم⁶، وفي المعجم الوسيط لغة مصدر من تنازع بمعنى اختلاف⁷، إذا فمفهوم التنازع لغة هو

¹ - رواه البخاري، في صحيح البخاري، عن أنس بن مالك، الصفحة أو الرقم: 4611، صحيح.

² - سورة البقرة، الآية 256.

³ - ابن منظور، لسان العرب، المرجع السابق، ج 10، ص 300، مادة فرق.

⁴ - ابن حزم الظاهري، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تح: محمد إبراهيم وعبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، 1996، ج 02، ص 263.

⁵ - ابن منظور، لسان العرب، المرجع السابق، ص 351-352.

⁶ - لويس مألوف، المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، ط 42، د ت، ص 801.

⁷ - شوقي، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط 04، 2004، ص 914.

الاختلاف الذي لا تعارض فيه، هذا من الجانب اللغوي أما المعنى الاصطلاحي لكلمة " التنازع " فقد اختلف المعنى فيه.

والتنازع اصطلاحاً في علم النحو الذي قرر جمال الدين هو أن يتقدم عاملان أو أكثر ويتأخر معمول أو أكثر ويكون كل من المتقدم طالبا لذلك المتأخر¹.

واتفق مصطفى الغلاييني أن التنازع هو أن يتوجه عاملان متقدمان أو أكثر إلى معمول واحد متأخر أو أكثر².

وزاد النحاة تفصيلاً بأن التنازع هو ما يشتمل على فعلين -غالبا-، متصرفين، مذكورين، أو على اسمين يشبهانهما في العمل، أو على فعل واسم يشبهه في العمل، وبعد الفعلين وما يشبههما معمول مطلوب لكل من الاثنين السابقين³.

ويذكر سيد قطب -رحمه الله- في التنازع كلاماً موجزاً يبين ما ذهبنا إليه من أن التنازع هنا جاء بمعنى التفرق والاختلاف الذين يؤديان إلى الضعف و الهزيمة حيث يقول: وأما طاعة الله ورسوله فلكي يدخل المؤمنون المعركة مستسلمين الله ابتداءً، فتبطل أسباب النزاع التي أعقبت الأمر بالطاعة، فما تنازع الناس إلا حين تعددت جهات القيادة والتوجيه⁴.

الفرع الأول: سُنّة الوهم الداعي إلى التفرقة القائمة على التنازع:

إن المتأمل في حال أمة الإسلام وتجربتها المعقدة بما في ذلك التحديات والانقسامات التي مرت بها لا يمكنه أن يتجاهل الأثر الواضح الذي تركته أيدي خصوم الأمة، الذين يستفيدون من الفوضى والتوترات التي تعم المجتمعات الإسلامية، وهذا أدى إلى تعطيل شؤون الأمة وفقدان الأمن في العديد من بلدان المسلمين، وهذه الأحداث ليست سوى تجسيد واضح لما ورد في كتاب الله وسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

إن هذا الإيمان الذي يتمسك به أهل الإسلام لن يتركوه على حاله في وجه الأعداء، بل يظلون متمسكين به ومقاومين لتلك القوى المعادية لهم وللقيم الإسلامية، والحقيقة الواضحة هي أن أعداء الإسلام لا يرغبون في استقرار وتقدم المسلمين، بل يسعون جاهدين لخلق التنازع والاختلاف فيما بينهم، وقد جاء في كتاب الله تعالى تحذيراً من هذا النوع من الأعداء وتوعية لأهل الإيمان بضرورة

¹ - جمال الدين عبد الله، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، دار الطلائع، القاهرة، 2004، ج 02، ص 185.

² - مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ط 03، 2013، ص 393.

³ - عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، ط 03، د ت، ص 176.

⁴ - سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، ط 03، 2003، ص 1528.

المقاومة والصمود، حيث يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾¹،

فأخبرهم الله تعالى أنه لا ينبغي لكم أن تشبهوا فيهم ولا تشكوا، بل أمرهم واضح غير مشكل، إنهم منافقون قد تكرر كفرهم، وودوا مع ذلك كفرهم وأن تكونوا مثلهم. فإذا تحققت ذلك منهم {فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ} وهذا يستلزم عدم محبتهم لأن الولاية فرع المحبة. ويستلزم أيضا بغضهم وعداوتهم لأن النهي عن الشيء أمر بضده، وهذا الأمر موقت بهجرتهم فإذا هاجروا جرى عليهم ما جرى على المسلمين، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يجري أحكام الإسلام لكل مَنْ كان معه وهاجر إليه، وسواء كان مؤمنا حقيقة أو ظاهر الإيمان².

فالمأنل للخطاب القرآني يجد بأن هناك ربط بين المعاني (الاختلاف والتنازع)، ونسق بينها بشكل متقن حيث جمع النتيجة بسببها، وعرض المعلول على سببه، ويعتبر هذا الأسلوب من منهج القرآن الكريم الذي يتبعه في آياته المتعددة، حيث يقدم قواعد عامة لا تتغير ولا تتبدل، بل تسير على نهج ثابت ومستمر دون انحراف أو تغيير، فقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشَلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾³، وكان الله قد أرى رسوله المشركين في الرؤيا عددا قليلا، فبشر بذلك أصحابه، فاطمأنت قلوبهم وثبتت أفئدتهم. ولو أراكمهم الله إياهم كثيرا فأخبرت بذلك أصحابك {لَفَشَلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ} فمنكم من يرى الإقدام على قتالهم، ومنكم من لا يرى ذلك فوقع من الاختلاف والتنازع ما يوجب الفشل⁴.

هذا الخطاب الواضح والنهي الجازم في القرآن الكريم يؤكد أن الاختلاف والتنازع سواء على مستوى الجماعة بأسرها أو على مستوى الفرد يعود بشكل أساسي إلى التنازع والاختلاف، فالعلاقة بين هاتين الظاهرتين تتمثل في تلازمهما، حيث يعتبر التنازع والاختلاف سببا مباشرا للفشل والتراجع، إذ يمكن مقارنة هذه العلاقة بالعلاقة الطبيعية بين السبب والنتيجة؛ حيث لا يمكن حدوث النتيجة إلا بتوفر السبب المناسب وهو ما يعكس استمرارية سُنن الحياة الكونية وثباتها، وعدم تخلفها عن مسارها الطبيعي.

¹ - سورة النساء، الآية 89.

² - السعدي، تيسير الكريم الرحمن، المرجع السابق، ص 92.

³ - سورة الأنفال، الآية 43.

⁴ - السعدي، المرجع السابق، ص 182.

استنادًا إلى ما سبق يظهر أن النهي عن التنازع لا يقتصر فقط على إثبات ضرره وضرورة تجنبه بل يشمل أيضًا التحريك نحو التوافق والتعاون، فالمنع من أسباب التنازع والعمل على تعزيز أسباب التفاهم يعكسان توجيه الشريعة، وإن تشجيع التشاور والتعاون والوفاق يساهم في تخفيف التوترات وتجنب النزاعات، مما يؤدي إلى تعزيز الاستقرار والتقدم في المجتمع.

والتنازع يمكن أن يؤدي إلى الفشل والخسارة بينما التعاون والوفاق يمكن أن يكون سببًا للفوز والنجاح في الدنيا والآخرة، فإذا نظرنا إلى تاريخ الأمم والشعوب بما في ذلك تاريخ الأمة الإسلامية سنجد العديد من الأمثلة التي تؤكد هذه الحقيقة، وإن التعاون والتوافق بين الأفراد والمجتمعات يمكن أن يؤدي إلى تحقيق النجاح والازدهار بينما النزاعات قد تقف عائقًا أمام التقدم والتطور، وفي الحقيقة يمكن أن نرى أثر هذه القواعد في مختلف جوانب الحياة، سواء في المجالات الاجتماعية، الاقتصادية، السياسية، أو الدينية، إن التزام الأمم والشعوب بالتعاون والتوافق يعزز من فرص النجاح المشترك ويعمّق الاستقرار والسلم الاجتماعي بينما النزاعات تسهم في زعزعة الاستقرار وتقويض النجاح والتقدم.

قال تعالى: ﴿وَاَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾¹، أمرهم تعالى بما يعينهم على التقوى وهو الاجتماع والاعتصام بدين الله، وكون دعوى المؤمنين واحدة مؤتلفين غير مختلفين، فإن في اجتماع المسلمين على دينهم، وائتلاف قلوبهم يصلح دينهم وتصلح دنياهم وبالا اجتماع يتمكنون من كل أمر من الأمور، ويحصل لهم من المصالح التي تتوقف على الائتلاف ما لا يمكن عدها، من التعاون على البر والتقوى، كما أن بالافتراق والتعادي يختل نظامهم وتقطع روابطهم وبصير كل واحد يعمل ويسعى في شهوة نفسه، ولو أدى إلى الضرر العام².

وعدم التصدي للتنازع يشكل خطرًا جسيمًا يمكن أن يؤدي إلى الفشل والهزيمة سواء على مستوى الأفراد أو الأمة بأسرها، ويؤدي التنازع المستمر إلى تشتت الجهود بدلاً من التركيز على تحقيق الأهداف ومواجهة التحديات، علاوة على ذلك فإن التنازع يؤدي إلى ضعف الوحدة وتفكك الصفوف، لذا وجب علينا أن نتعامل بجدية معه، وإنما كان "التنازع مفضياً إلى الفشل؛ لأنه يثير الغضب، ويزيل التعاون بين القوم، ويُحدث فيهم أن يتربص بعضهم ببعض الدوائر، فيحدث في نفوسهم الاشتغال باتِّقاء بعضهم بعضاً، وتوقُّع عدم إفاء النصير عند مآزق القتال، فيصرف الأمة عن

¹ - سورة آل عمران، الآية 103.

² - السعدي، تيسير الكريم الرحمن، المرجع السابق، ص 63.

التوجه إلى شغل واحد فيما فيه نفع جميعهم، ويصرف الجيش عن الإقدام على أعدائهم، فيتمكن منهم العدو¹.

ولذلك لما دخل المستعمرون معظم البلاد العربية الإسلامية كان أول عمل باشره هو تجزئة الأمة العربية ذات الأكثرية الإسلامية إلى دويلات صغيرة، وإقامة الحدود والحواجز المصطنعة بينها، والعمل على غرس التباينات في المصالح الاقتصادية والسياسية والثقافية، وفي العرقيات والعصبيات القبلية، إضافة إلى إيجاد التنافر بين الكتل الطائفية. يقول "لورانس براون" أحد زعماء المنصرين في كتابه "الإسلام والإرساليات": "إذا اتحد المسلمون في امبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطراً، وأمكن أن يصبحوا نعمة له أيضاً، أما إذا بقوا متفرقين فإنهم يظلون حينئذ بلا قوة ولا تأثير"².

وأشار الرسول صلى الله عليه وسلم أن من نتائج التنازع ينتج عن التحاسد وإيقاع العداوة بين الناس، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: (أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟) قالوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قال: "إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ الْحَالِقَةُ"³. ومعنى الحالقة: أنها تخلق الدين، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: (دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ: الْحَسَدُ، وَالْبَغْضَاءُ، وَالْبَغْضَاءُ هِيَ الْحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ تَخْلُقُ الشَّعْرَ، وَلَكِنْ تَخْلُقُ الدِّينَ)⁴.

والتصادم المستمر والتباين الشديد في الأمم يقضي على جميع فرص الازدهار، ويؤكد النبي صلى الله عليه وسلم أن البركة تحتفي في ظل التنازع والنزاعات المستمرة، إذا لم يتم التصدي للخلافات وإدارتها بحكمة وتفهم فإن النتيجة الوحيدة ستكون الفشل والهزيمة سواء على المستوى الشخصي أو الجماعي، لذا يجب أن يكون التعاون والتفاهم هما السبيل الوحيد لتحقيق النجاح والاستقرار، حيث يمكن للتفاهم المتبادل والحوار البناء أن يوجه الأطراف نحو حلول مبتكرة ومستدامة تخدم الجميع، فقد قال صلى الله عليه وسلم (يد الله مع الجماعة)⁵، وقد أشار العلماء عن أن الاختلاف والخلافات كانا لهما تأثير كبير في عدم اتفاق على تحديد ليلة القدر، وهذا يعكس حالة من عدم الاتفاق والتضارب في الآراء

¹ - محمد بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984، ج 31، ص 10.

² - عبد الرحمن بن حسن الدمشقي، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها: التبشير - الاستشراق - الاستعمار، دراسة وتحليل وتوجيه (ودراسة منهجية شاملة للغزو الفكري)، دار القلم، دمشق، ط 08، 2008، ص 315.

³ - رواه أبو داود (4919)، والترمذي (2509)، وأحمد (27508)، وصححه ابن حبان (5092) وقال الترمذي: حسن صحيح.

⁴ - شرح السنة للبغوي (117/13)، والحديث أخرجه أحمد (1430)

⁵ - أخرجه الترمذي (2166).

والمواقف، كما ذكر في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي أُنبِئُكُمْ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ فَخَرَجْتُ كَيْمَا أُحَدِّثُكُمْ بِهَا أَوْ أُخْبِرُكُمْ بِهَا فَتَلَاخِي رَجُلَانِ يَحْتَقِقَانِ مَعَهُمَا الشَّيْطَانُ فَأُنْسِيهُمَا)¹.

والتنازع يُلقي بظلاله على المجتمعات حيث يشغل الأفراد بالجدال والنزاعات، مما ينشغلون به على حساب تحقيق الأهداف العظيمة التي جاءت بها الرسالة الإسلامية، وإن تبليغ الرسالة والدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونشر الدين والتصدي لمكايد الأعداء، كلها غايات عظيمة تتطلب التعاون والتضامن والاتحاد بين الأفراد والمجتمعات، وليس التفرق والاختلاف، ومن هنا فإن الله تعالى أمر بالاعتصام والاتحاد في سبيل تحقيق الأهداف السامية للإسلام وحماية المسلمين، فقد جعل الله تعالى الاعتصام بالحبل الوثيق له ولرسوله، والتمسك بالقرآن الكريم والسنة النبوية، وسُنن الحياة الإسلامية، من أهم السبل لتحقيق الوحدة والقوة في المجتمع الإسلامي، فقال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾².

وقد حكم الله عز وجل بأن التنازع يعتبر من أعظم أسباب الفشل كما ذكرنا سابقاً حتى لو توفرت بعد ذلك كل أسباب النجاح وحتى لو كان ذلك في مجال العبادة من بين العبادات، حيث ينبغي على الناس تجنب الخلافات والنزاعات التي قد تؤدي إلى الفشل وضياع الجهود، يقول الله تعالى في سورة الأنفال: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾³، أمرهم بأن يطيعوا الله ورسوله في حالهم ذلك فما أمرهم الله تعالى به ائتمروا، وما نهاهم عنه انزعجوا ولا يتنازعوا فيما بينهم أيضاً فيختلفوا فيكون سبباً لتخاذلهم وفشلهم "وتذهب ريحكم" أي قوتكم وحدتكم وما كنتم فيه من الإقبال⁴.

هذه الآية تقوم على السببية والحتمية فالمتأمل في الآية يجد فيها:

- التنازع بسلب الطاقة ويصيب بالوهن بأن الجهود والطاقات استنزفت في عدااء بعضهم بعضاً لا في جمعها ضد العدو الحقيقي أو في البناء والازدهار هذا هو السبب.
- حتمية الترق عند التنازع والوهن أنه يكسر روابط الثقة والتعاون والصمود ككتلة واحدة فتشتت الأمة إلى فصائل متناحرة يسهل الاستفراد بها ومنه نستطيع استخراج السُنّة المتمثلة في سُنّة الوهن الداعي إلى التفرقة والقائم على التنازع.

¹ - رواه مسلم (1167).

² - سورة آل عمران، الآية 104.

³ - سورة الأنفال، الآية 46.

⁴ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص 183.

وخلاصة لما سبق وتأكيداً على أن الاختلاف والتنازع يؤديان إلى الفشل والخسارة، في حين يُعَدّ التعاون والوفاق السبيل للفوز والنجاح في الدنيا والآخرة، يجد المرء نفسه وسط متاهة من الأحداث والشواهد التي تُظهر صدق ما ورد في القرآن الكريم، والمراجع تاريخ الأمم والشعوب بما في ذلك تاريخ أمتنا الإسلامية، يجد أن الوحدة والتعاون هما المفتاحان لتحقيق الأهداف السامية، بينما يقود الانقسام والصراع إلى الهزيمة والتراجع.

الفرع الثاني: آلية تحقيق مقاصد الشريعة من خلال استئصال التنازع:

قُطِعَ التنازع يعد أحد الأساليب الهامة التي تتبعها الشريعة الإسلامية لتحقيق مقاصدها السامية وتعزيز العدل والمساواة في المجتمع، فهو يمثل آلية فعّالة لتحقيق الحلول العادلة بين الأفراد والمجتمعات وفقاً لمبادئ العدل والإنصاف التي تحكم الشريعة الإسلامية، وتتجلى أهمية تَحُجُّب التنازع في تحقيق مقاصد الشريعة في توفير آليات حل الخلافات والنزاعات بطرق سلمية ومنصفة، وبناء جسور التفاهم والتعاون بين أفراد المجتمع وتعزيز السلم الاجتماعي، كما تعزز هذه الآلية قيم المساواة والإنصاف والتعاون التي تشكل أساس التفاعل الاجتماعي في النظام القانوني الإسلامي، مما يساهم في بناء مجتمع مترابط يسوده السلام والتعاون المشترك.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّوهُم بِأُذُنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأُمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾¹، أي فلما حصل منكم الفشل وهو الضعف والخور {وتنازعتم في الأمر} الذي فيه ترك أمر الله بالائتلاف وعدم الاختلاف، فاختلقتهم، فمن قائل نقيم في مركزنا الذي جعلنا فيه النبي صلى الله عليه وسلم، ومن قائل: ما مقامنا فيه وقد انهزم العدو، ولم يبق محذور، فعصيتهم الرسول، وتركتم أمره من بعد ما أراكم الله ما تحبون وهو انخزال أعدائكم؛ لأن الواجب على من أنعم الله عليه بما أحب، أعظم من غيره. فالواجب في هذه الحال خصوصاً، وفي غيرها عموماً، امتثال أمر الله ورسوله².

ففي قول الله تعالى في الآية السابقة: ﴿حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأُمْرِ﴾، حيث جعل الله تعالى صلة بين الفشل والتنازع في الآية الكريمة، يُظهر هذا التضافر بين الفشل والتنازع كيف يمكن أن تتعاقب الظروف الصعبة والصراعات الداخلية في الحياة، إن هذا التوازن المشار إليه في الآية يعكس

¹ - سورة آل عمران، الآية 152.

² - السعدي، تيسير الكريم الرحمن، المرجع السابق، ص 69.

واقعية الحياة وتعقيداتها، ويشير إلى أهمية التصالح والتعاون للتغلب على التحديات وتجاوز الصعوبات التي قد تعترض الطريق.

وقد أدرك أعداء الإسلام تلك الحقيقة الجوهرية بأن التنازع بين المسلمين يمثل نقطة ضعف واضحة تستطيع القوى المعادية استغلالها لصالحها، لذا عمدوا إلى توجيه جهودهم ومواردهم نحو بث الفتن وزرع بذور الانقسام بين أفراد المجتمع الإسلامي، فمن خلال إثارة النزعات الطائفية والعرقية والسياسية يسعى الأعداء إلى إضعاف الوحدة الإسلامية وزعزعة الاستقرار الاجتماعي مما يجعل التنازع بين المسلمين مستمرًا، فالمراقب في حال المسلمين يجد أن هذه الاستراتيجية الخبيثة متأصلة وهي تؤثر بشكل كبير على قدرتهم على تحقيق التقدم والتطور في جميع الميادين.

وَقَطْعُ التَّنازعِ يعتبر أحد المقاصد العظيمة للشرعية الإسلامية وهذا يعني أن الله تعالى قد جعل الوحدة والتآلف بين المسلمين أمرًا مهمًا جدًّا، ففي سبيل تحقيق هذه المقصودية نهى الله تعالى عن أسباب التنازع في كل شيء حتى في العبادات، وتوجد العديد من الآيات والأحاديث التي تؤكد على ضرورة تجنب النزاع والجدال، خاصة في المناسك الدينية مثل الحج، فالله تعالى جعل شهور الحج محجوبة عن القتال والنزاع مما يبرز أهمية السلامة والوحدة في أداء العبادات الدينية، وبمراعاة هذه النصوص الشرعية، يتعين على المسلمين الحرص على تجنب الخلافات والنزاعات، وتعزيز التعاون والتآلف بينهم، حتى يظلوا متحدين في وجه أعداء الدين ومخططاتهم لبث الفرقة والتفرقة بينهم، فقد قال عز وجل: ﴿الْحُجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحُجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحُجِّ﴾¹، وجاء في تفسير ابن كثير بأنهم كانوا يكرهون الجدال وقال محمد بن إسحاق، عن نافع، عن ابن عمر، قال: الجدال: السباب والمنازعة. وكذا روى ابن وهب، عن يونس، عن نافع: أن ابن عمر كان يقول: الجدال في الحج: السباب، والمرء، والخصومات، وقال ابن أبي حاتم: وروي عن ابن الزبير، والحسن، وإبراهيم، وطاوس، ومحمد بن كعب، قالوا: الجدال المرء².

والمقصود هو قَطْعُ التَّنازعِ في مناسك الحج حيث يُحظر على الحاجين خلال هذه الشهور المقدسة الدخول في أي نزاع أو جدال، وذلك لتأكيد السلامة والوئام خلال أداء مناسك الحج ولضمان تركيزهم على الطاعة والتقرب إلى الله دون تشتيت أفكارهم بالخلافات والنزاعات.

¹ - سورة البقرة، الآية 197.

² - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص 31.

وأشار الله تعالى في القرآن الكريم إلى أهمية قَطْعِ التَّنَازُعِ في المعاملات والمظاهر الحياتية اليومية وقد أمر بوسائل لتحقيق تلك المعاملات مثل الإشهاد والكتابة، حيث أمر المؤمنين بتوثيق الديون بالشهادة والكتابة عند التعامل بالديون، وذلك لضمان قَطْعِ التَّنَازُعِ ومنع الفساد في العلاقات الاقتصادية والاجتماعية، ويتجلى هذا في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾¹، هذه آية الدين وهي أطول آيات القرآن، وقد اشتملت على أحكام عظيمة جليلة المنفعة والمقدار، أحدها: أنه تجوز جميع أنواع المداينات من سلم وغيره، لأن الله أخبر عن المدينة التي عليها المؤمنون إخبار مقرر لها ذاكراً أحكامها، وذلك يدل على الجواز، الثاني والثالث أنه لا بد للسلم من أجل وأنه لا بد أن يكون معيناً معلوماً فلا يصح حالاً ولا إلى أجل مجهول، الرابع: الأمر بكتابة جميع عقود المداينات إما وجوباً وإما استحباباً لشدة الحاجة إلى كتابتها، لأنها بدون الكتابة يدخلها من الغلط والنسيان والمنازعة والمشاجرة شر عظيم، الخامس: أمر الكاتب أن يكتب، السادس: أن يكون عدلاً في نفسه لأجل اعتبار كتابته، لأن الفاسق لا يعتبر قوله ولا كتابته، السابع أنه يجب عليه العدل بينهما، فلا يميل لأحدهما لقراءة أو صداقة أو غير ذلك، الثامن: أن يكون الكاتب عارفاً بكتابة الوثائق وما يلزم فيها كل واحد منهما، وما يحصل به التوثيق، لأنه لا سبيل إلى العدل إلا بذلك².

إن هذه الآية تبرز أهمية العدل والشفافية في المعاملات المالية، وتعزز مبدأ قَطْعِ التَّنَازُعِ والوقاية من الفساد والظلم في البيع والشراء وغيرها من المعاملات.

وقد نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل ما يؤدي إلى التنازع، ودعا المسلمين إلى التعاون والتآلف ونبذ النزاعات والخلافات، وذلك من خلال الوسائل المتاحة مثل الحوار البناء والاستماع لآراء الآخرين وحل المشكلات بروح الوثام والتسامح، وتطبيق هذه السنة النبوية يساهم ويحقق المصلحة العامة والتنمية المستدامة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَا هُنَا)³.

ومن أشكال التنازع منازعة الحاكم الشرعي التي قد تؤدي إلى الفشل الحتمي والانحراف عن مقاصد الشريعة، وإن الاستقرار والتوافق بين الحاكم والعباد أمر ضروري للحفاظ على النظام والسلم

¹ - سورة البقرة، الآية 282.

² - السعدي، تيسير الكريم الرحمن، المرجع السابق، ص 48.

³ - رواه البخاري - كِتَابُ الْأَدَبِ، بَابُ مَا يُنْهَى عَنِ التَّحَاسُدِ وَالتَّدَابُرِ، حديث رقم: 6064، ومسلم - كِتَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَةِ وَالْأَدَابِ، بَابُ تَحْرِيمِ الظَّنِّ، وَالتَّجَسُّسِ، وَالتَّنَافُسِ، وَالتَّنَاجُشِ وَتَحْوِهَا، حديث رقم: 2563.

الاجتماعي ومنازعة الحاكم تزعزع هذا الاستقرار وتؤدي إلى انقسام المجتمع وتدهور الحالة العامة للبلاد، وتساعد هذا التنازع قد يؤدي إلى الاضطرابات والصراعات، وهو ما يؤثر سلباً على الاستقرار ويضعف النظام، فَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (عَلَيْكُمْ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِيمَا أَحْبَبْتُمْ وَكَرِهْتُمْ، فِي مَنْشَطِكُمْ وَمَكْرَهِكُمْ، وَأَثَرَةٍ عَلَيْكُمْ، وَلَا تُنَازِعُوا الْأَمْرَ أَهْلَهُ)¹.

وختماً يعد قطع التنازع أحد الأساليب الرئيسية التي تتبعها الشريعة الإسلامية لتحقيق مقاصدها السامية، فهو يعتبر آلية فعالة لتحقيق الحلول العادلة والمنصفة للنزاعات والخلافات بين الأفراد والمجتمعات، وذلك وفقاً لمبادئ العدل والإنصاف التي تحكم الشريعة الإسلامية، ويتجلى دور قطع التنازع في تحقيق مقاصد الشريعة بتوفير آليات لحل الخلافات بطرق سلمية ومنصفة، وبناء جسور التفاهم والتعاون بين أفراد المجتمع، فمن خلال هاته الآلية يتم تعزيز قيم المساواة والإنصاف والتعاون التي تشكل أساس التفاعل الاجتماعي في النظام القانوني الإسلامي، وبذلك يساهم في بناء مجتمع مترابط يسوده السلام والتعاون المشترك، ويحقق تحقيق مقاصد الشريعة في الحفاظ على العدل وتعزيز السلم الاجتماعي.

المطلب الثاني: سُنّة هلاك الأمم القائم على التفرق والاختلاف:

بما أن تحديد المفاهيم والمصطلحات تلعب دوراً أساسياً في إيضاح موضوع أي دراسة عامة، فإنه من الضروري تحديد مفهوم التفرقة لغةً واصطلاحاً.

التفرق من حيث اللغة هي:

فَارَقَهُ فِرَاقًا وَمُفَارَقَةً: بآينه وانفصل عنه.

تَفَرَّقَ تَفَرُّقًا وَافْتَرَقَ وتَفَارَقَا ضد تجمع اجتماع تَجَامَع، وانفرد عنهم: انفصل².

ويقال: (افْتَرَقَ) القوم: فارق بعضهم بعضاً.

(انفرد) الشيء: افترق وانشق

(تفارق) القوم فارق بعضهم بعضاً

(تفرق) الشيء: تَفَرَّقًا، تَفَرُّقًا: تبدد³.

¹ - رواه الطبراني في الأوسط - حديث رقم 277.

² - علي بن الحسن الهنائي الأزدی، المِتَجَد في اللغة (أقدم معجم شامل للمشترك اللفظي)، عالم الكتب، القاهرة، ط 02، 1988، ص 579، (مادة فرق).

³ - ابن منظور، لسان العرب، المرجع السابق، ص 300-301.

أما فيما يتعلق بمفهوم التفرقة من الناحية الاصطلاحية، فإننا لم نعتمد تعريفاً محدداً للتفرق داخل حدود الكتب والمعاجم التي استعنا بها حيث نعتقد أن التعريف الاصطلاحي لا يختلف كثيراً عن التعريف اللغوي، وقد ذكر صاحب "معجم الفقهاء" بعض التعاريف الاصطلاحية لبعض مشتقات التفرق والفرقة، وسنأخذ منها ما يتناسب أكثر مع موضوع البحث.

الفرقة: الجماعة المتميزة من الناس، والفرقة الدينية: الجماعة المتميزة بسوء من عقائدها عمن تشترك معه بالنفس الدين تمييزاً لا يخرجها إلى الكفر¹، ولا نعتقد بأن هذا المفهوم يختلف كثيراً عن التعريف اللغوي، حيث يشير إلى التفرق والانحراف عن الوحدة ويعتبر ذلك ضد الوحدة.

الفرع الأول: التفرق طريقٌ حتمي لهلاك الأمم:

منذ فجر التاريخ، سعى الإنسان إلى تحقيق الاستقرار والسعادة في حياته، ولذلك اتخذت مختلف المجتمعات خطوات لضمان الوحدة والتعاون بين أفرادها، ولعل أهم هذه الخطوات هي التمسك بالمبادئ والقيم التي تُعزز الوحدة وتُحارب التفرقة، والتفرقة ظاهرة خطيرة تُهدد أمن واستقرار أي مجتمع كان، ولذا يجب على المسلمين التمسك بالكتاب والسنة، ونشر الوعي بخطر التفرقة وأهمية الوحدة، والتعاون فيما بينهم لتحقيق التوافق والاتفاق.

إن الملاحظ للقرآن الكريم يجد أن الآيات التي تنبّهت إلى ضرورة تجنب الفرقة أكثر تواتراً من الآيات التي دعت إلى التمسك بالجماعة؛ إذ تعتبر الجماعة هي الأساس والالتزام بها هو الواجب، أما الانحراف عن الجماعة فهو أمر منبوذ وغير مرغوب فيه، ومع ذلك فهو أمر خطير ومقلق، فتكررت الآيات التحذيرية منه والتهديد بالعقوبة لفاعليه، ومن بين تلك الآيات قوله عز وجل: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۗ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾²، يقول الطبري: الزموا وحدة الدين الذي شُرِعت بحمله، ولا تنزلقوا إلى مهاوي التنازع كما فعلت الأمم من قبلكم، فالتشردم سبيل إلى الفناء، أما الاجتماع فهو مصدر الطمأنينة والقوة³.

¹ - محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنبي، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، 1988، ص 312، (مادة فرق).

² - سورة الشورى، الآية 13.

³ - الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المرجع السابق، 484.

وفي الحديث: (نَحْنُ -مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ- أَوْلَادُ عِلَّاتٍ؛ دِينُنَا وَاحِدٌ)¹، فهذا هو الصِّراطُ المستَقِيمُ، وهو ما جاءت به الرُّسُلُ من عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَالتَّمَسُّكُ بِشَرِيعَةِ الرَّسُولِ الْمُتَأَخَّرِ، وَمَا خَالَفَ ذَلِكَ فَضَلَالَاتٌ وَجَهَالَاتٌ وَأَرَاءٌ وَأَهْوَاءٌ، وَالرُّسُلُ بَرَاءٌ مِنْهَا، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾²،

وقال السَّعْدِيُّ: "يَتَوَعَّدُ تَعَالَى الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ، أَي: شَتَّتُوهُ وَتَفَرَّقُوا فِيهِ، وَكُلُّ أَحَدٍ لِنَفْسِهِ نَصِيْبًا مِنَ الْأَسْمَاءِ الَّتِي لَا تُفِيدُ الْإِنْسَانَ فِي دِينِهِ شَيْئًا، كَالْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ وَالْمَجُوسِيَّةِ، أَوْ لَا يَكْمُلُ بِهَا إِيْمَانُهُ، بَأَن يَأْخُذَ مِنَ الشَّرِيعَةِ شَيْئًا وَيَجْعَلَهُ دِينَهُ، وَيَدْعَ مِثْلَهُ أَوْ مَا هُوَ أَوْلَى مِنْهُ، كَمَا هُوَ حَالُ أَهْلِ الْفُرْقَةِ مِنَ أَهْلِ الْبِدْعِ وَالضَّلَالِ وَالْمُفَرِّقِينَ لِلْأُمَّةِ.

وَدَلَّتِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ أَنَّ الدِّينَ يَأْتُرُ بِالاجْتِمَاعِ وَالِاتِّلَافِ، وَيَنْهَى عَنِ التَّفَرُّقِ وَالِاخْتِلَافِ فِي أَهْلِ الدِّينِ، وَفِي سَائِرِ مَسَائِلِهِ الْأَصُولِيَّةِ وَالْفُرُوعِيَّةِ"³.

فالتفرقة المذمومة التي يجب الحذر منها هي التباين في الجوانب الأساسية للدين، حيث ينتج عن ذلك اعتبار المخالف خارجًا عن المجتمع الديني حتى وإن ادعى الالتزام بتعاليمه، وفي حال حدوث هذا التباين يتعين على الأمة تصحيح الأمور والعمل بكل جهد لإزالة الخلافات بوسائل الحوار والتوجيه وإذا فشلوا في ذلك فإنه يجب مواجهة هذه الخلافات بالقوة، كما فعل أبو بكر - رضي الله عنه - في مواجهة العرب الذين رفضوا دفع الزكاة، وكذلك علي - كرم الله وجهه - في مواجهة الحرورية الذين أعلنوا الكفر بالمسلمين.

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾⁴، عن قتادة قال: (أهل رحمة الله أهل جماعة وإن تفرقت دُورهم وأبدانهم، وأهل معصيته أهل فرقة وإن اجتمعت دُورهم وأبدانهم)⁵.

¹ - أخرجه البخاري (3443)، ومسلم (2365) ولفظ البخاري: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((... والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد)).

² - سورة الأنعام، الآية 159.

³ - تفسير السعدي، المرجع السابق، ص 282.

⁴ - سورة هود، الآية 118-119.

⁵ - رواه ابن جرير في تفسيره (12/635).

وقال ابن جرير: (أولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: ولا يزال الناس مختلفين في أديانهم وأهوائهم على أديانٍ ومللٍ وأهواءٍ شتى، ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ فآمن بالله، وصدق رُسُلَه، فإنهم لا يختلفون في توحيد الله، وتصديق رُسُلِه، وما جاءهم من عند الله)¹.

وقال أيضاً في قول الله تعالى: ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾: (أولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: وللاختلاف بالشقاء والسعادة خلقهم؛ لأن الله جلَّ ذكره ذكر صنفين من خلقه: أحدهما أهل اختلافٍ وباطلٍ، والآخر أهل حقٍّ، ثم عَقِبَ ذلك بقوله: ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾، فعمَّ بقوله: ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ صفة الصنفين، فأخبر عن كلِّ فريقٍ منهما أنه ميسَّرٌ لما خُلِقَ له)².

وقال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ مَبِينٌ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ³، وقال ابن كثير: (أهل الأديان قبلنا اختلفوا فيما بينهم على آراءٍ ومللٍ باطلةٍ، وكلُّ فرقةٍ منهم تزعمُ أنهم على شيءٍ، وهذه الأمة أيضاً اختلفوا فيما بينهم على نحلِّ كُلِّها ضلالةٌ إلا واحدةً، وهم أهلُ السُّنَّةِ والجماعةِ، المِتمسِّكون بكتابِ الله وسُنَّةِ رُسوله صَلَّى الله عليه وسلَّم، وبما كان عليه الصِّدُّقُ الأوَّلُ من الصَّحابةِ والتابعين وأئمةِ المسلمين في قديمِ الدَّهرِ وحديثه)⁴.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى الله عليه وسلَّم قال: (من خرج من الطَّاعةِ وفارق الجماعةَ فمات، مات ميتةً جاهليَّةً، ومن قاتلَ تحتَ رايةٍ عُميَّةٍ يغضبُ لعصبَةٍ، أو يدعو إلى عصبَةٍ، أو ينصرُ عصبَةً، فقتلَ، فقتلَ جاهليَّةً، ومن خرجَ على أمتي، يضربُ برَّها وفاجرَها، ولا يتحاشى من مؤمنها، ولا يفي لذي عهدٍ عهدَه، فليسَ مني ولستُ منه. وفي روايةٍ: لا يتحاشى من مؤمنها)⁵.

قال النَّوَوِيُّ: "(مات ميتةً جاهليَّةً) هي بكسر الميم، أي: على صفةٍ موتهم من حيث هم فوضى لا إمامَ لهم... (ومن قاتلَ تحتَ رايةٍ عُميَّةٍ) هي بضمِّ العين وكسرها لغتان مشهورتان، والميم مكسورةٌ مُشدَّدةٌ، والياء مُشدَّدةٌ أيضاً، قالوا: هي الأمرُ الأعْمى لا يستبينُ وجهه، كذا قاله أحمدُ بنُ حنبلٍ

¹ - رواه ابن جرير في تفسيره (12/637).

² - رواه ابن جرير في تفسيره (12/640).

³ - سورة الروم، الآية 30-32.

⁴ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص 316.

⁵ - رواه مسلم (1848).

والجُمهور، قال إسحاق بن راهويه: هذا كَتَقَاتِلِ الْقَوْمَ لِلْعَصْبِيَّةِ... (يَغْضَبُ لِعَصْبَةٍ أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصْبَةٍ أَوْ يَنْصُرُ عَصْبَةً)... مَعْنَاهُ إِنَّمَا يُقَاتِلُ عَصْبِيَّةً لِقَوْمِهِ وَهَوَاهُ... (وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا)... مَعْنَاهُ: لَا يَكْتَرِثُ بِمَا يَفْعَلُهُ فِيهَا، وَلَا يَخَافُ وَبَالَهُ¹.

عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلًا قَرَأَ آيَةً وَسَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ خِلَافَهَا، فُجِئْتُ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الْكَرَاهِيَةَ، وَقَالَ: (كِلَاكُمَا مُحْسِنٌ، وَلَا تَخْتَلِفُوا، فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا)².

قال ابنُ تيمية: (نَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْاِخْتِلَافِ الَّذِي فِيهِ جَحْدُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُخْتَلِفِينَ مَا مَعَ الْآخَرِ مِنَ الْحَقِّ؛ لِأَنَّ كِلَا الْقَارِئِينَ كَانَ مُحْسِنًا فِيمَا قَرَأَهُ، وَعَلَّلَ ذَلِكَ: بِأَنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا... وَاعْلَمْ أَنَّ أَكْثَرَ الْاِخْتِلَافِ بَيْنَ الْأُمَّةِ الَّذِي يُورِثُ الْأَهْوَاءَ تَجْدُّهُ مِنْ هَذَا الضَّرْبِ، وَهُوَ: أَنْ يَكُونَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُخْتَلِفِينَ مُصِيبًا فِيمَا يُثْبِتُهُ أَوْ فِي بَعْضِهِ، مُحْطِئًا فِي نَفْيِ مَا عَلَيْهِ الْآخَرُ)³.

وقد بيّنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الْاِخْتِلَافَ فِي الْكِتَابِ سَبَبٌ هَلَاكٍ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا؛ فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: هَجَرْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَسَمِعَ أَصَوَاتَ رَجُلَيْنِ اخْتَلَفَا فِي آيَةٍ، فَخَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَرِّفُ فِي وَجْهِهِ الْعَصْبُ فَقَالَ: (إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِاِخْتِلَافِهِمْ فِي الْكِتَابِ)⁴.

إذا يجب علينا أن نكون مخلصين في أعمالنا لوجه الله تعالى، وأن نتمسك بحبل الله، الذي هو اتباع كتابه وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم، فإذا فشلنا في ذلك فاهلاك أقرب إلينا من أنفسنا والموت لنا أسرع من ظلنا. مما مرّ بنا نستطيع أن نُجْمِعَ بأن سبب التَّفَرُّقِ هو التَّعَصُّبُ واتباع الهوى والخروج عن الجماعة بالتَّفَرُّدِ فِي الرَّأْيِ.

الفرع الثاني: التمسك بالقرآن باب لصد التَّفَرُّق:

إن تحقيق الاستقرار والسعادة في الدنيا يكون عبر التعاون والاتفاق، وتجنب الانقسام والتفرقة، والتوافق الحقيقي والتآلف الكامل لا يتحقق إلا من خلال الاتفاق على الدين والعقيدة، فإذا كان الدين

¹ - انظر: شرح مسلم، (12/238).

² - رواه البخاري (3476).

³ - انظر: محمد ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تح: ناصر عبد الكريم العقل، ج 01، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1999، ص 143-145.

⁴ - رواه مسلم (2666).

صحيحاً والعقيدة خالية من الشوائب والانحرافات يتمكن الناس من تحقيق التوافق والتماسك وينشأ بينهم الحب والتآلف الحقيقي، ولهذا أمر الله تعالى عباده باتباع الدين الصحيح والابتعاد عن البدع والانحرافات، وأوصى بالتمسك بحبله جميعاً دون تفرق أو اختلاف، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ¹.

والمعنى الحقيقي للتمسك بحبل الله هو أن يتفق الناس ويتماسكوا على دين الله جميعاً، وذلك يعني الالتزام بالتعاليم التي أمرهم بها وتعهدوا والتي وردت في كتابه، مما يجلب الألفة والتلاحم على قول الحق والانقياد لأوامر الله الموجودة في الكتاب الشريف، فقال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا²﴾.

وروى عن ابن مسعود قال: يا أيها الناس عليكم بالطاعة والجماعة، فإنها حبل الله الذي أمر به، وإن ما تكرهون في الجماعة والطاعة هو خير مما تحبون في الفرقة³.

ومن الحقائق المسلّم بها أنه يجب على الناس أن يتفقوا على شيء يجمعهم، ويكون لهم سلطة للحكم بين الخصوم وتقديم القرارات في التفرقة، حيث إن التفرقة لها طبيعتها ولا بد من وجود سلطة مكلفة بفرض القرارات على الخصوم وتنفيذ الأحكام، وذلك لضمان أمان الأفراد وثرواتهم ولضمان توجيههم في اتجاه موحد، كما قال حسان بن ثابت رضي الله عنه: وما الدين إلا أن تقام شريعة=وتأمن سبل بيننا وشعاب⁴.

ومن المعروف أن الإنسان قد ينزلق إلى الجهل والظلم عند إقرار القوانين والأنظمة، ولذلك فقد أنزل الله الشرائع للقضاء بالعدل بين الناس، وفرض على عباده العودة إلى شريعته عند حدوث التفرقة،

¹ - سورة آل عمران، الآية 102-107.

² - سورة آل عمران، الآية 103.

³ - ابن جرير، ج 7، المرجع السابق، ص 75.

⁴ - نسبه شيخ الإسلام ابن تيمية إليه ولم أجده في ديوانه.

ليحكم بينهم فيما اختلفوا فيه وجعل ذلك شرطاً لحصول الإيمان، فقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾¹.

وينبغي أن يكون هناك عدالة في ذلك الحكم، فالعدل هو الميزان الذي أنزله الله على رسله، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾².

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾³، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾⁴، وقد جاء عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: (لا تزال هذه الأمة بخير ما إذا قالت صدقت، وإذا حكمت عدلت وإذا استرحمت رحمت)⁵، ومفهوم ذلك أنها إذا لم تكن كذلك فهي في شر، قال الحسن: (إن الله أخذ على الحكام ثلاثاً، أن لا يتبعوا الهوى، وأن يخشوه ولا يخشوا الناس، وأن لا يشتروا بآياته ثمناً قليلاً) قال تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾⁶، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَخَشَوْنِي وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمناً قليلاً وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾⁷.

والمقصود هو أن الله تعالى فرض على المسلمين أن يتحدوا على دين الحق الذي هو الإسلام، وأن يعتصموا بكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، ويجمعوا على وحدته ويتفقون على مبادئه، دون التفرقة بين القوميات والجنسيات، أو بين المذاهب والأوضاع السياسية التي قد ابتدعوها بافتراضاتهم المحدودة.

ونهى الله تعالى المؤمنين عن التفرق والتشتت بعدما أمروا باتباع ما أنزله الله عز وجل، لأن التفرق يؤدي إلى زوال الوحدة التي تعتبر مصدر قوة الأمة وعزتها، فبالاجتماع على الحق تتماسك الأمة وتزدهر وبالقوة يتمكن الحق ويظفر على الباطل، محمياً نفسه من هجمات الأعداء ومكائد الخصوم، وقد قال

¹ - سورة النساء، الآية 65.

² - سورة النحل، الآية 90.

³ - سورة النساء، الآية 58.

⁴ - سورة الأنعام، الآية 158.

⁵ - قال السيوطي رواه أبو يعلى والخطيب في المتفق والمفتق انظر الجامع الكبير المصور عن المخطوطة، ج 1، ص 887.

⁶ - سورة ص، الآية 26.

⁷ - سورة المائدة، الآية 44.

تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾¹، نهاهم الله عز وجل عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم أنه إنما هلك من كان قبلهم بالمرء والخصومات في دين الله ونحو هذا².

والإسلام يدعو إلى التوافق والاتفاق بين جميع الأفراد الذين يعيشون تحت سلطة شريعته ويحثهم على التمسك برابطة الله جميعاً، ففي الجاهلية قبل الإسلام كانت العصبية القبلية تفرق العرب حيث لم يكن لديهم شريعة موحدة تجمعهم أو نظام يوجههم، عندما أسلموا انتزعوا العزة والسيادة والسعادة من هذه العصبية المدمرة، ومع ذلك بدأت بعض التوجهات العصبية الضارة تتسلل بين المسلمين مما أدى إلى إيهاهم بعضهم بأنهم يسعون لتقدم بلادهم ورفع شأنهم؛ لكن في واقع الامر هذه العصبية الداخلية أدت إلى الضعف والتفكك والتفرق، مما فتح الباب أمام أعدائهم للاستيلاء على ثروات بلادهم والسيطرة على أفكارهم، حتى وجدوا أنفسهم تحت سيطرة أعدائهم بينما يتم تضليلهم بأنهم يتحكمون بأمورهم.

ولكل من درس التاريخ يظهر أن ابتعاد المسلمين عن دينهم كان سبباً في مصائبهم، كما حدث في الأندلس وغيرها، والدروس المستفادة من تلك التجارب يجب أن تكون عبرة للمسلمين فقد أدى ابتعادهم عن دينهم إلى هلاك أممهم وسلب بلادهم وأسر نساؤهم وأولادهم، وحتى ارتد بعضهم عن الإسلام في تلك البلاد، بسبب التفكك والتفرقة التي دفعتهم بعيداً عن دينهم، وقد حذرهم الله من ذلك فقد قال رسوله الكريم، كما في حديث ثوبان (وإني سألت ربي أن لا يهلك أمتي بسنة عامة، وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم وإن ربي قال يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من في أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضها)³.

وانعدام الاستقرار والاضطراب كانا سمتين متواصلتين في التاريخ الإسلامي، سواء في الماضي أو في الحاضر، ونتيجة لذلك تفاقم التفرقات والبعد والبغضاء، مما أدى إلى شر عظيم وضعف كبير وانقسامات واسعة، فكل طرف يدعي الهدى والحق ويزعم أن السنة معه، بينما يعتبر الطرف الآخر ضالاً أو حتى كافراً مما أدى إلى ازدياد التفرق وانتشار الشرور بينهم والله عالم بما يحدث وما يكون.

¹ - سورة الأنعام، الآية 153.

² - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص 149.

³ - رواه مسلم، ج 4، رقم 2889.

إن الله عز وجل ذم الاختلاف ونهى عنه بأشد النهي، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾¹، يتوعد تعالى الذين فرقوا دينهم، أي: شتتوه وتفرقوا فيه، وكلُّ أخذ لنفسه نصيباً من الأسماء التي لا تفيد الإنسان في دينه شيئاً، كاليهودية والنصرانية والمجوسية. أو لا يكمل بها إيمانه، بأن يأخذ من الشريعة شيئاً ويجعله دينه، ويدع مثله، أو ما هو أولى منه، كما هو حال أهل الفرقة من أهل البدع والضلال والمفرقين للأمة. ودلت الآية الكريمة أن الدين يأمر بالاجتماع والاتلاف، وينهى عن التفرق والاختلاف في أهل الدين، وفي سائر مسائله الأصولية والفروعية².

وفي صحيح مسلم، عن أبي هريرة، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: (وإن الله يرضى لكم ثلاثاً، ويكره لكم ثلاثاً يرضى لكم أن تعبدوه، ولا تشركوا له شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً، ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم³، ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال)⁴.

وروى ابن أبي شيبة، عن حذيفة قال: (من فارق الجماعة شبراً، فارق الإسلام)⁵.

وروى عن علي، قال: (الأئمة من قريش، ومن فارق الجماعة شبراً، فقد نزع ريقه الإسلام من عنقه)⁶.

¹ - سورة الأنعام، الآية 159.

² - السعدي، تيسير الكريم الرحمن، المرجع السابق، ص 150.

³ - ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995، ج 3، ص 33.

⁴ - صحيح مسلم، ج 2، ص 1340 رقم 1715.

⁵ - ابن أبي شيبة الكوفي، المصنف، تح: سعيد اللحام، مكتبة الرشد، الرياض، 1989، ج 15، ص 21.

⁶ - الكوفي، المصدر نفسه، ص 24.

الجانب التطبيقي للواقع المعاش للوحدة الإسلامية:

وبالرغم من القيم والتشريعات الإسلامية التي تدعو إلى الوحدة نجد في الواقع أن الأمة الإسلامية متشرذمة في كل مكان ومتفرقة ولها مواقف لا تنم على أنها أمة واحدة، ويرجع ذلك لعدة أسباب هي:

أسباب عدم الوحدة الإسلامية:

1. الابتعاد عن المصادر الأصلية للدين:

حينما يبتعد الإنسان عن منابع الصافية للدين يضيع البوصلة التي تهديه إلى سواء السبيل فيغدو أسير الأهواء والأوهام ويستبدل جوهر الوحدة بمظاهر التفرق، إن الجهل بحقيقة الوحي والانقياد للهوى هما أخطر ما يهدد الأمة لأنهما يفرغان الدين من رسالته الجامعة ويحولانه إلى أداة للانقسام بدل أن يكون قوة للتآلف والبناء.

أ- الجهل بالدين الصحيح:

✓ غياب الوعي بالمقاصد الكبرى للإسلام فالإسلام لم يأت ليكون مجرد طقوس تؤدي وألفاظ تتلى بل جاء مشروعا حضاريا يربط الإنسان بخالقه ويوحد المجتمع على أسس العدل والرحمة، وحين يجهل المسلمون هذه المقاصد يتحول الدين إلى ممارسة سطحية لا تحمل قوة التغيير ولا طاقة الوحدة¹.

✓ الاكتفاء بالقشور دون الغوص في الجوهر فمن آفات الأمة أن كثيراً من أبنائها يقتصرون على ظاهر النصوص ويغفلون عن روحها العميقة، فينشأ التباس في الفهم وتعارض في التطبيق، فتتعدد القراءات المنحرفة وتتحوّل النصوص إلى ساحة للتنازع بدل أن تكون سبيلاً للاجتماع.

✓ العزلة بين النص والواقع حيث ينفصل المسلم عن دينه في ممارساته اليومية فيرى القرآن كتاباً للتلاوة لا منهاجاً للحياة، فيغيب أثر الدين عن السياسة والاقتصاد والاجتماع، وتبقى الأمة بلا بوصلة تهديها إلى سواء السبيل².

✓ الجمود الفكري والديني إذ يظن بعضهم أن الدين قد أغلق على فهم واحد لا يتغير فيغيب الاجتهاد ويتعطل العقل ويتجمد الوعي أمام تحديات العصر، وهذا الجمود يقطع الطريق أمام الأمة لتجديد فهمها لدينها بما يحقق وحدتها في مواجهة التحديات.

¹ - انظر: مسعودة علوش، القيم العليا للتشريع ومقصد العدل، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، كلية العلوم الإسلامية - جامعة الجزائر -1، العدد 04، المجلد 01، 2012، ص 447-448.

² - علي حرب، النص والحقيقة 3 الممنوع والممتنع نقد الذات المفكرة، المركز الثقافي العربي، بيروت -لبنان، ط 4، 2005، ص 136.

- ✓ الانخداع بالموروث دون نقدٍ أو تمحيص فبدلاً من التفاعل الواعي مع ميراث القرون يقع كثير من المسلمين في أسر التقليد الأعمى، فيتبنون آراء بشرية جعلوها ديناً ويُضيّقون الواسع ويُعسّرون ما ييسره الله عز وجل فتتفرق القلوب وتتنافر العقول.
- ✓ الانحراف في تأويل النصوص فيستغل بعضهم النصوص لتبرير مصالحهم الضيقة أو لتغذية نزاعاتهم المذهبية والسياسية، فيصبح الدين مطيّةً للأهواء بدل أن يكون محرّكاً للوحدة، وهذا التشويه يزرع الشك والفرقة في جسد الأمة.
- ✓ غياب التربية الإيمانية الشاملة فالدين لا يقتصر على العلم النظري بل هو سلوك وإحساس، وعندما يغيب التكوين التربوي الذي يغرس روح الأخوة والمحبة تنشأ أجيال تعرف النصوص لكن قلوبها خاوية من معانيها فلا يتحقق الاتحاد المنشود¹.

ب- إتياع الهوى:

- ✓ تقديم المصلحة الفردية على الجماعية حين يسيطر الهوى على النفوس يُضحّي المرء بمصلحة الأمة في سبيل نزواته الشخصية، فيتفكك البناء الجماعي الذي يقوم على الإيثار والتكافل².
- ✓ الانغماس في الشهوات المادية فبدلاً من أن تكون الدنيا مزرعة للآخرة تصبح غاية بذاتها، فتتنافس القلوب على المتاع الزائل وتتناحر العقول على السلطة والمال ويضيع مقصد الوحدة الذي جعله الله شرطاً للقوة³.
- ✓ اتخاذ الهوى معياراً للحكم والقرار وحينما تغيب مرجعية الوحي يصبح الهوى هو الحكم فيتخذ الإنسان مواقفه وفق ميوله لا وفق الحق، وهذا الانحراف يؤدي إلى الظلم والتنازع والتباغض بين أبناء الأمة.
- ✓ الانصراف عن الحق عند وضوحه فالذي يستسلم لهواه يعلم الحق أحياناً لكنه يُعرض عنه عمداً فيصدق فيه قول الله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾⁴، وهذا الجحود المتعمد يجعل الأمة عاجزة عن الالتفاف حول كلمة سواء.

¹ - مجدي الهلالي، كتاب نظرات في التربية الإيمانية، ص 06.

² - عياض بن نامي بن عوض السلمي، أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله، دار التدمرية، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط 01، 2005، ص 209.

³ - انظر: حديث النبي ﷺ: «إن مما أخشى عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى» رواه الإمام أحمد وصححه الهيثمي، وقوله ﷺ: «ثلاث مهلكات: هوى متبع، وشح مطاع، وإعجاب المرء بنفسه» رواه الطبراني وحسنه الألباني.

⁴ - سورة النمل: الآية 14.

✓ تعظيم النزاعات المصلحية وبالتالي الأهواء تجعل الخلافات الصغيرة تتحول إلى صراعات كبرى، فتنشأ العصبية الحزبية والقبلية والمذهبية ويُستنزف الجهد في الخصومات الداخلية بدلاً من توجيهه نحو البناء المشترك.

✓ إضعاف الروح الجماعية للأمة فالذي يتبع هواه ينظر إلى ذاته قبل أن ينظر إلى أمته فيفقد روح الأخوة التي شبَّها النبي ﷺ بالبنان المرصوص، وبذلك تنهار أركان الوحدة ويضعف الجسد الإسلامي أمام أعدائه¹.

✓ الانقياد للتزيين الشيطاني فالهوى لا يعمل وحده بل يتغذى من وساوس الشيطان الذي يزيّن للإنسان طريق الباطل فيظنه حقاً ويغريه بالفرقة ويصرفه عن الجماعة، ومن هنا كان اتباع الهوى مدخلاً رئيساً للانحراف عن وحدة الأمة ووقوعها في التمزق².

2. التعصب المذهبي والطائفي:

ما إن تحوّل الاختلاف من تنوّع مشروع إلى تعصّبٍ مذهبي وطائفي حتى انكسرت مرآة الوحدة الإسلامية إلى شظايا متنازعة؛ فالنصوص التي كان يُفترض أن تجمع صارت تُستخدم للتفريق والسياسة التي كان يُفترض أن توجّه الأمة نحو مقصدها الرسالي صارت وقوداً للفتنة والافتتال، وهكذا وُلدت الانقسامات لا من الدين في صفائه بل من تحيزات النفوس وتقلبات السلطة التي لبست لبوس العقيدة.

أ- التأويلات المختلفة للنصوص:

✓ إن النص القرآني في ذاته مطلق الوضوح والكمال غير أنّ الأفهام البشرية حين تقرأه بعينٍ مشوبة بالتحيز أو ضيقة الأفق تحجبه عن مقاصده الكبرى، وهكذا يتحول النص من جسر يوحد الأمة إلى أداة تُقسّمها إذ يدّعي كل فريق أنه وحده يمثل الحقيقة المطلقة فتضيع وحدة الأمة بين قداسة النص وانحراف التأويل.

✓ ما كان ينبغي أن يكون جهداً معرفياً بريئاً لطلب الحق تحول في كثير من الأحيان إلى ممارسة مسيئة يتدخل فيها الهوى والسلطة معاً، وبهذا فقدت النصوص براءتها الأولى وصارت مجالاً

¹ - أخرجه البخاري (برقم 4814) ومسلم (برقم 2585) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً» ثم شبك بين أصابعه. قال ابن بطال في شرحه: "تعاون المؤمنون بعضهم بعضاً في أمور الدنيا والآخرة مندوب إليه بهذا الحديث، وذلك من مكارم الأخلاق". وقد شبّه النبي ﷺ المؤمنين بالبنان المرصوص الذي لا يقوى على البقاء إلا إذا تماسكت أجزاؤه.

² - عبد الحميد جاسم أحمد الجاسم البلاي، البيان في مداخل الشيطان، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط 06، 1986، ص 114.

للصراع المذهبي، حيث يتعصب كل فريق لما يؤول إليه النص بما يخدم غاياته لا بما يحقق وحدة الأمة وروح الدين.

✓ إن الاختلاف في النظر إلى النصوص كان يمكن أن يكون اختلاف تنوع يثري الفكر الإسلامي لولا أنه انقلب إلى اختلاف تضاد يمزق الجماعة، فالفرق بين الاختلاف الصحي والاختلاف المدمر هو وعي المقاصد؛ فإذا غاب المقصد الجامع تحوّل التنوع إلى تناقض والتناقض إلى صراع.

✓ لقد ارتفع بعض الناس بآراء أئمتهم ومشايخهم إلى مرتبة العصم، حتى صارت أقوال البشر تُعامل كأنها نصوص منزلة، وهذا التعصب للرأي البشري جعل الخلاف الفقهي ينحدر من كونه إثراء للعقل الإسلامي إلى أن يصبح أداة قطيعة يُقصى بها المخالف ويُشيطن بها المختلف.

✓ كان الإسلام في بدايته يملك مرجعية واحدة القرآن والسنة لا يختلف المسلمون في أصلها، ولكن مع تكاثر التأويلات واشتداد العصبية فقدت الأمة مرجعيتها الجامعة وصارت كل جماعة تستند إلى قراءتها الخاصة حتى غدت الأمة جزراً متباعدة تتقاذفها أمواج التأويلات المتنازعة¹.

✓ إن الجدل العلمي الذي كان ينبغي أن يفتح آفاقاً للفكر تحول إلى ساحة خصومات مذهبية، فبدل أن يكون النقاش سبيلاً للإثراء صار باباً للعداوة فشاعت ألفاظ التكفير والتبديع، وانكششت مساحات الأخوة وتحوّل العلم إلى وقودٍ لصراعات مذهبية أنهكت الأمة قروناً طويلة².

✓ أشار أبو الأعلى المودودي في كتابه "الخلافة والملك" إلى أن هذا الانقسام لم يكن مجرد خلافات فقهية بل صار جزءاً من الهوية المذهبية ذاتها؛ حيث نشأت طوائف متعصبة تعيش وتتغذى على الاختلاف، وترى في بقائها في مقابل الآخر شرطاً لوجودها، فغدا النص وسيلة تقسيم بدل أن يكون أفقاً للوحدة³.

¹ - أبو الأعلى المودودي، الخلافة والملك، دار القلم، الكويت، ط 01، 1978، ص 139-148.

² - ينظر: القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1384هـ/1964م، ج 4 (تفسير سورة آل عمران، الآية 7)، ص 11-12. قال القرطبي: "والتأويل يكون بمعنى التفسير، كقولك: تأويل هذه الكلمة على كذا. ويكون بمعنى ما يقول الأمر إليه. واشتقاقه من آل الأمر إلى كذا يقول إليه، أي صار".

³ - ينظر: أبو الأعلى المودودي، الخلافة والملك، دار القلم، الكويت، ط 1، 1978، الباب السادس: "الخلافات المذهبية بين المسلمين - بدايتها وأسبابها". وقد أشار المودودي إلى أن الانقسام المذهبي لم يكن مجرد خلافات فقهية، بل صار جزءاً من الهوية المذهبية ذاتها؛ حيث نشأت طوائف متعصبة تعيش وتتغذى على الاختلاف، وترى في بقائها في مقابل الآخر شرطاً لوجودها، فغدا النص وسيلة تقسيم بدل أن يكون أفقاً للوحدة.

ب- الخلافات السياسية والتاريخية:

- ✓ كانت الخلافة الراشدة مثالاً للنظام الشورى القائم على التعاقد والبيعة فإذا بالتحول التاريخي يأتي حين صار الحكم ملكاً وراثياً، وهذا التحول لم يكن مجرد انتقال سياسي بل كان انقلاباً على روح الإسلام السياسية إذ أُفرغت السلطة من بعدها الرسالي لتصبح غاية في ذاتها.
- ✓ حين تحولت السياسة إلى صراع على الحكم لم تعد المصلحة العليا للأمة هي المرجع بل أصبحت المصالح الضيقة للأسر الحاكمة والأحزاب السياسية هي الغاية، وبذلك ضُحّي بالوحدة الإسلامية من أجل عروش زائلة وصارت الأمة حلبة صراع بين طامع في الملك ووارثٍ للعرش¹.
- ✓ لقد أقحم الدين في معترك السلطة ليس باعتباره حارساً للمبدأ بل باعتباره أداة للتبرير، فصارت النصوص تُستخدم لتثبيت شرعية السلطان ولإسكات المعارضة، وبذلك تلطخت قداسة الدين بصراع الدنيا، وأصبح الخلاف السياسي خلافاً عقدياً ومذهبياً، يشق الأمة إلى فرق متناحرة.
- ✓ تحول التاريخ الإسلامي بعد الخلافة الراشدة إلى سلسلة من النزاعات بين الأسر الحاكمة كالخلاف بين بني أمية وبني هاشم، وهذه الصراعات لم تكن تعبيراً عن خلاف فكري أو ديني بل كانت تجليات لثارات قبلية وتطلعات سلطوية لكنها مع ذلك ألبست لباس الدين فأدخلت الأمة في دوامة لا تنتهي من الفتن.
- ✓ لقد كان من المفترض أن تكون الخلافة راية توحّد المسلمين فإذا بها تتحول إلى راية نزاع، ومع تكرار الانقلابات والفتن تكسرت صورة الوحدة في الوعي الجمعي وصارت الأمة تعيش على وقع الانقسام، حتى باتت ضعيفة أمام خصومها الذين أحسنوا استغلال هذه الانشقاقات².
- ✓ إن الخلافات السياسية لم تنتهِ بانتهاء جيلها الأول بل تحولت إلى ميراث دموي تتناقله الأجيال، ومن ثمّ ظلّت الأمة تعيش على وقع الأزمات التاريخية حيث أعاد الأبناء إنتاج نزاعات الآباء فبقيت الأمة في دائرة مغلقة من الصراع الداخلي الذي يستهلك قواها³.

¹ - ينظر: ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، الباب الثالث: "في الدول العامة والملك والخلافة والمرتبة السلطانية"، الفصل الأول: "في أن الملك والدولة العامة إنما يحصلان بالقبيل والعصبية". وقد أشار ابن خلدون إلى أن الخلافة تحولت من حكم شوري زمن الخلافة الراشدة إلى ملك وراثي استند على ولي العهد والعصبية القبلية، وهو نظام سياسي أحدثه معاوية بن أبي سفيان.

² - أبو الأعلى المودودي، الخلافة والملك، المرجع السابق، ص 99-137.

³ - ينظر: أبو الأعلى المودودي، الخلافة والملك، دار القلم، الكويت، ط 1، 1978م، الباب السادس: "الخلافات المذهبية بين المسلمين - بدايتها وأسبابها"، ص 91-95.

✓ يؤكد أبو الأعلى المودودي أن التحول من الخلافة إلى الملك كان لحظة فاصلة في التاريخ الإسلامي؛ إذ لم يكن مجرد تبدل في أنظمة الحكم بل بداية انحراف تاريخي طويل غدّى النزاعات المذهبية والسياسية معًا، ولقد تحولت السلطة إلى غاية دنيوية وغُيِّب مقاصدها الرسالية فكان ذلك أصلًا لانقسام الأمة وتشردمها.

3. العوامل الخارجية ومؤامرات الأعداء:

لم تكن عوامل التفرّق دائماً وليدة الداخل وحده بل كثيراً ما جاءت الرياح من الخارج تُذكي النار وتُعمّق الجراح، فالأمة التي لم تُحصّن وعيها صارت ساحةً لمشاريع الاستعمار ومسرّحاً للفتن المدبرة ومرمىً للمؤامرات التي تستغل ثغراتها، وهكذا تكالبت قوى الخارج على جسدٍ عليل فأثقلت وعيه بالانقسام وجعلت من ضعفه وقوداً لبقاء التجزئة وغياب الوحدة.

أ- الاستعمار والتدخل الأجنبي:

✓ لم يكن الاستعمار مجرد احتلال عسكري بل كان مشروعاً لإعادة تشكيل وعي الأمة وهويتها، فقد قسّم الأرض إلى دول وحدود وحوّل فكرة "الأمة الواحدة" إلى "دول متفرقة" فانتقلت الأولويات من بناء العدالة المشتركة إلى حماية حدود ضيقة مرسومة على الورق¹.

✓ ركّز المستعمر على إذكاء النزاعات القومية والطائفية فبدل أن تكون رابطة الدين هي الأساس الجامع، أصبحت العصبية العرقية والمذهبية أدوات للصراع والانقسام، مما حوّل التنوع من مصدر قوة إلى سبب للتنازع².

✓ تدخل في المناهج التعليمية فأفرغ الدين من معناه الحضاري والسياسي وحوّله إلى ممارسة فردية معزولة، فخرجت أجيال تعرف لغة الدين ولكن تفتقد لبوصلة مقاصده، فيسهل تضليلها بالشعارات.

✓ التبعية السياسية للمستعمر حيث قال المودودي أنه غاب العدل والشورى وحلّ مكانها منطق السيطرة والتبعية حتى أصبحت السلطة وسيلة لتثبيت الانقسام لا لتوحيد الصفوف³.

¹ - ينظر: مالك بن نبي، شروط النهضة، دار الفكر، دمشق، د.ت، ص 45-50؛ ومالك بن نبي، مشكلة الثقافة، دار الفكر،

دمشق، د.ت، ص 112. وقد أكد مالك بن نبي أن "الاستعمار لم يكن مجرد احتلال للأرض، بل كان عملية إعادة تشكيل للوعي".

² - ينظر: مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، دار الفكر، دمشق، د.ت، ص 135. وقد أشار مالك بن نبي إلى أن الاستعمار "ركّز على إذكاء النزاعات القومية والطائفية".

³ - أبو الأعلى المودودي، الخلافة والملك، المرجع السابق، ص 137.

✓ ربط اقتصادات الدول الإسلامية بمراكز خارجية من خلال القروض والمعايير والأسواق مما جعل أي مشروع للتعاون أو الوحدة مكلفًا وصعبًا، وبذلك تحوّل الاقتصاد من وسيلة للنهوض إلى أداة للهيمنة.

✓ أقيمت حدود صلبة بين أبناء الأمة فتحول الأخ إلى "أجنبي" يحتاج إلى إذن وتصريح لزيارته، ومع مرور الزمن ضعفت الروابط الاجتماعية والثقافية وخفت روح الانتماء إلى الكيان الأكبر¹.
✓ استثمرت القوى الخارجية الخلافات الداخلية بين الدول الإسلامية فأبقت النزاعات مشتعلة عبر تسليح طرف وتهديد آخر، وهكذا استنزفت الثروات في سباق تسلح ومواجهة دائمة على حساب التعليم والتنمية فترسخت القناعة أن الوحدة مجرد حلم بعيد².

يرى مالك بن نبي أن الاستعمار لم يكن مجرد احتلال عسكري بل فعلٌ أعمق يستهدف الإنسان قبل الأرض فهو يرسم خريطة فكرية ونموذجًا للحياة يجعل المستعمر يفكر ضمن حدودها ولا يتجاوزها، فالسيطرة هنا ليست قسرًا ماديًا فحسب بل قيدًا على الوعي يعيد صياغة الشخصية وفق ما يريده المستعمر، وقد تجلّى ذلك في الجزائر حيث أدرك الجنرال الفرنسي "بيجو" عبقرية هذا الشعب فابتكر وسائل لإخضاعها وضبطها بما يضمن استقرار الاحتلال، وهكذا يتحوّل الاستعمار إلى مشروع استلاب مزدوج: استلاب للأرض واستلاب للذات، مما يجعل فكرة الوحدة أشبه بصراع دائم لاسترداد الوعي قبل استرداد السيادة³.

ب- إثارة الفتن:

✓ إن الخلافات الفكرية أو الفقهية بين المسلمين طبيعية في الأصل لكن حين يُستغل هذا الاختلاف الصغير ويُضخم يتحول إلى فتنة كبيرة، فبدل أن يكون الحوار وسيلة للتقارب والتكامل يصبح منطلقًا للتنازع والتباعد ويستغل المغرضون هذه الحالة لزرع الكراهية بين الطوائف والجماعات⁴.

¹ - انظر: سر الختم إسماعيل، تكييف النزاعات المسلحة بين الدول الإسلامية اليوم، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الشهيد حمة لخضر - الوادي، الجزائر، العدد 15، مارس 2016، ص 35-36.

² - ينظر: مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص 220-225؛ وقد أكد مالك بن نبي أن "القوى الخارجية استثمرت الخلافات الداخلية بين الدول الإسلامية"، فأبقت النزاعات مشتعلة عبر "تسليح طرف وتهديد آخر"، وهكذا "استنزفت الثروات في سباق تسلح"، وترسخت القناعة بأن "الوحدة مجرد حلم بعيد".

³ - انظر: مالك بن نبي، شروط النهضة، دار الفكر، دمشق، 1984، ص 146.

⁴ - ينظر: ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، 2004، ج 28، ص 215-220.

✓ إن التاريخ الإسلامي مليء بالأحداث التي يمكن أن تكون مصدر عبء ووحدة لكنه يُستعمل أحياناً كسلاح لإعادة فتح الجراح القديمة، فبدل أن نتعلم من أخطاء الماضي يتم استدعاؤه لإشغال مشاعر الغضب والانتقام مما يجعل الأجيال الجديدة أسيرة خلافات لم تصنعها لكنها ورثتها.

✓ إن من أخطر أساليب الفتنة أن تُضرب الثقة بين الناس وعلمائهم إما عبر نشر روايات ضعيفة ومختلقة أو عبر تشويه صورة العلماء والتشكيك في نواياهم، فمع غياب المرجعية الموثوقة يضع الناس بين الإفراط والتفريط أي بعضهم ينغلق على نفسه في غلوّ وبعضهم يترك الدين بالكلية بدعوى الشك في أصالته¹.

✓ حين يُقدّم المذهب أو الطائفة باعتبارها هوية أسمى من الأخوة الإسلامية ينقسم المسلمون إلى جزر متباعدة ويصير كل طرف يواجه الآخر كأنه عدو، وهذه العصبية الضيقة تُذكي نار الخلاف وتجعل المسلمين يقاتلون بعضهم بينما عدوهم الحقيقي يترص بهم جميعاً².

✓ إن كثير من الصراعات في العالم الإسلامي ليست نابعة من الداخل وحده بل تُغذى من الخارج وتُدار لحساب قوى كبرى، فتصبح أرض المسلمين ساحة لتصفية الحسابات ويُستنزف الدم والمال لصالح الآخرين، وهكذا تنشغل الأمة بنفسها وتفقد قدرتها على التماسك أمام عدوها الحقيقي³.

¹ - ينظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج 20، ص 150-155، وابن القيم، المنار المنيف في الصحيح والضعيف، تحقيق: عبد الرحمن المعلمي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1984، ص 45-50. وقد حذر ابن تيمية من "رواية الأحاديث الموضوعة والضعيفة التي تُستخدم لإثارة الفتن وتشويه صورة العلماء"، واعتبر أن "من أعظم أسباب الفتنة في الدين أن يُحدث الناس بأحاديث ضعيفة ويتركوا الصحيح".

² - ينظر: أبو الأعلى المودودي، الخلافة والملك، دار القلم، الكويت، ط 1، 1978، الباب السادس: "الخلافات المذهبية بين المسلمين - بدايتها وأسبابها"، ص 91-95. وقد أشار المودودي إلى أن "تقديم المذهب أو الطائفة على الأخوة الإسلامية" هو من أخطر أسباب الانقسام، فحين يُقدّم الانتماء المذهبي على الانتماء الإسلامي الجامع ينقسم المسلمون إلى جزر متباعدة، ويصير كل طرف يواجه الآخر كأنه عدو.

³ - ينظر: مالك بن نبي، شروط النهضة، دار الفكر، دمشق، د.ت، ص 220-225؛ وأبو الأعلى المودودي، الخلافة والملك، دار القلم، الكويت، ط 1، 1978، ص 120-125.

✓ إن أخطر ما في الفتن أنها لا تُعرض على الناس كفتنة صريحة بل تُزَيَّن بلباس الدين والغيرة على العقيدة، فيُقدَّم العدوان على أنه نصره للحق وتُستباح الدماء باسم الولاء لله ورسوله، وهنا تختلط القداسة بالعداوة فينخدع البسطاء ويقعون في فخ الفتنة وهم يظنون أنهم يُحسنون صنعاً¹.

✓ تلعب وسائل الإعلام دوراً بارزاً في تضخيم الخلافات وإشعالها خاصة إذا ارتبطت بتمويل خارجي يسعى لتأجيج الصراعات، ومع انتشار القنوات والمواقع التي تُتاجر بالكراهية أصبح للفتنة اقتصادها الخاص حيث يجد البعض مصلحة في استمرار النزاع لأنه يحقق لهم نفوذاً أو مكاسب مالية².

ج- ضعف الوعي بالمؤامرات:

✓ كثير من المسلمين يتعاملون مع الأحداث وكأنها وقائع معزولة فيرون الحرب نزاعاً داخلياً أو أزمة طارئة دون أن يربطوها بخطة القوى الكبرى ومصالحها، وهذا القصور يجعلهم أسرى ردود الأفعال ويمنعهم من بناء رؤية استراتيجية تحمي وحدتهم وتوجه خطواتهم³.

✓ البعض يفسر كل شيء على أنه "مؤامرة" فيعيش في شلل الخوف والبعض الآخر يُنكر وجود أي تدبير خارجي فيسقط في سذاجة خطيرة، والحقيقة أن الوعي السليم يقوم على التوازن أي إدراك أن العالم تحكمه مصالح وصراعات دون تحويل أو إنكار⁴.

✓ يُعاني الناس من هشاشة في التثبت من الأخبار والتحليل فيصدقون الإشاعات أو يتأثرون بالدعاية، ومع غياب المنهجية النقدية يُصبح المجتمع مهياً للانقسام والاضطراب لأن الكلمة الكاذبة تشتعل فيه كالنار في الهشيم.

¹ - ينظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج 11، ص 250-255؛ وج 28، ص 215-220. وقد حذر ابن تيمية من "تزيين الباطل بلباس الحق" و "استغلال النصوص الشرعية في غير موضعها"، واعتبر أن "من أعظم الفتن أن يُلبس الباطل ثوب الحق، ويُزين الشرك باسم الدين".

² - صالح خليل أبو إصبع، الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان -الأردن، 2006، ص 256.

³ - ينظر: مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص 45-50، ومفهوم "القابلية للاستعمار" في فكر مالك بن نبي. وقد أكد مالك بن نبي أن "الاستعمار في نظره يأتي من الداخل قبل أن يأتي من الخارج بفعل القابلية للاستعمار"، وأن عدم ربط الأحداث بخطة القوى الكبرى ومصالحها هو مظهر من مظاهر هذه القابلية، مما يجعل الأمة أسيرة ردود الأفعال ويمنعها من بناء رؤية استراتيجية تحمي وحدتها.

⁴ - ينظر: ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، الفوائد، تحقيق: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت، ص 45؛ وابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج 11، ص 250-255. وقد قال ابن القيم - رحمه الله -: "لا تُعطي الأحداث فوق ما تستحق، ولا تبحث عن قيمتك في أعين الناس، ابحث عنها في ضميرك".

✓ حين يُجتزل الدين إلى عبادات فردية أو أخلاق شخصية فقط يُفَرِّغ من طاقته الحضارية التي تنظم المجتمع وتواجه التحديات، وهذا الانكماش يجعل الأمة فارغة من مشروع جامع فتسهل السيطرة عليها بخطابات دخيلة لا تستند إلى مقاصدها الكبرى.

✓ حين تضعف المؤسسات الفكرية والعلمية والفقهيّة التي يمكن أن تُطفئ الفتنة وتوجه الناس يبقى المجتمع بلا "وسائل" تحميه من الانهيار، وعندها تنجح المؤامرات لا بقوة أعدائها بل بغياب البنية الداخلية التي تحمي الأمة من نفسها.

✓ إن المشكلة الأكبر أن الأمة حين تغيب عنها الغاية الكبرى والمشروع الجامع تعيش على ردود الأفعال، وتتحرك مع كل حدث بحسب شدته دون رؤية أو هدف بعيد، وهنا تصبح المؤامرات ربحاً قوية تدفع سفينة بلا بوصلة فتتبه في بحر لا قرار له.

✓ بسبب غياب التربية على فقه الاختلاف أصبح المسلمون سريعو الاشتعال عند أي خلاف مهما كان صغيراً، والكلمة أو المشهد كافيين لإشعال نزاع كبير، وهذه القابلية تجعل الأمة أرضاً خصبة للمؤامرات لأن أي خصومة فكرية تتحول بسرعة إلى قطيعة وعداوة¹.

4. المشاكل الداخلية وضعف الروابط:

إن ضعف الروابط الداخلية للأمة يُعدّ من أخطر ما يهدد وحدتها إذ إن انفصال الدين عن سلوك الفرد وغياب المرجعية الجامعة يترك فراغاً يتسرب فيه التعصب والمصالح الضيقة، وعندما يُضاف إلى ذلك الفساد والظلم تنهار أركان الثقة بين الأفراد والجماعات فتتحول الأمة من كيان متماسك إلى فسيفساء متفرقة عاجزة عن مقاومة التحديات أو تحقيق مشروعها الحضاري.

أ- ضعف الوازع الديني:

✓ حين ينفصل الدين عن السلوك تتحول الأمة إلى أفراد متنافرين لا يجمعهم رابط روحي حقيقي، فيضعف الشعور بالانتماء المشترك وتترسخ الفردانية المفرطة، وهو ما يضعف أسس الوحدة الجماعية².

¹ - انظر: عبد السلام ياسين، إمامة الأمة، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، ط 01، 2009، ص 253.

² - ينظر: ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، 2004، ج 7، ص 200-205. وقد قرّر ابن تيمية أن "حقيقة الدين هو الطاعة والانقياد، وذلك إنما يتم بالفعل لا بالقول فقط، فمن لم يفعل لله شيئاً فما دان لله ديناً، ومن لا دين له فهو منحل عن رتبة الإسلام".

- ✓ سيطرة الماديات تجعل المصالح الضيقة والأناية هي معيار العلاقات فيُضحى بالقيم الجامعة من أجل المكاسب الفردية، فتتناحر المصالح وتنشظى الأمة بدل أن تجتمع حول غاية روحية عليا.
- ✓ عندما يصبح الدين مجرد مظاهر تفقد الأمة بوصلة القيم التي توحيها، ويظهر التناقض بين القول والعمل، فينشأ الشك المتبادل وينهار رصيد الثقة الضروري لتحقيق وحدة الصف¹.
- ✓ الابتعاد عن القرآن والسنة كمصدر جامع يحوّل الدين إلى اجتهادات متفرقة وتقاليد محلية متباينة، مما يزرع الخلاف بدل الوحدة، ويفقد الأمة ذلك المرجع المشترك الذي كان يصهرها في هوية واحدة².
- ✓ تغلغل القيم الوافدة يقسم الأمة إلى تيارات ثقافية متصارعة، بعضها مبهور بالغرب وبعضها منكفئ على ذاته، فتتعدد المرجعيات الفكرية وتضيع الرؤية الجامعة، وهو ما يعمق الشرخ في وحدة الأمة³.
- ✓ حين يغيب النموذج الذي يجسد قيم الدين في الواقع تتزعزع الثقة بين الجماهير وقادتها، وتتحول الاختلافات الطبيعية إلى صراعات عميقة، فيتفرق الصف ويضيع الأمل في وحدة حقيقية.
- ✓ غياب التربية الروحية يغرس أجيالاً بلا ضمير ديني حي، فتتسع المسافات بين الأفراد والجماعات، ويصعب أن يجتمعوا على مشروع واحد، لأن الوحدة لا تنبني إلا على تربية إيمانية مشتركة⁴.

¹ - ينظر: ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1416هـ/1996م، ج 2، ص 45-50.

² - ينظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج 10، ص 150-155. وقد بيّن ابن تيمية أن "الدين ليس مجرد أقوال باللسان، بل هو عمل بالجوارح، واعتقاد بالقلب، فمن قال بلسانه ما ليس في قلبه كان من المنافقين".

³ - ينظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج 3، ص 300-305؛ وابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، 1419هـ/1999م، ص 45-50. وقد قرّر ابن تيمية أن "القرآن والسنة هما الأصل الذي يجب الرجوع إليه في كل شيء، ومن أعرض عنهما فقد ضل". وأكد أن "الابتعاد عن القرآن والسنة هو سبب الفرقة والاختلاف المذموم".

⁴ - انظر: معنوق جمال، الصحة الإيمانية والوقاية من السلوك الانحرافي (التربية الصوفية نموذجاً)، مجلة دفاتر المخبر كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة بسكرة، المجلد 14، العدد 1، 2019، ص 138 - 139.

ب- الابتعاد عن المرجع الأصلي للإسلام وعدم فهمه الفهم الصحيح:

- ✓ حين يُهمل المسلمون كتابهم الخالد بوصفه المصدر الأول للوحدة والهداية تتحول الأمة إلى جماعات متفرقة تبحث عن هويتها في مظانّ متناقضة، فيخفت صوت المرجع الواحد الذي كان يصهر القلوب والعقول في بوتقة جامعة¹.
- ✓ التركيز على متون مذهبية وآراء بشرية - مهما علت قيمتها - جعل الانتماء للمذهب أقوى من الانتماء للأمة، فتعصب الناس لما ورثوه من كتب وفتاوى، وتنازعوا حولها حتى صار الخلاف وسيلة للفرقة بدل أن يكون مجالاً للاجتهاد.
- ✓ بالابتعاد عن النص القرآني الحيّ فقدت الأمة القدرة على تجديد فهمها للدين بما يواكب المستجدات، فانقسمت إلى فرق تتصارع حول قضايا جزئية، وعجزت عن الاتفاق على قضايا مصيرية تجمعها.
- ✓ الانشغال بتفاصيل مذهبية وجزئيات فرعية صرف المسلمين عن القضايا الكبرى التي تتطلب وحدة الصف، فباتت الأمة أسيرة جدل فقهي أو كلامي، بينما تضيع منها رسالتها العالمية ووحدها الحضارية².
- ✓ عدم الرجوع إلى القرآن بروح جامعة أطلق العنان للتعصب للمدارس والآراء، فتحوّلت هذه المدارس إلى جزر معزولة تتناحر فيما بينها حتى صار الولاء للمذهب أو الطائفة أقوى من الولاء للملة الجامعة³.
- ✓ الجدل العقيم والانقسامات المذهبية أضعفت ثقة الناشئة بدينهم، إذ رأوا أن الدين سبب للتناحر لا للتآلف، فانكمش الشعور بالانتماء إلى أمة واحدة، وبرزت بدائل هوياتية ضيقة أو مستوردة.

¹ - ينظر: ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، 2004، ج 3، ص 300-305. وقد قرّر ابن تيمية أن "القرآن هو الأصل الأول الذي يجب الرجوع إليه في كل شيء، ومن أعرض عنه فقد ضلّ".

² - ينظر: الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي، الاعتصام، تحقيق: سليم بن عبد الهلالي، دار ابن عفان، المملكة العربية السعودية، ط 1، 1992، ج 2، ص 45-50. وقد قرّر الشاطبي أن "الاشتغال بفروع الفقه دون أصوله" و"التشاغل بالجزئيات دون الكلّيات" من أسباب "الفرقة والاختلاف المذموم".

³ - ينظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج 3، ص 300-305؛ والشاطبي، الاعتصام، ج 1، ص 350-355. وقد بيّن ابن تيمية أن "عدم الرجوع إلى القرآن والسنة هو سبب الفرقة والاختلاف"، وأكد أن "القرآن هو الجبل المتين الذي يجمع الأمة، فمن تركه فقد تفرق".

✓ الأمة التي تبتعد عن مرجعها الأصيل تفقد الرابط الجامع الذي يوحد وجدانها ويضبط اختلافاتها، فتتشتت قواها، ويتحول الدين الذي أنزل رحمة للعالمين إلى عامل فرقة وتمزق بين بنيه¹.

ج- الظلم والفساد:

- ✓ حينما يغيب العدل ويُستبدل بالظلم تنشأ داخل الأمة طبقات متناحرة فتنقسم القلوب ويدوب الشعور بالمساواة، وتفقد الوحدة أساسها الأخلاقي الذي لا يقوم إلا على العدل.
- ✓ انتشار الفساد في مؤسسات الدولة والسلطة يؤلّد شعوراً بالخيبة وفقدان الأمل فيرى الشعب أن القيادة لا تمثلهم، فتتصدع الرابطة السياسية الجامعة التي تحفظ وحدة الأمة².
- ✓ في بيئة يطغى فيها الظلم يتخلى الأفراد عن التفكير في المصلحة العامة، وينصرفون إلى حماية ذواتهم ومكاسبهم الضيقة، فيسود التنافر بدل التضامن، ويدوب الرابط الجماعي الذي يؤخّذ³.
- ✓ الظلم يقتل الضمير الجمعي ويطغى نداء الفطرة فإذا عمّ الفساد ضعفت الرقابة الداخلية، وتلاشت المسؤولية المشتركة، وصارت الوحدة شعاراً بلا قاعدة واقعية أو شعورية.
- ✓ حين يحتكر الظالمون السلطة والثروة ينهض المظلومون للمطالبة بحقوقهم، فتتحول الأمة إلى ساحات صراع داخلي، يتآكل كيانها من الداخل بدل أن تتماسك في وجه التحديات الخارجية.
- ✓ فساد الداخل يُفقد الأمة احترامها بين الأمم، ويجعلها عاجزة عن تقديم نموذج حضاري يُحتذى به، فيستقوي الأعداء على كيانها، ويتشتت صفها بدل أن يكون متماسكاً وموحداً.
- ✓ في أجواء الفساد قد يُستغل الدين لتبرير الظلم أو تثبيت الاستبداد، فيفقد الدين قدسيته في الوعي الجمعي ويُنظر إليه كوسيلة صراع وهو ما يضاعف التشرذم ويعمّق الفرقة⁴.

¹ - محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984، ج 24، ص 52.

² - ينظر: قال السعدي - رحمه الله - : "العباد إذا كثرت ظلمهم وفسادهم، ومنعهم الحقوق الواجبة، ولّى عليهم ظلمة يسومونهم سوء العذاب، ويأخذون منهم بالظلم والجور". فانتشار الفساد في مؤسسات الدولة والسلطة يؤلّد شعوراً بالخيبة وفقدان الأمل، فيرى الشعب أن القيادة لا تمثلهم، فتتصدع الرابطة السياسية الجامعة التي تحفظ وحدة الأمة.

³ - ينظر: قال ابن خلدون في مقدمته: "الظلم مؤذن بخراب العمران"، وفسّر ذلك بأن الظلم "التعدي على الحقوق عموماً"، وهو "حالة عامة وطامة كبرى تنتشر في كل زوايا وأركان وعلاقات العمران، وما يترتب عليه من فساد".

⁴ - انظر: فضل حسن عباس، خماسيات مختارة في تهذيب النفس الأمارة، دار الفرقان للنشر، عمان، ط 01، 2004، ص 149.

5. الجهل بالواقع والتغيرات:

حين تغيب الرؤية الواقعية ويُستبدل الإدراك العميق للمتغيرات بالتشبّث بالماضي تصير الأمة أسيرة لتقليد جامد ولعصبية ضيقة تُضعف وحدتها، فالوعي بالدين وحده لا يكفي بل لا بد من فهم ديناميكية الواقع والتحوّلات الاجتماعية والسياسية وإلا صار التفرد بالأنساب والمظاهر الشكلية سيفاً يقطع أواصر الجماعة فتتبدد الروابط الروحية ويُعجز الدين عن أداء رسالته الجامعة.

أ- عدم إدراك الواقع:

✓ يرى محمد قطب أنّ إدراك الواقع شرط لا مفر منه لإقامة الدولة الإسلامية لأن التغيير لا يتم إلا وفق السنن الربانية التي ربطت النصر والتمكين بالطاعة والوعي بحقيقة (لا إله إلا الله)، وتجاهل هذا القانون الإلهي أوقع الأمة في وهم الاكتفاء بالشعارات بدل فهم مقتضياتها العملية، وهو ما جعلها عاجزة عن التوحد في مواجهة التحديات¹.

✓ لقد اختار المسلمون أن يحبسوا أنفسهم في قوالب التاريخ فبدل أن ينطلقوا من مرونة الإسلام وحيويته جعلوا من عادات أسلافهم سياجاً مقدساً وكأنها جوهر الدين ذاته، وهكذا تحوّلت الرسالة التي نزلت لتكون حيّة متجددة قادرة على التفاعل مع تحوّلات العصور إلى منظومة ساكنة جامدة، ومن رحم هذا الجمود وُلد الانقسام في حين كان الأصل أن يولد الاجتماع والوحدة².

✓ إن الانحراف لم يكن مجرد فساد سلوكي بل هو انحراف في التصورات الكبرى: بدءاً من معنى (لا إله إلا الله) إلى مفهوم العبادة والحاكمية، وإن اختلال هذه المفاهيم جعل الأمة تعيش إسلاماً مبتوراً فأضاع وحدة العقيدة التي كانت أساس وحدة الجماعة الأولى³.

¹ - ينظر: محمد قطب، واقعنا المعاصر، دار الشروق، القاهرة، ط 1، 1997، ص 45-50. وقد قرّر محمد قطب أن "إدراك الواقع شرط لا مفر منه لإقامة الدولة الإسلامية"، وأن "التغيير لا يتم إلا وفق السنن الربانية التي ربطت النصر والتمكين بالطاعة والوعي بحقيقة (لا إله إلا الله)".

² - ينظر: مالك بن نبي، شروط النهضة، دار الفكر، دمشق، د.ت، ص 45-50. وقد أكد مالك بن نبي أن "التخلف هو نتيجة مشاكل داخلية تتعلق بالإنسان"، وأن "الاستعمار ليس من عبقرية المستعمر، بل من قابلية المستعمر للاستعمار".

³ - ينظر: محمد قطب، لا إله إلا الله عقيدة وشريعة ومنهج حياة، دار الشروق، القاهرة، د.ت، ص 15-20. وقد بيّن محمد قطب أن "الانحرافات في التصورات الكبرى - بدءاً من معنى (لا إله إلا الله) إلى مفهوم العبادة والحاكمية - جعلت الأمة تعيش إسلاماً مبتوراً".

- ✓ لم يمتلك المسلمون المرونة في مواجهة التغيرات الفكرية والسياسية والاقتصادية التي عصفت بالعالم الإسلامي منذ القرنين الأخيرين، وبدل أن يوظفوا روح الإسلام لتقديم بدائل تقهقروا أمام الغزو الثقافي والفكري فتعددت ولاءاتهم وتمزقت هويتهم الجامعة¹.
- ✓ ويُصوّر صمت الأمة إزاء تغييب الشريعة وتجاهلها للمذابح التي استهدفت الدعاة باعتباره "الدلالة المروءة" على انحراف الوعي الإسلامي، فهذا الصمت لم يكن موقفًا عابرًا بل تجسيدًا لغياب الإدراك العميق لارتباط العقيدة بالحياة الأمر الذي عمّق الهوة بين الشعوب ونخبها وفصل بين الدين والواقع فجعل بناء الوحدة المتماسكة أمرًا متعذرًا².
- ✓ إن أي دولة - بما فيها الدولة الإسلامية - تحتاج إلى قاعدة داخلية تسندها، ولما كان المسلمون غافلين عن واقعهم ومنقسمين بين تيارات متنافرة لم يوجد ذلك السند الجماعي القادر على حمل مشروع موحد فتحوّلت الخلافات إلى عقبة في وجه التمكن والوحدة³.
- ✓ ويُلفت النظر إلى أنّ التصحيح الحقيقي لا يقوم على التناحر والتجريح بل على البيان الرصين والفهم العميق لجوهر الدين، غير أنّ ما آلت إليه حال الأمة يكشف عن مفارقة مؤلمة إذ تحوّل الحوار إلى صراع والخلاف إلى معركة والمذاهب إلى جدران عزّلت تفصل بين العقول والقلوب، فبدل أن يكون الجهد سبيلًا إلى البناء أصبح وقودًا للانقسام حتى غدت الأمة غريبة عن رسالتها التي نزلت لتوحد الكلمة وتجمع الصف لا لتشتته وتفرقه⁴.

¹ - ينظر: مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، دار الفكر، دمشق، د.ت، ص 95-100. وقد حلّل مالك بن نبي مشكلة الثقافة في العالم الإسلامي، وبيّن أن "غياب الجو الثقافي" و"تعذر تركيب العناصر الثقافية" يؤديان إلى "أزمة ثقافية".

² - ينظر: مالك بن نبي، شروط النهضة، دار الفكر، دمشق، د.ت، ص 120-125؛ ومالك بن نبي، مشكلة الثقافة، دار الفكر، دمشق، د.ت، ص 150-155. وقد اعتبر مالك بن نبي أن "صمت الأمة إزاء تغييب الشريعة وتجاهلها للمذابح التي استهدفت الدعاة" هو "الدلالة المروءة" على انحراف الوعي الإسلامي.

³ - ينظر: ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، الباب الثالث: "في الدول العامة والملك والخلافة والمراتب السلطانية"، الفصل الثاني: "في أن الخلافة تقوم بالعصبية". وقد قرّر ابن خلدون أن "الدولة لا تقوم إلا بعصبية"، أي بقاعدة داخلية متماسكة تسندها. فإذا كان المسلمون غافلين عن واقعهم ومنقسمين بين تيارات متنافرة، لم يوجد ذلك السند الجماعي القادر على حمل مشروع موحد، فتحوّلت الخلافات إلى عقبة في وجه التمكن والوحدة.

⁴ - محمد قطب، واقعنا المعاصر، دار الشروق، القاهرة، ط 01، 1997، ص 79-93.

ب- التفاخر بالأنساب والعصبيات:

- ✓ أوضح القرضاوي أن الإسلام أقام بنيانه على مبدأ العدل والاعتدال في حين أن التفاخر بالأنساب يكرّس انحيازاً أعمى يرفع قومًا بلا فضل ويقصي آخرين بغير جرم، وبذلك يتحوّل معيار الولاء من القيم والمبادئ إلى الدماء والأسماء، فتضعف الروح الجامعة.
- ✓ رسالة الأمة - كما يصفها القرضاوي - رسالة إنسانية رحبة تحتضن الجميع بلا تمييز لكن العصبية تُقزّم الانتماء إلى قبيلة أو مذهب أو زاوية، وحين تضيق الدائرة ينكمش الأفق ويتحول التنوع من مصدر ثراء إلى سبب صراع¹.
- ✓ التباهي بالأنساب لا يورث إلا شعورًا بالتفوق الوهمي وهو ما يناقض العدل الذي أمر به الإسلام، وحين يترسخ هذا الشعور في النفوس تنشأ طبقات متعالية وأخرى مقصية فينهدم أساس المساواة الذي بدونه لا تستقيم وحدة².
- ✓ دعا القرضاوي إلى الإفادة من مدارس الفقه والفكر باعتبارها روافد متكاملة لكن العصبية المذهبية أفرزت عقولاً لا ترى في التراث إلا سلاحاً للخصومة، وبدل أن يمدّ كل مذهب جسور العطاء تحول إلى متراس يقصي الآخرين³.
- ✓ إن جوهر الإسلام - كما يبين القرضاوي - في القيم والأعمال لا في الانتماءات الشكلية، لكن حين يتشبث الناس بالألقاب والأنساب يضع الجواهر وراء مظاهر زائفة وتتحوّل الرابطة الدينية الكبرى إلى رايات جزئية متناحرة⁴.

¹ - ينظر: يوسف القرضاوي، الأمة الإسلامية حقيقة لا وهم، مكتبة وهبة، القاهرة، 1995، ص 45-50. وقد قرّر القرضاوي أن الإسلام أقام بنيانه على مبدأ العدل والاعتدال، في حين أن التفاخر بالأنساب يكرّس انحيازاً أعمى يرفع قومًا بلا فضل ويقصي آخرين بغير جرم.

² - ينظر: يوسف القرضاوي، الأمة الإسلامية حقيقة لا وهم، مرجع سابق، ص 55-60. وقد وصف القرضاوي رسالة الأمة بأنها "رسالة إنسانية رحبة تحتضن الجميع بلا تمييز"، لكن العصبية "تُقزّم الانتماء إلى قبيلة أو مذهب أو زاوية، وحين تضيق الدائرة ينكمش الأفق ويتحول التنوع من مصدر ثراء إلى سبب صراع".

³ - ينظر: يوسف القرضاوي، في فقه الأولويات، دار الشروق، القاهرة، ط 2، 2002، ص 87-92. وقد أكد القرضاوي أن "التباهي بالأنساب لا يورث إلا شعورًا بالتفوق الوهمي وهو ما يناقض العدل الذي أمر به الإسلام".

⁴ - ينظر: يوسف القرضاوي، الاجتهاد في الشريعة الإسلامية، دار القلم، الكويت، ط 3، 1996، ص 112-118. وقد دعا القرضاوي إلى "الإفادة من مدارس الفقه والفكر باعتبارها روافد متكاملة"، لكن "العصبية المذهبية أفرزت عقولاً لا ترى في التراث إلا سلاحاً للخصومة".

✓ إن التعصب لا يتيح للنقاش أن يثمر لأنه يُقصي المختلف قبل أن يسمع حجته، وهكذا تنغلق الأبواب أمام العقل وتغيب لغة الرحابة ليُستبدل الحوار البناء بصدى الشعارات وهو ما يعمّق الانقسام¹.

✓ إن أخطر ما في العصبية أنها تُلبس نفسها لبوس الدين فيُظن أن الولاء للقبيلة أو للشيخ أو للطريقة ولائاً للشرع ذاته، وهنا يفقد الدين صفته الجامعة ويتحوّل من رابطة توحيد إلى أداة تبرير للفرقة وهو ما حدّر منه القرضاوي في تحليلاته².

ومن خلال ما مرّ بنا من حال وأسباب وهذا الحال نستطيع القول أنّ إشكال عدم تحقيق الوحدة لا يكون في تعاليم الإسلام السامية نفسها بل في مدى فهم المسلمين لهذه التعاليم وتطبيقهم لها في حياتهم، عندما يتم الابتعاد عن جوهر هذه التعاليم، أو يتم تفسيرها بطرق متطرفة أو خاطئة أو عندما تتغلب المصالح الشخصية والسياسية على المبادئ الدينية فإن الفُرقة تظهر، لذلك فإن العودة الصادقة لتعاليم الإسلام بالفهم الصحيح والتطبيق العملي هي أنجع السبيل للوصول إلى هذه الوحدة.

السُنن الغائبة والسُنن الحاضرة في عدم الوحدة الإسلامية:

إن التأمل في أسباب عدم الوحدة الإسلامية إذا أردنا أن نجعلها نجدها تتمركز في الفرد أكثر من الجماعة والسبب الحقيقي لعدم الوحدة الإسلامية أجمعه في نقطتان:

- غياب المعنى الحقيقي للتوحيد في قلوب المسلمين ومعنى الإستخلاف على الأرض ومعنى التقرب منه ومعرفة أسمائه وصفاته وهذا ما عنته الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾³، أي أن المسلمون يطبقون شرائع الله عز وجل بطريقة جوفاء لأن المغزى من العبادة هو القرب من الله عز وجل ولكن المسلمون اليوم يقومون بالعبادة كواجب يجهلون أبعاده ومعانيه فلا يترك الأثر عليهم، بل زرع صعف الإيمان والانحياز ولأنه لم تكن عبادته له فاعلية لم يكن لها أثر متمثل في وحدة المؤمنين، فالصف الواحد في الصلاة ليست حركات بل لها معاني جليلة لكنها غائبة عن أكثر المصلين من معاني الوحدة والتكافؤ والتساند في كل وقت وعدم التنافر والابتعاد، والنقطة الثانية هو الركون والاستسلام للمسلمين لطبائع الإنسان التي تنحدر به سلوكيا

¹ - ينظر: يوسف القرضاوي، الأمة الإسلامية حقيقة لا وهم، مرجع سابق، ص 70-75. وقد بيّن القرضاوي أن "جوهر الإسلام في القيم والأعمال لا في الانتماءات الشكلية"، لكن حين "يتشبّه الناس بالألقاب والأنساب يضيع الجوهر وراء مظاهر زائفة، وتتحول الرابطة الدينية الكبرى إلى رايات جزئية متناحرة".

² - انظر: يوسف القرضاوي، فقه الأولويات، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، 2001، ص 53-120.

³ - سورة الحجرات، الآية 41.

من طمعٍ وجدالٍ وبخلٍ والذي تكلمنا عنه في سُنّة الانحدار السلوكي للقصور الجبليّ، فخلق الفرقة بين المسلمين وأصبح الهدف قضاء المصلحة والنصرة للنفس لا بُغية الحق والتلقي لا التفكير.

- وتأتي على مستوى الجماعة جريان سُنّة النزاع وسُنّة التفرق إذ أن النزاع والفرقة والخلاف أدى إلى تشتت الأمة وإلى ضياع طاقاتها وجعلها مصيدة لأصحاب المطامع وحتى نخرج من هذه الدوامة التي يعيشها العالم الإسلامي يجب:

- ✓ فهم سُنّة الوحدة القائمة على المركزية في التوجه والتسليم أي فهم التوحيد والعمل به.
- ✓ فهم سُنّة الإستخلاف والرؤية الكونية على أساس أن الإنسان هو جزء من هذا الكون يجب أن يواكب نواميسه ويحافظ عليه ويتحمل هذه الأمانات من نبات وحجر وحيوان وبشر.
- ✓ فقه سُنّة الاختلاف وتقبل الآخر في الفكر والعرق والأجساد.
- ✓ التركيز على عداوة إبليس بعدم عداوة غيره والتركيز على عدم فتح مداخل وترك المجال للوقوع في مصيدته.

خاتمة الفصل:

وختاماً لما سبق إذا نظرنا إلى الأمة الإسلامية بعين الوحدة والتماسك نرى في سُبُل وحدتها وسبل تعزيزها واستمرارها أساليب متعددة وشؤون متنوعة، فالوحدة ليست مجرد مفهوم فلسفي أو ديني بل هي عملية حياتية متكاملة تتضمن الانقياد لله عز وجل بالتوحيد واتباع سنة رسوله الكريم وتحقيق الوحدة النفسية والمعرفية، وترسيخ الوحدة الاجتماعية، وعلى الرغم من التحديات التي قد تواجهها والتفرقات التي قد تطفو على السطح إلا أن وحدتنا المقتزنة بتماسكنا واستقامتنا على الدين يمثلان درعنا الواقى وطريقنا نحو السلام والازدهار، لذا لنعمل بإخلاص وتفانٍ لتعزيز هذه الوحدة والتماسك في أمتنا، معتمدين على الله وسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كنموذج ومرشد وكأسلوب حياة، ولنتذكر دومًا أن الوحدة في الدين هي سبيلنا إلى السعادة في الدنيا والآخرة.

خاتمة

تُعَدُّ دراسة "سنن الوحدة في القرآن الكريم" كأحد الأسس الجوهرية التي يبنى عليها النظام الكوني والإنساني والإسلامي، وهذه الدراسة تبيّن أن الوحدة ليست مجرد مفهوم نظري، بل هي سنن إلهية راسخة تتجلى في كل جوانب الوجود، فالقرآن الكريم يعكس وحدة الخالق في خلقه، ويوجه الإنسان نحو تحقيق هذه الوحدة في جميع مظاهر حياته، سواء من خلال التوحيد والعقيدة أو من خلال العلاقات الاجتماعية والإنسانية، إن إدراك هذه السنن والعمل بها يعدّ السبيل الأمثل لبناء مجتمع متماسك ومستقر قائم على القيم القرآنية الراسخة في الوحدة والانسجام.

والقرآن الكريم يعكس من خلال آياته مبدأ الوحدة الكونية إذ يتحدث عن وحدة الخالق في خلق الكون ويدعو الإنسان إلى التأمل في هذا النظام المتكامل، فالكون كله يسير وفق سنن إلهية ثابتة تُعبّر عن وحدة المبدأ والمصير، وهذا يعكس التكامل والاتساق بين المخلوقات المختلفة، مما يجعل النظام الكوني متوازناً ومستقراً هذا من جهة، ومن جهة أخرى تُعتبر الوحدة الإنسانية جزءاً من السنن الإلهية التي يدعو القرآن إلى تحقيقها على مستوى العلاقات الاجتماعية بين الناس، فالقرآن الكريم يدعو إلى التأخي بين البشر، ويحثّ على التعاون والتعااض لتحقيق التكامل الإنساني الذي يؤدي إلى استقرار المجتمع.

ويُعتبر التوحيد جوهر الوحدة الإسلامية، حيث يدعو القرآن إلى الإيمان بوحداية الله، التي تعد أساس العقيدة الإسلامية. هذه العقيدة توحد بين قلوب المؤمنين وتجمعهم تحت راية واحدة، وهي عبادة الله وحده، إن تحقيق الوحدة الإسلامية يعني التزام الأفراد والمجتمعات بالقيم القرآنية التي تدعو إلى العدل، والإحسان، والتسامح، وهي قيم تُحقّق الانسجام بين البشر وتُعزّز التعاون على الخير والبر.

وبعد دراسة وتحليل معتمّقين لسنن الوحدة في القرآن الكريم، خلصت هذه الدراسة إلى النتائج

التالية:

➤ حول سنن وحدة الكون في القرآن الكريم:

1. وحدة النظام الكوني السماوي:

✓ القرآن الكريم يشير إلى وحدة النظام الكوني وتناغم أجزائه من خلال وصف الكواكب والنجوم والعناصر السماوية، مع التأكيد على تلازم العلم والدين في تفسير هذه الظواهر.

✓ وحدة الكون مرتبطة بوحدة المصدر وهي الخالق، مما يؤكد على أن الكون جزء من نظام واحد متكامل يعكس عظمة الخالق.

2. الإبداع والتكامل في الكون:

✓ هذا الكون يتميز بالتكامل الوظيفي حيث تعمل عناصره بشكل متسق لتحقيق التوازن ما يعكس إرادة الله في خلق نظام متكامل.

✓ إن مفهوم الزوجية في القرآن يعزز فكرة التنوع والارتباط بين مختلف مكونات الكون، حيث يظهر هذا النظام في الكائنات؛ النباتات، الحيوانات، والبشر، مما يدل على التصميم الدقيق والغاية من وراء هذا التكوين.

✓ إن التكامل النفعي في الكون يُبرز أن جميع أجزائه تعمل بشكل متزامن ومنظم لتحقيق أهداف إلهية، مما يؤكد أن الكون ليس نتاج صدفة بل تخطيط إلهي محكم.

3. وحدة التسخير:

✓ إن هذا الكون وكل مكوناته تم تسخيرها للإنسان بموجب إرادة الله، وهذا التسخير يشير إلى أن الله أعطى الإنسان القدرة على الاستفادة من موارد الكون بطريقة تنفعه وتفيد المجتمع.

✓ يترتب على هذا التسخير مسؤولية أخلاقية على الإنسان في كيفية استخدام الموارد واحترام النظام الكوني.

4. وحدة الانقياد:

✓ إن جميع عناصر الكون من الكواكب إلى الكائنات الحية، تنقاد لقوانين الله بانتظام ودقة، مما يعكس خضوعها الكامل للنظام الإلهي.

✓ هذا الانقياد يظهر أن الله هو الحاكم والمسيطر على جميع مخلوقاته وأن الكون بأكمله يسير وفقاً لقوانين وضعها الله.

5. الأبعاد العقدية لنظام الوحدة الكونية:

✓ دليل الخلق: القرآن يتناقض مع النظرية الداروينية، حيث يؤكد على أن الإنسان خلق بنفخة من روح الله، مما يشير إلى تخطيط إلهي وليس مجرد عملية تطور عشوائية.

✓ **دليل الغاية:** هذا الكون بكل عناصره مُنظم بدقة وله غاية إلهية، وهي تذكير الإنسان بعظمة الخالق وحكمته.

✓ **دليل الإبداع:** الإبداع الإلهي يظهر في تنوع الكائنات وجمال النظام الكوني، ما يدعو الإنسان إلى التفكير في عظمة الخلق والإقرار بقدرة الله وحكمته.

🔗 حول طرق الوحدة الإنسانية:

1. وحدة التكوين الإنساني:

✓ إن الإنسان مخلوق من نفس واحدة ويشار إلى وحدة أصل الخلق في القرآن الكريم من خلال مراحل تطور الإنسان من التراب، إلى الطين، ثم الصلصال، وصولاً إلى نفخ الروح، مما يعزز مبدأ وحدة البشرية من حيث الخلق المادي والروحي.

✓ **وحدة المادة:** الإنسان مخلوق من نفس المواد التي تُكون الأرض مما يجعله مرتبطاً بها بشكل عميق.

✓ **نفخ الروح:** تميز الإنسان عن سائر المخلوقات بنفخة الروح الإلهية، التي تضيء عليه الحياة وتجعله كائناً واعياً وذو إدراك.

2. وحدة الروح:

✓ إن الروح تمثل جوهر الحياة وتظهر قدرة الله على الخلق، كما تمثل الروح مستوى أرفع من الجسد وتعزز مبدأ التكريم الإلهي للإنسان.

✓ بالرغم من التقدم العلمي لا يزال القرآن يشير إلى عملية خلق الإنسان منذ قرون مما يجعله مصدراً للتفكير والتأمل في عظمة الخالق.

3. وحدة الفطرة:

✓ إن أصل الفطرة هي الحالة الأصلية التي وُلد عليها الإنسان، وهي تمثل التوحيد وعدم الشرك، مما يعكس استعداد الإنسان لتقبل الهداية الإلهية.

✓ جاء الشرع ليكون دليلاً عملياً للفطرة من خلال توجيه الإنسان نحو استخدام غرائزه ومشاعره بطريقة تتوافق مع أوامر الله.

4. الزوجية النابعة من الوحدة:

✓ إن الزوجية تعزز فكرة الوحدة بين الذكر والأنثى، وتدعو إلى الحب والشراكة الحقيقية التي تثمر في العلاقات العائلية.

✓ العلاقات الزوجية الشرعية هي أساس لتحقيق التآلف والمحبة، بخلاف العلاقات غير المشروعة التي تفتقر إلى الروابط الإنسانية الحقيقية.

5. وحدة الكرامة الإنسانية:

✓ نفخة الروح وسجود الملائكة: إن الإنسان مُكرم بفضل نفخة الروح الإلهية وسجود الملائكة له، مما يجعله مميزاً بين المخلوقات.

✓ خلق الإنسان في أحسن تقويم: الإسلام يؤكد على كرامة الإنسان وحقوقه، وتعد هذه الكرامة جزءاً أساسياً من مقاصد الشريعة.

✓ تسخير الكون للإنسان: فالله عز وجل سخر كل ما في الكون لخدمة الإنسان مما يُعزز قيمة ومكانة الإنسان في الكون، ويحثه على شكر النعم التي أنعم الله بها عليه.

6. وحدة وسائل المعرفة:

✓ العقل والحواس: هاتان الميزتان هما من أدوات المعرفة التي منحها الله للإنسان للتأمل والتفكير في الكون.

✓ القرآن الكريم يحث على استخدام هذه الوسائل لفهم الآيات الإلهية واكتشاف عظمة الخلق.

✚ حول سُبُل وحدة الأمة الإسلامية:

1. وحدة الانقياد والعمل:

✓ التوحيد العلمي والعملية: ويتمثل في إثبات الإلهية لله وحده والعبادة له بشكل فردي وجماعي،

والتوحيد العلمي يشمل الإيمان بوحداية الله كما ورد في سورة الإخلاص، ويتجلى في ممارسة

العبادات التي تمنح المؤمن القوة والإبداع المستمدة من الله.

✓ موقف المعتزلة والأشاعرة من التوحيد: المعتزلة ركزوا على إنكار الصفات الإلهية المرتبطة بالتشبيه، بينما الأشاعرة طرحوا "عقيدة العادة" التي تنفي الأسباب الطبيعية، مما أدى إلى انتقادها باعتبارها تؤدي إلى إنكار الأسباب الفاعلة.

2. وحدة النموذج البشري (محمد صلى الله عليه وسلم):

✓ صلة الرسول بالله عز وجل: حياة الرسول صلى الله عليه وسلم تمثل النموذج الأمثل للتقوى والتطبيق العملي للتوحيد، حيث كان يقيم الليل طاعة وشكرًا لله.

✓ علاقته مع البشر والكون: الرسول صلى الله عليه وسلم كان يتمتع بشخصية متزنة نفسيًا، وكان يعامل أهل بيته وأصحابه بحب ورفق، ما جعله نموذجًا للبشرية في تعامله مع الناس.

3. السلام النفسي والوحدة المعرفية:

✓ الفرق النفسي بين الموحّد والمُشرك: المُشرك يعيش في قلق وانفصال نفسي نتيجة ذنوبه وبعده عن الله، بينما الموحّد يعيش في سكونية نفسية تستمد من إيمانه بالله وثقته في رحمته وحكمه.

✓ وحدة الغاية: الإنسان خلق لعبادة الله والاستخلاف في الأرض، مما يمنحه مكانة خاصة ومسؤولية لتحقيق العدالة.

4. الوحدة الاجتماعية:

✓ التعارف بين الشعوب والقبائل: رغم اختلاف الأعراق والثقافات، فإن البشر يتوحدون في أصلهم الإنساني وفقًا للآية الكريمة "لتعارفوا"، ومبدأ الأمانة يمثل التزامًا شاملاً يشمل العلاقات الإنسانية والواجبات تجاه الله.

✓ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: يمثل هذا المبدأ أساسًا لحفظ المجتمع من الفساد والتدهور الأخلاقي.

5. الوحدة في مواجهة العدو المشترك:

✓ إبليس كعدو: إن القرآن يؤكد الصراع المستمر بين الإنسان وإبليس، حيث يسعى الشيطان لإغواء الإنسان وإبعاده عن طريق الله، ووسائله متعددة وتشمل الوسوسة وتزيين المعصية واليأس من رحمة الله.

6. الوحدة في الاختلاف:

- ✓ اختلاف الجنس والعرق: التعددية الثقافية والعرقية تمثل دليلاً على إبداع الخالق، وهذه الاختلافات يجب أن تقود إلى التعارف وليس التفرقة.
- ✓ اختلاف الفكر: يُبرز القرآن ضرورة احترام اختلاف الآراء والأفكار ضمن إطار الوحدة الإسلامية.

7. الوحدة في العبادات والأحكام:

- ✓ العبادة توحد المسلمين رغم اختلافاتهم، فالعدالة والمساواة في تطبيق الشريعة تمثل القيم الأساسية لبناء مجتمع إسلامي موحد.

8. سنن الفُرقة في القرآن الكريم:

- ✓ التنازع والاختلاف: إن الشريعة هدفت إلى تجنب التنازع وتحقيق مقاصدها من خلال آليات الحلول السلمية للنزاعات وتعزيز التفاهم والتعاون.

وفي نهاية المطاف نجد أن وحدة الأمة الإسلامية ليست مجرد مفهوم ديني أو فلسفي، بل هي نظام متكامل يمتد من التوحيد إلى العلاقات الاجتماعية، وصولاً إلى إدارة الاختلافات والتغلب على التحديات، وهذه الوحدة تشكل الأساس لبناء مجتمع متماسك يسوده العدل، الرحمة، والتعاون، وهي الضمان لاستمرار الأمة في مواجهة التحديات المعاصرة وتحقيق التقدم والرفي في كافة المجالات.

لذلك فإن العمل على تحقيق الوحدة الإسلامية يتطلب من كل مسلم الإخلاص في العبودية لله، الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم، والعمل الدؤوب على إصلاح نفسه ومجتمعه، والسعي لتحقيق العدالة والمساواة، بهدف الوصول إلى أمة متحدة قادرة على مواكبة التحديات وتحقيق الاستقرار والازدهار للأجيال القادمة.

وختاماً وصلنا إلى أنّ سنن الوحدة في القرآن الكريم كانت شاملة وذات أبعاد لا تقتصر على المسلم، ولكنها تشمل الكون والإنسان، وأنها كلّ مُتكامل ومُتجانس لا يتخلى أحدهم على الآخر، فحينما يتجسد معاني وحدة الكون ووحدة الإنسانية في فكر المسلم إلى جانب تعاليم الإسلام، يصل الإنسان إلى المعاني الراقية للقرآن الكريم وإلى معنى الاستخلاف على الأرض، فوحدة دور الإنسان في

تواجهه على الأرض تجعله يتجاوز كل عائق يصرفه عن مهمته على هذه الأرض وترفع المستوى في نظرة الإنسان إلى الإنسان والكائنات والكون بأسره، ويعقد العزم على كسر هذه العوائق في تحقيق الوحدة الحقيقية التي أرادها الله عز وجل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾¹.

وهذه مجموعة من التوصيات تعزيزًا لإكمال ما يخدم هذا الموضوع، نقترحها:

- وضع دراسات تُركز على المعاني العميقة في القرآن الكريم، تُمس الوحدة الإنسانية والإسلامية، وكيفية المعالجة الحقيقية لهذا الموضوع.
- إنشاء دراسات تُسلط الضوء على أسباب الفُرقة الإسلامية، ومُحاولة الوصول إلى حلولٍ مُنهجية، مستمدة من علم الاجتماع، وعلم النفس، وعلم الفلسفة، والعلوم الإسلامية.
- التخطيط لتقديم منهاج تربويٍّ مُوحدٍ لتكوين الفرد المسلم في جانبه العقدي، وتعزيز انتمائه لعالمه وما يحيط به، وغرس روح المسؤولية اتجاه هذا العالم وما يحويه.
- تعزيز دور العلماء المسلمين بإقامة مؤتمرات تسعى إلى تحديد مفاهيم موحدة للفكر الإسلامي الحقيقية ومعانيها وأبعادها، خاصة في مفهوم الاستخلاف والعلاقات الإنسانية، وتسعى إلى الوصول إلى حلولٍ مُنهجيةٍ في معالجة التعصب، والمفهوم الضيق لأبعاد الإسلام الإنسانية والعالمية.

¹ - سورة الأنبياء: الآية 92.

المصادر والمراجع

❖ القرآن الكريم

أولاً: الكتب:

1. إبراهيم بن محمد بن أحمد البيجوري، تحفة المريد على جوهرة التوحيد، ط 02، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 2004.
2. إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، المعجم الوسيط، دار الدعوة، تحقيق / مجمع اللغة العربية.
3. ابن الأثير أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج 2، تح: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1979.
4. أحمد بن الحسين بن علي أبو بكر البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، ج 9، تح: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، 1994.
5. أحمد بن تيمية، مجموع الفتاوى، ج 08، ط 01، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة - السعودية، 2004.
6. أحمد بن تيمية، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم رحمه الله، ج 17، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة المنورة - السعودية، 2004.
7. أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، بيروت، 1399 هـ.
8. أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي، غريب الحديث، ج 1، تح: عبد الكريم إبراهيم الغرابوي، دار الفكر، دمشق، 1982.
9. أحمد بن محمد طاحون، مع القرآن الكريم، رئاسة إدارة البحوث العلمية وإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، 1998.
10. أحمد زكي، مع الله في السماء، دار الهلال، مصر، د.ت.
11. أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، مج 6، دار الفكر، بيروت، 2010.
12. ارنولد توينبي، الاسلام والغرب والمستقبل، دار العربية، بيروت، 1983.
13. إسحاق السعدي، دراسات في تميز الأمة الإسلامية وموقف المستشرقين، ج 02، ط 01، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 2013.

المصادر والمراجع

14. أبو اسحاق الشاطبي، الاعتصام، تح: سليم بن عبد الهاللي، دار ابن عفان، المملكة العربية السعودية، ط 1، 1992.
15. اسماعيل الجوهري، الصحاح، ج 3، تح: أحمد عبد الغفور، مطابع دار الكتب العربي، مصر، 1987.
16. إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، ط 4، تح: محمد زكريا يوسف، دار العلم للملايين، بيروت، يناير 1990.
17. الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ط 1، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، 1412هـ.
18. أبو الأعلى المودودي، الخلافة والملك، دار القلم، الكويت، ط 01، 1978.
19. عبد الله بن عباس، تفسير القرآن الكريم، دار الكتب العلمية، بيروت، 2009.
20. أنور الجندي، دراسات إسلامية معاصرة، ط 1، من منشورات المكتبة العصرية صيدا، بيروت، 1982م.
21. أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تح: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت.
22. الباش حسن، منهج التعارف في الإسلام نحو قواسم مشتركة بين الشعوب، ط 1، منشورات جمعية الدولة الإسلامية العامة الجماهيرية العظمى، طرابلس، 2005.
23. عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، مطبعة دار الكتب المصرية، 1364هـ.
24. بدري مالك، التفكير من المشاهدة إلى الشهود، ط 2، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1992.
25. أبي البركات النسفي، تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، دار الكلم الطيب، بيروت، 1998، ج 2.
26. أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، الكليات، مؤسسة الرسالة - بيروت، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري.
27. تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت- لبنان، ط/1، 1423هـ، ج 2.
28. تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، تح: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط 2، 1991، ج 1.

المصادر والمراجع

29. تقي الدين أبو العباس، الصفدية، تح: محمد رشاد سالم، ط 02، مكتبة ابن تيمية، مصر، 1406هـ.
30. ابن تيمية، جامع الرسائل، رسالة في لفظ السنة في القرآن، تح: محمد رشاد سالم، ج 1، دار المدني، القاهرة، 1984.
31. ابن تيمية، مجموع الفتاوى، مج 13، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، 2004.
32. الجرجاني، التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، ج 1، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1413.
33. ابن جرير الطبري، تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ط/ 1، 1422هـ - 2001م، ج 15.
34. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، 2001.
35. جلال الدين السيوطي، الإتقان، ج 1، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.
36. جلال الدين السيوطي الشافعي، الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974، مصر.
37. جماعة من علماء التفسير، المختصر في تفسير القرآن الكريم، مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض، 1436هـ.
38. جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، ج 13، دار صادر، بيروت، 1414هـ.
39. جمال الدين البغدادي، زاد المسير في علم التسيير، ج 4، المكتب الإسلامي، بيروت، 1984.
40. جمال الدين عبد الله، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ج 02، دار الطلائع، القاهرة، 2004.
41. ابن الجوزي، زاد المسير، ج 6، تح: محمد بن عبد الرحمن عبد الله، المكتب الإسلامي، لبنان، 1984.
42. الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبد الله، ماهية العقل ومعناه واختلاف الناس فيه، ط 2، تح: حسين القوتلي، دار الكندي، دار الفكر، بيروت، 1398هـ.

43. أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، مج 4، دار المناهج للنشر والتوزيع، جدة، 2011.
44. أبو حامد الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط 1، 1424هـ - 2004.
45. ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ط 1، المطبعة الكبرى الميرية ببولاق، مصر، 1301هـ.
46. ابن حزم الظاهري، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تح: محمد إبراهيم وعبد الرحمن عميرة، ج 02، دار الجيل، بيروت، 1996.
47. حسان بن ابراهيم الرديعان، كتاب عقيدة الأشاعرة دراسة نقدية لمنظومة جوهرية التوحيد لبرهان الدين اللقاني على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة، ط 01، دار التوحيد للنشر، السعودية، 2013.
48. أبي الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، مج 02، ط 01، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، 1990.
49. حسن محمد العاملي، المدخل إلى العلم والفلسفة والإلهيات "نظرية المعرفة"، الدار الإسلامية للطباعة والنشر، لبنان - بيروت، 1411هـ.
50. أبو الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني المعروف بالسيد الشريف، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1986.
51. أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ت: عبد السلام هارون، مصورة دار الفكر، بيروت - لبنان، 1399هـ - 1979م، ج 3.
52. أبو الحسين الخياط، الانتصار، تح: نيرج، مكتبة الدار العربية للكتاب، بيروت، ط 2، 1993.
53. حسين مروة، النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية، القسم الثاني، 1978.
54. أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب، ط 1، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1998.
55. حماد أحمد عبد الرحمن، العلاقة بين اللغة والفكر، د ط، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1985.

المصادر والمراجع

56. عبد الحميد جاسم أحمد الجاسم البلالي، البيان في مداخل الشيطان، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط 06، 1986.
57. خالد بن علي الغامدي، شرح ثلاثة الأصول، دار أطلس الخضراء، الرياض، ط 1، 1435هـ.
58. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، د ت، ج 2.
59. الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، د ت، ج 2.
60. خميس بن راشد العدوي، وخالد بن مبارك الوهبي: الإيمان بين الغيب والخرافة، مكتبة الغبراء، بهلا - سلطنة عمان، ط 1، 1428هـ - 2007م.
61. الراغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - 1412 هـ
62. الراغب الأصفهاني، القرآن الكريم، تح: محمد سيد كيلاي، دار المعرفة، بيروت، د ت، ج 2.
63. عبد الرحمن بن حسن الدمشقي، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها: التبشير - الاستشراق - الاستعمار، دراسة وتحليل وتوجيه (ودراسة منهجية شاملة للغزو الفكري)، دار القلم، دمشق، ط 08، 2008.
64. أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، دار ومكتبة الهلال، تح: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، د ت.
65. عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 2002.
66. عبد الرحمن بن صالح المحمود، موقف ابن تيمية من الأشاعرة، ج 02، مكتبة الرشد، الرياض، 1990.
67. عبد الرحمن بن قاسم، حاشية ثلاثة الأصول، ط 2، دار الزاحم، 2002.
68. عبد الرحمن العيسوي، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، 1995.
69. عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، 2000.
70. ابن رجب، جامع العلوم والحكم، تح: شعيب الأرنؤوط - إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1997.

المصادر والمراجع

71. عبد الرزاق عفيفي، مذكرة التوحيد، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، 1420هـ، ج 1.
72. عبد الرؤوف شلي، السنة الإسلامية بين إثبات الفاهمين ورفض الجاهلين، دار القلم، الكويت.
73. ابن رشد، الكشف عن مناهج الأدلة، تح: محمود قاسم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط 02، 2003.
74. رضا محمد رشيد، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، دار المعرفة، بيروت، ط 2، د ت.
75. رمضان خميس زكي، مفهوم السنن الربانية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط 1، 1427هـ-2006م.
76. زرزور عدنان محمد، دراسات في الفكر الإسلامي، مكتبة الفلاح، الكويت، ط 01، 1996.
77. الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: أبي الفضل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة، 2006، ج 1.
78. زغلول النجار، تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم، مج 2، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2007.
79. زغلول راغب محمد النجار، من آيات الإعجاز العلمي: السماء في القرآن الكريم، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 2004.
80. زكريا ابراهيم، مشكلة الانسان، دار مصر للطباعة، مصر، 1990.
81. الزمخشري أبو القاسم، جار الله محمود بن عمر، الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، د ط، 2006، ج 03.
82. زهدي جار الله، المعتزلة، المؤسسة العربية، بيروت، 1410هـ.
83. سامي عامري، براهين وجود الله في النفس والعقل والعلم، مركز تكوين للدراسات والأبحاث، السعودية، ط 1، 2018.
84. أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، تح: عبد القادر أحمد عطا، د ط، دار الفكر، بيروت، 1981.
85. سعيد بن صالح بن الحمدان، الطب الوقائي في الإسلام من صحة الأرواح إلى صحة الأجساد والبيئة، الكتاب منشور على موقع المكتبة الشاملة على الإنترنت.
86. السعيد عاشور، الإنسان في القرآن الكريم علمي، طبي، تربوي، ديني، دار غريب، القاهرة، 2002.

المصادر والمراجع

87. ابن السكيت، صلاح المنطق، تح: أحمد شاکر وعبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، 1987.
88. عبد السلام ياسين، إمامة الأمة، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، ط 01، 2009.
89. سليم محمد السيد، تحليل السياسة الخارجية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية، 1998.
90. السميسم سلام عبد الكريم، التوازن الاقتصادي، ط 1، دار مجدلاوي للنشر، الأردن، 1432هـ.
91. سيار الجميل، العولمة والمستقبل: استراتيجية تفكير من أجل العرب والمسلمين في القرن 21، عمان، الأهلية للنشر.
92. ابن السيد البطليموسي، المثلث، تح: صلاح مهدي الفرطوسي، دار الرشيد للنشر، 1981، مادة (سنن).
93. السيد الطباطبائي، تفسير الميزان، ج 17، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، د ت.
94. سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، في ظلال القرآن، ت: 1385هـ، دار الشروق - بيروت - القاهرة، ط: 17، ط: 1412 هـ، ج 1.
95. سيد قطب المتوفى، في ظلال القرآن، ط 7، دار الشرق، بيروت، 1978.
96. سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة - بيروت، ط 17، 1412هـ / 1992م، ج 5.
97. ابن سيده المرسي، المحكم والمحيط، ت: 458هـ، تح: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط 1، 2000 م، ج 3.
98. شحاتة محمد صقر، الموسوعة الميسرة في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة الصحيحة المطهرة، ج 4، دار الفتح الإسلامي، الإسكندرية، د ت.
99. شمس الدين أق بلوت، داروين ونظرية التطور، تر: اورخان محمد علي، ط 01، مطبعة الزهراء، الموصل، 1984.
100. شمس الدين الأفغاني، جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية، دار الصميعي، الرياض، 1996.
101. شمس الدين الحنبلي، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، ج 1، مؤسسة الخافقين ومكبتها، دمشق، 1982.

المصادر والمراجع

102. شهاب الدين أبو العباس، سنن أبي داود، ج 12، دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، مصر، 1990.
103. شهاب الدين القرافي، الذخيرة، ط 1، تح: سعيد أعراب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994.
104. شهاب الدين عبد الرحمن، المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003.
105. شوقي، المعجم الوسيط، ط 04، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004.
106. الصابوني محمد علي، صفوة التفسير، ط 1، دار الصابوني، القاهرة، 1997.
107. صالح خليل أبو إصبع، الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، 2006.
108. صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، شرح ثلاثة الأصول، مكتبة دار الحجاز، مصر، 2011.
109. صبحي صالح، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، 2000.
110. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر الجوهري الفارابي، ت: 393هـ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط 4، 1987 م، ج 2.
111. صديق حسن خان القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن، تح: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية، بيروت، 1992، ج 1.
112. ضياء جواد العاملي، الكاشف العلمي في التفسير، دار الحوراء للطباعة والنشر، بغداد، ط 1، 2006.
113. الطبري محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: مكتب التحقيق والإعداد العلمي في درا الإعلام، دار ابن حزم بيروت - لبنان، ودار الإعلام، عمان - الأردن، ط 1، 2002، ج 25.
114. الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، دار الفكر، لبنان، 1405هـ.
115. طنطاوي جوهري المصري، الجواهر في تفسير القرآن، ج 25، دار الكتب العلمية، بيروت.
116. ابن عابدين، رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار، تح: عادل أحمد عبد الموجود - علي محمد معوض، دار عالم الكتب، الرياض، 2003.
117. عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، ط 03، د ت.

المصادر والمراجع

118. أبو العباس شهاب الدين القرافي، شرح تنقيح الفصول، تح: طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، القاهرة، 1973.
119. عدنان الشريف، من علم الفلك القرآني "الثوابت العلمية في القرآن الكريم"، ط 1، دار العلم للملايين، بيروت، 1991.
120. عدنان محمد زرزور، علوم القرآن مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه، المكتب الإسلامي، دمشق، 1981.
121. عدنان محمد زرزور، علوم القرآن مدخل إلى تفسير القرآن، دار القلم، دار الشامية - دمشق، بيروت، 1998.
122. ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، ت: شعيب الأرنؤوط وعبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط 10، 1417هـ - 1997م، ج 2.
123. عبد العزيز بن عبد الله الزهراني، إبداع الخالق في نظام خلقه دليل على وحدانيته، دار التوحيد للنشر، الرياض، د ت.
124. العقاد عباس محمود، التفكير فريضة إسلامية، د ط، نهضة مصر للطباعة، القاهرة، د ت.
125. علاء الدين علي بن محمد المعروف بالخازن، لباب التأويل للخازن في معاني التنزيل، تح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 01، 1415هـ، ج 04.
126. علاء الدين محمد بن محمد أمين بن عمر الدمشقي الحنفي، الشهير كوالده بابن عابدين، له قرّة عيون الأخبار لتكملة رد المحتار على الدر المختار لوالده، توفي بالشام في شوال سنة 1306 هـ.
127. العلامة الحلي، التذكرة، تح: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، 1419هـ، ج 9.
128. علي حرب، النص والحقيقة 3 الممنوع والممتنع نقد الذات المفكرة، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان، ط 4، 2005.
129. علي بن الحسن الهنائي الأزدي، المُنَجَّد في اللغة (أقدم معجم شامل للمشارك اللفظي)، عالم الكتب، القاهرة، ط 02، 1988.
130. علي بن سعيد العبيدي، موسوعة الروح - الروح عند أهل السنة والجماعة - الروح عند أهل الكلام والفلسفة، الدرر السنية - الظهران، ط 1، 1433هـ، ج 1.
131. علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، تح: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1983.

المصادر والمراجع

132. عياض بن نامي بن عوض السلمي، أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله، دار التدمرية، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط 01، 2005.
133. ابن فارس، مقاييس اللغة، تح: محمد عبد السلام هارون، ج 3، دار الفكر للنشر والتوزيع، د ت.
134. أبو الفتح محمد الشهرستاني، الملل والنحل، ج 01، مؤسسة الحلبي، القاهرة، 1968.
135. أبو الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ط 2، دار الفكر، بيروت، 1970.
136. أبي الفضل عبد الرحمن بن أحمد عضد الدين الإيجي، المواقف في علم الكلام الإيجي، عالم الكتب، بيروت، 2020.
137. أبو الفضل عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، تح: محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة مصر، 2004.
138. أبو الفضل شهاب الدين محمود الالوسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج 11، ضبطه وصححه علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1994.
139. فؤاد زكرياء، هربرت ماركيز، دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر، ط 1، الإسكندرية، 2005.
140. فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، ط 3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ.
141. فرج زهران الدمرداش، تنظيم النسل بين الحل والحزمة، دار المعارف الأزهرية، الإسكندرية، د ت.
142. فضل حسن عباس، خماسيات مختارة في تهذيب النفس الأمارة، دار الفرقان للنشر، عمان، ط 01، 2004.
143. أبو الفضل عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، تح: محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة. مصر، 2004.
144. فضل الله، من وحي القرآن، ج 20، المركز الإسلامي الثقافي، 1979.
145. فهد بن عبد الرحمان بن سليمان الرومي، دراسات في علوم القرآن الكريم، جامعة الملك سعود، الرياض، ط 15، 2007.
146. فوزي أحمد سلامة، درر التحرير والتنوير " مقتطفات وقواعد من تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور " الجزء الأول"، أوراق للنشر والتوزيع، القاهرة.

المصادر والمراجع

147. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 1، 2005.
148. الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1996، ج 3.
149. عبد القادر بن أحمد بدران، المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1401هـ.
150. أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل الخوارزمي، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2009.
151. أبو القاسم الزمخشري، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ط 3، دار المعرفة، بيروت، 2009.
152. القاضي أبو السعود محمد بن محمد العمادي، تفسير أبي السعود العمادي، المسمى ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم، ط 4، دار احياء التراث العربي، بيروت، 1994.
153. القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ط 01، تح: فيصل بدير عون، لجنة التأليف والتعريب والنشر، الكويت، 1998.
154. القرطبي أبو عبد الله محمد بن حمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، ج 2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993.
155. قيس هادي أحمد، الإنسان المعاصر عند هربرت ماركيز، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 1، 1980.
156. ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ج 11، دار الكتب العلمية، بيروت، 1991.
157. ابن قيم الجوزية، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، دار المعرفة، بيروت - لبنان، 1978.
158. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 6، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، 1419هـ.
159. عبد الله بن محمد القرني، المعرفة في الإسلام مصادرها ومجالاتها، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، 1419هـ.
160. لويس مألوف، المنجد في اللغة والأعلام، ط 42، دار المشرق، بيروت، د.ت.

المصادر والمراجع

161. مانع بن حماد الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، مج 01، ط 03، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، د ت.
162. المبارك محمد، الإسلام والفكر العلمي، بيروت، ط 1، 1978.
163. مجموع الفتاوي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، 1416هـ-1995م، ج 28.
164. عبد المجيد الزناداني، كتاب التوحيد، دار الأنبار للطباعة والنشر، ط 2، 1990.
165. المحقق الكركي، رسالة صلاة الجمعة (رسائل المحقق الكركي)، تح: الشيخ محمد الحسون، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، 1409هـ، ج 1.
166. محمد إبراهيم الفيومي، المعتزلة تكوين العقل العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط 1، 1423هـ.
167. محمد ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تح: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1999، ج 01.
168. محمد إسماعيل إبراهيم، القرآن وإعجازه العلم، دار الفكر العربي، بيروت، د ت.
169. محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، 1995.
170. محمد الأمين بن عبد الله، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، دار طوق النجاة، بيروت - لبنان، ط 1، 2001.
171. محمد التميمي المؤخر الصفاقسي، تقريب البعيد إلى جوهرة التوحيد، تح: الحبيب بن الطاهر، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، القاهرة، ط 01، 2008.
172. محمد الحارثي، العولة والهوية، جامعة فيلادلفيا، ط 1، 1999.
173. أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، تح: محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، 1997، ج 1.
174. أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي المحاربي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ، ج 1.
175. محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 1997، ج 3.

المصادر والمراجع

176. محمد باقر الصدر، المرسل الرسول الرسالة، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، 1981.
177. محمد باقر المجلسي، البحار، تح: السيد إبراهيم الميانجي، محمد الباقر البهبودي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، بيروت، 1983، ج 90.
178. محمد باقر، الاسلام يقود الحياة، مركز الابحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر، قم - إيران، ط 1.
179. محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ): التبيان في أقسام القرآن، تح: عصام الحرساني، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
180. محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ط 1، تح: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، 1991.
181. محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور، تهذيب اللغة، ج 4، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001.
182. محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط 1، 2000.
183. محمد بن جميل زينو، العقيدة الإسلامية؛ المدرس في دار الحديث الخيرية، مكة المكرمة، ط 12، 1410هـ.
184. محمد بن حسين الجيزاني، فقه النوازل (دراسة تأصيلية تطبيقية)، دار ابن الجوزي، ط 1، 2005.
185. محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض، الملقب بمرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين، الناشر دار الهداية، د ت
186. محمد بن محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1965، ج 4.
187. محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط 3، 1414هـ.
188. محمد بن سليمان الأشقر، تفسير العشر الأخير من القرآن الكريم من كتاب زبدة التفسير ويليهِ أحكام تهم المسلم، ط 16، 1429هـ.
189. محمد بن صالح بن محمد العثيمين، شرح ثلاثة الأصول، دار الثريا للنشر، ط 1، 2004.

المصادر والمراجع

190. محمد بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984، ج 31.
191. محمد بن عبد الله الشوكاني، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط 1، 1414هـ.
192. محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي، الأمثال من الكتاب والسنة، تح: د. السيد الجميلي، دار ابن زيدون / دار أسامة، بيروت - دمشق، د. ت.
193. محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، 1414هـ.
194. محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي المعروف بالفخر الرازي أبو عبد الله فخر الدين، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت.
195. محمد قطب، واقعنا المعاصر، دار الشروق، القاهرة، ط 01، 1997.
196. محمد بن يوسف السنوسي الحسيني، متن السنوسية، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1934.
197. محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، تفسير القاسمي = محاسن التأويل، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1418هـ.
198. محمد حسين فضل الله، من وحي القرآن، دار الملاك للطباعة والنشر والتوزيع، ط 20، 1998.
199. محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنبي، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، 1988.
200. محمد رواس قلعجي، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1988، ج 1.
201. محمد سعيد رمضان البوطي؛ كبرى اليقينيات الكونية، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1997.
202. محمد سعيد رمضان السيوطي، كبرى التعيينات الكونية، دار الفكر، بيروت، ط 5، 1347.
203. محمد سيد طنطاوي، كتاب التفسير الوسيط لطنطاوي، مطبعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ط 3، 1992.
204. محمد صديق خان، فتح البيان في مقاصد القرآن، المكتبة العصرية، بيروت، 1992، ج 5.

المصادر والمراجع

205. محمد عبد الغني حسن، تلخيص البيان في مجازات القرآن: تصنيف الشريف الرضي، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط 2، 1986.
206. محمد عبد الفتاح المهدي، العلاج النفسي في ضوء الإسلام، المنصورة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، 1989.
207. محمد عبد اللطيف الخطيب، أوضح التفاسير، المطبعة المصرية ومكتبتها، مصر، 1964، ج 1.
208. محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس، القاهرة، دار الشروق، ط 5، 1993.
209. محمد علي أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط 01، 1990.
210. محمد علي الصابوني، التبيان في علوم القرآن، دار الكتب، جاكارتا، د.ت.
211. محمد علي سلامة، منهج الفرقان في علوم القرآن، الجامعة الأزهرية، 1937.
212. محمد عمارة، المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية، دار الشروق، القاهرة، ط 2، 1408هـ.
213. محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة، 1364هـ.
214. محمد ناصر الدين الألباني، العقيدة الطحاوية، المكتب الإسلامي، بيروت، 1414هـ.
215. محمد نعيم ياسين، أبحاث فقهية في قضايا طبية معاصرة، دار النفائس، عمان، ط 1، 1996.
216. مرتضى الأنصاري، فرائد الأصول تراث الشيخ الأعظم، كل وردي، 1281هـ، ج 2.
217. مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ط 03، 2013.
218. مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، دار الوراق المكتب الإسلامي، دمشق، ط 2، 2000.
219. مناع بن خليل القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، 2000.
220. المولى علي الروزدری، تقریرات (الشيرازي)، 1414هـ، ج 3.
221. ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تح: محمد عبد الرحمن مرعشلي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط 01، 1418هـ، ج 05.
222. ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، دار الكتب الإسلامية، بيروت، 1992، ج 7.
223. ناصر مكارم الشيرازي، كتاب الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مطبعة سليمان زاده، ط 1، 1426هـ.

224. نجاتي محمد عثمان، القرآن وعلم النفس، دار الشروق القاهرة، ط 5، 1984م.
 225. الواحدي أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: 468هـ)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت، 1415هـ.
 226. عبد الودود رشيد محمد، شهادة الكون: رحلات في الفضاء من واقع الحياة، دائرة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دبي، 2000.
 227. أبو الوفاء أحمد عبد الآخر، المختار من علوم القرآن، المكتب المصري الحديث، القاهرة، 2002.
 228. الوليد أبو حنيفة، دور البراديم المعرفي الواقعي في تحليل السياسة الدولية، مركز الكتاب الأكاديمي، بيروت، 2020.
 229. وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط 2، 1418هـ، ج 4.
 230. وهبة بن مصطفى الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر، دمشق، 1985، ج 03.
 231. يوسف الحاج أحمد، موسوعة الاعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، مكتبة ابن حجر، دمشق، 2002.
 232. يوسف القرضاوي، الايمان والحياة، مؤسسة الهالة، بيروت - لبنان، ط 3، 1978.
 233. يوسف القرضاوي، فقه الأولويات، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، 2001.
- ثانيا: مراجع أجنبية مترجمة:
1. جون ديوي، الطبيعة البشرية والسلوك الانساني، تر: محمد لبيب النجيجي، مؤسسة الخانجي بالقاهرة، مصر، 1963، ج 2.
 2. درايش شايفان، النفس المبتورة "هاجس الغرب في مجتمعاتنا"، دار الساقى، بيروت، لبنان، 1999.
 3. هربرت ماركيز، الإنسان ذو البعد الواحد، تر: جورج طرايشي، دار الآداب، بيروت - لبنان، 1984.
 4. هربرت ماركيز، العقل والثورة (هيجل ونشأة النظرية الاجتماعية)، تر: فؤاد زكريا، الهيئة المصرية للعلماء للتأليف والنشر، القاهرة، 1970.

ثالثاً: الأطاريح والمجلات والملتقيات:

1. أحمد عمر هاشم، وحدة الأمة الإسلامية في السنة النبوية، بحث مقدم للملتقى الأول للعلماء المسلمين تحت عنوان وحدة الأمة الإسلامية، مكة المكرمة، 127هـ، 2006.
2. بيدار محمد حسن، منير علي عبد الرب، مبدأ المساواة في الإسلام دراسة تحليلية في مفاهيم التميز والتميز، مجلة الشريعة والقانون، العدد 01، المجلد 09، ماليزيا، 2021.
3. جابر السميّري، عقيدة العادة عند الأشاعرة، م 9، مجلة الجامعة الإسلامية، للدراسات الإسلامية غزة، د ت.
4. حسن عبد الله طه الخطيب، أهداف ومقاصد وموضوعات سورة التوبة "دراسة تحليلية"، رسالة ماجستير في علوم القرآن، منشورة، الجامعة الإسلامية كلية أصول الدين، قسم أصول التفسير وعلوم القرآن، غزة، 1424-2003م.
5. حمادة محمد عبد الفتاح الحسيني، ألفاظ أدوات العذاب في الدنيا "دراسة دلالية"، رسالة ماجستير في أصول اللغة، منشورة، جامعة الأزهر، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين، قسم اللغة العربية وآدابها القاهرة، 2003.
6. خالد حسن هندراوي، القيم القرآنية: قيمة التعارف أنموذجاً، التذكرة مجلة شهرية تصدر مؤقتاً فصلية تعنى بالفكر والثقافة الإسلامية يصدرها المجلس العلمي للدار البيضاء، ج 3، ع 11-12، 2008.
7. عبد الله بن محمد بن عبد الله القرني، المعرفة في الإسلام مصادرها ومجالاتها، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في العقيدة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1418هـ.
8. فتوح الخترس، عبد الملك التميمي وآخرون، الغزو العراقي للكويت ندوة بحثية -المقدمات -الوقائع وردود الفعل -التداعيات، عالم المعرفة، العدد 195، الكويت، مارس 1995.
9. محمد سعيد رمضان البوطي، انتفاع الإنسان بأعضاء جسم إنسان آخر حيا أو ميتا في الفقه الإسلامي، مجلة مجمع الفقه الإسلامي، تصدر عن منظمة المؤتمر الاسلامي بجدة، العدد 4.
10. محمد علا، خصائص الإصلاح في الغرب الإسلامي، أنوار مجلة علمية ثقافية تصدر مرتين كل سنة عن المجلس العلمي المحلي، بني ملال، ع 3، 2014.

المصادر والمراجع

11. مسعودة علواش، القيم العليا للتشريع ومقصد العدل، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، كلية العلوم الإسلامية - جامعة الجزائر -1، العدد 04، المجلد 01، 2012.
12. معتوق جمال، الصحة الإيمانية والوقاية من السلوك الانحرافي (التربية الصوفية نموذجا)، مجلة دفاتر المخبر كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة بسكرة، المجلد 14، العدد 1، 2019.
13. معمر محمد رضا مختاري فيصل، وفرة وندرة الموارد الطبيعية ترسخ الأنظمة أو النخبة الفاسدة تزايد حدة الصراع في المجتمع، المجلة الجزائرية للتسيير والاقتصاد، المجلد 12، العدد 2، 2019.
14. ناصر بوقرو، آثار ومخلفات الاحتلال الفرنسي في الجزائر من 1830 إلى 1962م، مجلة المصادر، المجلد 18، العدد 02، الجزائر، 2023.
15. ناصري سميرة، تأثير نفوذ القوى الكبرى على صنع القرار الدولي داخل هيئة الأمم المتحدة، مجلة المفكر، العدد 13، المجلد 11، الجزائر، 2016.
16. سر الحتم إسماعيل، تكييف النزاعات المسلحة بين الدول الإسلامية اليوم، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الشهيد حمة لخضر - الوادي، الجزائر، العدد 15، مارس 2016.
17. سمير "محمد سعيد" أسعد أبو شمس، استغلال النفوذ الوظيفي في ظل التشريعات الفلسطينية وأثره على التنمية السياسية، رسالة ماجستير في التخطيط والتنمية السياسية بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، جامعة النجاح الوطنية كلية الدراسات العليا، فلسطين، 2011.
18. يوسف سليمان، تأثير التقسيم الاستعماري الأوروبي على تشكل الدول الحديثة في إفريقيا، مجلة أكاديميا للعلوم السياسية، المجلد 06، العدد 03، الجزائر، 2020.

رابعا: المواقع الإلكترونية:

1. <https://www.aljazeera.net>.
2. <https://2u.pw/epB0jT>.

قائمة الفهارس

فهرس الموضوعات

02	المقدمة العامة.
الفصل التمهيدي. تحديد المفاهيم والمصطلحات	
16	تمهيد.
17	المبحث الأول: مفهوم القرآن الكريم.
17	المطلب الأول: مفهوم القرآن لغة.
19	المطلب الثاني: المفهوم الاصطلاحي للقرآن الكريم.
26	المبحث الثاني: تعريف السنن لغةً واصطلاحاً.
26	المطلب الأول: تعريف السنة الإلهية لغة.
28	المطلب الثاني: تعريف السنة الإلهية اصطلاحاً.
32	المطلب الثالث: السنن الإلهية ومعجزات الأنبياء والرسل.
37	المبحث الثالث: مفهوم الوحدة.
37	المطلب الأول: المفهوم اللغوي للوحدة.
39	المطلب الثاني: المفهوم الاصطلاحي للوحدة.
40	المطلب الثالث: الوحدة من منظور شرعي.
42	خاتمة الفصل.
الفصل الأول: سنن وحدة الكون في القرآن الكريم	
44	تمهيد.
45	المبحث الأول: الوحدة في المنظومة الكونية.
45	المطلب الأول: سنة النظام والاتساق الكوني.
50	المطلب الثاني: الإبداع في اتحاد وتكامل تفاصيل الكون.
51	الفرع الأول: سنة التكامل الوظيفي.
55	الفرع الثاني: سنة الزوجية في الكون.
56	الفرع الثالث: سنة التكامل النفعي.
59	المطلب الثالث: سنة التسخير في الكون.
	المطلب الرابع: سنة الانقياد الكوني لله عز وجل.

فهرس الموضوعات

67	المبحث الثاني: الأبعاد العقدية لنظام الوحدة الكونية.
67	المطلب الأول: دليل الخلق.
67	الفرع الأول: قهر النظرية الداروينية.
71	الفرع الثاني: إثبات وحدانية الله.
76	المطلب الثاني: دليل الغاية.
80	المطلب الثالث: دليل الإبداع.
85	خاتمة الفصل.
الفصل الثاني: سُنن الوحدة الإنسانية	
87	تمهيد.
88	المبحث الأول: سُنن الوحدة في التكوين الإنساني.
88	المطلب الأول: سُنة وحدة المادة الإنسانية.
97	المطلب الثاني: وحدة الروح.
102	المطلب الثالث: وحدة الفطرة.
102	الفرع الأول: تعريف الفطرة لغَةً.
103	الفرع الثاني: تعريف الفطرة اصطلاحاً.
104	الفرع الثالث: سُنة الفطرة الإنسانية.
109	المطلب الرابع: سُنة التنوع من الائتلاف الزوجي القائم على وحدة الأصل.
113	المبحث الثاني: وحدة الكرامة الإنسانية.
113	المطلب الأول: سُنة التكريم القائم على النفخة الإلهية (العلم والروح).
119	المطلب الثاني: سُنة التقويم البشري الأمثل القائم على أساس التكليف.
123	المطلب الثالث: سُنة التلازم بين الكرامة الإنسانية والفاعلية الكونية القابلة للتسخير.
128	المبحث الثالث: وحدة وسائل المعرفة والأخلاق الإنسانية.
128	المطلب الأول: الوحدة في سنة الابتلاء بالتمكين المعرفي.
128	الفرع الأول: تفعيل وسائل المعرفة.
135	الفرع الثاني: سُنة الانحدار السلوكي والشقاء القائم على الجمود المعرفي.

فهرس الموضوعات

142	المطلب الثاني: وحدة الأخلاق الإنسانية.
142	الفرع الأول: سنة الابتلاء بالقصور الجبلي.
148	الفرع الثاني: سنة الإلزام الأخلاقي القائم على الملكة الفطرية.
156	الجانب التطبيقي للواقع المعاش للوحدة الإنسانية.
175	خاتمة الفصل.
الفصل الثالث: سنن وحدة الأمة الإسلامية	
177	تمهيد.
178	المبحث الأول: وحدة الانقياد والعمل.
178	المطلب الأول: سنة الوحدة القائمة على مركزية التوجه والتسليم.
179	الفرع الأول: التوحيد العلمي.
182	الفرع الثاني: التوحيد العملي.
186	المطلب الثاني: وحدة النموذج البشري (محمد صلى الله عليه وسلم) "سنة الوحدة القائمة على الإتيان للنموذج البشري الواحد".
187	الفرع الأول: في الصلة بالله عز وجل.
188	الفرع الثاني: في طاعة الله وتطبيق شرعه.
190	الفرع الثالث: في علاقته مع الإنسان والكون.
195	المطلب الثالث: السلام النفسي والوحدة المعرفية.
195	الفرع الأول: الحالة النفسية للموحد والمشارك.
201	الفرع الثاني: وحدة الغاية.
205	المبحث الثاني: الوحدة الاجتماعية.
205	المطلب الأول: الوحدة الوظيفية.
205	الفرع الأول: سنة التعارف القائمة على تنوع الخلق.
209	الفرع الثاني: سنة الابتلاء لحمل الأمانة.
211	الفرع الثالث: سنة الإصلاح الآلي القائم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
214	المطلب الثاني: وحدة العدو.
214	الفرع الأول: علاقة الإنسان بإبليس في القرآن الكريم (سنة الابتلاء القائم

فهرس الموضوعات

	على عداوة إبليس).
216	الفرع الثاني: مداخل ووسائل الشيطان.
220	المطلب الثالث: سنة الوحدة القائمة على تقبل الاختلاف.
220	الفرع الأول: الوحدة في اختلاف الجنس والعرق.
222	الفرع الثاني: الوحدة في اختلاف الفكر.
226	المطلب الرابع: الوحدة الاجتماعية في الجانب التشريعي.
226	الفرع الأول: الوحدة في العبادات (سنة الوحدة القائمة على العبادات).
230	الفرع الثاني: الوحدة في تطبيق الأحكام (سنة الوحدة القائمة على العدل والمساواة)
232	المبحث الثالث: سنن الفرقة في القرآن الكريم.
232	المطلب الأول: التنازع والاختلاف.
233	الفرع الأول: سنة الوهم الداعي إلى التفرقة القائمة على التنازع.
238	الفرع الثاني: آلية تحقيق مقاصد الشريعة من خلال استتصال التنازع.
241	المطلب الثاني: سنة هلاك الأمم القائم على التفرق والاختلاف.
242	الفرع الأول: التفرق طريق حتمي لهلاك الأمم.
245	الفرع الثاني: التمسك بالقرآن باب لصد التفرق.
250	الجانب التطبيقي للواقع المعاش للوحدة الإسلامية
268	خاتمة الفصل.
270	الخاتمة العامة.
278	قائمة المصادر والمراجع.
قائمة الفهارس	
297	فهرس الموضوعات
302	فهرس آيات القرآنية
334	فهرس الأحاديث النبوية
338	فهرس الأعلام
	الملخص

فهرس الآيات القرآنية

رقم الآية	الآية	الصفحة
سورة البقرة		
21	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾	185
29	﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾	82
34	﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ ۖ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾	219
36	﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾	220
43	﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾	232
112	﴿يَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾	204
164	﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾	75
168	﴿كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾	220
172	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾	125
187	﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ۚ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ ۖ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ	74

فهرس الآيات القرآنية

	لَكُمْ ۖ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ۖ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ۚ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا ۚ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٩٦﴾	
127	﴿وَأَتَمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۚ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ ۚ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَن تَمَتَّع بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۚ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۚ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ۚ ذَلِكَ لِمَنْ لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٠٤﴾	196
204	﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۚ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ ۚ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُوا يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴿٢٢٢﴾	197
184	﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ۚ قُلْ هُوَ أَذًى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ۚ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۚ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٣٠﴾	222
54	﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّىٰ تَكْحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ۚ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٤٩﴾	230
180	﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۚ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٥٤﴾	249

فهرس الآيات القرآنية

29	﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۚ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾		255
207	﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۚ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنَ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾		256
92	30	﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۚ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۚ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ ۚ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۚ وَانْظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ ۚ وَانْظُرْ إِلَىٰ الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوها حَمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾	259
28	﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾		281
211	185	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾	282
206	128	﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۚ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾	286
سورة آل عمران			
121	﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ		06

فهرس الآيات القرآنية

		العَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾	
27		﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْتٌ وَلَٰكِنْ سَوْفَ يُعْطَوْنَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾	12
105		﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۗ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًّا ۚ بَيْنَهُمْ ۚ وَمَنِ يَكْفُرْ بآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾	19
88	87	﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾	59
105		﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾	85
221		﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ۚ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ۗ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَلَنْتُكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾	107-102
209		﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّوهُم بِآدِينِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّنْ بَعْدَ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ ۚ مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾	152
82		﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ	191-190

فهرس الآيات القرآنية

	لَا يَاتِ لِأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٨٣﴾	
سورة النساء		
183	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾	01
91	﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾	38
167	﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾	41
186	﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾	58
222	﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾	65
91	﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾	76
213	﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ۚ فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾	89
184	﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نُّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾	114

فهرس الآيات القرآنية

122	﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا ۖ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾	165
128	﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۖ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُخْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ ۗ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾	185
136	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ ۚ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾	155
142	﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالٍ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾	174
174	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾	23
سورة المائدة		
04	﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ ۚ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ ۖ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾	106
08	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۖ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾	207
42	﴿سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۚ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا ۚ وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ	203

فهرس الآيات القرآنية

	المُقسِطِينَ ﴿٢٢٣﴾	
223	﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَخَشَوْنَ اللَّهَ ۚ تَسْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾	44
204	﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهُدًى وَالْقَلَائِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾	97
 سورة الأنعام		
103	﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾	4
165	﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ۚ قُلِ اللَّهُ ۚ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ۚ أَتُنْكُمُ لِلشَّهَادَتِ أَنْ مَعَ اللَّهِ آلِهَةٌ أُخْرَىٰ ۚ قُلْ لَا أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾	19
180	﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾	41
102	﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾	76
156	﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾	82
107	﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۖ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾	98
72	﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَفُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُصِفُونَ﴾	100
180	﴿بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ	101

فهرس الآيات القرآنية

	صَاحِبَةً ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢٥﴾	
75	﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۖ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأْتَمَّا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ ۚ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾	125
223	﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾	153
33	﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾	154
222	﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ۗ قُلْ انتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾	158
218	﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ۚ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾	159
179	﴿لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾	163
179	﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾	165
سورة الأعراف		
194	﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾	10
190	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾	11
91	﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۚ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾	12
194	﴿ثُمَّ لَا تَعْنِيهِمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ۚ بَلْ لَّعَنَهُمُ اللَّهُ لَعْنَةً غَافِلِينَ﴾	17

فهرس الآيات القرآنية

	شَمَائِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٩٥﴾	
195	﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾	20
59	﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾	54
36	﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾	107
36	﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾	108
200	﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلًّا آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾	146
173	﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (151) إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾	152
140	﴿وَآتِلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾	175
133	﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾	179
86	﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ ۖ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنُكُونَ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾	189

فهرس الآيات القرآنية

188	﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾	199
سورة الأنفال		
213	﴿إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾	43
210	﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾	46
184	﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ ۖ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾	75
سورة التوبة		
189	﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِم بِالْكُفْرِ ۚ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾	17
178	﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا ۗ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾	31
176	﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾	40
173	﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾	45
164	﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ ۗ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾	61

فهرس الآيات القرآنية

66-64	﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ اسْتَهِزُّوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مِمَّا تَحْذَرُونَ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۚ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾
77	﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾
112	﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ ۚ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾
126	﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ﴾
128	﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾
 سورة يونس	
05	﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾
35	﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَّنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ ۚ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ ۚ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ ۚ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾
57	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾

فهرس الآيات القرآنية

101	﴿قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾	136
سورة هود 🏠		
07	﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾	46
118-119	﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۚ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ۚ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾	219
سورة يوسف 🏠		
100	﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ۚ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۚ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾	117
111	﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۚ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِنْ تَصَدِّقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾	30
سورة الرعد 🏠		
15	﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾	117
25	﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ اللَّعَنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾	184

فهرس الآيات القرآنية

سورة إبراهيم		
103	﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَأَطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِكُم إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ قَالُوا إِنَّا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾	10
سورة الحجر		
23	﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾	09
56	﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾	16
115	﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾	29
115	﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾	30
174	﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾	31
النحل		
152	﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾	01
152	﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۖ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا ۖ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾	05-04
125	﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ۖ لَّكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾	10
59	﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾	12
60	﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَلِيَّةً تَلْبَسُوهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾	14
56	﴿وَعَلَامَاتٍ ۚ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾	16
153	﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۚ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ	22-17

فهرس الآيات القرآنية

	يُخْلَقُونَ أَمْوَاتٌ غَيْرَ أَحْيَاءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ إلهكم إله واحد ۖ فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون ﴿١٣٩﴾	
139	﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾	65
109	﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ۚ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾	72
127	﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۚ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾	78
60	﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾	79
205	﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾	90
191	﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾	100
126	﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾	116
سورة الإسراء		
125	﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلَنَاهُ تَفْصِيلًا﴾	12
127	﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾	36
72	﴿ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ۖ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾	39

فهرس الآيات القرآنية

72	﴿أَفَاصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَيْنِ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾	40
72	﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾	43
90	﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾	61
34	﴿سِنَّةٌ مِّن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾	77
167	﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾	79
23	﴿الْقُرْآنَ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾	82
95	﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۚ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾	85
133	﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾	99
25	﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾	106
سورة الكهف		
190	﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۖ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ۚ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾	50
157	﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾	107
24	﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾	109

فهرس الآيات القرآنية

سورة مريم		
104	﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾	90-91
سورة طه		
161	﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾	05
36	﴿فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾	20
160	﴿أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِمِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾	39
67	﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾	50
122	﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَوَسَّلَكَ لَكُمُ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى﴾	53
87	﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾	55
100	﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا ۖ فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾	72
195	﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةٍ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾	120
33	﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ۖ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾	121-122
سورة الأنبياء		
22	﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾	10
57	﴿وَمَنْ يُقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّنْ دُونِهِ فَذَلِكِ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾	29
45	﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾	30

فهرس الآيات القرآنية

	فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾	
51	﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۚ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾	33
102	﴿قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾	56
202	﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون﴾	92
41	﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ۚ وَعَدًا عَلَيْنَا ۚ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾	104
155	﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾	107
 سورة الحج		
77	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عِلْقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنَبِّئَنَّ لَكُمْ ۖ وَنَقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لَتَبَلُغُوا أَشَدَّكُمْ ۖ وَمِنْكُمْ مَّن يُّتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّن يُّرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَّهِيحٍ﴾	05
174	﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾	31
60	﴿وَالْبُذُنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۚ فَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ ۚ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ۚ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾	36
60	﴿لَن يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ ۚ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ ۚ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾	37

فهرس الآيات القرآنية

51	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾	65
67	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ۚ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾	73
105	﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ ۚ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾	78
سورة المؤمنون		
186	﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾	08
89	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾	14-12
152	﴿قُلْ لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾	89-84
71	﴿مَّا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ ۚ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ مَّا خَلَقَ وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾	91
119	﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ فَتَعَالَى	116-115

فهرس الآيات القرآنية

	اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ	
سورة النور		
12	﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾	193
15	﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾	126
24	﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾	127
57	﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ۚ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾	181
سورة الفرقان		
01	﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾	23
25	﴿وَيَوْمَ تَشْقُقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾	103
32-33	﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۚ كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾	26
44	﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۚ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾	141
61	﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾	52
62	﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾	139
سورة الشعراء		
07	﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾	54
63	﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ ۚ فَانْفَلَقَ فَكَانَ	36

فهرس الآيات القرآنية

	كُلُّ فَرْقٍ كَالطُّودِ الْعَظِيمِ ﴿١٤٥﴾	
145	﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾	89-88
23	﴿إِنَّهُ لَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	192
95	﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾	194-193
سورة النمل		
245	﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾	14
154	﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ۚ اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ۚ أَلِلَّهِ مَعَ اللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۚ أَلِلَّهِ مَعَ اللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۚ أَلِلَّهِ مَعَ اللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۚ أَلِلَّهِ مَعَ اللَّهِ ۚ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ أَلِلَّهِ مَعَ اللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾	64-59
76	﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ۚ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾	88
130	﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرْيَكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾	93
سورة القصص		
149	﴿عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾	04
180	﴿وَمُكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾	06

فهرس الآيات القرآنية

سورة العنكبوت		
102	﴿وَابْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ۖ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	16
77	﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾	41
158	﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّتَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾	58
سورة الروم		
107	﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾	12
86	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾	21-20
196	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاجْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾	22
65	﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾	27
219	﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا ۚ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾	32-30
سورة لقمان		
79	﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ ۖ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً	11-10

فهرس الآيات القرآنية

	فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۚ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٠﴾	
59	﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ۚ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾	20
63	﴿وَمَن يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ۖ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٣﴾	22
63	﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٧﴾	23
24	﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفَدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾	27
سورة السجدة		
67	﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾	7
89	﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾	9
69	﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾	27
سورة الأحزاب		
54	﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتُخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾	37
34	﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ ۖ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾	38

فهرس الآيات القرآنية

33	﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾	62
126	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾	70
سورة سبأ		
198	﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْطُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خِيَارِكُمْ ثُمَّ تَنْفَكُوا عَنْ مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جَنَّةٍ ۚ إِنَّ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾	46
سورة فاطر		
101	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مِثْلَى ثُلَاثٍ وَرُبَاعٍ ۚ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾	01
192	﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾	06
103	﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيُسْقَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾	09
88	﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ ۚ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾	11
197	﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ ۚ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾	28
29	﴿اسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ۚ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ ۚ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۚ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾	43
سورة يس		
100	﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾	22
53	﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ	36

فهرس الآيات القرآنية

	أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥١﴾	
38	﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ۚ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٥١﴾﴾	51
40	﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٥١﴾﴾	76
79	﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾	103
سورة الصافات		
06	﴿إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ﴿٥٦﴾﴾	56
07	﴿وَحَفِظْنَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ﴿٥٦﴾﴾	56
11	﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا ۚ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ﴿٩١﴾﴾	91
22	﴿اخْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَرْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٥٤﴾﴾	54
سورة ص		
18	﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿٦٠﴾﴾	60
26	﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَظِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٢٣﴾﴾	223
29	﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٣٦﴾﴾	136
36	﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٦٠﴾﴾	60
59	﴿هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ ۚ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴿٩٠﴾﴾	90
سورة الزمر		
05	﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۚ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ۚ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۚ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ۚ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٧٣﴾﴾	73
08	﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَلَهُ نِعْمَةٌ	105

فهرس الآيات القرآنية

	مَنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿١٦٧﴾	
11	﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾	167
27	﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾	140
29	﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾	64
43-42	﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تُمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۚ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ ۚ قُلْ أُولَٰئِكَ كَانَوْا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾	100
53	﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾	195
54	﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾	64
62	﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾	65
+ سورة غافر		
15	﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾	95
64	﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُم فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُم مِنَ الطَّيِّبَاتِ ۚ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾	121
67	﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشْدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا ۚ وَمِنْكُمْ مَنْ يُوْتَوَفَّىٰ مِنْ قَبْلُ ۚ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾	88

فهرس الآيات القرآنية

سورة فصلت		
118	﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾	08-07
117	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾	37
23	﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ۚ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشَفَاءٌ ۖ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُولَٰئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾	44
32	﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾	52
73	﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۖ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾	53
سورة الشورى		
80	﴿فَاطْرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا ۖ يَذُرُّكُمْ فِيهِ ۖ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾	11
218	﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ۚ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾	13
137	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾	29
104	﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾	50

فهرس الآيات القرآنية

52	﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِّنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾	96
سورة الزخرف		
27	﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾	100
81	﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾	101
سورة الدخان		
39-38	﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾	55
سورة الجاثية		
06	﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾	81
12	﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لَتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾	57
13	﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾	123
24	﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ۚ وَمَا هُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾	68
سورة الأحقاف		
13	﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾	175
26	﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِّنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾	138
سورة محمد		

فهرس الآيات القرآنية

156	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَصُورُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾	07
184	﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ﴾	23
140	﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾	24
سورة الفتح		
176	﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ۖ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾	04
161	﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۖ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِهُ اللَّهُ فَمَا لُصُّوهُ فَؤَادُ عَظِيمًا﴾	10
176	﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾	18
29	﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ ۖ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾	23
176	﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۖ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾	26
سورة الحجرات		
184	﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا ۚ فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾	09
193	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ	12

فهرس الآيات القرآنية

	يَأْكُلْ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴿١٨٢﴾	
13	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾	182
سورة الذاريات		
12	﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾	120
49	﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾	53
56	﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	156
سورة النجم		
17	﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾	164
سورة الرحمن		
4-1	﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾	86
09	﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾	183
14	﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾	93
22	﴿يَخْرِجُ مِنْهُمَا اللَّوْثُ وَالْمَرْجَانُ﴾	76
سورة الواقعة		
68	﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾	125
76	﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّو تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾	76
سورة الحشر		
07	﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾	152
سورة الجمعة		
05	﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ۚ بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾	143
سورة التغابن		

فهرس الآيات القرآنية

119	﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾	03
سورة الملك		
104	﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۚ مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَافُوتٍ ۚ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾	04-03
56	﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾	05
127	﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾	10
124	﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ۚ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾	15
138	﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾	23
سورة القلم		
165	﴿إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾	04
30	﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾	35
سورة نوح		
68	﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾	17
سورة المزمل		
166	﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾	02
103	﴿السَّمَاءِ مُنْفَطِرٌ بِهِ ۚ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾	18
166	﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصِيَهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ۚ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ ۖ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ۖ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَاقْرَءُوا مَا	20

فهرس الآيات القرآنية

	تَيَسَّرَ مِنْهُ ۖ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٦﴾	
سورة المدثر		
166	﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾	02
144	﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذِكْرِ مُعْرِضِينَ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾	51-49
سورة القيامة		
سورة الإنسان		
134	﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾	02
سورة النبأ		
136	﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَاجًا لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾	16-14
96	﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا ۖ لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَدِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾	38
سورة النازعات		
136	﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾	31-30
سورة عبس		
99	﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرُهُ﴾	20
136	﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾	25-24
سورة الانفطار		
100	﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾	01
118	﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾	08-06
سورة المطففين		

فهرس الآيات القرآنية

183	﴿إِذَا كَانُوا مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ أَوْ لِيُنْزِلَ عَلَيْهِمْ نَارُ السَّمَاءِ فَتُخَذِلُ بِهِ السُّيُوفَ الَّتِي لَا يُبْرَأُونَ بِهَا﴾	03
سورة طارق		
108	﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾	05
سورة الغاشية		
137	﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾	17
سورة البلد		
126	﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾	09
سورة الشمس		
52	﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾	01
47	﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاها﴾	05
سورة التين		
119	﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾	04
سورة القدر		
26	﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾	01
سورة البينة		
179	﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ خُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾	05
سورة القارعة		
145	﴿الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾	04-01
سورة الكافرون		
155	﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾	01
سورة الإخلاص		
151	﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾	04-01

فهرس الأحاديث النبوية

الصفحة	الحديث
24	(لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب)
24	(من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها لا أقول (الم) حرف ولكن (الف) حرف و (لام) حرف و (ميم) حرف)
29	(من سن سنة حسنة)
32	(من اجتهد فأصاب فله أجران، ومن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد)
106	(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، واستوصوا بالنساء خيراً فإنهن خلقن من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً)
106	(النساء شقائق الرجال)
165	(كان خلقه القرآن)
166	(أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً)
167	(ربِّ ألم تعدني ألا تعدبهم وأنا فيهم، ألم تعدني ألا تعدبهم ونحن نستغفرك)
167	(إنَّ العينَ تدمعُ، والقلبُ يحزنُ، ولا نقولُ إلا ما يَرْضَى ربُّنا، وإنَّا بفراقِكَ يا إبراهيمَ لَمَحْزُونُونَ)
168	(... يا أبا ذر! ما السماوات السبع مع الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة...)
169-168	(يا عائشَ هذا جِبْرِيلُ يُقرِّئك السَّلامَ)
169	(كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقْبَلُ إِحْدَى نِسَائِهِ وَهُوَ صَائِمٌ ثُمَّ تَضَحَّكَ)
169	(وَإِنَّكَ مَهْمَا أَنْفَقْتَ مِنْ نَفَقَةٍ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ، حَتَّى اللَّقْمَةُ الَّتِي تَرْفَعُهَا إِلَى فِي امْرَأَتِكَ)
169	(هَلْ مِنْ غَدَاءٍ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ، فَأُتِيَ بِثَلَاثَةِ أَقْرِصَةٍ، فَوُضِعْنَ عَلَى نَبِيٍّ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُرْصًا، فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَخَذَ قُرْصًا آخَرَ، فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْ، ثُمَّ أَخَذَ الثَّالِثَ، فَكَسَرَهُ بَاثْنَيْنِ، فَجَعَلَ نِصْفَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَنِصْفَهُ بَيْنَ يَدَيْ، ثُمَّ قَالَ: هَلْ مِنْ أَدَمٍ؟ قَالُوا: لَا إِلَّا شَيْءٌ مِنْ خَلٍّ، قَالَ: هَاتُوهُ، فَنِعِمَ الْأَدَمُ هُوَ)

فهرس الأحاديث النبوية

170-169	(واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت)
170	(اثبت أحد؛ فإن فوقك نبي وصدیق وشهيدین)
170	(مر بنا جنازة فقام لها النبي صلى الله عليه وسلم فقمنا معه فقلنا: يا رسول الله! إنها جنازة يهودي؟ قال: إذا رأيتم الجنازة فقوموا)
170	(اثبت أحد؛ فإن فوقك نبي وصدیق وشهيدین)
170	(كنّا مع رسول الله في سفرٍ فانطلق لحاجته فرأينا حمرةً معها فرخان فأخذنا فرخيهما فجاءت تعرش فجاء النبي فقال: من فجع هذه بولدها؟ ردّوا ولدها إليها. ورأى قرية نمل قد حرقناها. فقال: من حرق هذه؟ قلنا: نحن قال: إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار)
171	(أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد الله تعالى كرامته بالنبوة، كان إذا خرج لحاجة أي حاجة الإنسان أبعد حتى لا يرى ببناء، ويفضي إلى الشعاب وبطون الأودية، فلا يمر بجحر ولا شجر إلا قال: الصلاة والسلام عليك يا رسول الله، وكان يلتفت عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى أحدا)
171	(وكان لي أخ يُقال له: أبو عُميرٍ -قال: أحسبه- فطيماً، وكان إذا جاء قال: يا أبا عُميرٍ، ما فعل النُّعيرُ؟ نَعَرَ كان يلعبُ به، فرمًا حضر الصلاة وهو في بيتنا، فيأمرُ بالبساط الذي تحته فيكنس ويُنضح، ثم يقومُ ونقومُ خلفه، فيصلي بنا)
184	(تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم)
184	(ثلاثٌ من كنَّ فيه وجد بهنَّ حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار)
188-187	(مثلُ القائم على حدودِ الله والواقعِ فيها، كمثلِ قومٍ استهموا على سفينةٍ، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نُؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا، ونجوا جميعاً)

فهرس الأحاديث النبوية

192	(مَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَنَالَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ، فَلْيَلْزَمْ الْجَمَاعَةَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ، وَهُوَ مِنَ الْاِثْنَيْنِ أَبْعَدُ)
193-192	(إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا إِخْوَانًا)
195	(إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْهَوَى وَطُولُ الْأَمَلِ)
207	(لَا وَاللَّهِ، لَا تُكْسِرُ سُنَّهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا أَنَسُ كِتَابُ اللَّهِ الْقِصَاصُ فَرَضِي الْقَوْمَ وَقَبِلُوا الْأَرْضَ)
212-211	(لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَا هُنَا)
212	(عَلَيْكُمْ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِيمَا أَحَبَبْتُمْ وَكَرِهْتُمْ، فِي مَنْشَطِكُمْ وَمَكْرَهِكُمْ، وَأَثَرَةٍ عَلَيْكُمْ، وَلَا تَنَازَعُوا الْأَمْرَ أَهْلَهُ)
215	(أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مِنْ دَرَجَةِ الصَّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟ " قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: "إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ الْحَالِقَةُ)
215	(دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ: الْحَسَدُ، وَالْبَغْضَاءُ، وَالْبَغْضَاءُ: هِيَ الْحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ تَخْلُقُ الشَّعْرَ، وَلَكِنْ تَخْلُقُ الدِّينَ)
216	(يَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ)
216	(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي أَنْبِئُكُمْ بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ فَخَرَجْتُ كَيْمَا أُحَدِّثُكُمْ بِهَا أَوْ أُخْبِرُكُمْ بِهَا فَتَلَاخَى رَجُلَانِ يَحْتَقِقَانِ مَعَهُمَا الشَّيْطَانُ فَأَنْسِيَتْهَا)
218	(لَحْنٌ -مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ- أَوْلَادُ عَالَتٍ؛ دِينُنَا وَاحِدٌ)
219	(أَهْلُ رَحْمَةِ اللَّهِ أَهْلُ جَمَاعَةٍ وَإِنْ تَفَرَّقَتْ دُورُهُمْ وَأَبْدَانُهُمْ، وَأَهْلُ مَعْصِيَتِهِ أَهْلُ فُرْقَةٍ وَإِنْ اجْتَمَعَتْ دُورُهُمْ وَأَبْدَانُهُمْ)
220-219	(مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُيْبِيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصْبَةٍ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصْبَةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصْبَةً، فَقُتِلَ، فَقَتَلَتْهُ جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي، يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا، وَلَا

فهرس الأحاديث النبوية

	يَفِي لَدِي عَهْدٍ عَهْدَهُ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ. وَفِي رِوَايَةٍ: لَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا)
220	(وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا)
220	(كِلَاكُمَا مُحْسِنٌ، وَلَا تَخْتَلِفُوا، فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا)
220	(إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِاخْتِلَافِهِمْ فِي الْكِتَابِ)
224	(وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لَا يَهْلِكَ أُمَّتِي بَسَنَةِ عَامَةٍ، وَأَنْ لَا يَسْلُطَ عَلَيْهِمْ عَدَاؤُ مَنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بِيَضَّتِهِمْ وَإِنْ رَبِّي قَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتَ قَضَاءَ فَإِنَّهُ لَا يَرُدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأَمْتِكَ أَنْ لَا أَهْلِكُهُمْ بَسَنَةِ عَامَةٍ، وَأَنْ لَا أَسْلُطَ عَلَيْهِمْ عَدَاؤُ مَنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بِيَضَّتِهِمْ وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ فِي أَقْطَارِهَا حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يَهْلِكُ بَعْضًا)
224	(وَإِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا يَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تَشْرِكُوا لَهُ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا، وَلَا تَفْرُقُوا، وَأَنْ تَنَاصَحُوا مَنْ وَلَاهُ اللَّهُ أَمْرَكُمْ، وَيَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةُ الْمَالِ)

فهرس الأعلام

الصفحة	الأعلام
42	أرنولد جوزف توينبي (1889-1975): مؤرخ وفيلسوف بريطاني، عُدّ من أبرز مفكري القرن العشرين، وأشهر مؤلفاته "دراسة التاريخ" في 12 مجلدًا، وصاحب نظرية "التحدي والاستجابة" في فلسفة التاريخ.
42	سالازار، أنطونيو دو أوليفيرا (1889 - 1970م): كان حاكمًا مستبدًا للبرتغال، من عام 1933م إلى عام 1968م. أصبح رئيسًا للوزراء عام 1932م. ثم أعلن في العام التالي دستورًا جعله حاكمًا استبداديًا. منذ عام 1968م بدأ يعاني من شلل في الدماغ عجز معه عن القيام بواجباته أقام سالازار دولة عسكرية، فوضع النقابات تحت إدارة الحكومة ومنع حرية الصحافة والحريات السياسية، وأقام الاقتصاد على قواعد محكمة، ولكنها كانت على حساب الأجور، ورفاهية كثير من المواطنين في سنة 1968م أبعاد سالازار عن الحكم بطريقة لم يكن يتوقعها، وتولى السلطة مكانه مارسيلو كايانو، وتوفي سالازار بعد ذلك بستين. انظر الإصدار الإلكتروني للموسوعة العربية العالمية حرف السين.
47	نديم حسين الجسر (1897-1980م): فقيه ومفكر لبناني، شغل منصب مفتي طرابلس ونائبًا في البرلمان، ترك مؤلفات بارزة منها قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن، عُرف بانفتاحه الفكري وجمعه بين البعد الديني والسياسي.
66	تشارلز داروين (1809 - 1882م): عالم أحياء بريطاني الجنسية، يهودي، خَرَجَ بنظرية التطور الحيواني، وزعم أنَّ الطبيعة تختارُّ الأصلح من مخلوقات البقاء، له كتاب: "أصل الأنواع".
111	شهاب الدين أحمد بن أبي العلاء إدريس بن عبد الرحمن الصنهاجي: انتهت إليه رئاسة الفقه على مذهب مالك رحمه الله، كان إمامًا بارعا في الفقه والأصول والعلوم العقلية، وله معرفة بالتفسير، ألف كتبًا كثيرة مفيدة، منها: الذخيرة القواعد، التنقيح، توفي بدير الطين في جمادى الآخرة، عام 684، ودفن بالقرافة.
111	علاء الدين محمد بن محمد أمين بن عمر الدمشقي الحنفي: الشهير كوالده بابن عابدين، له قرّة عيون الأخبار لتكملة رد المحتار على الدر المختار لوالده، توفي بالشام في شوال سنة 1306 هـ.

فهرس الأعلام

115	محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي أبو الطيب: من رجال النهضة الإسلامية المجددين ولد ونشأ في قنوج (بالهند) وتعلم في دهلي. وسافر إلى بهوپال طلباً للمعيشة، ففاز بثروة وافرة، قال في ترجمة نفسه ألقى عصا الترحال في محروسة بهوپال، فأقام بها وتوطن وتمول، واستوزر وناب، وألف وصنف وتزوج ملكة بهوپال، ولقب بنواب عالي الجاه أمير الملك بهادر له نيف وستون مصنفاً بالعربية والفارسية والهندسية منها بالعربية (حسن) الأسوة فيما ثبت عن الله ورسوله في النسوة - ط) و(أبجد العلوم - ط) و (فتح البيان في مقاصد القرآن - ط) عشرة أجزاء، في التفسير، الأعلام للزركلي (6/167) الأعلام للزركلي (6/168).
116	ابن الأنباري: الإمام الحافظ اللغوي ذو الفنون، أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار بن الأنباري، المقرئ النحوي. ولد سنة اثنتين وسبعين ومائتين. قال أبو علي القالي كان شيخنا أبو بكر يحفظ فيما قيل ثلاث مائة ألف بيت شاهد في القرآن. قلت: هذا يجيء في أربعين مجلداً. قال أبو علي التنوخي: كان ابن الأنباري يملئ من حفظه، ما أملئ من دفتر قط. وقال محمد بن جعفر التميمي: ما رأينا أحداً أحفظ من ابن الأنباري، ولا أغزر من علمه. وحدثوني عنه أنه قال: أحفظ ثلاثة عشر صندوقاً قال أبو بكر الخطيب: كان ابن الأنباري صدوقاً ديناً من أهل السنة. صنف في علوم القرآن والغريب والمشكل والوقف والابتداء. وقال غيره: كان من أعلم الناس وأفضلهم في نحو الكوفيين، وأكثرهم حفظاً للغة. أخذ عن ثعلب، وأخذ الناس عنه، وهو شب في حدود سنة ثلاث مائة سير أعلام النبلاء ط الحديث ص 489 - 490.
159	أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري: ينتهي نسبه إلى الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري، (260 - 324هـ) الإمام المشهور، قال الذهبي: (كان عجباً في الذكاء وقوة الفهم ولما برع في معرفة الاعتزال كرهه وتبرأ منه وصعد للناس فتاب إلى الله تعالى منه ثم أخذ يرد على المعتزلة ويهتك عوارهم)، من مؤلفاته بعد رجوعه إلى مذهب السلف: الإبانة ورسالة إلى أهل الثغر ومقالات الإسلاميين. انظر سير أعلام النبلاء (15/85).

الملخص:

تهدف في دراستنا إلى استكشاف السنن الإلهية التي تسهم في بناء الوحدة من منظور قرآني، ودراسة تجليات هذا المفهوم في سياق العقيدة الإسلامية، متناولين الوحدة بمفهومها الشامل على مستوى الكون والإنسان والأمة الإسلامية، مع عرض طرق تحقيقها وأثرها على الاستقرار المجتمعي، كما نتناول سنن الفرق المؤدية إلى التشتت. تتكون الدراسة من ثلاثة فصول رئيسية إضافة إلى المقدمة والخاتمة.

يبدأ البحث بمقدمة تمهيدية لموضوع الوحدة في القرآن الكريم، ثم فصل تمهيدي يعرف المفاهيم الأساسية المتعلقة بالقرآن والسنن الإلهية والوحدة، متضمنًا مباحث حول مفهوم القرآن وتاريخه، وتعريف السنن الإلهية وعلاقتها بمعجزات الأنبياء، ومفهوم الوحدة من منظور لغوي وشرعي.

أما الفصل الأول فيتناول سنن وحدة الكون في القرآن الكريم، ويدرس مظاهر التكامل والانسجام الكوني من خلال سنن: النظام والاتساق الكوني، التكامل الوظيفي، الزوجية في الكون، التكامل النفعي، التسخير، والانقياد الكوني لله. كما يستعرض الأبعاد العقدية لهذه الوحدة عبر أدلة الخلق والغاية والإبداع، مسلطًا الضوء على إثبات وحدانية الله.

ويتناول الفصل الثاني سنن الوحدة في التكوين الإنساني ووحدة الكرامة الإنسانية، من خلال سنن: وحدة المادة، وحدة الروح، الفطرة الإنسانية، والتنوع من الائتلاف الزوجي. ويبحث في الكرامة الإنسانية عبر سنن: التكريم بالنفخ الإلهي، التقويم البشري الأمثل، والتلازم بين الكرامة الإنسانية والفاعلية الكونية. كما يتناول وحدة وسائل المعرفة والأخلاق من خلال سنن الابتلاء بالتمكين المعرفي والإلزام الأخلاقي، مع عرض الجانب التطبيقي للواقع المعاش للوحدة الإنسانية.

ويعرض الفصل الثالث سنن وحدة الأمة الإسلامية، متناولًا سنن الوحدة القائمة على التوحيد واتباع النموذج البشري النبي محمد ﷺ، والوحدة الاجتماعية عبر سنن التعارف، حمل الأمانة، الإصلاح، ومواجهة العدو، وتقبل الاختلاف، والعدل في العبادات والأحكام. كما يتناول سنن الفرق كالتنازع والتفرق، وآليات استئصالها، والتمسك بالقرآن لصددها، مع عرض الجانب التطبيقي للواقع المعاش للوحدة الإسلامية.

وتختتم الدراسة بعرض استنتاجات رئيسية حول دور السنن الإلهية في تحقيق الوحدة القرآنية ومواجهة الفرق، مؤكدة على أهمية التمسك بهذه السنن لتثبيت التلاحم المجتمعي والمحافظة على الهوية الإسلامية الموحدة.

الكلمات المفتاحية:

القرآن الكريم؛ الوحدة القرآنية؛ السنن الإلهية؛ التوحيد؛ العقيدة الإسلامية؛ التكامل الكوني؛ الكرامة الإنسانية؛ الوحدة الإنسانية؛ التنازع والفرقة؛ الوحدة الإسلامية.

Abstract:

This study explores the divine laws that contribute to building unity from a Qur'anic perspective, examining their manifestations within Islamic belief. It addresses unity across the cosmos, humanity, and the Islamic nation, presenting methods for achieving it and its impact on social stability, while also discussing the laws of division. The study consists of three main chapters, plus an introduction and conclusion.

The introduction provides an overview of the topic, followed by a preliminary chapter defining key concepts related to the Qur'an, divine laws, and unity.

The first chapter examines the divine laws of cosmic unity, studying the Sunnah of cosmic system and consistency, functional integration, duality, utilitarian integration, subjugation, and cosmic submission to Allah. It also explores the theological dimensions through evidence of creation, purpose, and creativity, highlighting the oneness of God.

The second chapter explores the divine laws of unity in human creation and human dignity, covering the Sunnah of the unity of matter, spirit, innate disposition (fitrah), and diversity from spousal union. It addresses human dignity through the Sunnah of veneration through the divine blowing of the spirit, optimal human formation, and the correlation between human dignity and cosmic agency. It also examines the unity of knowledge and ethics through the Sunnah of trial by knowledge empowerment and moral obligation, presenting the applied aspect of human unity.

The third chapter addresses the divine laws of unity within the Islamic nation, covering the Sunnah of unity based on monotheism and following the prophetic model, social unity through acquaintance, trust-bearing, reform, confronting the enemy, embracing diversity, and justice in worship and rulings. It also examines the laws of division, mechanisms to eliminate them, and holding fast to the Qur'an as a prevention, with the applied aspect of Islamic unity.

The conclusion presents key findings on the role of divine laws in achieving Qur'anic unity and confronting division, emphasizing the importance of adhering to these laws to strengthen social cohesion and preserve a unified Islamic identity.

Keywords:

The Qur'an; Qur'anic unity; Divine laws; Tawhid (Oneness of God); Islamic creed; Cosmic harmony; Human dignity; Human unity; Dispute and division; Islamic unity.

Résumé :

Cette étude explore les lois divines qui contribuent à construire l'unité dans une perspective coranique, en examinant leurs manifestations dans la croyance islamique. Elle aborde l'unité à travers le cosmos, l'humanité et la nation islamique, présentant les moyens de la réaliser et son impact sur la stabilité sociale, tout en traitant des lois de la division. L'étude comprend trois chapitres principaux, plus une introduction et une conclusion.

L'introduction donne un aperçu du sujet, suivie d'un chapitre préliminaire définissant les concepts clés liés au Coran, aux lois divines et à l'unité.

Le premier chapitre examine les lois divines de l'unité cosmique, étudiant les Sunnah du système et de la cohérence cosmiques, de l'intégration fonctionnelle, de la dualité, de l'intégration utilitaire, de la soumission et de la soumission cosmique à Allah. Il explore également les dimensions théologiques à travers les preuves de la création, de la finalité et de la créativité, mettant en avant l'unicité de Dieu.

Le deuxième chapitre explore les lois divines de l'unité dans la création humaine et la dignité humaine, couvrant les Sunnah de l'unité de la matière, de l'esprit, de la disposition innée (fitrah) et de la diversité issue de l'union conjugale. Il aborde la dignité humaine à travers les Sunnah de la vénération par l'insufflation divine de l'esprit, de la formation humaine optimale et de la corrélation entre la dignité humaine et l'agence cosmique. Il examine également l'unité de la connaissance et de l'éthique à travers les Sunnah de l'épreuve par l'autonomisation de la connaissance et de l'obligation morale, présentant l'aspect appliqué de l'unité humaine.

Le troisième chapitre traite des lois divines de l'unité au sein de la nation islamique, couvrant les Sunnah de l'unité basée sur le monothéisme et le suivi du modèle prophétique, l'unité sociale à travers la connaissance mutuelle, le portement du dépôt (amanah), la réforme, la confrontation à l'ennemi, l'acceptation de la diversité, et la justice dans les actes d'adoration et les rulings. Il examine également les lois de la division, les mécanismes pour les éliminer, et la fermeté au Coran pour les prévenir, avec l'aspect appliqué de l'unité islamique.

La conclusion présente les principaux résultats sur le rôle des lois divines dans la réalisation de l'unité coranique et la lutte contre la division, soulignant l'importance de l'adhésion à ces lois pour renforcer la cohésion sociale et préserver une identité islamique unifiée.

Mots-clés :

Le Saint Coran ; Unité Coranique ; Lois divines; Tawhid (unicité de Dieu) ; Doctrine islamique; Harmonie cosmique; Dignité humaine; Unité humaine; Conflit et division; Unité islamique.

People's democratic republic of Algeria

Ministry of higher education and scientific research

Amir Abd-el-Kader University of Islamic Sciences Constantine

Faculty of THEOLOGY

Ordinal Number:

Identification Number:



Department of: Doctrine
and comparative religions
Specialty: Doctrine

The Divine Laws of Unity in the Holy Qur'an: Theory and Application

Thesis submitted for academic doctoral LMD
in: Specialty: Doctrine

Elaborated by the student:

❖ BENSHIHA Samira

Supervised by:

Prof. Dr. BARAMA Ahcene

The discussion jury members

Name and First Name	Scientific Rang	Original University
Prof. Dr. Issa Bouafia	Chairperson	Emir Abdelkader University of Islamic Sciences
Prof. Dr. Ahsen Barama	Supervisor and Rapporteur	Emir Abdelkader University of Islamic Sciences
Dr. Najwa Mansouri	Member	Emir Abdelkader University of Islamic Sciences
Prof. Dr. Hussein Cherfa	Member	University of El Hadj Lakhdar, Batna 01
Prof. Dr. Jamal Al-Ashraf	Member	University of El Oued
Prof. Dr. Ahmed Amer Bay	Member	University of El Oued

University Year: 1446/1447 H – 2025/2026